



جامعة الناصر  
AL-NASSER UNIVERSITY

# مجلة جامعة الناصر

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية - تصدرها جامعة الناصر  
السنة الرابعة - العدد السابع - يناير/ يونيو 2016 م

## الهيئة الإستشارية

أ. د/ أحمد لطفي السيد محمود  
أ. د/ حسني أحمد الجوشي  
أ. د/ إبراهيم على أحمد الشامي  
أ. د/ جميل عبد الرب المقطري  
أ. د/ صالح سالم عبدالله باحاج  
أ. د/ حسن ناصر أحمد سرار  
أ. د/ عبدالرحمن عبد الواحد الشجاع  
أ. د/ عبدالوالي محمد الأغبري  
أ. د/ حمود أحمد محمد عبده الفقيه  
أ. د/ علي أحمد يحيى القاعدي  
أ. د/ محمد حسين خاقو  
أ. د/ سعيد منصر الغالبي

## الإشراف العام

رئيس مجلس الأمناء  
د. أحمد سيف سعيد محرم

## رئيس التحرير

رئيس الجامعة  
أ.د. عبد الله حسين طاهش

## مدير التحرير

د. محمد شوقي ناصر عبدالله

## هيئة التحرير

د. إيمان عبدالله المهدي  
د. رضوان علي خالد المخلافي  
د. عبدالرقيب أحمد الحناني  
د. منصور عبدالله الزبيدي

د. محمد عبدالله سرحان الكهالي  
د. إبتسام اسماعيل المؤيد  
د. عبدالكريم قاسم الزمر  
د. منير أحمد الأغبري

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء ( ٦٣٠ ) لسنة ٢٠١٣ م

مجلة جامعة الناصر - مجلة علمية محكمة - تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم وإنتاجاتهم العلمية  
باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية.



**أولاً: قواعد النشر:**

تقوم مجلة جامعة الناصر بنشر الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإنجليزية في مختلف مجالات العلم والمعرفة وفقاً للشروط التالية:

(١) أن يكون البحث المقدم أصيلاً ويعالج قضية معينة بذاتها، وتتوافر فيه الشروط العامة للبحث العلمي المعتمد على القواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، في مختلف المجالات الإنسانية والتطبيقية..

(٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومطبوعاً بينط (١٢) ويخط (AL-Mohanad Bold) بالنسبة لبحوث اللغة العربية، ويخط (Times New Roman) بالنسبة لبحوث اللغة الإنجليزية، وأن لا تزيد صفحات البحث عن (٤٠) صفحة ولا تقل عن (٢٠) متضمنة المصادر والمراجع.

(٣) أن يتم تحويل البحث إلى صيغة PDF ونسخة ورد .

(٤) أن يرفق مع البحث له ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية على أن لا يزيد عدد كلمات كل منها عن (٢٠٠) كلمة.

(٥) ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر في مجلة أخرى.

(٦) المجلة ترحب بنشر ما يصل إليها من ملخصات لرسائل الماجستير والدكتوراه، التي تم مناقشتها وإجازتها، في كافة المعارف الإنسانية والتطبيقية، على أن يكون الملخص من قبل صاحب الرسالة.

(٧) أن تكون هوامش البحث في نهاية كل صفحة بالنسبة للبحوث النظرية.

(٨) مراجعة البحث لغوياً ومطبعياً قبل تسليمه للمجلة.

**ثانياً: إجراءات النشر والتحكيم :**

(١) ترسل البحوث والمراسلات إلى مجلة جامعة الناصر على العنوان التالي :

الجمهورية اليمنية – صنعاء – جامعة الناصر ( [www.al-edu.com](http://www.al-edu.com) ) مجلة جامعة الناصر.

هاتف: (٥٣٦٣٠٧) تليفاكس (٥٣٦٣١٠) البريد الإلكتروني لمدير التحرير

m5sh5n55@gmail.com

(٢) يسلم البحث المقدم للنشر من أصل وثلاث نسخ ورقية مطبوعة على ورق (A4) ويشترط أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD) وذلك إلى عنوان المجلة أعلاه، بحيث يظهر في غلاف البحث إسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.

٣- يرفق الباحث نسخة مختصرة عن سيرته الذاتية، متضمنة إسم الباحث وعنوانه، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.

٤) في حالة قبول البحث مبدئياً، يتم إحالته إلى محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهم إسم الباحث أو بياناته ، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث ، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ثم يطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمه.

٥) يخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمه خلال ثلاثة أشهر على الأكثر من تاريخ تسليمه للبحث.

٦) في حالة ورود الملاحظات من المحكمين ، ترسل تلك الملاحظات إلى الباحث بهدف إجراء التعديلات اللازمة، على أن تعاد للمجلة في مدة أقصاها شهر.

٧) يمنح صاحب البحث المنشور نسخة واحدة من عدد المجلة مع عشر مستلآت من بحثه.

ثالثاً: رسوم التحكيم والنشر في المجلة :

تفرض المجلة مقابل نشر البحوث والتحكيم الرسوم التالية:

- البحوث المرسله من داخل الجمهورية اليمنية ( ١٥٠٠٠ ) خمسة عشر ألف ريال .
- البحوث المرسله من خارج الجمهورية اليمنية ( \$ ١٥٠ ) مائة وخمسون دولار أمريكي منها:  
تكاليف إرسال المجلة والمستلآت للباحث .
- هذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر أم لم يتم نشره .
- أعضاء هيئة التدريس والباحثون بجامعة الناصر معفيون من تسديد الرسوم.

البحوث المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن توجه الجامعة وإنما تعبر عن آراء أصحابها

رقم الإيداع ( ٦٣٠ ) ( ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٣ م ) ( الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع - دار الكتب - صنعاء )

( جميع حقوق الطبع محفوظة للمجلة )

الصفحة	الباحث	الموضوع	م
٤٠ - ٧	د. عبد الله بن عبدا لرحمن بن عبد العزيز التركي أستاذ القانون التجاري والبحري المساعد بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية	أحكام تكوين الشركات متعددة الجنسيات	1
٧٨ - ٤١	د.مظهر سيف أحمد نصر أستاذ الاقتصاد الإسلامي المساعد - جامعة عمران	الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي	2
١٢٠ - ٧٩	د.آمال السيد محمد الأمين أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية العلوم والآداب بخميس مشيط - جامعة الملك خالد - السعودية	أنواع السياق في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية	3
١٤٨- ١٢١	د. عبد الكريم حسين رعدان أستاذ مشارك بكلية التربية - سقطرى قسم اللغة العربية (بلاغة و نقد) - جامعة حضرموت	البعد الأسلوبي والبلاغي في عينية لقيط بن يعمر الإيادي (دراسة نقدية)	4
١٨٠-١٤٩	د.عبد الرحمن الطيب عبدالواحد خليفة أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية - جامعة أمدرمان الإسلامية - السودان	من أسرار التقديم في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية	5
٢٣٦- ١٨١	د. الزبير صالح محمد أحمد الوصابي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد .كلية التربية . عيس - جامعة حجة	الأساليب التفسيرية في الأحاديث النبوية	6
٢٦٤- ٢٣٧	د/ منى عبدالله محمد آدم أستاذ الفقه وأصوله المساعد بكلية العلوم والآداب جامعة الملك خالد - السعودية	إقرار العين في الصلاة	7
٢٩٦-٢٦٥	د. يحيى مقبل صالح الصباحي أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد كلية التربية والآداب والعلوم مارب - بجامعة صنعاء	بناء الفكر في القرآن الكريم ومعالجة الغلو	8
٣٢٤ - ٢٩٧	د. عثمان تاج الدين عثمان الجزولي، كلية الهندسة جامعة بيشة المملكة العربية السعودية معار من جامعة الإمام المهدي السودان كلية الهندسة قسم الهندسة الكيميائية	السياسة القومية للموارد المائية واستراتيجيتها وخطتها	9
٣٥٠ - ٣٢٥	د/ محمد أحمد مصلح الوصيل أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية التربية النادرة جامعة إب	القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية	10
٣٦٦ - ٣٥١	١. موسى لفته مطر الجشعمي المدرس المساعد في وزارة التربية العراقية للمديرية العامة لتربية ذي قار - العراق	مسافة $\rho$ - هاسدورف وتقارب المجموع فوق/تحت - البياني	11
٣٨٦ - ٣٦٧	د. علي يوسف عثمان عاتي أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية التربية سيئون جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا	رموز الحضارة اليمنية في شعر عبد الله البردوني	12
١٥-١	د/١ نبيل عبد الله نعمان القدسي - باحث أول كلية التربية والعلوم - جامعة البيضاء د/١ عبد الجبار محمد صالح العياني - باحث ثاني كلية الهندسة - جامعة ذمار د/١ محمد عبد اليازي القدسي - باحث ثالث كلية العلوم - جامعة صنعاء	Co-friendly Method " Synthesis of Fe <sub>2</sub> O <sub>3</sub> Nanoparticles from Hematite stone from " Republic of Yemen	13

## الافتتاحية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.  
أما بعد:

فيسعدني و يشرفني أن أكتب سطور هذه الافتتاحية للعدد السابع دورة يناير - يونيو ٢٠١٦ م من مجلتكم مجلة جامعة الناصر للعلوم الإنسانية والتطبيقية في الوقت الذي لا يزال بلدنا الحبيب يمر بظروف صعبة، إلا أن إدارة المجلة قد تعهدت لقرائها الأفاضل من أكاديميين وباحثين أن تصدر أعدادها في الوقت المحدد حرصاً منها على أهمية استمرارية البحث العلمي.

وقد احتوى هذا العدد على اثني عشر بحثاً باللغة العربية وبحث واحد باللغة الإنجليزية، وكلها بحوث قيمة ومتنوعة في مختلف العلوم الإنسانية والتطبيقية. واذ تقوم إدارة التحرير بتقديم هذا العدد بما يحتويه من أبحاث علمية قيمة في التخصصات المختلفة لباحثيها وقرائها الأعزاء، حيث تتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إخراج هذا العدد إلى حيز الوجود، وتؤكد المجلة مجدداً للمشاركين الأفاضل التزامها الدقيق بإتباع المنهجية العلمية والسرية التامة في تحكيم ونشر الأبحاث المقدمة إلى المجلة. وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب الفضل العظيم على توفيقه وعونه لنا ربنا تبارك وتعالى، ونسأله أن يوفقنا دائماً في خدمة البحث العلمي وتنميته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رئيس التحرير

أ.د/ عبدالله حسين طاهش

رئيس الجامعة

## أحكام تكوين الشركات متعددة الجنسيات – دراسة مقارنة في القانون السعودي

د. عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التركي

أستاذ القانون التجاري والبحري المساعد بالمعهد العالي للقضاء

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية

aalturiki@hotmail.com

الملخص

1

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

يهدف هذا البحث الى معرفة أحكام تكوين الشركات متعددة الجنسيات

- دراسة مقارنة في القانون السعودي.

وقد اشتمل البحث على مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع والمنهج المتبع

في هذه الدراسة وفصلين :

تناولت في الفصل الأول : طرق تكوين الشركات متعددة الجنسيات

وتكييفها القانوني .

وفي الفصل الثاني تناولت فيه خصائص الشركات متعددة الجنسيات

وتكييفها القانوني ومميزاتها وعيوبها.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها

في البحث ، ثم أهم المصادر والمراجع .

## المقدمة:

يشهد العالم المعاصر مرحلة تحول اقتصادية كبيرة لا تعدد بالحوازر السياسية والجغرافية والثقافية والاقتصادية ، فاحتياجات المستهلكين حتى لو اختلفت ثقافاتهم واحدة وأسواق دول العالم تقاربت لتشكل سوق عالمي كبير ، وبالتالي كانت الحاجة إلي وجود مؤسسات كبيرة لتواجه التحديات والتهديدات العديدة التي أفرزتها متغيرات كثيرة في عالم سريع التغير.

فأمام هشاشة بنية المؤسسات الاقتصادية في الدول النامية التي لا تستطيع مواجهة هذه التحديات ، هو ما أدى لاستخدام بدائل إستراتيجية سواء كانت هذه البدائل تستهدف سد فجوة معينة أو أن تلك البدائل تهدف لعلاج جوانب الضعف أو تقوم باستغلال عناصر القوة، ولعل من أهم هذه البدائل نشوء التحالف الاستراتيجي بين الشركات الذي أعتبر كحل أساسي يساعد ويساهم في نمو وتطور المؤسسات الاقتصادية بدلا من جود الصراع والمنافسة بينها .

ومع زيادة توجه الشركات نحو تحسين وضعها التنافسي خلال الأعوام الماضية تضاعفت اتفاقيات التحالف المبرمة بين المؤسسات، وظهرت بجلاء علي الساحة الشركات المتعددة الجنسيات ، ففي ظل تحرير التجارة الدولية وافتتاح الأسواق أمام المنتجات العالمية، وتطبيق آليات السوق ، ظهرت الشركات العملاقة متعددة الجنسيات<sup>١</sup> .

إذ أنه وفي مواجهة التحديات والمتغيرات الجديدة لم تعد المنظمات الاقتصادية تستطيع أن تعتمد على الانفراد بقدراتها سواء الإنتاجية أو التسويقية ، وذلك لازدياد حدة المنافسة وازدياد عدد المؤسسات الاقتصادية وازدياد نشاطها ، خاصة في المجال الصناعي إذ أن أجزاء المنتج الواحد من الممكن أن تُصنَّع في عدد من الدول ليتم التجميع في المؤسسة الأم ، وكذا لتعدد الاسواق وانتشارها في العالم ، لم يعد بإمكانها الاعتماد على قدراتها الذاتية فقط ، خاصة وأن المنافسة الشديدة قد تؤدي إلى خروجها من السوق ، وهو ما أدى إلي اللجوء إلي تكوين الشركات المتعددة الجنسيات وتشكل الشركات المتعددة الجنسيات في العصر الحديث القوة المحركة للنظام الاقتصادي الدولي فهي قوة هائلة في الاقتصاد العالمي، وهي ظاهرة اقتصادية مهمة في مجال العلاقات الدولية تؤثر في الأحداث الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العالم ، وتمارس الشركات متعددة الجنسيات عملها من خلال شبكة كبيرة من الهياكل التنظيمية وتعد المحرك الرئيس لظاهرة العولمة التي تمثل المؤشر الرئيس لمعدل النمو والتنمية في مختلف دول العالم .

١ في مضمون ذلك يراجع ، د/ مصطفى سلامة حسين ، التنظيم الدولي للشركات متعددة الجنسية: دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٧ وما بعدها .

ويحظى نشاط الشركات متعددة الجنسيات بأهمية كبيرة علي صعيد كل من السياسة والاقتصاد ، كما أهتمت به تقارير العديد من المنظمات الدولية ، على رأسها تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD حول الاستثمار العالمي ونظرا لهذه الأهمية أردنا ان نضرد فى هذا البحث للنظام القانونى للشركات متعددة الجنسيات والقاء الضوء عليها من حيث التعريف بها وباشكالها القانونية وخصائصها وطرق تكوين الشركة متعددة الجنسيات و الأساس القانونى لها .

#### خطة البحث:

الفصل التمهيدي : مفهوم الشركات المتعددة الجنسيات

المبحث الأول: ماهية الشركة

المطلب الأول : تعريف الشركة

المطلب الثاني : أنواع الشركات فى النظام السعودى الجديد

المبحث الثانى : ماهية الشركات المتعددة الجنسيات

المطلب الأول : تعريف الشركات المتعددة الجنسيات

المطلب الثانى : أهمية الشركات المتعددة الجنسيات

الفصل الأول : طرق تكوين الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانونى

المبحث الاول : طرق تكوين الشركات متعددة الجنسيات

المطلب الأول: الأندماج الدولى

المطلب الثانى: تكوين الشركات الوليدة والشركات القابضة

المبحث الثانى : النظريات المفسرة لظاهرة الشركات متعددة الجنسيات

المطلب الأول: النظريات التقليدية .

المطلب الثانى: النظريات الحديثة .

الفصل الثانى : خصائص الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانونى ومميزاتها وعيوبها

المبحث الأول: خصائص الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانونى

المطلب الأول: خصائص الشركات متعددة الجنسيات

المطلب الثانى: التكييف القانونى للشركات متعددة الجنسيات

المبحث الثانى : مميزاتها وعيوب الشركات متعددة الجنسيات

المطلب الأول: مميزاتها الشركات متعددة الجنسيات.

المطلب الثانى: عيوب الشركات متعددة الجنسيات

الخاتمة وقائمة المراجع

## الفصل التمهيدي

### مفهوم الشركات المتعددة الجنسيات

سبق وان ذكرنا أن الشركات متعددة الجنسيات أصبحت من الأهمية ومن القوة التي استطاعت بها أن تتحكم فى اقتصاديات الدول بل ومقدراتها ومن تلك الأساليب هى النظام القانونى لها الذى أصبح من القوة أن يصبح خطراً على القوانين الوطنية ولكى نستطيع أن نلقى الضوء على موضوع البحث وهو عقد الشركات متعددة الجنسيات فلا بد من تعريف ماهية الشركة فى المبحث الأول ، و ماهية الشركات المتعددة الجنسيات وهو موضوع المبحث الثانى .

وذلك على النحو التالى:

المبحث الأول : ماهية الشركة

المبحث الثانى : ماهية الشركات المتعددة الجنسيات

### المبحث الأول

#### ماهية الشركة

لا تعتبر فكرة الشركة وليدة العصر الحالى فهي قديمة قدم الإنسانية وما مرت به من حضارات مختلفة ، ونجد معالم الشركة فى التشريعات القديمة مثل البابليين وقوانين حمورابي ، ثم جاءت الحضارة الإسلامية فأهتمت كثيراً بالشركات وأنواعها بل إن غالبية الباحثين أجمعوا على أن مبادئ وأسس شركات التوصية مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وفي العصر الحديث تأثرت الشركات بالتطورات الإقتصادية وخاصة فى بدايات القرنين التاسع عشر والعاشرين حيث كان من نتاج ذلك ظهور الشركات الكبيرة التي تهدف الى المضاربة من خلال استغلال رؤوس الأموال ١٠

وسوف نتعرض فى هذا المبحث لماهية الشركة فى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : تعريف الشركة.

المطلب الثانى : أنواع الشركات فى النظام السعودى الجديد.

<sup>١</sup> ماهية الشركة ، <http://www.almohasb1.com/2011/09/company.html>

## المطلب الأول

### تعريف الشركة

#### أولاً : تعريف الشركة لغة :

تعرف الشركة في اللغة أنها مستمدة من مصدر شرك شركاً وشركة، وشركت بينهما في المال وأشركته، جعلته شريكاً<sup>١</sup>.

كما يقال لغة : شركته وشاركته وتشاركوا وأشركته وجمع الشريك شركاء<sup>٢</sup> والشركة : بكسر الشين وسكون الراء، أو بفتح الشين وكسر الراء وسكونها هي الاختلاط ، سواء أكان بعقد أم بغير عقد، وسواء أكان في الأموال أم في غيرها<sup>٣</sup>.  
قال الله تعالى : { فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ }<sup>٤</sup> ، وقال سبحانه وتعالى : { وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ }<sup>٥</sup> ، وقال سبحانه وتعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ }<sup>٦</sup> ، وقال سبحانه وتعالى : { وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي }<sup>٧</sup>.

وفي الحديث القدسي الذي أخرجه أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: "أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانته خرجت من بينهما" ، ومعنى الحديث: أنا معهما بالحفظ والإعانة، فأمدهما بالمعونة في أموالهما، وأنزل البركة في تجارتها، فإذا وقعت بينهما الخيانة رفعت البركة والإعانة عنهما، وهو معنى خرجت من بينهما<sup>٨</sup>.  
ثانياً : تعريف الشركة فقهاً :

عرفت الشركة فقهاً بأنها عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بأن يسهم كل منهم في مشروع يستهدف الربح ، بتقديم حصة من مال أو عمل لاقتسام ما قد ينشأ عن المشروع من ربح أو خسارة<sup>٩</sup>.

١ المصباح المنير للمقري الفيومي، مادة (شرك)، تحقيق عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م، ص٣١١.  
٢ العلامة الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق / صفوان عدنان، دار القلم، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٤٥١ وما بعدها .

<sup>٣</sup> [http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books\\_Shrkat2.htm](http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books_Shrkat2.htm)

٤ سورة النساء: الآية ١٢

٥ سورة الإسراء: الآية ٦٤

٦ سورة ص: الآية ٢٤ ، والخلطاء: الشركاء.

٧ سورة طه: الآية ٣٢

<sup>٨</sup> [http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books\\_Shrkat2.htm](http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books_Shrkat2.htm)

٩ د/ محمد حسن الجبر ، القانون التجاري السعودي ، الطبعة الثانية ، الدار الوطنية الجديدة ، الرياض ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ١٣٥ .

كما عرفت الشركة التجارية أيضا بأنها هي عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بأن يشتركوا في مشروع يستهدف الربح ، فيقدم كل منهم حصة في رأس المال تكون إما حقوق مادية أو معنوية وإما خدمات ، لإقتسام أي ربح أو خسارة تنتج عن المشروع ١٠.

**ثالثا : تعريف الشركة قانونا :**

**١ - : تعريف الشركة في النظام السعودي:**

عرّفت المادة الثانية من نظام الشركات السعودي الجديد بأنها "عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع يستهدف الربح بتقديم حصة من مال أو عمل أو منهما معا لاقتسام ما ينشأ عن هذا المشروع من ربح أو خسارة".

**٢ - تعريف الشركة في القانون المصري:**

عرف القانون المصري الشركة في نص المادة (٥٠٥) من القانون المدني المصري بأنها عقد بمقتضاه يلتزم شخصان أو أكثر بان يساهم كل منهم في مشروع مالى بتقديم حصة من مال او من عمل لاقتسام ما قد ينشأ عن هذا المشروع من ربح او خساره٢

**٣ - تعريف الشركة في القانون الاردني:**

عرف القانون الاردني الشركة في نص المادة (٥٨٢) من القانون المدني الأردني بأنها الشركة عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بان يساهم كل منهم في مشروع مالى بتقديم حصته من مال أو من عمل لاستثمار ذلك المشروع واقتسام ما قد ينشأ عنه من ربح أو خسارة ٣.

**٤ - تعريف الشركة في القانون الجزائري:**

عرف القانون الجزائري الشركة في نص المادة ٤١٦ من القانون المدني الجزائري بأنها : الشركة عقد بمقتضاه يلتزم شخصان طبيعيين أو اعتباريان أو أكثر على المساهمة في نشاط مشترك بتقديم حصة من

<sup>١</sup> [http://www.chamberoman.com/arabic/doing\\_occi\\_investorsguide.asp](http://www.chamberoman.com/arabic/doing_occi_investorsguide.asp)

<sup>٢</sup> [http://konouz.com/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%87%D8%A7+\\_5\\_42\\_8\\_4327\\_ar.html](http://konouz.com/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%87%D8%A7+_5_42_8_4327_ar.html)

<sup>٣٣</sup> <http://www.amawi.info/?p=256>

عمل أو مال أو نقد، بهدف اقتسام الربح الذي قد ينتج أو تحقيق اقتصاد أو بلوغ هدف اقتصادي ذي منفعة مشتركة ١٠.

#### ٥ - تعريف الشركة في القانون القطري ٢:

عرف القانون القطري الشركة في نص المادة ٢ من قانون الشركات القطرية بأنها الشركة التجارية عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر من الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين بأن يسهم كل منهم في مشروع يستهدف الربح وذلك بتقديم حصة من مال أو عمل واقتسام ما ينشأ عن المشروع من ربح أو خسارة.

#### المطلب الثاني

#### أنواع الشركات في النظام السعودي الجديد

تعرض قانون الشركات السعودي الجديد لأنواع الشركات ، ويمكن تقسيم أنواع الشركات إلى قسمين رئيسيين هما: شركات الأشخاص، وشركات الأموال، بالإضافة إلى شركة تجمع بين شركات الأشخاص وشركات الأموال ، وتعرض لتلك الأنواع على النحو التالي :

أولاً : شركات الأشخاص

تقوم شركات الأشخاص على الاعتبار الشخصي والثقة المتبادلة بين الشريكين، وتترتب على ذلك النتائج الآتية:

أن الغلط في شخص الشريك يبني عليه بطلائناً نسبياً.

لا يجوز للشريك أن يتصرف في حصته من غير رضا باقي الشركاء.

أن الشركة تنتهي بموت أحد الشركاء، أو الحجر عليه أو إفلاسه. وذلك لأن الشركاء وثقوا في شخص معين فلا تعدى الثقة إلى غيره.

وتشمل شركات الأشخاص: شركة التضامن، وشركة التوصية البسيطة، وشركة المحاصة.

#### أ - شركة التضامن:

عرفها النظام السعودي كما في المادة "١٧" بأنها " شركة بين أشخاص من ذوي الصفة الطبيعية يكونون فيها مسئولين شخصياً في جميع أموالهم وبالتضامن عن ديون الشركة والتزاماتها ويكتسب الشريك فيها صفة التاجر " ويطابق هذا التعريف عناصر شركة التضامن في كثير من تشريعات العالم الحديثة فيطابق

[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=520629857962539&id=51](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=520629857962539&id=51)

3698018655723

٢ قانون رقم (٥) لسنة ٢٠٠٢ بإصدار قانون الشركات التجارية

التعريف الفرنسي، والتعريف المصري على وجه الخصوص كما في مادتي ٢٠ - ٢٢ من القانون التجاري المصري (١).

ويكتسب كل شريك فيها صفة التاجر، وتنعون الشركة باسم الشركاء، أو باسم بعضهم، ويحكمهم عقد يحدد أغراض الشركة، ومدتها، وأسماء الشركاء، ورأس مال كل شريك، وتوزيع الربح والخسارة. وفرض أجر للقائم بالإدارة، أو منحه زيادة في الربح، وعلى كل حال فالمرجع بينهم هو العقد المبرم عند إنشاء الشركة. (٢)

#### ب - شركة التوصية البسيطة:

عرف القانون التجاري السعودي شركة التوصية البسيطة في المادة الثامنة والثلاثين منه بأنها شركة تتكون من فريقين من الشركاء فريق يضم علي الأقل شريكاً متضامناً ومسؤولاً في جميع أمواله عن ديون الشركة والتزاماتها ، وفريق آخر فريق يضم علي الأقل شريكاً موصياً لا يكون مسؤولاً عن ديون الشركة والتزاماتها إلا في حدود حصته في رأس المال الشركة ولا يكتسب الشريك الموصي صفة التاجر. وبالتالي يمكن القول بأن شركة التوصية البسيطة تتكون من نوعين من الشركاء النوع الأول متضامن - ولو شريكاً واحداً - يكون مسؤولاً في جميع أمواله عن ديون الشركة ، ولهم نفس النظام القانوني الذي للشركات في شركة التضامن ، فيكتسبون بالتالي صفة التاجر، ولهم حق إدارة الشركة، وتنعون الشركة باسمهم أو احدهم .

والنوع الثاني موصي - يضم علي الأقل شريكاً واحداً - يكون مسؤولاً عن ديون الشركة بقدر حصته في رأس المال ، (٣) الذي قدمه كل منهم ، ولا يكتسبون صفة التاجر، وليس لهم حق في إدارة الشركة، ولا تعنون باسمهم ، ولكن لهم الحق في طلب البيانات حتى يقفوا على مركز الشركة ، وتوزيع الأرباح والخسائر يكون بمقتضى العقد المحرر بينهم عند تأسيس الشركة مع ملاحظة أن الفريق الموصي لا يتحمل من الخسارة إلا في حدود رأس ماله فقط .

#### ج - شركة المحاصة:

عرف القانون التجاري السعودي الجديد شركة المحاصة في المادة الثالثة والأربعين بأنها شركة تستتر عن الغير ولا تتمتع بشخصية اعتبارية ولا تخضع لإجراء الشهر ولا تقيد في السجل التجاري . ويمكن بالتالي تحديد خصائص هذا النوع من الشركات كالآتي :

(١) محمد إبراهيم أبو العينين: مبادئ القانون - مرجع سابق - ص ٢٨٩.

(٢) محمد علي الفقى، فقه المعاملات دراسة مقارنة - مرجع سابق ص ٣٠١.

(٣) محمد إبراهيم أبو العينين: مبادئ القانون - مرجع سابق ص ٢٩٣.

- هي شركة مؤقتة بين بعض الأفراد لإنجاز عملية معينة ، وبعد انتهائها تنتهي الشركة ، ويقسمون

الأرباح والخسائر حسب العقد المحرر بينهم. (١)

- هذه الشركة مستترة عن الغير ، ولا تخضع لإجراء الشهر ، وليس لها اسم ، ولا تتمتع بشخصية اعتبارية،

أي ليس لها كيان قانوني بالنسبة إلى الغير، ويقتصر أثرها على أطرافها كسائر العقود .

- يكتفى فيها بتحديد عقد الاتفاق بين المتعاقدين على الاشتراك في الصفقة التي تقوم بها هذه الشركة.

- رأس مال هذه الشركة يمكن أن يكون من جميع الشركاء ، ويمكن أن يكون من أحدهم ، وبعد تصفية

الشركة توزع الأرباح أو الخسائر بحسب العقد المبرم بينهم.

### ثانيا : شركات الأموال:

تقوم شركات الأموال على الاعتبار المالي، فلا يعتد فيها بشخصية الشريك بل العبرة فيها بما يقدمه كل شريك من مال.

فهي تقوم أساساً على حشد الأموال للقيام بالمشروعات الكبيرة ولا تقوم على الاعتبار الشخصي كما في

شركات الأشخاص. (٢)

ومن خصائص هذه الشركة: أنه يجوز للشريك أن يتصرف في حصته دون الحاجة إلى موافقة الشركاء،

كما أن وفاة أحد الشركاء أو الحجر عليه أو إعساره أو إفلاسه لا يترتب عليه حل الشركة ، وتسمى

الحصص في رأس مال هذه الشركة بالأسهم، ويسمى الشركاء فيها بالمساهمين، وهؤلاء المساهمون ليسوا

تجاراً ولا يسألون عن ديون الشركة إلا في حدود قيمة أسهمهم.

وتشمل هذه الشركات:

### ١ - شركة المساهمة ٢ - الشركة ذات المسؤولية المحدودة ٣ - الشركات القابضة

ونتعرض لها علي النحو التالي :

١ - شركة المساهمة: عرفها نظام الشركات السعودي الجديد في المادة الثانية والخمسين بأنها: شركة رأس

مالها مقسم إلى أسهم متساوية القيمة وقابلة للتداول وتكون الشركة وحدها مسؤولة عن الديون والالتزامات

المرتبة علي ممارسة نشاطها .

ويدير هذه الشركة مجلس إدارة يعينه المؤسسون إلى أن تنعقد الجمعية العمومية للمساهمين عقب تأسيس

الشركة وبدء عملها ، فتقوم باعتماد هذا المجلس أو تغييره ، أو تحدد عضوية الأعضاء حسب المدة والكيفية

عند تأسيس الشركة.

(١) محمد علي الفقى: فقه المعاملات دراسة مقارنة - مرجع سابق ص٣٠٤

(٢) محمد إبراهيم أبو العينين: مبادئ القانون - مرجع سابق ص٢٤٤

وليس للشركة عنوان يتألف من أسماء الشركاء وإنما يكون لها اسم تجاري ينبئ عن الغرض من تكوينها. (١)

## ٢ - الشركة ذات المسؤولية المحدودة :

عرفها نظام الشركات السعودي الجديد في الفقرة الأولى من المادة الحادية والخمسون بعد المائة بأنها: شركة لا يزيد عدد الشركاء فيها عن خمسين شريكاً وتعد ذمتها مستقلة عن الذمة المالية لكل شريك وتكون الشركة وحدها مسؤولة عن الديون والالتزامات المترتبة عليها ولا يكون المالك لها أو الشريك فيها مسؤولاً عن تلك الديون والالتزامات .

وبالتالي يقسم رأس مال الشركة إلى حصص متساوية القيمة ولا يكون الشريك فيها مسؤولاً إلا بقدر حصته من رأس المال، ولا يزيد عدد الشركاء في هذه الشركة عن خمسين (٢).

والواقع أن هذه الشركة خليط من شركات الأشخاص وشركات الأموال ، فهي تشبه شركات الأشخاص من حيث إن عدد شركائها لا يزيد عن خمسين شريكاً، ولا يجوز تأسيسها عن طريق الاكتتاب العام ، ولا يصدر لها أسهم أو سندات قابلة للتداول.

وتشبه هذه الشركة شركة التضامن إلى حد كبير لأن الشركاء في هذه الشركة لا يسألون عن ديون الشركة إلا في حدود رأس المال، وذلك يخالف شركة التضامن.

ومن أجل ذلك أوجدت الأنظمة هذا النوع من الشركات ذات المسؤولية المحدودة لانصراف الناس عن شركات التضامن خوفاً من خطرهما، ويوزع الربح في الشركة ذات المسؤولية المحدودة حسب عقد تأسيس الشركة (٣)

٣ - الشركات القابضة : عرفها نظام الشركات السعودي الجديد في الفقرة الأولى من المادة الثانية والثمانون بعد المائة بأنها: شركة مساهمة أو ذات مسؤولية محدودة تهدف إلى السيطرة على شركات أخرى مساهمة أو ذات مسؤولية محدودة تدعي الشركات التابعة وذلك بامتلاك أكثر من نصف رأس مال تلك الشركات أو بالسيطرة على تشكيل مجلس إدارتها .

ويشترط في تلك الشركات عدة شروط ٤

**الشرط الأول :** أن تكون شركة تجارية فهي ليست نوعاً جديداً من شركات الأشخاص وشركات الأموال.

(١) فقه المعاملات ، ص٣٠٤ ، مبادئ القانون أبو العينين ، ص٢٩٦ بتصرف

(٢) مبادئ القانون ، ص٣٠٩ .

(٣) محمد إبراهيم أبو العينين: مبادئ القانون - مرجع سابق ص٣١٠

٤ اسماعيل محمد حسين الشركة القابضة وعلاقتها بالشركة التابعة في مشروع قانون الشركات الاردني والقانون المقارن عمان ١٩٩٠. ص١٥ وما بعدها

**الشرط الثاني :** أن توجد شركة تابعة فالشركة القابضة شركة تمتلك اغلبية رأسمال في شركات اخرى بهدف السيطرة عليها وتوجيه نشاطها .

**الشرط الثالث :** سيطرة الشركة القابضة على الشركة التابعة ، فيجب ان يكون هنالك سيطرة على قدرات الشركة التابعة كأن تقوم الشركة القابضة بتحديد السياسة المالية والاستثمارية لها .

**الشرط الرابع :** استقلال الشركة التابعة ، فيجب ان يكون هنالك انفصال تام بين الشخصية الاعتبارية والقانونية للشركة التابعة عن الشركة القابضة .

## المبحث الثاني

### ماهية الشركات المتعددة الجنسيات

أن من أهم الظواهر القانونية والأقتصادية بل والسياسية ، في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هي الشركات متعددة الجنسية . فمن الناحية القانونية تشكل الشركات متعددة الجنسية ظاهرة قانونية جديدة ، تتعدى المفاهيم القانونية التقليدية وتتجاوزها ، وتثير من القضايا والمشاكل ما تعجز الأدوات الفنية المستحدثة عن الأحاطة به . فالشركات متعددة الجنسية هي شركات دولية النشاط ، ولها كيان يتعدى الحدود الإقليمية للدول التي تعمل فيها ، في حين ان القانون مازال وسيبقى لوقت طويل اقليميا وقوميا . وذلك يعني عجز المفاهيم والأدوات القانونية المستقرة عن استيعاب هذه الظاهرة والاحاطة بالمشاكل المختلفة التي تثيرها(١)

المطلب الأول : تعريف الشركات المتعددة الجنسيات

المطلب الثاني : أهمية الشركات المتعددة الجنسيات

### المطلب الأول

#### تعريف الشركات المتعددة الجنسيات

تعددت التعريفات للشركات المتعددة الجنسيات وتعرض لها علي النحو التالي :

- ١ - عرفها أحد الفقهاء بأنها ( شركة تتركب من مجموعة وحدات فرعية ترتبط بالمركز الأصلي بعلاقات قانونية وتخضع لإستراتيجية اقتصادية عامة وتتولى الاستثمار في مناطق جغرافية متعددة ) (٢) ،
- ٢ - وعرفها آخر بأنها ( تجمع اقتصادي بين عدة شركات تتمتع بجنسيات دول مختلفة وترتبط فيما بينها عن طريق المساهمة في رأس المال بقصد تحقيق هدف اقتصادي معين ) .

(١) محمد صبحي الاتريبي ، مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات، دار الثورة للصحافة والنشر، بغداد ، ١٩٧٧، ص ٢٥- ٣٥.

(٢) د . محسن شفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٥-

- ٣ - كما عرفها آخرون بأنها كل مشروع يمتلك او يسيطر على موجودات وأصول - مصانع ، مناجم ، مكاتب واستشارات وما شابهها في دولتين أو أكثر ، ويمتد نشاط هذه الشركات في كافة مفاصل الحياة الاقتصادية في المجال الصناعي والتجاري والمالي.(١)
- ٤ - كما يعرفها بعض من الفقة بأنها مشاريع قليلة العدد عملاقة في حجمها ، وهي ذات عمليات تصنيع مباشرة في دول مختلفة وذات هيكل عالمي في تعدد وتشعب إنتاجها ومناطقها الإدارية ، وتغطي فعاليتها الإنتاجية بسلع مختلفة ومناطق جغرافية متباينة.(٢)
- ٥ - وقد عرف أحد المحللين الشركات متعددة الجنسيات بأنها الشركات التي لها استثمارات في ستة أو أكثر من الدول الأجنبية ووجد أن مثل هذه الشركات تمثل ما نسبته (٨٠%) من جميع الشركات الأجنبية التابعة للشركات الأمريكية الضخمة .(٣)
- ٦ - أما التعريف العلمي والبسيط للشركة المتعددة الجنسيات ، فهو الذي يشير إلى أنها تلك الشركة التي تمتد فروعها إلى عدة دول وتحقق نسبة هامة من إنتاجها الكبير السلعي والخدمي خارج دولها الأصلية ، وذلك من خلال استراتيجية عالمية موحدة ، وتتسم باستخدامها لأحدث المنجزات التكنولوجية ، وتدار بصورة مركزية في موطنها الأصلي.(٤)
- ٧ - ويعرفها مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية UNCATAD بأنها كيان اقتصادي يزاول التجارة والإنتاج عبر القارات وله في دولتين أو أكثر شركات وليدة أو فروع تتحكم فيها الشركة الأم بصورة فعالة وتخطط لكل قراراتها تخطيطاً شاملاً.(٥)
- ٨ - عرف المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة الشركة متعددة الجنسيات " بأنها تلك المنشأة التي تمتلك وسائل الإنتاج ، وتسيطر عليها وتباشر نشاطها سواء في مجال الإنتاج او المبيعات او الخدمات في دولتين او اكثر " .

(١) محمد صبحي الاتربي ، مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات، دار الثورة للصحافة والنشر ببغداد ، ١٩٧٧، ص٢٥-٣٥.

(٢) مايكل تانزر وآخرون ، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني - دور الشركات المتعددة الجنسيات، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، 1981 ، . 123

(٣) جون إلمان سبيرو، سياسات العلاقات الاقتصادية الدولية ، ترجمة خالد قاسم ، دار الكتاب الأردني ، عمّام ١٩٨٧ ، ص ١١٤.

(٤) منى قاسم ، الشركات المتعددة الجنسيات وأهميتها في الاقتصاد العالمي ، النشرة الاقتصادية ، بنك مصر ، السنة(٤١) ، العدد (١) ، ١٩٨٨ ، ص٥٣-٥٤.

(٥) بول هيرست، وغراهام طومسون، ما العولمة : الاقتصاد العالمي وإمكانات التحكم ، ترجمة فالح عبد الجبار ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع السياسة ، الكويت، 2001 ص١٢٠

٩ - كما انتهت اللجنة الحكومية المكلفة بإعداد مسودة ميثاق سلوك دولي للشركات متعددة الجنسيات في إطار منظمة الأمم المتحدة الى وضع تعريف عام لتلك الشركات مؤداه أن الشركة متعددة الجنسية هي ( تلك التي تشتمل على كيانات تعمل في دولتين أو أكثر بصرف النظر عن شكلها القانوني ومجال النشاط الذي تعمل فيه ، وأن تعمل هذه الكيانات في ظل نظام لاتخاذ القرار يسمح بوضع سياسات متجانسة واستراتيجية مشتركة من خلال مركز أو أكثر من مراكز اتخاذ القرار ، وأن ترتبط هذه الكيانات فيما بينها عن طريق الملكية أو غيرها من الروابط الأخرى بحيث يمكن لواحدة منها أو أكثر ممارسة تأثير فعال على أنشطة الكيانات الأخرى وبصفة خاصة المساهمة بالمعرفة والموارد والمسؤوليات مع الآخرين(١)

### المطلب الثاني

#### أهمية الشركات المتعددة الجنسيات

بداية نشير الي ان "الشركة مفهوم قانوني وليس مفهوما اقتصاديا"... ولا يوجد مفهوم دقيق، يعبر عن هذا النوع من الشركات، حيث يطلق عليها العديد من المصطلحات المختلفه مثل الشركة المتعددة او المتعدية الجنسيات أو القوميات أو الشركة العابرة الأوطان أو غيرها من المسميات (٢) ، وارتبط النظر الى "هذه الشركات تاريخيا بالأساس الأيديولوجي للدوله وتأثرت بمفاهيم الحقبة الأستعماريه، والتي تمهد لتحويل المشروع الأقتصادي الأستثماني لمشروع سياسي استعماري لبلد ما.(٣)

وتعد أهمية الشركات المتعددة الجنسيات من الناحية الأقتصادية في أنها تسيطر سيطرة كاملة على السوق العالمية ولتأثيرها على النشاطات الاقتصادية الدولي فقد أهتمت بها الأمم المتحدة بها وأنشئت مركز الأمم المتحدة لشئون اشركات عبر الوطنية في عام ١٩٧٤ م .٤

١ - القابضة كوسيله لقيامه ، مجلة مصر المعاصرة العدد ( ٦٣٢ ) اكتوبر ١٩٩٥ م ص ١٢٨ .

٤ - د . محمد عبده سعيد اسماعيل ، الشركات المتعددة الجنسية ومستقبلها في الدول النامية مع الإشارة الى مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق جامعة عين شمس ، ١٩٨٦ ، ص : ٣٣ .

(٢) للمزيد راجع مؤلف د.صالح ياسر -العلاقات الاقتصادية الدولية -دار بغداد - مطبعة دار الرواد المزدهرة للطباعة والتوزيع المحدودة / ٢٠٠٦ - ص٣١٧

(٣) د. سمر كوكب الجميل - التمويل الدولي - ص١٠٩ .

٤ بموجب القرار رقم ٥٧/١٩١٣ قام المجلس الاقتصاى والاجتماعى التابع للامم المتحدة بانشاء لجنة خاصة بالشركات متعددة الجنسيات لاعداد تصور تنظيم سلوك الشركات متعددة الجنسيات وتطوير نظام متكامل للمعلومات عنها وبحث اثرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية د/جون هيدسون ومارك هرنذر ، الطبعة العربية ، ترجمة د/طه منصور ود/ محمد عبد الصبور ، دار المريخ ، الرياض ، ٥١٤٠٧ ، ص ٦٩٨ .

كما تتجسد معايير التكامل في الشركات متعددة الجنسيات في تعاضد نسبة الاعمال الدولية مقارنة بالأعمال القومية للشركة الأم ، مما يحقق درجة مرتفعة من تناسق السياسات داخل هذه الشركات وتأثيرها على الاقتصاد العالمي (١) .

- ويمكن تحديد بعض أهمية الشركات متعددة الجنسية وهدفها نحو تحقيق الآتي:
- توحيد سوق التجارة الدولية عن طريق الهدم والإضعاف المستمر للقيود التعريفية والكمية القومية .
- توحيد سوق المال والائتمان الدولي .
- توحيد سوق التكنولوجيا الدولي من خلال حركة قومية نحو التنميط .(٢)

## الفصل الأول

### تكوين الشركات متعددة الجنسيات والنظريات المفسرة لها

تعد كيفية تكوين الشركة متعددة الجنسيات من أهم الموضوعات التي تطرح نفسها في دراستنا ، فكان يتعين تبيان الطرق التي يتم بها تكوين الشركة متعددة الجنسيات ، كما يتعين علينا أيضا ونحن في مجال البحث التعرض للتكييف القانوني للشركة متعددة الجنسيات ، وسنتعرض لهذين الموضوعين في المبحثين التاليين :

المبحث الأول: - طرق تكوين الشركات متعددة الجنسيات

المبحث الثاني: - النظريات المفسرة للشركات متعددة الجنسيات

### المبحث الأول

#### طرق تكوين الشركات متعددة الجنسيات

تتعدد الأدوات والأساليب القانونية لتكوين الشركات متعددة الجنسيات ، فقد يتم تكوينها عن طريق الأندماج الدولي أو عن طريق تكوين شركات ووليدة جديدة في دول مختلفة ، أو في النهاية عن طريق السيطرة على شركات قائمة في دول متعددة وهي الشركات القابضة ، ونستعرض كلاً من هذه الطرق في المبحثين التاليين :

المطلب الأول: الأندماج الدولي

المطلب الثاني: تكوين الشركات الوليدة والشركات القابضة .

١ نوزاد عبد الرحمن الهيتي ، الشركات متعددة الجنسية ودورها في الاقتصاد العالمي، ورقة عمل، بإدارة التعاون الدولي - مجلس التخطيط - قطر - الدوحة ٢٠٠٨م.ص٢٥٠  
٢ محمد السيد سعيد واخرون، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية ، دار الشباب للنشر ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٠ .

## المطلب الأول الاندماج الدولي

يعرف الاندماج الدولي قانوناً بأنه (( فناء شركة أو أكثر في شركة أخرى ، أو فناء شركتين أو أكثر وقيام شركة جديدة تنتقل إليها ذمم الشركات التي فُتيت)).(١)

ويتبين من هذا التعريف أن الاندماج يمكن أن يتم بأحدى طريقتين ، الأولى هي بطريق الضم حيث تفتنى شركة أو أكثر في شركة قائمة ، بمعنى أن إحدى الشركات تظل قائمة وتبتلع الأخرى(٢) ، والثانية هي الاندماج بطريقة المزج حيث تفتنى الشركات التي يتم ادماجها وتنشأ شركة جديدة تنتقل إليها ذمم الشركة الثانية ٣.

ويعد الاندماج هو الطريق الأكثر شيوعاً في العالم الرأسمالي نظراً لارتفاع تكاليف عملية الاندماج بطريقة المزج ، حيث تقتضي هذه الطريقة إحلال كافة الشركات التي يتم دمجها وتكوين شركة جديدة . وينقسم الاندماج إلى اندماج داخلي و اندماج دولي للشركات ، والاندماج الداخلي ، وهو الذي يتم بين شركتين أو أكثر من جنسية واحدة ، ويعد الاندماج الداخلي هو أحد الأدوات القانونية التي تستخدمها الشركات متعددة الجنسيات للقضاء على منافسيها في الدول المضيفة ، ولأحكام سيطرتها على السوق الداخلي في هذا الدول.

فالشركات متعددة الجنسية هي شركات تتمتع بجنسية دولة أو دول معينة ، ومن الممكن أن يقع الاندماج بين إحدى الشركات الوليدة الداخلة في مجموعة متعددة الجنسيات ، والتي تعمل في بلد ما وتتمتع بجنسيته ، وبين إحدى الشركات الوطنية في نفس هذا البلد، ومثل هذا الاندماج يعتبر اندماجاً داخلياً لأنه يتم بين شركتين من جنسية واحدة .

أما الاندماج دولي للشركات وهو الذي يتم بين شركتين مختلفتي الجنسية ، ويمكن اعتباره أداة لتكوين الشركات متعددة الجنسية ، بالرغم من كونه نادر ما يتم على الصعيد العملي لاصطدامه بالعديد من الصعوبات القانونية التي تعوق دون انتمائه تتمثل في عدم وجود قواعد موحدة تحكم عمليات الاندماج الدولي وبالتالي فمن الضروري الرجوع إلى قواعد تنازع القوانين في القانون الدولي الخاص لتحديد النظام القانوني الذي يحكم عمليات الاندماج الدولي .

(١) د . محسن شفيق : المرجع السابق ، ص ٦٦٤

(٢) د . محسن شفيق : المرجع السابق ، ص ٦٦٨

٣ د . محمود الشرفاوي ، المشروع متعدد القوميات ، ص ٢٨ .

## المطلب الثاني

## تكوين الشركات الوليدة والشركات القابضة

**أولاً : تكوين شركات وليدة كطريق لتكوين الشركات متعددة الجنسيات :**

كما سبق وأن بينا أن تكوين الشركات متعددة الجنسيات هو الأكثر شيوعاً ، إلا أنه ونظراً للصعوبات القانونية والسياسية التي تواجه عملية الاندماج الدولي فلا يمكن اعتباره الأداة الوحيدة لتكوين الشركات متعددة الجنسيات ، وبالتالي تفضل الشركات العالمية استخدام أساليب قانونية مختلفة للإنتقال الى العالمية ، وأهم هذه الأساليب هو تكوين شركات وليدة جديدة على المستوى العالمي .

ولا يشكل تكوين الشركات الوليدة على المستوى العالمي أي صعوبة حقيقية من وجهة نظر القانون التجاري ، إذ أن تكوين الشركات في هذا المجال يتطلب توافر شرطين أساسيين فقط هما أن يكون للشركة الأم الحق في تملك أسهم شركة أخرى وذلك وفقاً لقانونها الداخلي وقد اتجهت معظم القوانين الوضعية المعاصرة إلى الإقرار بحق الشركات بصفتها أشخاصاً قانونية في تملك أسهم بعضها البعض ، وأن يكون من الممكن تملك الشركة الوليدة بنسبة تسمح بالسيطرة عليه وذلك وفقاً لأحكام قانون الدولة المضيفة<sup>(١)</sup> ، وهو أيضاً ما حرصت معظم التشريعات التجارية على إزالة أي عوائق جديّة تحول دون السيطرة المالية لشركة على شركة أخرى.

**ثانياً : الشركات القابضة كطريق لتكوين الشركات متعددة الجنسيات:**

يمكن تعريف الشركة القابضة، بأنها تلك الشركة التي تملك من الأسهم ما يكفي للتصويت في واحدة أو أكثر من الشركات الأخرى بغرض السيطرة على تلك الشركات. ، كما تعرف بأنها شركة لها موضوع حصري مالي وإداري يكمن في أخذ إدارة المشاركات في الشركات الأخرى بغية السيطرة عليها<sup>٢</sup> كما تعرف الشركة القابضة بأنها: "كل شركة مساهمة ينحصر موضوع نشاطها ببعض الأعمال التي ينص عليها القانون، دون أن يستطيع تجاوزها إلى غيرها من الأعمال، أو أن تتوجه، مباشرة، بنشاط تجاري أو صناعي للتعامل مع الجمهور، بل تتخصص في الدرس والتخطيط والتوجيه، من أجل تطوير وتقديم واضطراد عملية الاستثمار، لشركة تابعة متخصصة في عمليات التنفيذ."<sup>٣</sup>

(١) د. حسام عيسى ، المرجع السابق ، ص ١٠٣

٢ ماجد مزيم ، شركة الهولدنغ ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٧

٣ د. الياس ناصيف، المرجع السابق، ص ٣٤.

وللشركة القابضة نوعان يمكن التمييز بينهما الأولي تعرف بالشركة النقية ١: وهي تلك الشركة موجودة فقط لهذا الغرض ، والثانية وتعرف بالشركة القابضة التشغيلية وهي تلك الشركة التي تقوم بالمشاركة في الأعمال التجارية من تلقاء نفسها .

وتتملك الشركة القابضة عادة أغلبية الأسهم في الشركة التابعة ٢ لكن أحيانا قد تكون مشاركة قليلة في ملكية الأسهم كافية لإعطاء سيطرة للشركة القابضة (إذا كانت ملكية الأسهم المتبقية منتشرة على نطاق واسع).

وتتخذ الشركات القابضة إستراتيجيات مختلفة حتي يتم تكوين شركات وليدة جديدة ، أهمها لجوء هذه الشركات الى السيطرة على شركات أخرى قائمة بالفعل ، وتحويلها الى شركات تابعة لها . ومهما كانت الأسباب التي تدفع الشركات القابضة الى السيطرة على غيرها من الشركات القائمة بالفعل فيمكن ان تسلك احد طريقين ، تتمثل الطريقة الأولى في ان تلجأ إلى الأستيلاء عنوة على الشركة ، ويطلق على هذه الطريقة بالفقه الفرنسي السيطرة بطريق الانقلاب .

وتسليتم هذه الطريقة لابد من توفر شرطين الأول : ان يتم شراء الاسهم بسرعة ودون إثارة الشكوك بالنسبة للمساهمين .

والثاني : أن يتم شراء الأسهم بطريقة لاتؤدي الى ارتفاع اسعارها في السوق المالي كثيرا ، حتى لاتزداد التكلفة المالية لعملية الاستيلاء .

وتتمثل الطريقة الثانية في السيطرة على الشركة بالطريق الودي بالاتفاق مع مجموعة المساهمين الذين يقومون بفرض سيطرتهم على نقل السيطرة اليها ، وهو ما يطلق عليه تعبير حوالة السيطرة طبقا للفقه الفرنسي .

١ ماجد مزيمح . مرجع سابق . ص ٣٨

٢ الشركة التابعة هي الشركة التي تخضع للسيطرة المالية المباشرة اوغيرالمباشرة المستمرة والمستقرة لشركة اخرى مستقلة عنها قانونا وتنتج السيطرة المالية من تملك نسبة مؤثرة من راسمال الشركة ، د/ اسماعيل محمد حسين الشركة القابضة وعلاقتها بالشركة التابعة في مشروع قانون الشركات الاردني والقانون المقارن عمان ١٩٩٠ . ص ٢٢

## المبحث الثاني

### النظريات المفسرة لظاهرة الشركات متعددة الجنسيات

حاول العديد من الفقهاء وضع نظريات لتفهم ظاهرة الشركات متعددة الجنسيات ودراسة عوامل انتشارها وسببه ، وتنوعت النظريات بين نظريات تقليدية سعت لتفسير تلك الظاهرة التي بدأت تنتشر بكثافة علي الساحة الدولية ، كما سعت النظريات الحديثة لوضع تفسير لتلك الظاهرة ، وسوف نقوم بعرض كل من هذه النظريات علي النحو التالي :

المطلب الأول: النظريات التقليدية .

المطلب الثاني: النظريات الحديثة .

### المطلب الأول

#### النظريات التقليدية

تعددت النظريات التقليدية التي تناولت ظاهرة الاستثمار الأجنبي المباشر والمجسدة ويمكن اجمالها في النظريات التالية:

#### أولاً: النظرية التقليدية:

حاولت هذه النظرية تفسير حركة رأس المال للاستثمار المباشر وذلك بالقياس على حركة التجارة الدولية والمال ١٠

وقد واجهت هذه النظرية انتقادات تمثلت في أن نظرية التجارة الدولية لا تقدم تفسيراً محدداً للاستثمار المباشر بل افترضت عدم قابلية عوامل الإنتاج للانتقال من بلد لبلد آخر ، ويعد ذلك مخالفاً لطبيعة الاستثمار الأجنبي المباشر الذي يمثل انتقالاً لعوامل الإنتاج إذ يتم التبادل الدولي داخل الشركات متعددة الجنسيات أكثر مما يتم خارجها نتيجة الطبيعة الاحتكارية للسوق ٢٠

كما يؤخذ علي هذه النظرية تناقضها مع الواقع لأن الجزء الأكبر من الاستثمارات المباشرة توجد في الدول الرأسمالية المتقدمة .

#### ثانياً : النظرية السويدية

تنسب هذه النظرية إلي العالمين السويديين هكشر وأولين حيث حاولا وضع تفهم لهذه النظرية وقررا أن سبب قيام التجارة الخارجية يعود إلى التفاوت بين الدول في مدى وفرة عناصر الإنتاج المختلفة في كل منها، والذي يؤدي بطبيعته إلى حدوث اختلاف في ثمن عناصر الإنتاج وبالتالي حدوث اختلاف في ثمن المنتجات ، وهو ما

١ د . سميحة السيد فوزي ، ظاهرة الشركات دولية النشاط والدول النامية ، مجلة مصر المعاصرة، السنة ٨٠ ، العددان ٤١٥ - ٤١٦ ، يناير وأبريل ١٩٨٩ م ، ص ١٤٣ وما بعدها .

٢ محمد السيد سعيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية، (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٦)، ص ٢٥.

يؤدي للتبادل الدولي للمنتجات مما يعد طريقة غير مباشرة لتبادل لعناصر الإنتاج المتوافرة في مختلف الدول ١.

ويؤخذ على هذه النظرية مثل إغفالها للفروق النوعية لعناصر الإنتاج، وكذا استخدامها لنموذج يتكون من متغيرين فقط هما العمل ورأس المال .

### ثالثا : نظرية رأس المال

أعتمدت هذه النظرية في تفسيرها على عامل واحد من عوامل الإنتاج وهو رأس المال النقدي وهو القيمة النقدية للسندات التي تمثل ملكية رأس المال التقني للمؤسسة، وذلك من خلال تفسيرها هيكل نشاطات المؤسسة فالمؤسسة تقوم بالاستثمار لحد معين حتي تصبح تكلفة الوحدة الإضافية من رأس المال أي التكلفة الحدية مساوية للربح المحقق من الدخل الحدي ٢. ويؤخذ على هذه النظرية أن الاستثمار المباشر لديه أهداف أخرى لا يمكن التخلي عنها ولا يسعى إلى تعظيم المردود فقط .

## المطلب الثاني

### النظريات الحديثة

حاولت النظريات الحديثة لتفادي الانتقادات التي وجهت إلى النظريات التقليدية وحاولت تفسير ظاهرة قيام الشركات متعددة الجنسيات، وذلك من خلال التعرض لأهم هذه النظريات على النحو التالي :

أولا: نظرية دورة حياة المنتج

ترجع هذه النظرية إلى "ريمون فرنون" والذي سعى لتفسير أسباب انتشار ظاهرة الاستثمارات الأجنبية في الدول النامية بصفة خاصة والدول المتقدمة بصفة عامة، وحاول وضع بعض المحفزات التي تجعل الشركات متعددة الجنسيات تقدم على الاستثمارات الأجنبية ٣، وقررت هذه النظرية أن السلعة تمر بثلاثة مراحل من التطور وهي:

١=مرحلة النمو : وتتمتع الشركات التي قامت بالاكشاف في هذه المرحلة بميزة احتكارية، إذ أن المنتج في هذه

المرحلة يحقق زيادة سريعة في التجديدات التكنولوجية ويزداد الطلب في السوق على ذلك المنتج؛ •

١ زينب حسين عوض الله، الاقتصاد الدولي: نظرة عامة على بعض القضايا، (بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٩٨)، ص٥٦.

٢ فارس فضيل، «الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول النامية: حالة الجزائر»، (جامعة الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٧-١٩٩٨)، ص١٦.

٣ زينب حسين عوض الله، مرجع سابق، ص٤٠٦

٤ زينب حسين عوض الله، مرجع سابق، ص٤٠٦

٢ -مرحلة المنتج الناضج: يمر المنتج بعد ذلك بمرحلة نضوج يصاحبها العديد من التطورات مثل زيادة التطلعات لدي المستهلكين نحو مستويات راقية من الجودة ، قلة المخاطر التي تصاحب عمليات الإنتاج والتسويق ، استقرار الطرق والوسائل الفنية المستخدمة في الإنتاج عما كانت عليه ١ .

٣ -مرحلة النمطية:و في هذه المرحلة تنتشر التكنولوجيا وتصبح معروفة وتقوم الشركات بتحويل الإنتاج من هذة السلعة الي الخارج، لأنه أصبح متداول معلوم لدي العديد من الشركات ، وتصبح الدول المتقدمة التي قامت بانتاجه في غير حازه الية وتقوم ببيع براءة الاختراع ذلك المنتج ، والعمل علي إنتاج منتج جديد لتبدأ الدورة جديدة ٢ .  
و يؤخذ علي هذه النظرية أنها لم تقدم تفسيراً لأسباب قيام الشركات متعددة الجنسيات بالاستثمار المباشر بدلاً من عقود التراخيص في الدول المضيفة، بل قامت بتفسير السلوك الاحتكاري للشركات فقط ٣.

#### ثانياً: نظرية عدم كمال السوق:

تقوم هذة النظرية علي افتراض يتمثل في غياب المنافسة الكاملة في أسواق الدول النامية مع نقص العرض فيها، كما تفترض أن الشركات الوطنية في الدول المضيفة لا يمكنها من منافسة الشركات الأجنبية في المجالات الاقتصادية و أن وجود قدرات كبيرة لدى الشركة متعددة الجنسيات بالمقارنة بالشركات الوطنية في تلك الدول المضيفة هو ما يدفع هذه الشركات نحو الإقدام علي الاستثمارات الأجنبية؛  
و يؤخذ على هذه النظرية افتراض إدراك الشركة متعددة الجنسيات لكافة فرص الاستثمار الأجنبي في الخارج وهذا الافتراض يعد افتراض غير حقيقي ولا يتفق والواقع العملي .

#### ثالثاً: نظرية الحماية ٥:

تقوم هذة النظرية على أساس أن الشركة متعددة الجنسيات يمكن أن تقوم بتعظيم أرباحها إذا استطاعت حماية الكثير من الأنشطة الخاصة التي تقوم بها مثل عمليات البحوث والتطوير والابتكارات وتحاول الشركة متعددة

١ سامي عفيفي حاتم، دراسات في الاقتصاد الدولي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، فبراير ٢٠٠٠ م ، ص٩٦

٢ سامي عفيفي حاتم، مرجع سابق ، ص ٩٢

٣ عبد السلام أبو قحف، نظريات التدويل وجدوى الاستثمارات الأجنبية، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩ م ، ص ٥٨.

٤ عبد السلام أبو قحف، المرجع السابق ، ص ٤٨.

٥ المقصود بالحماية الإجراءات التي تتخذها الشركات متعددة الجنسيات لضمان الاحتفاظ بالابتكارات الحديثة في مجالات الإنتاج أو التسويق أو غيرها وعدم انتشارها إلى أسواق الدول المضيفة من خلال طريق آخر غير الاستثمار المباشر أو عقود التراخيص والإنتاج وذلك لأطول فترة ممكنة وذلك حتى تتمكن هذه الشركات من التغلب على الإجراءات الحكومية بالدول النامية المضيفة حتى يتم إجبارها على التعامل معها عن طريق الاستثمار المباشر للشركات متعددة الجنسيات.

الجنسيات الاحتفاظ بأحد الأصول كالمعرفة أو الخبرة التي تحقق لها التميز المطلق بدلا من تصديره أو بيعه للشركات الأخرى في الدول النامية المضيفة ١ . ويرى الباحث أن النظرية الأخيرة هي الأقرب للواقع ويتفق مع النظرية الأخيرة وان كان رغبة الاستثمار لدى تلك الشركات أيضا هي المحرك الأساسي بالإضافة إلى رغبتها في الاحتفاظ والاستثمار بالمنتج .

## الفصل الثاني

### خصائص الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانوني ومميزاتها وعيوبها

لإختلاف طبيعة الشركات المتعددة الجنسيات فإنه يختلف معه بالتبعية خصائص تلك الشركات بخصائص تميزها عن غيرها من الشركات ، وبالرغم من تمتع تلك الشركات بمميزات كثيرة إلا أنه يوجد لها العديد من السلبيات وهو ما سنناقشه في المبحثين التاليين :

المبحث الأول : - خصائص الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانوني

المبحث الثاني : - مميزاتها وعيوب الشركات متعددة الجنسيات

### المبحث الأول

#### خصائص الشركات متعددة الجنسيات وتكييفها القانوني

كما سبق القول أن للشركات المتعددة الجنسيات خصائص عديدة تميزها عن غيرها من الشركات نظراً لما لها من وجود اتساع نشاط تلك الشركات وتعدديها لنتاط الأقليمية وتعدد أماكن النشاط ، وسنلقي الضوء على خصائص تلك الشركات وتكييفها القانوني في المطلبين التاليين :

المطلب الأول: خصائص الشركات متعددة الجنسيات

المطلب الثاني: التكييف القانوني للشركات متعددة الجنسيات

١ عبد السلام أبو قحف، مرجع سابق، ص ٥٤.

## المطلب الأول

### خصائص الشركات متعددة الجنسيات

تتميز الشركات المتعددة الجنسيات بالعديد من الخصائص التي تميزها عن بقية الشركات ويمكن التعرض لأهم هذه الخصائص علي النحو التالي :

#### أولاً: - الطابع الموحد للشركة متعددة الجنسية .

يعتبر الطابع الموحد للشركة متعددة الجنسية من السمات الأساسية التي تتميز بها الشركة متعددة الجنسية ، فلا يمكن إنكار وجود لوحدة اتخاذ القرار و التصرف ، فكل من الشركة الأم وفروعها المنتشرة في الخارج تكون تعتبر في الأصل وحدة واحدة متكاملة ، وبالتالي يمكن القول أن وحدة الشركة متعددة الجنسية تتبلور في وجود مركز رئيسي واحد ترسم فيه الاستراتيجية العامة للشركة ، ويوجه من الشركة الأم الى الوحدات والفروع في الخارج . (١)

#### ثانياً : الطابع التعددي للشركة متعددة الجنسية

وتعتبر تلك الخاصية الثانية للشركات متعددة الجنسية فهي مكونة من مجموعة من الشركات التي تتمتع بالخصية القانونية المستقلة ويتم تشكيلها وفقا لقوانين وطنية متعددة لوجودها في دول مختلفة .

ويلقي رجال القانون جل اهتمامهم بالتناقض بين الطابع الموحد للشركة متعددة الجنسية من الناحية الاقتصادية وطابعها التعددي من الناحية القانونية ٢

فالشركة متعددة الجنسية هي من خلق القانون الوطني والدولي والخاصية المميزة لها الاحتفاظ بالوحدة في اطار تعددي مرن لايمكن الابقاء عليه إلا بواسطة التعاون الدولي المتبادل بين كل من القانون الوطني والقانون الدولي .

#### ثالثاً: - اتساع المساحة الجغرافية لنشاطها:

تعد من أهم الخصائص التي تتمتع بها تلك الشركات هي قيامها برسم استراتيجياتها علي المستوي الدولي ، وتقوم بموجب هذه الاستراتيجيات بتحديد الكميات المطلوبة منه عالميا ، كما تحدد أيضا الامدادات المطلوبة التي

(١) الدكتورة . نصيرة سعدي بوجمعة ،: عقود نقل التكنولوجيا في مجال التبادل الدولي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢ المرجع

السابق ، ص - ٤٥

٢ د.ابراهيم قادم ، الشروط المقيدة في عقود نقل التكنولوجيا ودورها في تكريس التبعية التكنولوجية على المستوى ٢ الدولي ، رسالة دكتوراه ،

كلية الحقوق ، جامعة عين شمس ٢٠٠٢ ص ٤٥ - ٤٦ .

تكفيه بالمحافظة علي استثماراته علي المستوي الدولي ومراعاة أولوياته واستثماراته وبدون النظر لدولة المقر ، إذ أن هدف الربح المطلوب لتلك الشركات هو من له الأولوية .

#### رابعاً – كبر وتعاضم حجم تلك الشركات:

يعد أحد أهم الخصائص المميزة لتلك الشركات هو كبر وضخامة حجم الشركات متعددة الجنسية مقارنة بحجم أي مشاريع إقتصادية أخرى للدول الأم ، وبالتالي فإن خصائص الشركة متعددة الجنسية تتمثل في الأنتشار وميلادها في الدول المتقدمة وقدرتها على نقل التكنولوجيا وتوجيه الاستثمار للدول النامية. (١)

ويمكن الاستدلال على ذلك بالرجوع للمؤشرات الآتية:

- أ - الدخل الإجمالي للشركة : بالنظر لهذا المؤشر يتبين مدى القوة الاقتصادية التي تتمتع بها هذه الشركات والتي جعلها من الممكن أن تؤثر في العديد من القرارات التي تتخذ بالنسبة للاقتصاد الدولي .
  - ب - حجم المبيعات للشركة : يعتبر حجم المبيعات السنوية للشركات المتعددة الجنسيات من أهم المؤشرات المعبرة عن ضخامة هذه الشركات ، حيث زاد حجم مبيعات الشركات المتعددة الجنسية
  - ج - التفوق والتطور التكنولوجي: إذ أن الشركات المتعددة الجنسيات تعتبر مصدراً أساسياً لنقل المعرفة الفنية ، وذلك بتدريب وتوفير العمالة المتخصصة ، الأمر الذي يسهم في التقدم التكنولوجي للدول النامية ٢.
  - فقوة الشركات متعددة الجنسية تكمن في إحكام سيطرتها على العلم والتكنولوجيا لتضمن وضعاً احتكاريًا لاستغلاله في تحقيق الأرباح الكبيرة ، وذلك الوضع الاحتكاري هو الذي يمكنها من استغلال نقل التكنولوجيا بما يتوافق مع استمرار الوضع الاحتكاري لها (٣) ،
  - كما عملت الشركات خلق التنوع في أنشطتها الاقتصادية لكي تتمكن من تعويض الخسارة التي من الممكن أن تلحق بربح نشاط معين ، فالتحكم الاقتصادي التي تسعى تلك الشركات إلى إيجادها فيما بينها للتحكم في عملية التسويق ، وفقاً لرؤيتها وإحكام السيطرة على الأسعار. (٤)
- خامساً : - إقامة التحالفات الإستراتيجية :

١ د . يوسف عبد الهادي خليل الأكبابي ، النظام القانوني لعقود نقل التكنولوجيا في مجال القانون الدولي الخاص، رسالة دكتوراه كلية الحقوق جامعة الزقازيق ، ص ٧٠ - ٧٢

٢ عمر صقر ، العولة وقضايا اقتصادية معاصرة ، الدار الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٩ .

(٣) نوزاد عبد الرحمن الهيبي، الثورة العلمية والتكنولوجية ومستقبل الاقتصاد العربي ، مطابع أديتار ، كالياري ، إيطاليا ، 2000 ، ص٥٣ .

(٤) عبد الكريم جابر شنجار ، دراسة تحليلية لظاهرتي التملك و الاندماج الاقتصادي مع التركيز على القطاع المصري - تجارب عالمية ، أطروحة دكتوراه ، مقدمة للجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٥ م ، ص٥٨ .

وتعتبر هذه الخاصية من السمات الهامة للشركات متعددة الجنسيات فهي تسعى دائماً إلى إقامة تحالفات إستراتيجية فيما بينها لتحقيق مصالحها الاقتصادية المشتركة وتعزيز قدراتها التنافسية والتسويقية.

## المطلب الثاني

### التكييف القانوني للشركات متعددة الجنسيات

بداءة لآبد أن نشير إلى وجود صعوبات عديدة تقلل من التكييف القانوني الصحيح لتلك الشركات ، وغاية ذلك حداثة ذلك الموضوع وقلة الدراسات القانونية التي تتخصص في دراسة للشركة متعددة الجنسيات ١ . كما يعد من الصعوبات التي تواجه التكييف القانوني الصحيح للشركة متعددة الجنسيات احتياجه إلى دراسة شاملة للعديد من فروع القانون العام كالقانون الدولي والقانون التجاري وغيرها من القوانين التي تشترك في وضع الملامح الرئيسية للشركة متعددة الجنسيات ناهيك على أنه بالنسبة للدول التي تطبق الشريعة الإسلامية مثل المملكة العربية السعودية يتعين دراسة الشريعة الإسلامية وتأثيرها على الشركة متعددة الجنسيات . كما يعد من الصعوبات أيضاً تجاوز عمل الشركة متعددة الجنسيات الحدود الإقليمية للدول إذ أنها تعد شركات عالمية ودولية ٢ .

أما بالنسبة للتكييف القانوني للشركات متعددة الجنسيات فإنه يمكن القول أنها تخضع للعديد من القوانين الدولية مثل القوانين الخاصة بالدولة المضيفة ويصدر بتلك الدول القوانين المنظمة لها وعادة ما تسمى بقوانين الاستثمارات الأجنبية ، كما تخضع لقانون الدولة الأم التي تحكم إنشائها وتكوينها وعملها ، وأخيراً تخضع للاتفاقيات التجارية الثنائية أو المتعددة .

١ . د. حسام عيسى ، الشركات متعددة القوميات ، ص ٤٩ .

٢ . د. حسام عيسى ، الشركات متعددة القوميات ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

## المبحث الثاني

### مميزات وعيوب الشركات متعددة الجنسيات

للشركات المتعددة الجنسيات العديد من المميزات التي جعلها ظاهرة دولية أنتشرت وازدادت وأصبح اللجوء إليها وسيلة اقتصادية هامة بالإضافة إلى تحقيقها للعديد من المميزات الأخرى ، إلا أنه يوجد لتلك الشركات أيضا جوانب سلبية وعيوب يتعين إلقاء الضوء عليها لأنها لا تقل أهمية عن المميزات التي تتمتع بها ، وستعرض لتلك المميزات والعيوب علي النحو التالي :

المطلب الأول: مميزات الشركات متعددة الجنسيات.

المطلب الثاني: عيوب الشركات متعددة الجنسيات

### المطلب الأول

#### مميزات الشركات متعددة الجنسيات.

##### ١ - نقل التكنولوجيا :

تعرف التكنولوجيا بانها مجموعة المعارف والمهارات والخبرات الجديدة التي يمكن تحويلها إلى طرف إنتاج أو استعمالها في إنتاج سلع وخدمات وتسويقها وتوزيعها، أو استخدامها في توليد هياكل تنظيمية إنتاجية ١ . وتلعب الشركات متعددة الجنسيات دورا هاما في نقل التكنولوجيا الى الدول النامية اما في صورة موردة للسلع الراس مالية او في صورة مستثمرة او في صورة مقدمة للتكنولوجيا

##### ٢ - تحسين مستوى الدخل:

تعمل الضرائب التي تقوم بادائها الشركات متعددة الجنسيات الدولة المضيفو وظكنا الوجور التي تقوم بسدادها العمال على تحسين مستوى الدخل بصفة عامه للدول النامية .

##### ٣ - تعدد اشكال الاستثمار:

نظرا لاختلاف اختيارات الدولة المضيفة واحتياجتها وذلك لاختلاف في درجة التقدم العلمي والاقتصادي بين الدول المضيفة وكذلك لاختلاف اختيارات الشركة متعددة الجنسيات لاختلاف حجم الشركة واهدافها

١نوفيل حديد ، تكنولوجيا الإنترنت و تأهيل المؤسسة للإندماج في الإقتصاد العالمي، رسالة دكتوراء ، كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التسيير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص ٥١ وما بعدها.

واختلاف الصناعات والنشاط التي تقوم بها واختلاف الضمانات التي تقدمها الحكومات سواء الحكومة الام او الحكومة المضيفة<sup>١</sup>

#### ٤ - تخفيف عبء الديون الاجنبية :

تعمل الدول المضيفة على تشجيع عمل الشركات متعددة الجنسيات مما يؤدي إلي تشجيع الاستثمار والحصول علي عملات أجنبية تساعد علي الحد من أعباء الدول المضيفة<sup>٢</sup> .

٥ - تشغيل العماله المحلية تساهم الشركات المتعددة الجنسيات في تشغيل العماله المحلية وتجربها ورفع من كفاءة العمال المحليين وينتج عن ذلك وجود عدد كبير من رأس المال البشرى الذي تم تدريبه وتأهيله لدى الدوله المضيفة<sup>٣</sup>

#### ٦ - تطوير التنمية الإدارية:

تميز شركات متعددة الجنسيات بوجود كادر ادارى متميز؛ و تستطيع هذه الشركات تطوير الخبرات الادارية للدول لما تملكه من قدرات تدريبية عاليه مما يؤدي الى تطوير عملية التنمية الإدارية في الدول .

### المطلب الثاني

#### عيوب الشركات متعددة الجنسيات

رغم المميزات التي تحققت الشركات متعددة الجنسيات والتي سبق الإشارة إليها ، إلا أنه يوجد بعض العيوب يمكن انكارها في تلك الشركات ونستعرض أهم هذه العيوب على النحو التالي :

#### ١ - عدم الإفصاح عن الأسرار التجارية:

وإن كانت الشركات متعددة الجنسيات تعمل علي نقل التكنولوجيا إلا أن تلك التكنولوجيا تظل دائما مقننه تحت شروط تفرضها تلك الشركات كالقيود بمنع التداول في الأسواق الدولية وكذا القيود على الأبحاث

١ عبد السلام أبو قحف، السياسات والأشكال المختلفة للاستثمارات الأجنبية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ١٥ وما بعدها  
٢ مالكوم جياز واخروم، اقتصاديات التنمية، الطبعة الرابعة، تعريب د/ طه عبدالله منصور واخرون ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤١٥ هـ، ص ٦٢٢ .  
٣ جون هدسن ومارك هرنر، العلاقات الاقتصادية الدولية ، ترجمت د/ طه عبدالله منصور و د/ محمد عبدالصبور ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ، ص ٧٣٣

٤ مالكوم جياز واخروم، اقتصاديات التنمية، مرجع سابق، ص ٦١٤

والتطوير وغيرها من القيود التي تقوم تلك الشركات بفرضها لتضمن بقاء استمرارها بالسيطرة علي

## ١٠. التكنولوجيا

### ٢ - التأثير علي الصناعات المحلية:

تنتهج الشركات المتعددة الجنسيات أساليب عدة للدخول إلى السوق المحلية ويعتبر أهم هذه الأساليب هو الاستيلاء ٢ والذي عادة ما تلجأ إليه تلك الشركات لأسباب كثيرة منها الحد من المنافسة الداخلية وسرعة الدخول للسوق المحلية والحد من التكلفة الباهضة للاستثمار .

ويؤدي موضوع الاستيلاء إلى أضرار كبيرة على الصناعة المحلية كما أن تلك الشركات عادة ما تميل إلى استيراد منتجات التصنيع من الخارج رغم توافرها بالسوق المحلي وهو ما يؤدي إلى الأضرار بالصناعات المحلية ، وهو ما دفع البعض بتشبيه الشركات المتعددة الجنسيات بالجسم الغريب داخل الاقتصاد الداخلي ٣.

### ٣ - التأثير علي الموارد الاقتصادية :

لاشك أن الشركات المتعددة الجنسيات تعمل على السيطرة علي بعض مصادر الدخل للدول المضيفة ، ويعد من أهم تلك الموارد هي موارد التصدير ، وتكمن أهم موارد التصدير في صناعة الأستخراج والتي تقوم بإرساله تلك الشركات إلى الدولة الأم بأسعار زهيدة وهو ما يؤدي بالتبعية معه إلى التأثير علي الموارد الاقتصادية للدول المضيفة ٤.

### ٤ - التأثير علي العملة الأجنبية :

في بعض الأحيان نجد أنه يكون للشركات متعددة الجنسيات تأثير سلبي علي العملة الأجنبية ويحدث ذلك في حالة ما إذا قامت تلك الشركات بتحويل أرباحها إلى الدولة الأم فيما يعرف بالتحويل العكسي للإستثمار وهو ما يؤثر بالسلب علي توافر العملة الأجنبية في الدولة المضيفة ٥.

١ د. عاطف حسن النقلي ، دور الشركات متعددة الجنسية في نقل التكنولوجيا للدول النامية للفترة من ١٩٥٠ - ١٩٨٠ ، مع دراسة خاصة لتجربة المملكة العربية السعودية في النقل ، مجلة دراسات سعودية ، معهد الدراسات الدبلوماسية ووزارة الخارجية في المملكة العربية السعودية ، الجزء الثاني ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٧١

٢ د. محمد السيد سعيد ، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية سلسلة عالم المعرفة رقم ١٠٧ ، صفر ١٤٠٧ هـ ، الكويت ، ص ١٧٣ .

٣ د. فؤاد عبداللطيف الدميخي ، عقود التكنولوجيا بدولة البحرين ، نظرة تحليلية ، مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي ، العدد ٦٧ السنة ١٧ يناير ١٩٩٧م ، الدوحة ، قطر ، ص ٣٤

٤ د. محمد السيد سعيد ، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

٥ د. محمد السيد سعيد ، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية ، مرجع سابق ، ص ١٧٣

**الخاتمة:**

نستخلص مما تقدم أنه، وبسبب تطور الاقتصاد العالمي وظهور ما يسمى بالاقتصاد الحر، ظهرت مشاريع عملاقة بحاجة إلى تكتلات مالية واقتصادية ضخمة لإدارة مثل هذه المشاريع، ولم تعد إمكانات الشركات الكلاسيكية، كشركة التضامن، أو ذات المسؤولية المحدودة، أو التوصية البسيطة، أو بالأسهم، أو المساهمة العامة، أو الخاصة، قادرة على مثل هذه المشاريع. والمشكلة الأخرى هي أن منتجات تلك المشاريع تتركب من أكثر من مادة يكمل بعضها البعض، فالشركة التي تنتج المشروبات الغازية بحاجة إلى أواني زجاجية أو معدنية لتعبئة منتجاتها، علماً بأن الشركة محددة بنشاط واحد مثبت في نظامها الأساسي. ولا يحق لها ممارسة أكثر من نشاط، لذلك فكرت هذه الشركات بإنشاء شركات تابعة لها كما أن هذه الشركات لديها الرغبة في السيطرة على السوق وعدم دخول شركات منافسة لها وهذا ما عزز لدى هذه الشركات فكرة إنشاء شركات كبرى تخضع لشركة أم هي شركة دولة المقر أو شركات عبر الوطنية كما يمكن تسميتها، حيث توجد شركة أم تسيطر على مجموعة من الشركات التابعة بموجب آلية معينة يحددها القانون ..

**وقد توصل البحث إلى النتائج والتوصيات التالية:**

**أولاً:** قلة المواد المخصصة في قانون الشركات للدول العربية، وإنما نعطي العذر للمشرع لحدثة هذا النوع من الشركات ولأنها تحت الاختبار حالياً.

وإنه، وبمرور الوقت وتوفر الكتابات والأحكام القضائية الكافية، سوف يطرأ تغيير كمي ونوعي على هذه المواد على ما يستجد لاحقاً.

**ثانياً:** موقف الدول من الشركات المتعددة الجنسيات غير موحد، فبعض الدول يمنع من دخول هذه الشركات إلى أراضيها؛ لأنه يرى فيها عامل سيطرة على اقتصاده، وقد يوجه هذا الاقتصاد من قبل الشركة الأم الكائنة في دولة أخرى، بما يخدم مصالح تلك الدولة. كما أن سيطرة تلك الشركات على مفاصل الاقتصاد، وبتوجيه من الشركة الأم، قد يحول دون حصول منافسة مشروعة.

إلا إن بعض هذه الدول ترى فيها إحدى وسائل تشجيع الاستثمار في بلدها، ومن هذه الدول الأردن، إلا أنه جعلها تعمل وفق ضوابط معينة، من حيث التكوين، ومن حيث المجالات التي تمارس فيها نشاطها.

إن الشركة الأم في الشركة المتعددة الجنسيات اتبعت عدة طرق للسيطرة على الشركات التابعة المتواجدة في الدول الأخرى، كالاندماج أو المساهمة بنسبة كبيرة في رأسمالها، أو تأسيس شركات جديدة.

إلا أن المشكلة الكبيرة التي تواجهها الشركة الأم في تعاملها مع الشركات الوليدة كمسؤولية الشركة الأم عن ديون هذه الشركات وعمل ميزانية موحدة لمجموعة هذه الشركات، يصطدم بمشكلة تنازع القوانين، واختلاف قوانين هذه الدول صرامة وتساهلاً.

لذلك نرى ضرورة وضع قواعد دولية تنظم عمل هذه الشركات، وتحافظ على حقوق الدول النامية وحمايتها من هيمنة الدول الكبرى بواسطة هذه الشركات .

**ثالثاً:** ذهب البعض إلى عدم التفرقة بين الشركة قابضة وشركة الاستثمار، وذلك لأن المشرع قد نص على أن غايات الشركة القابضة هو استثمار أموالها في الأسهم والسندات والأوراق المالية إلا أننا خالفنا ذلك؛ لأن المادة ٢٠٤ أ/ ١/ من قانون الشركات قد اشترطت أن تملك الشركة الأم أكثر من نصف رأس مال الشركة أو الشركات التابعة لكي تكون أمام شركة قابضة، في حين لم يشترط القانون ذلك بالنسبة لشركة الاستثمار

كما نرى ان يتم توحيد نموذج دولي ثابت في اساسيات نظامة القانوني ومحكم يعمم على كل الشركات متعددة الجنسية تحت اتفاق اطاري باشراف الامم المتحدة والمنظمات المعنية بذلك بهدف وجود جوانب قانونية ملزمة للشركة الام والدول التي بها الشركات الوليدة او المندمجة بحيث ان طلب الشركة الام المقدم الى دولة معينة وقبول طلب الشركة من تلك الدولة بموجبة يتم تفعيل النموذج والتفافية بطريقة الية وتصبح ملزمة للجانبين وتعتبر الاطار التي يتم التعامل من خلاله دون الحاجة الى مفاوضات وتنازع قوانين بطريقة عقيمة في ظل التنازع بين المنظمات الدولية وسيادة الدول.

كما نرى انه لابد من انشاء محكمة منازعات استثمار دولية وعربية في كل قارة مركز لها للفصل في منازعات الاستثمار الدولية في حالة تنازع القوانين.

#### قائمة المراجع:

- ١ - د. ابراهيم قادم ، الشروط المقيدة في عقود نقل التكنولوجيا ودورها في تكريس التبعية التكنولوجية على المستوى ٢ الدولي ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق ، جامعة عين شمس ٢٠٠٢
- ٢ - د/ مصطفى سلامة حسين ، التنظيم الدولي للشركات متعددة الجنسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٢
- ٣ - د . يوسف عبد الهادي خليل الأكبابي ، النظام القانوني لعقود نقل التكنولوجيا في مجال القانون الدولي الخاص، رسالة دكتوراه كلية الحقوق جامعة الزقازيق
- ٤ - عبد العظيم الشناوي، المصباح المنير للمقري الفيومي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

- ٥ - عمر صقر، العولمة وقضايا اقتصادية معاصرة، الدار الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٣
- ٦ - نوزاد عبد الرحمن الهيتي، الثورة العلمية والتكنولوجية ومستقبل الاقتصاد العربي، مطابع أديتار، كالياري، إيطاليا، ٢٠٠٠،
- ٧ - نوفيل حديد، تكنولوجيا الإنترنت و تأهيل المؤسسة للإندماج في الإقتصاد العالمي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإقتصادية والعلوم التسيير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦/٢٠٠٧
- ٨ - عبد الكريم جابر شنجار، دراسة تحليلية لظاهرتي التملك و الاندماج الاقتصاديين مع التركيز على القطاع المصرفي - تجارب عالمية، أطروحة دكتوراه، مقدمة للجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٥
- ٩ - العلامة الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق / صفوان عدنان، دار القلم، بيروت، ١٤١٣ / ٥ ١٩٩٢ م
- ١٠ - د/ محمد حسن الجبر، القانون التجاري السعودي، الطبعة الثانية، الدار الوطنية الجديدة، الرياض، ١٤١٤ / ٥ ١٩٩٩ م،
- ١١ - اسماعيل محمد حسين الشركة القابضة وعلاقتها بالشركة التابعة في مشروع قانون الشركات الاردني والقانون المقارن عمان ١٩٩٠.
- ١٢ - محمد صبحي الاتريبي، مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات، دار الثورة للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٧٧،
- ١٣ - مايكل تانزر وآخرون، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني - دور الشركات المتعددة الجنسيات، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١
- ١٤ - د. الياس ناصيف، موسوعة الشركات التجارية، الجزء الثالث (الشركات القابضة (هولدنغ) والشركات المحصور نشاطها خارج لبنان (أوف شور))، مكتبة الحلبي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨،
- ١٥ - محمد علي عثمان الفقي، فقه المعاملات دراسة مقارنة، دار المريخ - الرياض ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.
- ١٦ - د. محسن شفيق، المشروعات ذو القوميات المتعددة من الناحية القانونية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٨
- ١٧ - جون إدلمان سبيرو، سياسات العلاقات الاقتصادية الدولية، ترجمة خالد قاسم، دار الكتاب الأردني، عمّان ١٩٨٧

- ١٨ - منى قاسم ، الشركات المتعددة الجنسيات واهميتها في الاقتصاد العالمي ، النشرة الاقتصادية ، بنك مصر ، السنة (٤١) ، العدد (١) ، ١٩٨٨ ،
- ١٩ - بول هيرست ، وغراهام طومسون ، ما العولمة : الاقتصاد العالمي وامكانات التحكم ، ترجمة فالح عبد الجبار ، سلسلة عالم المعرفة ، مطابع السياسة ، الكويت ، ٢٠٠١
- ٢٠ - د . سميحة السيد فوزي ، ظاهرة الشركات دولية النشاط والدول النامية ، مجلة مصر المعاصرة ، السنة ٨٠ ، العددان ٤١٥ - ٤١٦ ، يناير وأبريل ١٩٨٩ م
- ٢١ - د . محمد عبده سعيد اسماعيل ، الشركات المتعددة الجنسية ومستقبلها في الدول النامية مع الإشارة الى مصر ، رسالة دكتوراه ، كلية الحقوق جامعة عين شمس ، ١٩٨٦ ،
- ٢٢ - فارس فضيل ، «الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول النامية: حالة الجزائر» ، (جامعة الجزائر رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٧ - ١٩٩٨) ،
- ٢٣ - د. صالح ياسر - العلاقات الاقتصادية الدولية - دار بغداد - مطبعة دار الرواد المزدهرة للطباعة والتوزيع المحدودة / ٢٠٠٦
- ٢٤ - د/جون هدسون ومارك هرندر ، الطبعة العربية ، ترجمة د/طه منصور ود/ محمد عبد الصبور ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ
- ٢٥ - محمد السيد سعيد ، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية ، (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٨٦) ،
- ٢٦ - سامي عفيفي حاتم ، دراسات في الاقتصاد الدولي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، فبراير ٢٠٠٠ ،
- ٢٧ - الدكتور . نصيرة سعدي بوجمعة ،: عقود نقل التكنولوجيا في مجال التبادل الدولي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٢
- ٢٨ - زينب حسين عوض الله ، الاقتصاد الدولي: نظرة عامة على بعض القضايا ، (بيروت ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ١٩٩٨) ،
- ٢٩ - نوزاد عبد الرحمن الهيبي ، الشركات متعددة الجنسية ودورها في الاقتصاد العالمي ، ورقة عمل ، بإدارة التعاون الدولي - مجلس التخطيط - قطر - الدوحة ٢٠٠٨ م.

- ٣٠ - محمد السيد سعيد وآخرون، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية، دار الشباب للنشر، الكويت، ١٩٨٦
- ٣١ - د. فؤاد عبداللطيف الدميخي، عقود التكنولوجيا بدولة البحرين، نظرة تحليلية، مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي، العدد ٦٧ السنة ١٧ يناير ١٩٩٧م، الدوحة، قطر
- ٣٢ - ماجد مزيمح. شركة الهولدنغ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ١٩٩٢
- عبد السلام أبو قحف، نظريات التدويل وجدوى الاستثمارات الأجنبية، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩)
- ٣٣ - عبد السلام أبو قحف، السياسات والأشكال المختلفة للاستثمارات الأجنبية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩
- ٣٤ - مالكوم جبار وآخرون، اقتصاديات التنمية، الطبعة الرابعة، تعريب د/ طه عبدالله منصور وآخرون، دار المريخ، الرياض، ١٤١٥هـ
- ٣٥ - محمد السيد سعيد، الشركات عابرة القومية ومستقبل الظاهرة القومية، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٠٧، صفر ١٤٠٧هـ، الكويت
- ٣٦ - جون هدسن ومارك هرندر، العلاقات الاقتصادية الدولية، ترجمت د/ طه عبدالله منصور و د/ محمد عبدالصبور، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٧هـ
- ٣٧ - د. عاطف حسن النقلي، دور الشركات متعددة الجنسية في نقل التكنولوجيا للدول النامية للفترة من ١٩٥٠ - ١٩٨٠، مع دراسة خاصة لتجربة المملكة العربية السعودية في النقل، مجلة دراسات سعودية، معهد الدراسات الدبلوماسية ووزارة الخارجية في المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، ١٤٠٧هـ
- ثانياً: المراجع الالكتروني :

<http://www.almohasb1.com/2011/09/company.html>

[http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books\\_Shrkat2.ht](http://ma4.6te.net/FikahAslamy/Books/Books_Shrkat2.ht)

m

[http://www.chamberoman.com/arabic/doing\\_occ\\_i\\_invest\\_orsguide.asp](http://www.chamberoman.com/arabic/doing_occ_i_invest_orsguide.asp)

[http://konouz.com/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%87%D8%A7+\\_5\\_42\\_8\\_4327\\_ar.html](http://konouz.com/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%83%D8%A7%D8%AA+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9+%D9%88%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81%D9%87%D8%A7+_5_42_8_4327_ar.html)

<http://www.amawi.info/?p=256>

[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=5206298](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=5206298)

57962539&id=513698018655723



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي

د.مظهر سيف أحمد نصر

أستاذ الاقتصاد الإسلامي المساعد - جامعة عمران

Muanasr7@gmail.com

### الملخص

# 2

هدفت الدراسة إلى استقصاء وإبراز الخصائص التي تتفرد بها أسواق رأس المال في النظام المالي الإسلامي . ولتحقيق هذا الهدف أعدت الدراسة في مقدمة ، بينت هدف الدراسة ، وأهميتها ، والمشكلة التي تحاول التغلب عليه ، تتبع ذلك مصطلحات الدراسة التي عرفت الأنواع المختلفة لصكوك سوق رأس المال الإسلام، وعداداً من المصطلحات ذات العلاقة ، أعقب ذلك المبحث الأول الذي تناول غايات ووظائف النظام المالي الإسلامي، وتناول المبحث الثاني الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال الإسلامي ، وقسمت تلك الخصائص إلى قسمين تم في القسم الأول بيان الخصائص الهيكلية التي تحكم السوق الأولية ( سوق الإصدار )، وتناول القسم الثاني الخصائص الهيكلية التي تحكم السوق الثانوية ( سوق تداول الصكوك المالية الإسلامية ) وخصص المبحث الثالث للحديث عن العوامل المحددة لحجم سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي ، وتناول المبحث الرابع ، المصادر الداخلية والخارجية للتمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل ، في ظل النظام المالي الإسلامي ، وكان موضوع المبحث الخامس أوجه المآخذ القائمة على الصكوك المصدرة من الهيئات الحكومية ، والكيانات المالية والاقتصادية الخاصة في البلدان العربية والإسلامية والأسواق المالية المنظمة في البلدان غير الإسلامية ، وأشتمل في نهايته على خاتمة أبرزت فيها أهم نتائج وتوصيات الدراسة .

## Abstract

The current Study aimed to investigated the structure properties of the capital market in Islamic Financial System(I F S ).The study was divided to Fifth section. the first section was listed the general objectives of ( I F S ) , the structure properties of capital market in I ( I F S ) was discussed in the second section , the structure properties were divided in two part ; primary and secondary properties , the third section determined the factors related size of capita market in ( I F S ) . the forth section emphasized on the internal and external long and midterm term developmental , the main concerns of issuances of Islamic sukuk for goveral ,financial institutions, and corporate in some Islamic countries were take in consideration in the search, conclusion and recomendations were listed in the latest.

المقدمة:

توفير التمويل قصير ومتوسط ، وطويل الأجل في أوقات الحاجة ، وبالمقادير الكافية لاقتصاد ما يعد أمراً ضروريا لتحقيق التنمية الاقتصادية والرخاء الاجتماعي ، والرفاهة الإنسانية ، في أي مجتمع من المجتمعات ، وهذه من الوظائف الأساسية لأي نظام مالي ، وقد مرت المجتمعات الإنسانية بكثير من التجارب التي تستهدف توفير الأموال اللازمة لتحقيق الرخاء الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ، والنظم المالية المعاصرة هي وليدة الحاجة إلى التمويل بأجاله المختلفة ( الطويلة والمتوسطة ، والقصيرة ) وكان ولا يزال النظام الاقتصادي والمالي الرأسمالي مهيمناً بأهدافه ، وأدواته ، ومنهجيته ، ونظرياته في مجالات التمويل والتنمية ، وقد استطاع ذلك النظام في إطار هيمنته أن يدمج النظم المالية ، ويجعل منها وحدة واحدة على المستوى العالمي ، حيث بلغ التكامل المالي ذروته بين بلدان العالم ، ومنذ أكثر من ثلاثة عقود والنظام المالي والاقتصادي الرأسمالي دون منافس ، وقد حقق ذلك النظام من منظور مناصريه الكثير من النجاحات ، والعديد من الإخفاقات ، وقد كانت معظم الإخفاقات من داخل النظام ، لا من خارجه ، فقد نجم عن النظام التمويلي القائم على المداينات : تركيز الثروة ، وتكرر الأزمات المالية ، وظهور إمبراطوريات المال ، وتواري دور الدولة في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي ، والإثراء المريب ، وتعذر عملية إصلاح النظام الرأسمالي .. الخ وكان من نتائج ذلك استدامة الركود الاقتصادي وضمور الطبقة الوسطى ، وارتفاع معدلات البطالة

وتفاقم المديونية على مستوى الأفراد والمؤسسات والبلدان ، واتساع نطاق الفقر وصور البؤس في البلدان النامية ، وتزايد التفاوت وتركز الثروة في البلدان الرأسمالية الصناعية نفسها التي تستأثر بالشرط الأكبر من ثروة العالم ، وقد حفزت هذه الوقائع علماء الاقتصاد البارزين إلى الدعوة إلى القيام بإصلاحات جذرية للنظام الرأسمالي ، والبحث عن نظم أكثر كفاءة ورخاء ، ومن المعلوم أن الوظيفة الأولى لسوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي هي الإسهام في توفير التمويل الانمائي متوسط وطويل الأجل ؛ ولذا فإن هذه الدراسة تحاول استقصاء وإبراز الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال الإسلامي التي تحقق الكفاءة و العدالة في تعبئة الموارد للأجل القصيرة والمتوسطة والطويلة ، وتوظيفها في قطاعات الاقتصاد الحقيقي المنتج للطيبات من السلع والخدمات ، وتحول في الوقت نفسه دون الوقوع في تكاليف الاحتكارات ، والأزمات المالية ، وتركز الثروة .

ويمكن إبراز أهمية الدراسة من الجوانب الآتية :

- الإسهام في إبراز الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال الإسلامي التي تمنع المضاربات القمارية على فروق الأسعار ، والمتاجرة بحالة عدم اليقين ، وتلافي أضرار التسعير المستمر ، وتخفيض تكاليف التعامل المرتفعة نسبيا في الأسواق المالية المنظمة القائمة على نظام المداينات ..

- الإسهام في تعميق المعرفة بسوق رأس المال المنظمة التي تحكمها مبادئ النظام المالي الإسلامي وقواعده وتشريعاته .

- الإسهام في التعرف على واقع "إصدار الصكوك وتداولها في أسواق رأس المال "والذي يتسع يوما بعد آخر ويتسارع غير متوقع في الصكوك المصدرة والمتداولة في أسواق رأس المال العربية والإسلامية والرأسمالية .

- الإسهام في بيان المآخذ على الصكوك الإسلامية المصدرة والمتداولة في أسواق رأس المال القائمة على نظام المداينات .

مشكلة الدراسة : الصكوك المالية الإسلامية محكومة من حيث إصدارها وتداولها بمبادئ وقواعد وتشريعات النظام المالي الإسلامي ، إلا أن الكثير من المتخصصين في الأسواق المالية التقليديين القائمة على نظام المداينات ، ليس لديهم القدر الكافي من المعرفة عن تلك المبادئ والقواعد والتشريعات في النظام المالي الإسلامي ، المنظمة لتداول الأموال على سبيل المعاضات المالية ، والتي يسعى أطرافها إلى تحقيق الكسب الحلال ، أو تلك الأموال التي تحصل ، وتمول ذوي الاحتياجات دون مقابل ( مجاناً ) كما هو الحال في

التمويل غير الربحي القائم على الزكاة ، والوقف ، والوصية والقرض الحسن ، والهبة ، وإحياء الموات ، والإقطاع ، والكفارات ، وإذا أخذنا في الحسبان أن عددا كبيرا من القيادات المخولة اتخاذ القرارات المالية في المؤسسات المالية الإسلامية هي من القيادات المتخصصة في نظام المدائيات ، ويترتب على ذلك تزايد التجاوزات للمبادئ الموجهة والتشريعات الإجرائية في مجالات التطبيق ، ومن هنا تظهر الحاجة إلى إزالة اشكالية القصور المعرفي المتعلق بخصائص سوق رأس المال الإسلامي المشتقة من المبادئ والقواعد والتشريعات المنظمة لتداول الأموال في النظام المالي الإسلامي ،

**منهج الدراسة :** استخدمت الدراسة المنهج الوصفي القائم على دراسة الحالة وكذلك المنهج الاستقرائي القائم على الاستقصاء الاستقرائي والتعميم .

#### المصطلحات ذات العلاقة .

النظام المالي الإسلامي : مجموعة المبادئ والقواعد والتشريعات التي تحكم تدبير الشأن المالي والاقتصادي على مستوى الكليات الاقتصادية ، والكيانات الاقتصادية والمالية الخاصة ، بالأفراد : إنتاجا واستهلاكاً وتوزيعاً وادخاراً<sup>(١)</sup> .

التمويل التجاري : هو التمويل الائتماني قصير الأجل لأغراض الإنتاج ، والاستهلاك .

التمويل غير الربحي الملزم وغير القابل للتصكيك : هو الفرائض المالية المخصصة المصارف التي تتكون من الزكاة ، والتوظيف ، والكفارات ونفقات الأقارب الواجبه على أقربائهم الموسرين .  
التمويل غير الربحي القابل للتصكيك :

ويتكون من الأموال والمنافع التي تنازل عنها ملاكها من الأفراد والكيانات المالية والاقتصادية للمحتاجين من الفقراء والمساكين تقريبا إلى الله ، ومنها الوقف والوصية .

(١) وهذا :شرح التعريف : مجموعة المبادئ ( مثل : وجوب تحقيق العدالة في المبادلات المالية ، وتحريم الربا ، ومنع تركيز الثروة ، ومنع وأكل أموال الناس بالباطل ) والقواعد ( مثل : الغنم بالغرم ، والخراج بالضمان ، ) والتشريعات ( مثل : تشريعات عقود البيع ، والمشاركات ، والمضاربات ، وتشريعات نظم الزكاة ، والخراج ، والوقف والوصية ، والقرض الحسن ، والإحياء ، والإقطاع ، والصلاحيات الممنوحة لولي الأمر في تحصيل المصالح ودرء المفسد في السياسات المالية والنقدية .. الخ ) السياسات العامة ( مثل : السياسة المالية ، والسياسة النقدية ، والسياسة الجمركية ، وسياسة التجارة الداخلية والخارجية ... ) والكيانات الاقتصادية ( مثل المؤسسات والشركات ( والمالية ) مثل المصارف والتأمين والخدمات المالية الأخرى .

- السهم : صك مالي يمثل حصة المساهم في رأس مال شركة عامة اوخاصة .<sup>(١)</sup>
- رأس المال المساهم : هو رأس المال المتحصل من إصدار أسهم ملكية<sup>(٢)</sup> .
- السند : صك دين مصدر من مقترض لمقترض بأسعار فائدة ثابتة<sup>(٣)</sup> .
- السوق الأولية : هي : السوق التي تباع فيها الأوراق المالية المصدرة لأول مرة<sup>(٤)</sup> ..
- السوق الثانوية : هي السوق التي يتاجر فيها بالأوراق المالية<sup>(٥)</sup>
- سوق الأسهم : سوق لبيع وشراء الأوراق المالية التي يتحكم في أسعارها صناع العرض والطلب<sup>(٦)</sup>
- التمويل الإسلامي : تقديم ثروة عينية أو نقدية أو منافع قابلة للتأمين بالقيم السوقية بقصد الاسترباح لقاء عائد تبيحه الشريعة الإسلامية<sup>(٧)</sup> .
- السوق الإسلامية للأوراق المالية : سوق منظمة تنعقد في مكان معين، وفي أوقات دورية ، للتعامل الشرعي بيبعا وشراء بمختلف الأوراق المالية ، وتهدف إلى تعبئة المدخرات النقدية وتوجيهها نحو المشروعات المنتجة<sup>(٨)</sup>
- للطبيبات من الأعيان والمنافع ( السلع والخدمات ) .
- صكوك السلم : هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لتحصيل رأس مال السلم، وتصبح سلعة السلم (المسلم فيه ) مملوكة لحملة الصكوك.<sup>(٩)</sup>

(١) انظر : احمد محي الدين احمد حسن ، سوق الأوراق المالية وأثارها الإئمانية في الاقتصاد اسلامي الطبعة الأولى ( جدة : مؤسسة دلة البركة / سلسلة طباعة الرسائل الجامعية ١٤١٥هـ-١٩٩٥ م ) ص ٢٢ .

<sup>٢</sup> OXFORD UNIVERISTY , A Dictionary of Finance 1First edition (British :Biddles ltd 1993) p. 26 ( 3 )

op.cit.p32 (٣)

op. cit. p260 (٤)

op.cit.p 2 (٥)

op. cit. p 287 (٦)

(٧) انظر : شوقي احمد دنيا ، تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي ، الطبعة الأولى ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ) ص ١٠٨ ، ومنذر قحف ، مفهوم التمويل الإسلامي ، الطبعة الأولى ( جدة : البنك الإسلامي للتنمية ١٤١٢هـ-١٩٩١ ) ص ١٢ .

(٨) انظر احمد محي الدين احمد حسن ، سوق الأوراق المالية وأثارها الإئمانية في الاقتصاد اسلامي ، مرجع سابق ص ١٢٦

(٩) هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية ، المعايير الشرعية ، ( النماة : ١٤٣١هـ-٢٠١٠ ) ص ٢٣٩

**صكوك الاستصناع:** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تصنيع سلعة ، ويصبح المصنوع مملوكا لحملة الصكوك.<sup>(١)</sup>

**صكوك المربحة:** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لتمويل شراء سلعة المربحة وتصبح سلعة المربحة مملوكة لحملة الصكوك.<sup>(٢)</sup>

**صكوك المشاركة:** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في إنشاء مشروع ، أو تطوير مشروع قائم ، أو تمويل نشاط على أساس عقد من عقود المشاركة، ويصبح المشروع أو موجودات النشاط ملكاً لحملة الصكوك في حدود حصصهم، وتدار صكوك المشاركة على أساس الشركة أو على أساس المضاربة أو على أساس الوكالة بالاستثمار.<sup>(٣)</sup>

**صكوك الشركة:** هي وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس الشركة بتعيين أحد الشركاء أو غيرهم لإدارتها.<sup>(٤)</sup>

**صكوك المضاربة:** هي وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس المضاربة بتعيين مضارب من الشركاء أو غيرهم لإدارتها.<sup>(٥)</sup>

**صكوك الوكالة بالاستثمار:** هي وثائق مشاركة تمثل مشروعات أو أنشطة تدار على أساس الوكالة بالاستثمار بتعيين وكيل عن حملة الصكوك لإدارتها.<sup>(٦)</sup>

**صكوك المزارعة:** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلة الاكتتاب فيها في تمويل مشروع على أساس المزارعة، ويصبح لحملة الصكوك حصة في المحصول وفق ما حدده العقد.<sup>(٧)</sup>

**صكوك المساقاة:** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في سقي أشجار مثمرة والإنفاق عليها ورعايتها على أساس عقد المساقاة، ويصبح لحملة الصكوك حصة من الثمرة وفق ما حدده العقد.<sup>(٨)</sup>

(١) المرجع السابق : ص ٢٣٩

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٣) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٥) هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية ص ٢٣٩ .

(٦) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٧) المرجع نفسه ص ٢٣٩

(٨) المرجع نفسه ص ٢٣٩

**صكوك المغارسة** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها لاستخدام حصيلتها في غرس أشجار وفيما يتطلبه هذا الغرس من أعمال ونفقات على أساس عقد المغارسة، ويصبح لحملة الصكوك حصة في الأرض والغرس.<sup>(١)</sup>

**صكوك الاستثمار:** هي وثائق متساوية القيمة تمثل حصصاً في ملكية أعيان أو منافع أو خدمات أو في موجودات مشروع معين أو نشاط استثماري خاص، وذلك بعد تحصيل قيمة الصكوك وقفل باب الاكتتاب وبدء استخدامها فيما أصدرت من أجله.<sup>(٢)</sup>

**صكوك ملكية الموجودات المؤجرة:** هي وثائق متساوية يصدرها مالك عين مؤجرة أو عين موعود باستئجارها، أو يصدرها وسيط مالي ينوب عن المالك، بغرض بيعها واستيفاء ثمنها من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح العين مملوكة لحملة الصكوك.<sup>(٣)</sup>

**صكوك ملكية منافع الأعيان الموجودة** وهي نوعان:

النوع الأول : وثائق متساوية القيمة يصدرها مالك عين موجودة بنفسه ، أو عن طريق وسيط مالي، بغرض إجارة ، منافعها واستيفاء أجرتها من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح منفعة العين مملوكة لحملة الصكوك. النوع الثاني "وثائق متساوية القيمة يصدرها مالك منفعة عين موجودة (مستأجر)، بنفسه أو عن طريق وسيط مالي، بغرض إعادة إيجارها واستيفاء أجرتها من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح منفعة العين مملوكة لحملة الصكوك. .<sup>(٤)</sup>

**صكوك ملكية منافع الأعيان الموصوفة في الذمة :** هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها بغرض إجارة أعيان موصوفة في الذمة واستيفاء الأجرة من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح منفعة العين الموصوفة في الذمة مملوكة لحملة الصكوك. **صكوك ملكية الخدمات من طرف معين<sup>(٥)</sup> ،**

هي وثائق متساوية القيمة يتم إصدارها بغرض تقديم الخدمة من طرف معين (كمنفعة التعليم من جامعة مسمّاة) واستيفاء الأجرة من حصيلة الاكتتاب فيها، وتصبح تلك الخدمات مملوكة لحملة الصكوك.<sup>(٦)</sup>

(١) هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية مرجع نفسه ص ٢٤٠

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣٨

(٣) المرجع نفسه ص ٢٣٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣٨

(٥) المرجع نفسه ص ٢٣٨ .

(٦) المرجع نفسه ص ٢٣٩ .

**شركة المساهمة:** شركة المساهمة هي الشركة التي يكون رأس مالها مقسماً إلى أسهم متساوية قابلة للتداول، ولا يكون كل شريك فيها مسئولاً إلا بمقدار حصته في رأس المال، وهي من شركات الأموال، ولها أحكام شركة العنان إلا ما يتعلق بتحديد مسئولية الشركاء وامتناع الفسخ من أحد الشركاء.<sup>(١)</sup>

التمويل الإسلامي: تقديم ثروة عينية أو نقدية أو منافع قابلة للتأمين بالقيم السوقية بقصد الاسترباح لقاء عائد تبيحه الشريعة الإسلامية<sup>(٢)</sup>

### المبحث الأول: النظام المالي الإسلامي: الأهداف والوظائف وترتيب الاحتياجات الإنسانية.

أهداف النظام المالي ووظائفه، وترتيب الاحتياجات وفقاً للإلحاح الحاجة من المنظور الإنساني هي الأطار المرجعي لخصائص سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي، ولذا لزم التعرف على وظائف النظام المالي الإسلامي، وترتيب الاحتياجات الإنسانية وذلك على النحو التالي:

#### أولاً: أهداف ووظائف النظام المالي الإسلامي.

المحاور الرئيسية للنظام المالي الإسلامي هي: محور المبادئ الموجهة للنظام، ومحور القواعد التشريعية الاستراتيجية للنظام، أما المحور الثالث فيشمل التشريعات التفصيلية للنظام، على مستوى الفرد، ومؤسسات الأعمال والدولة، التي تنظم الاستهلاك، والإنتاج والمبادلات المالية في الأسواق المختلفة، وكذلك التشريعات التفصيلية في مجالات التوزيع، وصيانة الموارد المالية، أما المحور الرابع فيتناول تدبير السياسات المالية والنقدية، والسياسات التجارية، وشؤون التخطيط، والتوقعات الاقتصادية المستقبلية. الخ أما المحور الخامس فهو محور الإيرادات العامة وتنقسم تلك الإيرادات إلى قسمين رئيسيين هما: الإيرادات المخصصة للمصارف، وأهمها في هذا القسم: الموارد المالية المتحصلة من الأموال الزكوية، ويشمل القسم الثاني عدداً من الإيرادات غير المخصصة مثل: إيرادات مشروعات الثروات المعدنية التي لا يحق لغير الدولة تملكها والضرائب العادلة، وإيرادات المشروعات العامة، والرسوم الجمركية، ورسوم عقود الامتيازات الاستثمارية في

(١) المرجع نفسه ١٧٦

شوقي أحمد دنيا تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ - ١٩٨٤) ص ١٠٨. ومنذر حقف: مفهوم التمويل الإسلامي، الطبعة الأولى (جدة: البنك الإسلامي للتنمية) ١٤١٢هـ) ص ١٢.

القطاعات البرية والبحرية ، ورسوم ترشيد الخدمات العامة المجانية ، ورسوم المحافظة على البيئة الحاضنة للإنسان والموارد ، ورسوم الاستيراد والتصدير ، والرسوم المحصلة من التأجير المؤقت للانتفاع بالأراضي المملوكة للدولة ، والرسوم المفروضة على الموارد المالية المعطلة ، والمملوكة ملكية خاصة للأفراد أو الكيانات المالية الاقتصادية ، ويتكون المحور السادس من بنود الانفاق العام في النظام المالي الإسلامي ، ومن أبرز بنوده الرئيسية ما يلي :

**نفقات التكافل الاجتماعي ويدخل في ذلك : تأمين حد الكفاية للعاجزين عن اكتساب المال لأي سبب من الأسباب ، وليس لهم عائل تلزمه نفقتهم ، أو القادرين على الاكتساب ، ولكنهم لا يحصلون على كفايتهم من الأموال ، وليس لهم من ذوي القربى من يلزمه الانفاق عليهم ، ويحظى هذا النوع من الانفاق بالأولوية المطلقة في أوقات السلم والحرب .**

**الانفاق على تحقيق المصالح الكفائية :** في المجالات الصحية ، والتعليمية ، والصناعية ، والزراعية الخ ومجالات البنية الأساسية والتي منها : الطرق والجسور ، والموانئ ، والمطارات ، ومجالات البحث العلمي ، وحذق تقنيات العصر وغير ذلك من المصالح التي يتطلبها المجتمع لإمكانياته ومستوى رقيه الحضاري .

**الانفاق على تحقيق الأمن الشامل :** أمن الفرد والأسرة والمجتمع ، والدولة ، والأجيال القادمة والحفاظ على النظام العام وتوطيد دعائم الاستقرار الداخلي ، وصيانة كيان الدولة والمجتمع من أي اعتداء خارجي . ويدخل في نطاق الأمن الشامل الإنفاق على رسالة الاسلام الخالدة والحفاظ على هوية الأمة ، وتعد غايات ووظائف النظام المالي الإسلامي هي المحصلة والنتيجة النهائية لكل ذلك ويمكن بيانها بالاتي :

- أ- توفير حد الكفاية المالية لكل إنسان في المجتمع .
- ب - ضمان توفير الطيبات من السلع والخدمات اللازمة لسد الاحتياجات الانسانية من المطعم والملبس ، والمأوى ، والمركب من الأولويات المطلقة زمانا ومكانا . وحرثا وسلما .
- ج - الاعداد والتخطيط المستمر لتوفير أسباب القوة المالية والاقتصادية التي تحقق رغد العيش لكل فرد في المجتمع ، وتؤمن تحقيق غايات المجتمع الإسلامي .
- د - تحقيق العدل المالي في دورة المال : انتاجا ، واستهلاكا ، وتملكا ، واقتناء ، وتوزيعا وادخارا ... الخ .

هـ - الالتزام الصارم في التمويل، والإنتاج، والاستهلاك، والتوزيع، والتشغيل في القطاعين العام والخاص بنظام ترتيب المصالح الاقتصادية للأفراد والمجتمع القائم على تأمين الطيبات الضرورية أولاً، فالمكملة لها ثانياً (الحاجيات)، فطيبات الارتقاء والترفة الإنساني ثالثاً (التحسينيات).

و - استيفاء الحقوق المالية الواجبة للدولة بالنص أو الاجتهاد لا نفاقها على المستحقين ومصالح المجتمع.

ز - صيانة الأموال والثروات العامة والخاصة من التعطيل والإسراف والتبذير.

ح - تقنين التشريعات التي توفر البيئة الاقتصادية والمالية المحفزة لإنماء أموال الأمة وتكثيرها.

ط - توفير وتدبير الأموال اللازمة لإقامة المصالح الكفائية في المجتمع الإسلامي.

ي - تقنين التشريعات المالية التدخلية التي تمنع تركز الأموال والثروات في أياد قليلة من أبناء المجتمع الإسلامي.

ك - تقنين التشريعات التي تمنع كافة أشكال الغش، والاحتكار، والدعاية المضلة والكسب المحرم.

وتلك الغايات والوظائف للنظام المالي الإسلامي، تعد المرجعية في تشريع القوانين المالية المنظمة للشأن الاقتصادي والمالي وتحكم جميع الأسواق المالية في الاقتصاد الإسلامي، كما تحكم سوق رأس المال بصورة أشد، وتحكم أيضاً كافة التصرفات الفردية، وتصرفات الكيانات المالية والاقتصادية، كما تحكم السياسات النقدية والمالية والتجارية... الخ،.

**ثانياً : تصنيف الحاجات الإنسانية في النظام المالي الإسلامي .**

يصنف النظام المالي الإسلامي حاجات الإنسان من طيبات الأعيان والمنافع إلى ثلاثة مستويات، وبيانها كما يلي :

المستوى الأول : وينحصر في الطيبات الضرورية لحياة الإنسان انتاجاً واستهلاكاً : وهي تلك المجموعة من طيبات الأعيان والمنافع (السلع والخدمات) اللازمة للوفاء بحاجات الإنسان في حدها الأدنى من المطعم والملبس والمأوى، والمركب، والطاقة اللازمة لأغراض التدفئة (سلب البقاء الإنساني) ويطلق عليها علماء الشريعة المصالح الضرورية وتعرف في جانب المعيش اللازمة لبقاء الإنسان بأنها : ما تقوم عليه مصالح الناس، ولا بد منها لاستقامة مصالحهم، وإذا فقدت اختل نظام حياتهم، ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والفساد<sup>(١)</sup>.

(١) انظر : عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه ، ط (بدون) (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م) ص ٢٣١

المستوى الثاني : ويحتوي على قدر أكبر من الطيبات المتنوعة والمكملة للضروريات ، والتي منها حصول الانسان على المياه النقية ، والمسكن الصحي ، والغذاء المنوع ، وأكثر من ثوبين للبس واقتناء المنظفات ، ووسائل النقل السريع ، والطاقة اللازمة للتسخين والتبريد والتجميد ... بهذا القدر الزائد من الاستهلاك ، يرتقي بمستوى المعيشة ، وتحسين نوعية الحياة ، ويمكن الإنسان من اكتمال قوامه ، وبنائه الجسدي ، وتوفر هذا المستوى يؤدي إلى اتساع نطاق الاستهلاك والإنتاج على المستوى الجزئي والكلّي ، وضابط هذا النوع عند علماء الشريعة بأنها : الطيبات التي تيسر للناس طرق التعامل والتبادل وسبل العيش الخالي من البؤس والحرمان<sup>(١)</sup>

المسوى الثالث : ويحتوي على قدر أكبر ومتنوع من الطيبات التي تدخل باستهلاكها ، واقتنائها البهجة والزينة والجمال على بني الإنسان ، وتجلب لهم أنواع الترفه الإنساني ومن أمثلتها : على مستوى الفرد : الملابس المنوعة والأنيقة ، والأثاث اللائق ، وسعة المسكن ، وكثرة منافعه ، ووسائل المواصلات المريحة ، والوفرة في الأشرية ولأطعمة اللذيذة ... الخ . وضابطها عند علماء الشريعة أنها من الطيبات التي ( ترجع إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، وكل ما يقصد به سير الناس على أحسن منهاج )<sup>(٢)</sup> . وهذا التصنيف يجب الالتزام به من منظور النظام المالي الإسلامي في مجالات الإنتاج والاستهلاك والتوزيع على مستوى الأفراد ، والسياسات العامة : المنظمة للشأن الاقتصادي والمالي .

### المبحث الثاني : الخصائص الهيكلية لسوق رأس المال الإسلامي .

يقصد بالخصائص الهيكلية السمات المميزة لسوق رأس المال الإسلامي التي تنبثق أولاً : من مبادئ النظام ، وقواعده ، وتشريعاته ، وتعكس ثانيا الجوانب المتصلة بغايات النظام المالي الإسلامي ووظائفه ، وتعد ثالثاً من العلامات الفارقة بين سوق رأس المال الإسلامي ، وسوق رأس المال المرتكزة على نظام المدائيات الرأسمالي ، ومن أمثلة : منع الربا ، والقمار ، والاحتكار ، وتركز الثروة ، ووجوب تحقيق التكافؤ العادل في المبادلات المالية ، والأخذ بمبدأ الأولويات في التمويل والاستثمار ، والالتزام بإنتاج الطيبات من السلع والمنافع ، وقاعدة الغنم بالغرم ، وتحريم الغش والخداع في المعاملات ، وتحريم الغرر ، والزام الدولة اتخاذ التدابير المختلفة لتأمين فرص العمل ، وضمان حد الكفاية لكل إنسان في المجتمع بحسب الموارد المتاحة ، وفيما يلي استقصاء

(١) المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٢٣٢ .

لخصائص سوق رأس المال الأولية والثانوية في النظام المالي الإسلامي ، المعبرة عن حقيقة النظام ، والمؤيدة بالتحليل المالي .

### أولاً : خصائص السوق المالية الأولية (سوق الإصدار)

#### أ. تنوع الصكوك المالية القابلة للإصدار .

تتنوع الأوراق المالية القابلة للإصدار على هيئة صكوك والقابلة للتداول في سوق رأس المال الإسلامي ، فهناك صكوك للسلم ، وأخرى للاستصناع ، وثالثة للإجارة ، ورابعة للمشاركة ، وخامسة للمرابحة ..الخ ، ويترتب على هذا التنوع ، إمكانية تعبئة الموارد وحشد المدخرات للأجل الطويلة ، والمتوسطة ، والقصيرة ، فصكوك المرابحة يمكن استخدامها في الأجل القصير ، وصكوك الاستصناع والإجارة ، والسلم يمكن استخدامها للأجل الطويلة والمتوسطة .

#### ب. الالتزام بمبدأ الأولويات في الإصدار والتوظيف للصكوك والأوراق المالية .

تقسم حاجات المجتمع المسلم إلى ثلاثة مستويات ، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات - وسبق بيان ذلك - ويقصد بالالتزام بنظام الأولويات : توظيف المدخرات المعبأة عبر الأوراق المالية الإسلامية في إقامة مشروعات نخضع لذلك التقسيم . ويقع خارج نطاق تلك الأولويات (استخدام موارد الأوراق المالية الإسلامية في إنتاج سلع ترفيهية ، على حين ما يزال الناس في البلدان الإسلامية في اشد الحاجة لبعض الضروريات الأساسية ، أو لبعض الحاجيات التي تخفف عنهم مشقة الحياة ولذلك لا يستطيع المسلم أن يوافق على إصدار أوراق مالية إسلامية تستخدم في تجارة الذهب ، أو استيراد السيارات الفاخرة ، أو بناء مدن سياحية على الشواطئ. كل هذا مما يسيء إلى القضية برمتها ويجعل الورقة المالية الإسلامية تبدو وكأنها لعبة في يد بعض من يتلاعبون بعواطف المسلمين وقلوبهم).<sup>(١)</sup> وفي النظام الاقتصادي الإسلامي يتوجب تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفقاً لمبدأ الأولويات فالحاجات البيولوجية ، والإنسانية والحضارية تقدم على غيرها من الحاجات إنتاجاً واستهلاكاً ومن أمثلة ذلك مشاريع توفير الغذاء ، والإسكان ، والصحة ، والتعليم ، والطاقة ، ووسائل النقل بمختلف أنواعها ، يلي ذلك السلع المكملة للسلع الضرورية ، وفي المرتبة الثالثة يأتي إنتاج سلع الترفه ، والزينة ، والجمال ، والنتائج المتوقعة لمبدأ الالتزام بالأولويات تتجسد في التوظيف الأمثل للمواد المتاحة من منظور الحاجات الإنسانية ، والاقتصاد الكلي ،

(١) عبد الرحمن يسري أحمد ، تجربة الأوراق المالية الإسلامية للبلدان الإسلامية وتقدير الحاجة لسوق مالية إسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

وربط سوق الإصدار بقطاع الاقتصاد الحقيقي المولد للدخل ، وفرص العمل ، والتعجيل بالتنمية الاقتصادية ، وتحقيق معدلات مرتفعة من الاكتفاء الذاتي .

ج - انخفاض تكاليف الإصدار. ويرجع ذلك إلى عدد من العوامل الموضوعية من أبرزها ما يلي :

١- انخفاض تكاليف الترويج لشراء الصكوك .

الصكوك المصدرة في سوق رأس المال الإسلامي يلتزم فيها بمبدأ الأولوية السابق بيانه ، وهذا الخاصية يدركها جمهور المكتتبين ، والمستثمرين الماليين ، حيث يلقي هذا النوع من الصكوك التأييد الديني والاقتصادي لدى المدخرين في المجتمع الإسلامي ، ومن ثم تنخفض تكاليف الحملات الإعلامية التي تستهدف إغراء الراغبين في الاكتتاب العام ، ولذا فالتوقع تزايد الطلب على الصكوك المصدرة نتيجة لذلك التأييد الديني ، وشعور المكتتبين بالإسهام في إنتاج الطيبات التي يحتاجها المجتمع المسلم ، حيث تحظى السلع والخدمات الضرورية ، والسلع المكملة لها بالأولوية في الإصدار ،

٢ - خلو سوق الإصدار من عقود المتاجرة بعدم اليقين . ( عقود الخيارات والمستقبلات ) .

في أسواق رأس المال التقليدية لتداول الأوراق المالية في المراكز المالية العالية ، تصدر السوق عقود الخيارات ، والمستقبلات المشتقة من عقود الأسهم والسندات ، وهي عقود تستهدف تخفيض حالات عدم اليقين الناشئة عن تقلبات القيمة السوقية للأوراق المالية المتداولة ، وهذا النوع من العقود لا وجود له في سوق رأس المال الإسلامي ، فقد أفتت المجامع الفقهية الإسلامية العالمية بحرمة المشتقات المالية لكونها متلبسة بالربا وقائمة على الغرر ، والصورية والقمار، وتدلل الإحصاءات بان التعامل بالمشتقات المالية يستأثر بالنسبة الكبرى في أسواق العملات والأوراق المالية والسلع ، حيث أصبح التعامل فيها قرين الأزمات ، كما ان التوسع فيها يتم على حساب التمويل الذي ينبغي أن يقدم إلى قطاعات الاقتصاد الحقيقي .

٣- انخفاض تكاليف السمسرة والوسطاء الماليين .

ويرجع ذلك إلى ارتباط الصكوك المصدرة بمشروعات ضرورية للمجتمع ، تنتج الطيبات من السلع والخدمات الضرورية ، والسلع المكملة لها ، الأمر الذي يترتب عليه تقليص عدد الوسطاء الماليين ، ويعضد كل ذلك الدور المحوري الذي تقوم به الهيئة المشرفة على سوق الإصدار .

ثانيا : خصائص السوق الثانوية ( سوق تداول الصكوك والأوراق المالية ) .

هناك عدد من الخصائص الأساسية والجوهرية التي تستند إلى مبادئ وقواعد وتشريعات النظام المالي الإسلامي ، وتحكم تداول الأوراق المالية على هيئة صكوك ، أو أسهم مصدرية قابلة للتداول في السوق الثانوية ، أو غير قابلة للتداول وأهم

الخصائص التي تحكم الصكوك المتداولة في السوق الثانوية في النظام الإسلامي الآتي :

أ. عوائد الصكوك المتداولة محددة بمرودود توظيفها وليس بعائد يحدد مسبقا .

الصكوك المتداولة هي لعقود بيع مثل : السلم والاستصناع ، أو عقود إجارة ، أو مشاركات ومضاربات ، ومربحات ... الخ ولذا يجب أن يتوفر فيها شروط تلك العقود ، كما يجب أن تخلو جميع الأدوات المالية المتداولة من أي ارتباط بأسعار الفائدة مباشر ، أو غير مباشر ينشأ عنه تحديد مقدار العائد سلفا ، وهذه خاصية هيكلية يتفرد بها سوق رأس المال في نظام التمويل الإسلامي ، الذي يحظر تداول الأموال القابلة للتوظيف وفقا لمعدلات الفائدة المحددة مسبقا ، وينشأ عن هذه الخاصية خلو السوق من عوامل المضاربة ويرجع ذلك إلى غياب التوقعات بتحركات أسعار الفائدة ، وأثرها على أسعار الأصول كما هو الحال في سوق الأوراق المالية التقليدية ، أو تحرك الأرصدة القابلة للتوظيف من سوق مالية إلى أخرى وفقا لمؤثرات أسعار الفائدة ، وعلى سبيل المثال أدى تحول المستثمرين الماليين من سوق الأسهم في نيويورك إلى سوق السندات عام ١٩٨٧ إلى انهيار سوق الأسهم<sup>(١)</sup> ، نتيجة للخروج الكثيف والسريع والتلقائي للأرصدة النقدية من سوق الأسهم إلى سوق السندات ، وقد عرفت تلك الحادثة فيما بعد باسم اللاثنين الأسود ، وأصبح ذلك الحدث موثق في سياق الأزمات المالية العالمية ، وفي عام ٢٠٠٨م انتج نظام المدائيات أزمة مالية عالمية كادت تسقط النظام المالي العالمي وفي المقابل فإن سوق رأس المال في الاقتصاد الإسلامي يختفي منها ذلك التحول البغيض من سوق مالية إلى أخرى وفقا لمؤثرات أسعار الفائدة ، ومن ثم يصبح الاستقرار المالي وانخفاض التكاليف خاصة متأصلة في سوق رأس المال الإسلامي الخالية من الارتباط بأسعار الفائدة .

ب . قبول المكتتبين في صكوك الملكية المشاركة في الأرباح والخسائر<sup>(٢)</sup> . وهذه هي الخاصية البديلة والعادلة لتحديد العوائد سلفا من خلال معدلات الفائدة ، ويترتب على تطبيق هذه الخاصية ارتباط تعبئة الموارد

(١) لمزيد من التفصيل ينظر البنك الدولي، التقرير السنوي الحادي عشر عن التنمية ، الطبعة العربية ( القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ ) ص ٣٦- ٣٧ .

(٢) ومما جاء في هذا الخصوص (الالتزام بشرط المشاركة بالربح أو الخسارة في نص واضح كامل لا يقبل التأويل وذلك على أساس القواعد المعمول بها في عقود المضاربة والشركات ، ويلاحظ أن هذا الشرط أساسي ... بمعنى أن الالتزام به ضرورة إسلامية لا تقبل الجدال) عبد الرحمن

المالية بالمشروعات الاقتصادية مباشرة وحيث إن الموارد المالية ذات الأجل المتوسط والطويل هي التي يتوقف عليها إقامة المشروعات الاقتصادية، ويرتكز عليها تمويل التنمية الاقتصادية، فإن الأوراق المالية الإسلامية يستلزم أن يكون معظمها ذا آجال متوسطة وطويلة، ويتسم هذا النوع من التمويل المشارك بالاستقرار، ويرجع ذلك إلى خلو السوق الثانوية من المضاربات على فروق الأسعار، وارتباط العائد على الأوراق المالية بمعدلات الربحية المتحققة بالفعل، أو التي يتوقع أن تحققها في فترات مستقبلية مؤسسات وشركات الأعمال التي يتم تداول أوراقها في السوق المالية الثانوية.

### ج. السوق الثانوية سوق لتسييل الأوراق المالية المصككة وليس للمضاربة على فروق الأسعار .

تعد هذه الخاصية أساسية، وتنسجم مع خلو الأوراق المالية من الارتباط بأسعار الفائدة، ومؤشراتها، كما تنسجم مع ارتباط سوق الأوراق المالية بقطاع الإنتاج الحقيقي، وانتظار معدلات الربحية التي ستحققها المؤسسات والشركات التي يتم تداول أوراقها في السوق الثانوية، ولا يتصور في مثل هذه السوق حدوث أزمات مالية، لأن حملة الأوراق المالية لا يشعرون بالذعر المالي الذي تسببه تطورات أسعار الفائدة، والتوقعات المتصلة بأسعار الأوراق المالية. وبالمقابل فإن أسواق الأوراق المالية التقليدية المعاصرة تقدم الدلائل القاطعة على تعذر الجمع بين المضاربة في السوق الثانوية، والارتباط بالاقتصاد الحقيقي، فقد أدت المضاربات على فروق الأسعار في السوق الثانوية إلى فك الارتباط بين الأسواق المالية، وقطاعات الاقتصاد الحقيقي، ونجم عن ذلك تعطيل المدخرات وحبسها عن المشاركة في تمويل وحدات العجز العاملة في قطاعات الاقتصاد الحقيقي، والاكتفاء بدوران الأرصدة القابلة للتوظيف في فلك الأسواق المالية للمضاربة على فروق الأسعار، ومن ثم يصبح سوق الأوراق المالية عائقا للنمو الاقتصادي، بينما وظيفته الأساسية تحفيز وتجسير قطاعات الاقتصاد الحقيقي على إنتاج الطيبات من السلع والخدمات، إلا أن لك أن الاستثمار المالي من خلال المراهنة على فروق الأسعار في السوق الثانوية، يجعل أرصدة المضاربة أضعاف القيمة الاسمية لإجمالي الأوراق المالية المتداولة، بل تكشف الأرقام ما هو أكثر خطورة من ذلك بكثير ففي عام 1997م بلغت قيمة المعاملات عبر الحدود في الأوراق المالية كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي الأرقام التالية: 213%، 96%، 253%، 213%، 672%، 358% لكل من الولايات المتحدة، واليابان، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وكندا على التوالي، وفي

يسري أحمد: تجرية الأوراق المالية الإسلامية وأوضاعها في الأسواق المالية للبلدان الإسلامية وتقدير الحاجة لسوق ثانوية إسلامية دراسات اقتصادية إسلامية، العدد الأول، المجلد الثالث (جدة: المعهد الإسلامي للبحوث في البنك الإسلامي للتنمية)، ص 42

الاقتصاد الرأسمالي يوجد من يؤكد هذه الحقيقية الواقعة ويشكو منها قائلًا ( غالبًا ما يلاحظ سواء في مجال أسعار الصرف أو في مجال أسعار الأسهم ، انقسام بين معطيات الاقتصاد الحقيقي ، والأسعار الاسمية التي تحدها المراهنة<sup>(١)</sup> . وفي الوقت نفسه تعد المضاربات على فروق الأسعار في السوق الثانوية من الأسباب الرئيسية لأزمات الأسواق المالية التقليدية ، وخاصة أزمات السيولة في سوق الأوراق المالية ، بتكاليف أزمات السيولة تتمثل في الكساد ، وهدر الموارد المالية العامة التي تنفق على الخروج من الأزمات المالية التي تسببها المضاربات في الأسواق الثانوية على فروق الأسعار المراهنة ، وانتهاز الفرص ، وهو سلوك غير أخلاقي ويتنافى مع مبررات قيام تلك الأسواق ، وترجع أسباب تلك التطورات الضارة إلى ارتباط الأسواق المالية بمؤشرات أسعار الفائدة ، وهذه القضايا تؤيدها الوقائع والأرقام الموثقة ، ومن ثم فلا معنى للجدل حول مزايا هذه الخاصية ودورها في الاستقرار المالي ، وتعويد المستثمرين على الاكتتاب في الأوراق المالية متوسطة وطويلة الأجل .

وتؤدي هذه الخاصية للسوق إلى ترسيخ الاستقرار المالي ، والتخلص من التكاليف الناشئة عن أزمات السيولة ، والمضاربة على فروق الأسعار والاحتكارات السعرية<sup>(٢)</sup> .

#### د. حظر التقلب اللحظي للصكوك المتداولة في السوق الثانوية .

الالتزام الصارم بالتسعير العادل للأوراق المالية ، وحظر الاحتكارات ، والتحليل المالي المضلل عبر القنوات والصحف المالية ، والتواطؤ لرفع أو خفض الأسعار للاستيلاء على أموال صغار المدخرين ... الخ كل ذلك محرم ومجرم في النظام المالي الإسلامي ، ويتم الاشراف على السوق من قبل الهيئتين الشرعية والإدارية ، وعلى سبيل المثال فإن تسعيرة واحدة في اليوم لكل ورقة مالية لأغراض التنضيق ( تسيل الأوراق المالية ) كاف لقيام السوق بوظائفه من منظور الاقتصاد المنتج للطيبات من السلع والخدمات . وأهم مميزات التسعيرة الواحدة ما يلي:

(١) موريس آليه، الشروط النقدية لاقتصاد السوق، الطبعة العربية الأولى ، البنك الإسلامي للتنمية : المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) . ص ١٤ .

(٢) وما جاء في هذا الخصوص ما يلي (إن من مهام السوق الثانوية قطع دابر المضاربات التي تنصب على رفع أسعار الأوراق المالية ، أو خفضها عمداً ، بهدف تحقيق أرباح نقدية سريعة وبغض النظر عن النتائج اللاحقة بالنسبة للسوق ، وحالة النشاط الاقتصادي . ومن ضمن حماية السوق من المضاربات غير الشرعية ووضع قيود شرعية محكمة على البيع الأجل للأوراق المالية ، كما يمكن — — الاعتماد على وسائل الرقابة الشرعية المباشرة لمنع أي اتفاقيات ضمنية أو صريحة بين المتعاملين ، أو الوسطاء ، للقيام بمثل هذه المضاربات السعرية ، ولتأديب المخالفين .) عبد الرحمن يسري أحمد ، تجربة سوق الأوراق المالية الإسلامية وأوضاعها في الأسواق المالية للبلدان الإسلامية وتقدير الحاجة لسوق ثانوية إسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

١- تتسم التسعيرة الواحدة لكل ورقة مالية قابلة للتداول بالمصادقية والعدالة لارتباطها بالاقتصاد الحقيقي ، بينما التسعير المستمر ينشأ عنه ، عدم اليقين الذي يحول السوق ، إلى ناد للمقامرات ، والمجازفات ، وأنواع الغش والخداع<sup>(١)</sup>.

٢- أي تقصير ، أو إهمال ، أو تواطؤ - في ظل العمل بتسعيرة واحد لكل ورقة مالية - تتحمل مسؤوليته كاملة إدارة سوق الأوراق المالية ، بينما يستحيل تحميل المسؤولية أي طرف في ظل عقد الصفقات ، وتنفيذ عمليات البيع والشراء عبر برامج التسعير المستمر للأوراق المالية .

٣- التسعيرة الواحدة تمنح البائعين والمشتريين فرصا متساوية ، واستقرارا كبيرا داخل السوق وفي تقييمات المتعاملين ، أما التسعير المستمر فيتحكم فيه ويحصده مكاسبه كبار المستثمرين الماليين ، وفي مقدمتهم المصارف التجارية ، ولا مبرر له سوى تحقيقهم لأعلى عائد ممكن من فوارق الأسعار .

٤- التسعيرة الواحدة تجنب السوق بل الاقتصاد المحلي تكاليف أزمات السيولة الناجمة عن الفوارق المفرطة بين سعر الإصدار وسعر المراهنات المضاربية .

٤ - التسعيرة الواحدة ينشأ عنها يقين كامل ، أما التسعير المستمر فيجعل عدم اليقين مستحكما في كل لحظة من بداية عمل السوق وحتى نهايته . كما يجب ألا تتجاوز الأسعار صعودا وهبوطا نسبة معينة ، من متوسط أعلى وأدنى معدل للربح تم تحقيقه ، بهذا الضابط يستهدف منع أي محاولة لتحويل السوق الثانوية إلى سوق مستقل للاستثمار المالي ، كما هو عليه الحال في أسواق رأس المال التقليدية ، كما يستهدف أيضا استئصال أي تأثير للشائعات ينشأ عنها أرباح احتكارية ، ووفورات سعرية صعودية أو هبوطية ، وبالمقابل فإن أسواق الأوراق المالية الحالية هي أندية للمضاربات ، والمراهنات ، فما يكسبه أحد المراهنين يخسره الآخر ، ومعدلات العائد في هذه الأسواق تتناسب طرديا مع اضطراب قيم الأصول ، وعكسيا مع استقرارها ، وهذا هو السبب الحقيقي لعمليات التسعير المستمرة ، فالاضطراب وعدم الاستقرار شرط لبقائها ، والعوائد المكتسبة من فروق الأسعار شرط لاستمرارها . وهذا النوع من النشاط المالي في الاقتصاد الإسلامي يعد نوعاً من التعدي ، واكل أموال الناس بالباطل ؛ لأن العناصر الاقتصادية التي يجري تداول أوراقها من قبل تلك الأندية القمارية قد تفقد جدارتها الائتمانية ، أو تنهار ، لا لشيء اقترفته ، بل لأن محترفي أندية القمار راهنوا على خفض قيم أوراقها المالية ؛ ليكسبوا من فروق الأسعار وهو عمل تتشابه نتائجه تماما مع نتائج عمليات السطو ، والمصادرات القسرية ، لتي لا تعترف بحق بولا ترعى حرمة لمال ، وبالمقابل فإن العناصر

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

الاقتصادية التي راهن المضاربون على تصعيد أسعارها ، تزداد جدارتها الائتمانية ؛ فتمتكن بسهولة من الحصول على الأموال دون أي جهد بذلته سوى أن مؤشرات أسهمها ارتفعت في نوادي القمار<sup>(١)</sup> .

وعلى كل ، فهذا الوضع ينطبق على مختلف الأسواق المالية بصورتها التقليدية المعاصرة سواء في مجال المراهنة على النقود ، أم المراهنة على الأسهم ، فقد أضحى العالم (ملهى "كازينو" وزعت فيه موائد اللعب طولا وعرضا ، والألعاب والمزادات ، التي يشترك فيها ملايين المتلاعبين ، لا تتوقف فيه أبدا فولوحات التسعير الأمريكية ، تتبعها لوحات التسعير في طوكيو ، وهونغ كونغ ، ثم في لندن ، وفرانكفورت ، وباريس وفي كل مكان الائتمان يدعم المراهنة ، إذ يمكنك أن تشتري بدون أن تدفع ، وأن تباع بدون أن تحوز<sup>(٢)</sup>).

أما خاصية التسعير المقترحة فإنها تجنب السوق تكاليف عدم اليقين الناشئة عن عمليات التسعير المستمرة ، كما تجنب السوق تكاليف الاحتكارات السعرية ، وترسخ حالة اليقين حول تطورات أسعار الأوراق المالية .

#### ٥ - حيازة صكوك الملكية بالفعل والقدرة على تسليمها شرط من شروط التعامل في السوق .

هذه الخاصية أساسها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لاتبع ما ليس عندك) <sup>(٣)</sup> (فليس ثمة مجال لأن يبيع أحد دون أن يملك ، أو أن يشتري دون أن يدفع ، وهذه قواعد لا يجوز تجاوزها في عمليات البيع والشراء في الأسواق المختلفة ، ومنها سوق الأوراق المالية ، وكذلك عدم السماح بتداول الأوراق المالية إلا بعد تشغيل المشروع المساهم ، فهناك مشروعات تحت التأسيس ، وأخرى قائمة تنتج سلعة وخدمات ، ومن أهم الضوابط التي يجب التقيد بها فيما يتعلق بالمشروعات التي تحت التأسيس هي عدم تداول أوراقها المالية إلا بعد أن يتم تشغيل المشروع للخروج من المحاذير الشرعية .

#### ٦ - الرقابة الشرعية المحكمة على التزام سوق رأس المال الإسلامي بالضوابط الشرعية .

(١) "there are tow basic image of the stoke market one is that of a casino where lady luck and the better gamblers on speculation with no rational basic .stoney fisher and others, Economics Second Edition, (Singapore : 1988).p.550

(٢) موريس آلية ، الشروط النقدية لاقتصاد الأسواق ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني ، سيل السلام ط ( بدون ) ( بيروت : المكتبة العصرية : ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ) ج ٣ ص ٢٨ .

من مهام الرقابة الشرعية في النظام المالي الإسلامي : إجازة نوع المشروع الذي ستخصص له حصيلة الصكوك ، ومعرفة دواعي الحاجة إليه ، وأهلية المصدر للتصكيك ، وشروط الاصدار ، وحقوق الملكية التي يتمتع بها حملة الصكوك ، وطرق توزيع أرباح المشروع على حملة الصكوك ، وعدالة ذلك التوزيع ، وشروط التسييل والإطفاء للصكوك المصدره ، وحق حامل الصك في الوقف ، والوصية ، والهبة ، وضمان عدم التفريط بحقوق حملة الصكوك من التصرفات غير الرشيدة للإدارة ، وما هي الطيبات من الأعيان والمنافع ( السلع والخدمات ) التي سينتجها المصدر للصكوك ...الخ

وما يجري في أسواق الأوراق المالية القائمة على نظام المداينات الرأسمالي ، لا صلة له بسوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي ، فالأوراق المالية المتداولة في المصافق العالمية ( البورصات ) عوائدها محددة سلفا ، ومقدرة بأسعار الفائدة الثابتة ، أو المتغيرة ، كما هو الحال في السندات والاستثمار المالي وفقا لمعدلات الفائدة ، هو المحظور الأول في النظام المالي الإسلامي ، أما الأوراق المالية غير محددة العوائد كالأسهم ، إلا أنها مرتبطة بإحكام إلى مؤشرات أسعار الفائدة ، فإن هذا النوع من الربط غير مسموح به في النظام المالي الإسلامي ، كونه يشجع ويزيد من حجم المعاملات القائمة على أسعار الفائدة ، وفي السوق الثانوية القائم على نظام المداينات، ليس هناك نطاقات يحظر تجاوزها تحكم تحركات الأسعار صعودا وهبوطا ، بل من المسموح به ان تتحرك اسعار الأوراق المتداولة فيها ارتفاعا وانخفاضا دون قيود فالسهم المصدر بقيمة اسمية مقدارها ٥ دنانير مثلا يمكن أن تصل قيمته السوقية في السوق الثانوية إلى أكثر من عشرة أضعاف القيمة الاسمية ، ويحصل العكس تماما ، فالسهم الذي قيمته الحقيقية ١٠٠ دينار مثلا قد يصل في مضاربات السوق الثانوية إلى أقل من ١٠ دنانير، وهذا النوع من التصرفات هو من أكل أموال الناس بالباطل في النظام المالي الإسلامي ، وفي تلك الأسواق يسعى كبار المتعاملين في السوق إلى ممارسة أمكر ، وأدهى طرق التضليل والخداع ، وتزييف الحقائق لغرض جذب متعاملين جدد ، والحفاظ على استمرار صغار المستثمرين الخاسرين لجزء من مدخراتهم على أمل التعويض عن تلك الخسائر في الأيام أو الأسابيع المقبلة وتحقيق عوائد مجزية على توظيف مدخراتهم ، ويتم ذلك كله عبر عدد من أساليب التحليل المالي الفوري على مستوى القنوات والصحف المتخصصة ، لتفسير تحركات الأسعار في السوق ارتفاعا وانخفاضا ، وهو تحليل موجه من قبل تلك الوسائل الاعلامية المملوكة لكبار المستثمرين الماليين في السوق الثانوية لبيع وشراء الأوراق المالية ، وهذه الأعمال محرمة ، ومجرمة ، في النظام المالي الإسلامي .

### المبحث الثالث : العوامل المحددة لحجم سوق رأس المال الإسلامي .

يعد هذا المبحث خاصة إضافية من خصائص سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي ،ينبغي التعرف عليها لتكون سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي واضحة المعالم ، متكاملة البنين - ولو في جانبها النظري - وللمزيد من الاستقراء فإن المبحث يتحدث عن نوعين من العوامل ، هما العوامل الداخلية من منظور النظام المالي الاسلامي ، والأخرى من منظور المستثمر الخارجي ، وهذه العوامل منتزعة من التحليل الاقتصادي ،وموضوعات دراسات الجدوى ، ومؤشرات العائد الحقيقي التنافسي على رأس المال المستثمر ،الذي يسعى لتحقيقه المستثمرون في القطاعات الحقيقية أو المالية ، كل ذلك قد تم توظيفه ليكون في هذا المبحث ، وبيان ذلك على النحو التالي

أولا : - العوامل المحددة لحجم السوق من منظور النظام المالي الإسلامي .

أ . - البيئة العامة المشجعة لك أنواع الاستثمار<sup>(١)</sup> .

الاستقرار ،السياسي والاجتماعي بعيد المدى ، والبنية الأساسية المتكاملة والجذابه ، ونوع نظام الحكم ،وسيادة القانون و ضمانات حياده ، ونزاهة نظام القضاء ، وتسريع البت في القضايا ، والقدرة على إقامة الدعاوى على الاشخاص الطبيعيين والاعتباريين دون قيود وصيانة الملكية الفردية ، وحرية التصرف بالعائدات ،على رأس المال ، ونظم الضرائب والتراخيص ... ، وموقف نظم الاستثمار في البلد المعني من الاستثمار الخارجي في القطاعات الحقيقية والمالية ... الخ كل ذلك من العوامل الأساسية أو المسلمات التي تؤخذ بعين الاعتبار من قبل المستثمرين الماليين ، والكيانات الاقتصادية المختلفة على مستوى المستثمر المحلي ، و الخارجي ، فالبيئة المواتية تحفز على المزيد من الاستثمار ، والبيئة غير المواتية تخفض معدلات الاستثمار ، وينعكس كل ذلك على حجم سوق رأس المال .

ب - الأهمية النسبية لحجم القطاع العام.

الوظائف الاقتصادية الجوهرية والأساسية للدولة في النظام المالي الإسلامي ، يترتب على القيام لها كبر الحجم النسبي للقطاع العام مقارنة بالنظم المالية الأخرى التي تحجم أو تغيب وظائف الدولة في ترشيد النشاط الاقتصادي ، فالقطاع العام ليس سوى وسيلة لتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في المنافع

(١) انظر على سبيل المثال: جلال جويده القصاص ، دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروع في اقتصاد اسلامي ، الطبعة الأولى ( الاسكندرية : ٢٠١٠ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

والتكاليف ، وتمكين الفئات ذات الدخل المنخفض من الحياة الإنسانية الكريمة ، ولذا فإن التزام الدولة بمبدأ الأولويات في التنمية ، وتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية ، وتوفير فرص العمل ، وضمان حياة كريمة لأقل الفئات الاجتماعية دخلا ، هي من وظائف الدولة في النظام المالي والاقتصادي في الإسلام التي يتوجب أن تقوم بها الدولة ، والزام القطاع الخاص بالتعاون معها ، ويستنتج من ذلك أن حجم سوق رأس المال سيكون كبيرا في مثل هذه الحالة ، لأن القيام بتلك الوظائف يتطلب رؤوس أموال ضخمة ، ومن ثم يتحتم عليها استخدام وابتكار الكثير من صيغ وقنوات التمويل للحصول على الأرصدة المالية الكافية للقيام بتلك الوظائف .

#### ج - حجم الثروات والموارد الطبيعية المتوفرة مقارنة بعدد .

فالبلد الذي تتوفر فيه ثروات ، نفطية ومعدينية ، وزراعية كبيرة ، أو مزايا اقتصاديات الموقع الخ ... تمكنه من تحقيق فوائض مالية كبيرة لن يكون بحاجة إلى إصدار صكوك مالية لتمويل الضجوة التمويلية لخطته الاقتصادية ، وكذلك القطاع الخاص لتوفر الأرصدة اللازمة لاحتياجاته ، إلا إذا كان البلد يتبنى سياسة مضاعفة دخل الفرد ، والدخل القومي في فترات قصيرة نسبيا فإنه سيسعى إلى مضاعفة قدراته المالية بمتلف الوسائل المشروعة ومنها التصكيك العام والخاص .

#### د - حجم الإيرادات العامة مقارنة بحجم النفقات العامة .

فإذا كان البلد المعني تتساوى إيراداته مع نفقاته أو تزيد ، بما في ذلك النفقات الاستثمارية ، فالمتوقع ألا يكون لديه حاجة ملحة لإصدار صكوك لغرض تعبئة الموارد المالية متوسط وطويلة الأجل ، إلا إذا كان البلد يتبنى سياسة التعجيل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فإنه في مثل هذه الحالة سيسعى للحصول على أكبر قدر من المدخرات المتاحة من خلال التصكيك وصيغ التمويل الأخرى ..

#### هـ - عمق السوق المالية المحلية .

فوجود مؤسسات مالية مصرفية كافية ومتنوعة ، ومسنودة بمؤسسات مالية تعاونية وتكافلية في قطاع التأمين ، وكيانات اقتصادية كبيرة الحجم في قطاع الاقتصاد الحقيقي ، وأسواق مالية منظمة بعيدة عن الاحتكار والمضاربة ، ومتكاملة في جوانبها المؤسسية والتشريعية ، كلما زادت القدرة على إصدار الصكوك وجمع وتعبئة المدخرات على المدى الطويل والمتوسط ، وتتضاءل تلك القدرة عندما تكون السوق المالية في مراحل نموها الأولى

**و- معدلات التضخم السائدة والمتوقعة .**

تؤدي معدلات التضخم المرتفعة في سياق سلسلة زمنية طويلة نسبيا إلى صعوبة إصدار صكوك مالية بالعملة المحلية لأجل متوسطة أو طويلة ، ناهيك عن جذب الدخرات الخارجية للإستثمار في قطاعات الاقتصاد الحقيقي أو المالي .

**ثانيا - العوامل المحددة لسوق رأس المال الإسلامي من منظور المستثمر الخارجي .****أ - التصنيف الاقتصادي للبلد .**

تصنف البلدان من حيث نصيب الفرد من الدخل القومي إلى بلدان فقيرة أو منخفضة الدخل ، وأخرى متوسطة الدخل ، وثالثة مرتفعة الدخل وهناك تقسيمات فرعية أخرى في إطار هذه التقسيمات ، ومن حيث حجم المديونية تصنف البلدان إلى بلدان مثقلة بالديون وأخرى معتدلة ، وثالثة ، خفيفة ، ومثل هذه التصنيفات تؤثر في قرار المستثمر الخارجي .

**ب - نوع نظام الصرف .**

التزام النظام المالي الإسلامي بمبدأ الأخذ بنظام الأولويات في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يرى أن نظم الصرف المرنة عائق حقيقي للالتزام بنظام الأولويات ، هذا من الجانب الاقتصادي ، ومن الجانب الشرعي فإن سعر الصرف العائم أو لحر لا يمكن الأخذ به في ضوء وظائف وأهداف النظام المالي الإسلامي ، غير إن نوع نظام الصرف يعد عاملا حاسما في إصدار الصكوك المالية بالعملة المحلية ، والعملات الدولية ، فنظام سعر الصرف شبه الثابت ، والعملة المحلية المستقر قيمتها نسبيا ، يجعل الطلب على الصكوك المالية المصدر جاذبا ومغريا في الأجلين المتوسط والطويل ، وعلى العكس من ذلك فإن نظام أسعار الصرف المرنة أو العائمة يجعل إصدار صكوك مالية متوسط ، وطويلة الأجل في بلد نام في حكم المتعذر ومن حيث المبدأ فإن النظام المالي والاقتصادي الإسلامي يرفض نظم أسعار الصرف العائمة ، لأن نتائجها أكثر سوءا من التعامل بأسعار الفائدة الدائنة والمدينة ، كما يحظر إصدار السندات ذات الفوائد المحددة سلفا .

**ج - التصنيف الائتماني للبلدان والكيانات المالية .**

تصنف البلدان من حيث الجدارة الائتمانية ، من قبل وكالات متخصصة على المستوى الدولي تباع خدمات المالية في مجالات التصنيف الائتماني للبلدان والأفراد ، وللصندوق والبنك الدوليين تصنيفات متعددة ، تنصب على القدرات المالية والاقتصادية لبلد ما ، وينظر إلى التصنيفات الائتمانية بحساسية مفرطة من قبل

المستثمرين الماليين من خارج البلد المعني فعندما يكون التصنيف الائتماني مرتفعا للبلد المعني ، يتمكن ذلك البلد من الحصول على مقادير كبيرة من التمويل ، وفي حالة إصداره لصكوك مالية فإن الطلب على الاكتتاب فيها يتزايد ، وبالمقابل إذا انخفضت التصنيفات الائتمانية لبلد ما يصبح من العسير عليه الحصول الحصول على المدخرات الخارجية المملوكة للأمم الأخرى ، وكل ذلك يؤثر على حجم سوق رأس المال الإسلامي .

#### د - درجة الاندماج في النظام المالي لدولي .

- يؤدي الاندماج المالي مع الأسواق المالية الإقليمية والعالمية إلى إمكانية المنافسة على جذب المدخرات الدولية ، وتخفيض تكاليف إصدار الصكوك المالية بالعملة المحلية ، والعملات الدولية ، بالإضافة إلى سهولة تسهيل الصكوك وتنامي ثقة المستثمرين غير المقيمين ، وفي حلة انخفاض درجة الإدماج فالتوقع ان يقل حجم الاكتتاب ، وتزداد تكاليف الإصدار والتسويق .

#### هـ - مدى الوثوق بدراسات الجدوى لجذب المدخرات الخارجية .

تعد دراسات الجدوى ذات الأفق البعيد ، والمعدة من جهات حسنة السمعة عاملا مهما في تأمين مصادر التمويل القائم على إصدار صكوك مالية متوسطة وطويلة الأجل لإقامة مشروعات اقتصادية ، أو مرافق عامة ، ويرافق ذلك انخفاض في تكاليف الإصدار ، والتسويق المالي ، وبالمقابل فإن المستثمرين الماليين شديدي الحساسية فيما يتعلق بالملاءة المالية ، ومدى الوثوق بدراسات الجدوى .

#### و - وضع البلد المعني بالنسبة للتكتلات الاقتصادية .

فإذا كان البلد المعني ينتمي إلى تكتل اقتصادي معين فإن هذا الوضع يعمق من تصنيفه الائتماني ، ويوسع من نطاق تداول الصكوك المصدرة والإقبال عليها ، أما إن كان البلد بعيدا عن التكتلات الاقتصادية فإن قدرته على الإصدار ترجع إلى مدى توفر العوامل الأخرى السابق ذكرها .

## المبحث الرابع

### مصادر التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل في النظام المالي الإسلامي

الوظيفة الرئيسة لسوق رأس المال الإسلامي هي الاسهام في توفير التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل ، وهذا المبحث يستهدف - بصورة موجزة - إبراز مصادر التمويل الانمائي متوسط وطويل الأجل ، على النحو الذي يؤكد بأن التصكيك هو إحدى قنوات التمويل قصير ومتوسط وطويل الأجل ، وهناك قنوات اخرى متعددة ، والنظام المالي الإسلامي يتركز في الأساس على الموارد المالية المتاحة محليا ، ولا فرق في ذلك بين القطاع العام ، والقطاع الخاص ، وللنظام المالي الإسلامي تشريعاته الشاملة ، في مجالات التمويل والاستثمار والإنتاج والاستهلاك ، والتوزيع ، والادخار ، في أوقات الرخاء والشدة ، وفي هذا البحث سنتناول باختصار وافٍ المصادر الأساسية للتمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل للقطاعات العام والخاص وذلك لتكتمل معالم القنوات التمويلية المختلفة ، وذلك على النحو الآتي :

#### أولا : مصادر التمويل الإنمائي للقطاع العام.

##### أ- المصادر الداخلية الذاتية .

يحتاج القطاع العام الحكومي لمقادير كبيرة من الأرصدة المالية القابلة للتوظيف الإنمائي متوسط وطويل الأجل ، لتوظيفها في مشروعات البنية الأساسية ، والخدمات العامة والطاقة ، وتشبيد الطرق والجسور والسدود والحواجز المائية ، ومشروعات الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي مجسدة في توسيع ، وتنوع القدرات الاقتصادية ، و سياسات الإحلال محل الواردات ، ومشروعات توطئ التقنيات الصناعية والزراعية الخ . وتتكون المصادر الداخلية الرئيسية للتمويل الإنمائي الحكومي متوسط وطويل من المصادر الآتية :

ب - الفوائض الاقتصادية من الإيرادات العامة غير المخصصة ( مثل : حصيلة بيع الثروات المعدنية الفائضة عن الاستهلاك المحلي ، والضرائب العادلة ، والمتحصلات من الرسوم الجمركية ، وإيرادات المشروعات العامة ، والقروض الحسنة ، والمقبوضات من أثمان صادرات القطاع العام ..

##### ج - مدخرات وحدات القطاع العام .

وهي الأموال الفائضة من سنوات الرخاء والازدهار الاقتصادي ، والتي تتجسد في الوقت بالاحتياطات النقدية المدارة من قبل الصناديق السيادية ، والتي تستخدم في العادة للمحافظة على الاستقرار الاقتصادي ، وتحقيق معدلات النمو المرغوبة .

ج - الإصدار النقدي<sup>(١)</sup> .

ويمكن أن يكون أحد مصادر التمويل في الحالات التي يستخدم فيها الإصدار لاستغلال ثروات معطلة ، أو في حالة اكتشافات ثروات معدنية مؤكدة وبأحجام تجارية ، وقابلة للتصرف في أي وقت من قبل الدولة ، كما يجب ألا يؤثر الإصدار النقدي على القوة الشرائية للعملة الوطنية .

## ثانيا - المصادر الداخلية القائمة على فوائض ومدخرات القطاع الخاص .

آ- رأس المال المقبوض من الصكوك المالية المصدرة من مؤسسات القطاع العام<sup>(٢)</sup> .

وهذا النوع من رأس المال المشارك يتم الحصول عليه من الصكوك المالية المصدرة ، والمطروحة للاكتتاب العام وفقا لصيغ التمويل الإسلامي مثل صيغ البيوع الآجلة ، والمشاركات ، والمضاربات ، والإجازات ، والمرايحات ... الخ . وتقرر عوائدها على أساس مبدأ الغنم بالغرم ، وهذا النوع من الصكوك يستهدف في الغالب مشاريع البنية الأساسية .

ب - الاقتراض من المؤسسات المالية والأفراد في الأوضاع الإستثنائية وبشروط خاصة<sup>(٣)</sup>

عندما تشتد الأوضاع الاقتصادية بسبب الجفاف ، أو الزلازل والبراكين ، أو الحروب فإن تشريعات النظام المالي الإسلامي تجيز تدخل الدولة على نطاق واسع ، حيث يبيح لها النظام الاقتراض من المواطنين بدون فائدة ، أو فرض مبالغ مالية على جميع أغنياء البلد ، وتخصيص ذلك لاستيفاء حاجات الفقراء

(١) لمزيد من الإطلاع حول هذا المورد انظر : - أحمد مجذوب أحمد احمد علي ، السياسات المالية في الاقتصاد الإسلامي الطبعة الثانية ( الخرطوم : هيئة الأعمال الفكرية ، ٢٠٠٣م ) ص ٢٦٩-٢٥٦ .

(٢) للإطلاع على نماذج من الصكوك المصدرة من قبل القطاع العام أو الحكومات انظر: طاهرة علي محمد بني عامر، التصكيك ودوره في تطوير سوق مالية إسلامية، الطبعة الأولى، (عمان: عماد الدين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩/١٤٣٠). - حامد بن حسن بن محمد علي ميرة، صكوك الإحارة: دراسة فقهية تأصيلية وتطبيقية الطبعة الأولى، (الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ٢٠٠٩/١٤٣٠) .

<sup>٣</sup> (٤٢) لمزيد من الإطلاع انظر : أحمد مجذوب أحمد احمد علي ، السياسات المالية في الاقتصاد الإسلامي مرجع سابق ، ص ص

والمساكين ، أو دفع مخاطر عدوان محقق الوقوع على المجتمع الإسلامي ، وفي كلتا الحالتين يجب التأكد من أن الدولة لا تمتلك في خزائنها ما يكفي من المال العام لمواجهة تلك الطوارئ .

#### ج - المصادر الخارجية للتمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل .

##### ١- رؤوس الأموال المتدفقة من البلدان العربية والإسلامية ؟

التعاون والتعاقد المالي والاقتصادي بين البلدان العربية والإسلامية هو واجب من حيث المشروعية والأولية ، وهذا النوع من التمويل الإنمائي ، المتوقع الحصول عليه من الحكومات ، والقطاع الخاص ، والصناديق والمنظمات الاقليمية في البلدان العربية والإسلامية ، هو الذي ينبغي إعداد الخطط للحصول عليه ، وتحديد قنوات تدفقاته ، ورؤوس الأموال المتدفقة قد تكون في صورة هبات ، أو تبرعات أو قروض بدون فوائد ، أو مشروعات مشتركة مع القطاع العام ، أو الخاص .

##### ٢ - الاستثمار الأجنبي المباشر المنتج للطبقات من السلع والخدمات .

وهذا النوع من التمويل يتدفق في اطار الاتفاقيات الثنائية ، أو الاقليمية ، أو الدولية المنظمة للتعاون الدولي بين حكومة البلد العربي أو الإسلامي المعني ، وحكومات البلدان غير الإسلامية .

٣ - القروض والهبات غير المرتبطة بأسعار الفائدة ، وفي الوقت نفسه لا تتعارض مع أهداف المجتمع الإسلامي والمقدمة في نطاق التعاون الاقتصادي الدولي بين الأمم .

##### ٤- رأس المال المشارك المقبوض من الصكوك المالية المخصصة لغير المقيمين .

وهي الصكوك المالية المصدرة وفقا لصيغ التمويل الإسلامي ولأغراض إنمائية معينة ، ولأجل معين ، ويحق للمستثمرين غير المقيمين الاكتتاب فيها ولكن بالعملات الدولية حيث يمكن طرحها للاكتتاب والتداول على المستوى الإقليمي، والدولي، ويتطلب إصدار هذا النوع من الصكوك إمكانية التسييل المأمون ، وهذا بدوره يتطلب سوقا مالية تتسم بالعمق المالي ، وثقة المستثمرين الخارجيين بمتانة الأوضاع الاقتصادية والمالية .

##### ثانيا - مصادر التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل للقطاع الخاص .

##### أ - التمويل الذاتي .

وهذا النوع من التمويل يشمل مدخرات ، الأفراد والمؤسسات ، والشركات ، ومختلف الكيانات المالية والاقتصادية ، ويوظف هذا النوع من التمويل في تأسيس مشروعات منتجة للطيبات من الأعيان والمنافع ( السلع والخدمات ) ، أو التوسع والتحديث في المشروعات القائمة .

#### ب- الأرباح المحتجزة .

وهذا نوع من التمويل الذاتي تستخدمه الشركات التي مضى على تأسيسها مدة زمنية كبيرة نسبيا ، وأصبح لديها مقادير مالية يعتد بها من الأرباح المحتجزة سنويا ، والتي يمكن توظيفها في توسيع أعمالها .

#### ج- رأس المال المشارك المقبوض من اصدار الصكوك المالية القابلة للتداول .

وهذا النوع من رأس المال يطرح على هيئة صكوك تصدرها في العادة الكيانات المالية والاقتصادية المؤهلة في ضوء المتطلبات التي تفرضها القوانين المالية المنظمة للإصدار والتداول ، والتي تكون في الغالب على هيئة شركات مساهمة .

#### د - رأس المال المقدم من القطاع العام لإقامة مشروعات مشتركة مع القطاع الخاص .

يوجب النظام المالي على الدولة ، والأغنياء في المجتمع الإسلامي السعي بكل الوسائل المشروعة لبلوغ التمكين الاقتصادي ، وتحقيق رغد العيش الكريم لكل إنسان في المجتمع ولتحقيق ذلك ، يمكن للدولة أن تشترك مع القطاع الخاص في تأسيس كيانات مالية واقتصادية ، كما يمكنها تقديم قروض سخية وبدون فوائد للقطاع الخاص في ظل سياسة تمويلية صارمة تلتزم وتضمن حصول كل إنسان على كفايته من المال ، وتحظر الاحتكارات المالية ، وتصون أموال الأمة من التبديد والتسرب .

#### هـ - وضع البلد المعني بالنسبة للتكتلات الاقتصادية .

فإذا كان البلد المعني ينتمي إلى تكتل اقتصادي معين فإن هذا الوضع يعمق من تصنيفه الانتمائي ، ويوسع من نطاق تداول الصكوك المصدرة والإقبال عليها ، أما إن كان البلد بعيدا عن التكتلات الاقتصادية فإن الأمر قدرته على الإصدار ترجع إلى مدى توفر العوامل الأخرى السابق ذكرها .

## المبحث الخامس

### المأخذ الأساسية على الصكوك المصدرة والمتداولة في سوق رأس المال

في هذا المبحث سنتناول صورة مقربة لواقع اصدار ، وتداول الصكوك الاسلامية ليتبين للقارئ اوجه الاختلاف والتباين بين الصكوك الإسلامية المحكومة بمبادئ النظام المالي الإسلامي ، والصكوك المصدرة والمتداولة من قبل البلدان والكيانات المالية المصرفية القائمة على نظام المديانات في التمويل والتمويل ، أو تلك القائمة على نظام المشاركات ومبدأ الغنم بالغرم ، وكيف أن الغالب في تلك الصكوك أنها تقترب أو تتماثل بنسب متفاوتة من نظام المديانات في النظام الاقتصادي الرأسمالي ، وسنبين ذلك على النحو التالي :

#### أولاً : النطاق الجغرافي لإصدار الصكوك المالية الإسلامية<sup>(١)</sup>

تصدر الصكوك المالية الإسلامية من المنامة في البحرين ، و جاكرتا في اندونيسيا ، وكولا لمبور في ماليزيا وباكستان والسعودية ، وأبو ظبي ودبي في الإمارات العربية المتحدة ، والخرطوم في جمهورية السودان ، وأصبح لوهنج كونج وكندا منها نصيب ، وكانت الأردن من أوائل البلدان العربية والإسلامية في اصدار الصكوك المالية الإسلامية بسمى سندات المقارضة ، وكان السودان أسبق البلدان في اصدار الصكوك المالية المتنوعة والمخصصة ، وقد أصدرت المصارف الإسلامية في اليمن صكوك سلم بقيمة خمسين مليار ريال يمني عام ٢٠١٢ م لتمويل مشتريات الحكومة ، ومن المؤسسات الاقليمية التي صدر الصكوك بنك التنمية الإسلامي . وقد أصدرت عدد من البلدان الإسلامية القوانين الحاكمة لإصدار وتداول الصكوك المالية الإسلامية منها : الأردن ، والبحرين ، والسودان ، والإمارات العربية المتحدة ، وجمهورية مصر العربية ، وماليزيا ، واندونيسيا ، وتونس ، وهناك الكثير من البلدان التي تدرس بجدية اصدار القوانين المنظمة لإصدار وتداول الصكوك الإسلامية . وهناك عدد من المؤسسات الداعمة لإصدار الصكوك المالية الإسلامية منها البنك للتنمية الإسلامي ، وهيئة المحاسبة والمراجعة الدولية ( انوفا ) وهي مؤسسة متخصصة في وضع المعايير الشرعية والمحاسبية لصيغ التمويل الإسلامي وإصدار الأوراق والصكوك المالية ، وتأهيل العاملين في المؤسسات المالية الإسلامية حيث وقد تأسست في عام ١٩٩٠ م ، ويعد الإنتاج العلمي للجامعات التي تدرس تخصص الاقتصاد

(١) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر :

International Islamic Financial market ,Report sukuk : A comprehensive study of the global sukuk market 5<sup>th</sup> edition From : [WWW.IIFM.net](http://WWW.IIFM.net)

الإسلامي ، وتمنح درجة الدكتوراه والماجستير والبيكالوريوس مثل جامعة أم القرى وجامعة الأزهر ، وكذلك مراكز بحوث الاقتصاد الإسلامي من المؤسسات الداعمة لإصدار الصكوك المالية الإسلامية .  
وأركان إصدار الصكوك المالية الإسلامية هي : القانون المنظم لإصدارها ، وهيئات الرقابة الشرعية ، والجهة العامة أو الخاصة الراغبة في الإصدار والقطاع الاقتصادي أو المالي الذي ستوظف فيه حصيلة الصكوك المصدره ، والسوق الأولية المصدر للصكوك والسوق الثانوية(سوق تداول الصكوك ) ، والهيئة الوطنية أو الدولية للتصنيف الائتماني .

**ثانيا : العوامل المحفزة لإصدار الصكوك المالية الإسلامية .** من العوامل المحفزة والأهداف المرغوبة لإصدار الصكوك المالية الإسلامية من منظور النظام المالي الإسلامي : توظيف المدخرات في أوطانها ، واستعادة رؤوس الأموال المهاجرة ، والتغلب على فجوة التمويل في الكثير من البلدان العربية والإسلامية ، وتمكين الاقتصاد الوطني من إنتاج الطيبات من السلع الاستهلاكية والرأسمالية التي تشتد الحاجة إليها ، والتصدي لأضرار البطالة ، والفقر ، ومظاهر البؤس والحرمان ، وتمكين المدخرين من الحصول على العائد الحلال من توظيف رؤوس أموالهم ، وكذلك تمكين الأفراد والكيانات المالية والاقتصادية من الحصول على الأموال التي تفي باحتياجاتهم ، وترجيح كفة المنافسة الدولية على المدخرات لصالح استقرار وتوظيف رؤوس الأموال العربية والإسلامية في المجتمعات التي اكتسبت منها ، إلا أن الفقرة التالية ستبين لنا واقع اصدار وتداول الصكوك الإسلامية ، من قبل الكيانات المالية الخاصة أو العامة في البلدان العربية والإسلامية .

### ثالثا : المآخذ الأساسية على واقع اصدار وتداول الصكوك المالية الإسلامية

يأتي هذا التناول في سياق ترشيد مسيرة الصيرفة الإسلامية بأبعادها المختلفة ، ومضامينها المتعددة وليس الغاية من ذلك التثبيط والحجر ، ونوجز تلك المآخذ بما يلي :

#### أ - تحديد نسبة العائد سلفا على رأس المال في الصكوك المصدره .<sup>(١)</sup>

هنالك عدد كبير من فئات الصكوك المصدره والمتداولة في الأسواق المالية في أندونيسيا وماليزيا ، والصكوك المصدره من قبل المصارف التجارية والإسلامية في بلدان الخليج ، هي صكوك ذات معدلات عائد معلومة سلفا

(١) انظر على سبيل المثال انظر: دراسة محمد تقى العثماني، الصكوك وتطبيقاتها المعاصرة، بحث مقدم إلى الدورة التاسعة عشرة للجمعية الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد بإمارة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة (١ - ٥ جمادي الولة ١٤٣٠هـ - ٢٦ - نيسان (إبريل) ٢٠٠٩ م) .

للمستثمرين الماليين، وهذه إحدى الاشكاليات الكبرى التي تجعلها متطابقة مع السندات الربوية وتفقدتها أي علاقة لها بالنظام المالي الإسلامي، ولذلك فإن التقارير المعدة من قبل المؤسسات المالية الغربية المتخصصة في شؤون التمويل مثل ( Standard & poors ) تطلق على الصكوك المالية التي تحمل معدلات معلومة العائد للمستثمرين الماليين، السندات الإسلامية ( Islamic bonds )، فالصكوك الاندونيسية المتداولة في البورصة مظهره بالتصنيفات الائتمانية لوكالات استئذ اند بـ وورد و مودي و فـ و فيتش Moody ' Rating & Fitch Rating standard & poor's، ومظهر على الصك مقدار العائد أيضا، وأفصح أحد الحريصين الناقدین عن الوضع القائم في سوق الصكوك قائلا: إن الذين أصدروا هذه الصكوك حاولوا بك بكل ما في وسعهم أن تكون هذه الصكوك منافسة للسندات الربوية الراجعة في السوق، وأن تحمل معظم خصائصها، ليسهل ترويجها في السوق الإسلامية والتقليدية في آن واحد (١).

#### ب - التصكيك لأغراض الحصول على السيولة الرخيصة وليس انتاج الطيبات، واستخراج الثروات .

تتوفر مقادير كبيرة نسبيا من السيولة في المؤسسات المالية المصرفية من ودائع الأفراد والكيانات المالية والاقتصادية، وهذه الظاهرة تضغط على معدلات العائد، وبوجه أخص عوائد المؤسسات المالية الإسلامية المصرفية، وتسعى المصارف التجارية إلى توظيف فائض السيولة في الأسواق المالية المنظمة، وبأي قدر من العائد الصافي، وتحت ضغط المنافسة تتساهل المصارف التجارية في شروط الإقراض، وتخفيض معدلات العائد على قروضها، وقد يستأثر كبار الزبائن غير الجادين في السداد من ذوي النفوذ أو العلاقة، أو البيوت المالية بمقادير كبيرة من إجمالي القروض، وهذه الوضع قد يتعرض المصرف المقرض لمخاطر أزمة السيولة، وتلافيا لذلك تسعى تلك المصارف إلى الحصول على السيولة لأغراض التجوُّط و تجسير الملاءة المالية، وبتكلفة تقل عن متوسط تكلفة القروض من السوق المالية، وهنا يجد المصرف التجاري ضالته في الصكوك الإسلامية للتعويض عن نقص السيولة المتوقعة في المستقبل، وفي مثل هذه الحالة يصدر المصرف صكوكا بعائد محدد مسبقا على

(١) محمد تقي العثماني، الصكوك وتطبيقاتها المعاصرة، مرجع سابق ص ٢ .

المبالغ التي قرر اقتراضها ، وإصدار الصكوك المالية وتداولها على هذا النحو لا صلة له بسوق رأس المال الإسلامي في النظام المالي الإسلامي ؛ لأنه عين الفائدة الربوية .

#### ج - التصكيك وسيلة لتراكم الثروات من مدخرات البسطاء المكتسبة بعرق الجبين .

حشد المدخرات، وجعلها في متناول القادرين على توظيفها هو النشاط المالي الرئيس للمصارف التجارية؛ ولذلك فإن المصارف التجارية وبعض البلدان العربية والإسلامية تستخدم التصكيك كوسيلة من وسائل جذب المدخرات، وتكوين فوائض نقدية، وتحسين درجة التصنيف الائتماني؛ دونما نظر إلى الضوابط الشرعية بل يتم ذلك بآليات نظام المداينات الرأسمالي، والنظام المالي الإسلامي يشجع بل يوجب جمع المدخرات بالطرق المباحة، وتوظيفها بالطرق المباحة أيضا وفقا للأولويات التي يفرضها سلم الحاجات الإنسانية انتاجا واستهلاكاً، وفق منظومة متكاملة من التشريعات العادلة التي تضمن وصول المال إلى كل محتاج إليه، وتوظيفه في إنتاج الطيبات، أما أن يتحول التصكيك إلى وسيلة للاستحواذ على الثروات، دون أي إضافة كميات انتاج الطيبات من السلع والخدمات، فإنه يصبح نوع من الابتزاز المالي لأموال البسطاء المكتسبة بعرق الجبين .

#### ٤ - الاستثمار المريب لتأييد ومناصرة المجتمعات الإسلامية للمؤسسات المالية غير الربوية .

كان تأسيس المصارف الإسلامية بمثابة النبع الذي ظهر من تحت قدم المسلم الذي اشتد عطشه، فأروى عطشه من ذلك النبع، وعمره بما يملكه من الثروات النقدية الفائضة، فنمت ودائع المؤسسات المصرفية الإسلامية نموًا متصاعداً ومتسارعاً لفت أنظار الكثير من المدافعين عن نظام المداينات الرأسمالي، ودخلت صيغ لتمويل الإسلامي القاموس المالي الصادر عن أكسفورد، وأخيراً أصبح الاقتصاد الإسلامي ضمن الدراسات والأبحاث في جامعة أكسفورد نفسها، وتتابع نمو أدبيات المؤسسات الإسلامية المصرفية لدى خبراء شؤون المال، فصدرت التقارير المتخصصة في التمويل الإسلامي عن مؤسسات تصنيف الائتمان العالمية مثل: Standar & poors، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى مستوى حديث وكالات التصنيف العالمية - على سبيل الترويج - عن قيامها بالتصنيف الائتماني للبنك الإسلامي في البلد الفلاني، وشركة التكافل الإسلامي في البلد الآخر، وتواصل تسارع نمو أدبيات التمويل الإسلامي، فألفت عشرات الكتب بلغة النظام المالي والاقتصادي الرأسمالي لبيان حقيقة التمويل الإسلامي، وأمثليته - من منظور مؤلفيها - وتوسع نمو أدبيات التمويل الإسلامي وصيغته التطبيقية لتصبح جزءاً من التقارير والأخبار الاقتصادية

اليومية لوكالة : Reuters ، وأخيرا دخلت أدوات التمويل الإسلامي - الصكوك - الأسواق العالمية المنظمة للمتاجرة بالأسهم والسندات ، وكان ذلك بمثابة المفاجأة والصدمة للأستاذ الجامعي الذي يدس هيكل أسعار الفائدة ، ودور أسعار الفائدة في جذب المدخرات ، وتوظيفها ... الخ وكانت الصدمة أكبر لدى مؤسسي المصارف العاملة بنظام المداينات ، في أثناء وعقب الأزمة المالية العالمية في عام ٢٠٠٨م ، حيث أصبح نظام المداينات الرأسمالي محل شك وارتياب من قبل انصاره ، وتحدث المدافعين عن النظام عن ضرورة البحث عن حلول من داخل النظام ، أو خارجه ، وحينئذ قرر المدافعين عن نظام المداينات الرأسمالي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ضرورة التكيف مع أدبيات وصيغ التمويل الاسلامي ، وكان من ثمار ذلك فتح الفروع الإسلامية من قبل المصارف العاملة بنظام المداينات ، وذلك للمحافظة على نصيبها من المدخرات المحلية ، التي اتجهت بقوة نحو المؤسسات المالية المصرفية الإسلامية ، وكان من نتائج المنافسة بين المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية هو ابعاد الكثير من المصارف الإسلامية عن الأهداف المعلنة في نظم تأسيسها ، الأمر الذي دفع مؤسسات نظام المداينات إلى دعوة المدخرين من الأفراد ومؤسسات المال والأعمال للاكتتاب فيما يسمى بالصكوك الإسلامية التي تحمل معدلات العائد المحدد مسبقا للمدخرين الراغبين في اقتناء السندات الإسلامية .

#### ٥ - ربط عائد الصكوك المتوقع بالمعدلات الاسترشادية لأسعار الفائدة الدولية .<sup>(١)</sup>

في ظل التحرير المالي وتقنية المعلومات والاتصال يستطيع ملاك الثروات أن يطلعوا في دقائق معدودة على معدلات العائد على رأس المال معبرا عنه بأسعار الفائدة في جميع المراكز المالية العالمية ، فلا تنقصهم الخبرة ، أو الخبراء الذين يقارنون

بين معدلات العائد الحقيقي الصافي على مختلف أنواع الاستثمار المالي ، وهذه الفرصة متاحة للأفراد من ذوي الدخل المرتفع - و لكن بصورة أقل - الذين يخططون لتنمية فوائضهم النقدية ، أما صغار المدخرين فالغالب أنهم يتأثروا بالعدايات الاعلامية بمختلف أنواعها ، والفئات الثلاث مستهدفة من الكيانات المالية

(٤٣) كان عنوان البحث المقدم من سليمان ناصر و ربيع بن زيد إلى المؤتمر التاسع للاقتصاد والتمويل الإسلامي والذي عقد في استنبول - الجمهورية التركية في المدة : ١٠ - ١١ ديسمبر ٢٠١٣ م هو : ارتباط تسعير الصكوك الإسلامية بمعدل الفائدة لبيور كعامل مهدد لسلامة الاستثمار فيها "

التي يمنحها القانون الحق في الحصول على المدخرات من كل شرائح المجتمع ، وملاك الثروات أو كبار المدخرين ، هم - في الغالب - من أكثر الناس ذكاء ودهاء في الامام بمختلف طرق توظيف الأموال ذات المدى القصير ، والمتوسط ، وطويل الأجل ، كما انهم على علم بمختلف معدلات العائد القائم على نظام المدائيات ، وهؤلاء لا يتأثرون بالدعاية الإعلامية ، أو المسميات التي تميز الكيانات المالية ، فيقال : تلك مصارف تجارية تقليدية ، وأخرى إسلامية ، وثالثة الاستثمار في صندوق الأسهم ، ورابعة الاستثمار في صندوق المتاجرة بالعملات الدولية ، والطريقة العملية التي تسترعي انتباه ملاك الثروات الكبيرة ، هي عرض عائد تنافسي مؤكد ومأمون مقابل اقتراض مدخراتهم ، أو توظيفها وفقا لصيغ التمويل الإسلامي ، وهذه هي الخلفية النظرية لربط عائد الصكوك الإسلامية بأسعار فائدة الليبور ، وعرضها على كبار المدخرين في المجتمع الإسلامي بعائد يساوي أسعار الفائدة بين البوك الكبرى في سوق لندن المالي الدولي والتي يطلق عليها اختصارا مسمى (LIBOR) اختصارا للمصطلح المالي (London Inter-Bank Offered Rate) . وهناك العديد من المآخذ الناشئة عن ربط عائد الصكوك الإسلامية بمعدلات الفائدة على الاقتراض المعلن عنها يوميا من قبل المصارف القائدة في سوق لندن المالي (أسعار فائدة الليبور) منها عجز التمويل الإسلامي عن ابتكار مؤشرات مستقلة عن نظام المدائيات الرأسمالي ، كما أن ذلك الربط هو نوع من المحاباة لكبار المدخرين من ملاك الثروات في المجتمعات الإسلامية ، ومن الآثار الضارة الناشئة عن ربط عائد الصكوك الإسلامية بمعدلات الليبور، تعريض قيمها الحقيقية للانحياز في أوقات المحن والأزمات المالية ، التي تصيب المراكز المالية العالمية ، وأيضا يؤدي الربط المذكور إلى التضخم المستورد ، وارتفاع تكاليف التمويل المقدم من المؤسسات المالية الإسلامية ، وتزداد تلك التكاليف وطأة على من تشتد حاجتهم للتمويل الإسلامي من أصحاب المشاريع الصغيرة ، وصغار الحرفين ، وطالبي التمويل لأغراض الاستهلاك والاقتناء ، كما أن الربط يجعل الكثير من جمهور المتعاملين لا يفرقون بين الصكوك والسندات التقليدية ولما كانت المشاركات والمضاربات القائمة على مبدأ الغنم بالغرم هو الفارق الأساسي والجوهرى بين المؤسسات المالية الإسلامية والمؤسسات المالية الإسلامية ، والمؤسسات المالية التي تتعامل بنظام المدائيات ؛ ولذا فإن ربط عوائد الصكوك بأسعار فائدة الليبور يقود المؤسسات المالية الإسلامية إلى التركيز على صيغ التمويل قصيرة الأجل ، وتجنب نظام المشاركات والمضاربات وهو النظام الذي استندت عليه في وجودها وتأسيسها كبديل كفاء وعادل لنظام المدائيات ، وتختفي صيغ التمويل الانمائي متوسط وطويل الأجل وهي الوظيفة الكبرى في للمؤسسة

المالي المصرفية في النظام المالي الإسلامي وفي نظام تأسيس الكيان المصرفي الإسلامي ، ويضاف إلى ذلك أيضا الدراسات التي كشفت التلاعب بأسعار فائدة الليبور من قبل المصارف المسئولة تحديد معدلات الليبور اليومية<sup>(٤٤)</sup> وهذا التلاعب هو لصالح المصارف المعلنة عن معدلات الليبور وإجحاف في حق المقترضين

### الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات .

أعدت هذه الدراسة في مقدمة وخمسة مباحث ، وخاتمة اشتملت المقدمة على هدف البحث وأهميته والمصطلحات والتعريفات ذات العلاقة بالتصكيك المؤسسي القائم على صيغ وأساليب التمويل الإسلامي المباح ، وكان موضوع المبحث الأول ، الأطار المرجعي لهذه الدراسة مجسداً بوظائف وأهداف النظام المالي الإسلامي ، وكانت الخصائص الأساسية أو الهيكلية التي ينفرد بها سوق رأس المال الاسلامي المشتقة والمتكاملة مع ذلك الأطار المرجعي هي موضوع المبحث الثاني ، ولما كان للواقع العملي أثره وتأثير على حجم سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي ، فقد أخذ في الحسبان في المبحث الثالث ، وحتى يبتعد عن المبالغة في الأهمية النسبية لسوق رأس المال الإسلامي في توفير التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل ، أبرزت الدراسة في مبحثها الرابع المصادر الأخرى للتمويل الانمائي متوسط وطويل الأجل ، وتم في المبحث الخامس تقييم الصكوك لتي تصدرها الهيئات العامة الحكومية ، والقطاع الخاص في العديد من أسواق المال المنظمة العربية والإسلامية والعالمية في ضوء الأهداف العامة للنظام المالي الإسلامي ، والخصائص التي ينفرد بها سوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي ، وخصصت الخاتمة لاستخلاص أهم النتائج والتوصيات وعلى النحو الآتي :

### أولاً : النتائج

١. أهداف ووظائف النظام المالي الإسلامي هي التي تحكم الأسواق المالية المنظمة وغير المنظمة .
٢. الصكوك المالية المصدرة للتداول وفقاً لصيغ عقود السلم ، والاستصناع والمرابحة ، والمضاربة ، والإجارة ، والمشاركة ... الخ من قبل القطاعين العام والخاص هي المكون الرئيسي لسوق رأس المال في النظام المالي الإسلامي

(٤٤) مزيد من التفاصيل انظر : سليمان ناصر وربيع بن زيد ، إرتباط تسعير الصكوك الإسلامية بمعدل الفائدة لبيور كعامل مهدد لسلامة الاستثمار فيها ، مرجع سابق ص ص ٩ - ١٧ .

٣. الخصائص الأساسية لسوق رأس المال الأولية (سوق الإصدار) في النظام المالي الإسلامي تتجسد في تعدد وتنوع الصكوك المالية القابلة للإصدار، والالتزام بمبدأ الأولويات في إصدار الصكوك المالية وتوظيفها، وقبول المكتتبين في الصكوك لمبدأ المشاركة في الأرباح والخسائر، وانخفاض تكاليف الإصدار، وخضوعها للرقابة الشرعية الشاملة .

٤- أما خصائص السوق الثانوية فأبرزها : خلو الصكوك المتداولة من العوائد المحددة سلفاً ، ومن الارتباط بمؤشرات أسعار الفائدة الدولية ، ومنع المضاربة على فروق الأسعار في السوق الثانوية ، ومنع التعبير اللحضي في أسعار الصكوك المتداولة .

٥ - الحجم الأكبر من الصكوك المصدرة والمتداولة من قبل القطاعين العام والخاص في البلدان العربية والإسلامية تحت مسمى الصكوك الإسلامية يشوبه عدد من المآخذ الشرعية والاقتصادية أبرزها : تحديد نسبة العائد على الصكوك المصدرة ، وغياب التصكيك لإنتاج الطيبات واستخراج الثروات ، وربط عائد الصكوك بمؤشرات عوائد أسعار الفائدة الدولية .

٦ - من أهم العوامل المحددة لحجم الإصدارات من الصكوك المالية الإسلامية القابلة للتداول هي : الأهمية النسبية لحجم القطاع العام ، وحجم الثروات والموارد الطبيعية المتوفرة مقارنة بعدد السكان ، وحجم الإيرادات العامة مقارنة بحجم النفقات العامة ، ونوع نظام الصرف ، وعمق السوق المالية المحلية ومعدلات التضخم التاريخية ، والتصنيف الائتماني والاقتصادي للبلد المعني .

#### ثانياً : التوصيات .

١- ينبغي أن تعمل الجهات المعنية المتخصصة كالبانك الإسلامي للتنمية ، والمجامع الفقهية العالمية ، وهيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية ، وهيئات الرقابة الشرعية على توعية المدخرين بالشروط الواجب توفرها في الصكوك المصدرة في الصكوك القائمة على ضوابط النظام المالي الإسلامي .

٢- ينبغي إعادة النظر في أسواق الأوراق المالية التقليدية في ضوء عدد من الاعتبارات أبرزها : التكاليف الباهضة لهذه الأسواق ، وآثارها السلبية على التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل ، وحجم الأموال المتداولة فيها على أساس يومي وسنوي مقارنة بالتمويل متوسط وطويل الأجل المقدم لقطاع الاقتصاد الحقيقي المولد للدخول ، وفرص العمل ، وكذلك دور الأسواق المالية التقليدية في الاحتكارات المالية ، وتركز الثروة ، وضيق فرص العمل وتزايد معدلات البطالة .

٣ - ينبغي للبلدان العربية والإسلامية ذات العجز المالي أن تولي عناية كبيرة لتقدير دور الصكوك المالية الإسلامية القائمة على صيغ البيوع الآجلة ، وصيغ المشاركات ، والمضاربات ، والتأجير في توفير التمويل الإنمائي متوسط وطويل الأجل .

٤ - ينبغي للباحثين والمتخصصين في قضايا التمويل والاستثمار بذل المزيد من البحث والتمحيص ، والدراسات المقارنة التي تستهدف إرساء دعائم سوق رأس المال الإسلامي وصولاً إلى أسواق مالية تتجنب نظام التمويل القائم على المدائيات ، وترسخ نظام المشاركات وتزيد من معدلات النمو الاقتصادي وتوفير فرص العمل ، وتحقيق التنمية العادلة والمستدامة .

### المصادر والمراجع باللغة العربية :

- أحمد محي الدين أحمد حسن ، سوق الأوراق المالية وآثارها الإنمائية في الاقتصاد الإسلامي الطبعة الأولى ( جدة : مؤسسة دلة البركة / سلسلة طباعة الرسائل الجامعية ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م )
- حامد بن حسن بن محمد علي ميرة، صكوك الإجارة، الطبعة الأولى، (الرياض: دار الميمان للنشر والتوزيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ٢٠٠٩/١٤٣٠) .
- أحمد مجذوب أحمد أحمد علي ، السياسات المالية في الاقتصاد الإسلامي الطبعة الثانية ( الخرطوم : هيئة الأعمال الفكرية ، ٢٠٠٣ م ) .
- جلال جويده القصاص ، دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروع في اقتصاد إسلامي ، الطبعة الأولى ( الاسكندرية : ٢٠١٠ )
- شوقي احمد دنيا ، تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي ، الطبعة الأولى ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ) ،
- ظاهرة علي محمد بني عامر ، التصكيك ودوره في تطوير سوق مالية إسلامية ، الطبعة الأولى، (عمان: عماد الدين للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩/١٤٣٠) .
- عبد الوهاب خلاف ، علم أصول الفقه ، ط (بدون ) ( القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م ) .
- موريس آلية ، الشروط النقدية لاقتصاد السوق ، الطبعة العربية الأولى ، البنك الإسلامي للتنمية : المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
- منذر قحف ، مفهوم التمويل الإسلامي ، الطبعة الأولى ( جدة : البنك الإسلامي للتنمية ١٤١٢هـ )

— هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، (المنامة: هيئة المراجعة والمحاسبة للمؤسسات المالية الإسلامية، ٢٠٠٩/ ١٤٣٠ هـ)

البحوث المشورة في المجالات العلمية والمؤتمرات .

— أحمد يسري مصطفى، تجربة الأوراق المالية الإسلامية وأوضاعها في الأسواق المالية للبلدان الإسلامية وتقدير الحاجة لسوق ثانوية إسلامية، دراسات اقتصادية إسلامية، العدد الأول المجلد الثالث (جدة: المعهد الإسلامي للبحوث في البنك الإسلامي للتنمية، ١٦٤١ هـ)

— سليمان ناصر، بوربيع بن زيد، ارتباط تسعير الصكوك الإسلامية بمعدل الفائدة لبيور كعامل مهدد لسلامة المؤتمر العالمي التاسع لاقتصاد والتمويل الإسلامي المنعقد في اسطنبول ٩- ١١ / ٢٠١٣ م .

- محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام ط (بدون) ( بيروت : المكتبة العصرية : ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ) .

محمد تقى العثماني، الصكوك وتطبيقاتها المعاصرة، بحث مقدم إلى الدورة التاسعة عشرة للمجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد بإمارة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة (١ - ٥ جمادى الثولة ١٤٣٠ هـ / ٢٦ - نيسان (إبريل) ٢٠٠٩ م) .

- معطي الله خير الدين وشرياق رفيق، الصكوك الإسلامية كأداة لتمويل التنمية الاقتصادية الملتقى الدولي حول : مقومات تحقيق التنمية المستدامة ( الجزائر : جامعة قالمه ٣ - ٤ ديسمبر ٢٠١٢ ) .

التقارير :

. البنك الدولي، التقرير السنوي الحادي عشر عن التنمية، الطبعة العربية ( القاهرة : مركز الأهرام

لترجمة والنشر، ١٩٨٨ ) ص٣٦ - ٣٧

المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية .

- Mike buckle and John Thompsan , The UK Financial system second Edition (British: -- Bidd(le)st Ltd, cuildford and kings Lynn, 1995).

OXFORD UNIVERISTY , A Dictionary of finance First edition (British: Biddles ltd 1993)

- Stanley Fischer, Rudiger Dornbusch and Richarr Schmalensee, Economics, Second Edition, (Singapore : 1988).

### Reports

International Islamic financial market ,Report sukuk : A comprehensive study of the global sukuk market 5<sup>th</sup> edition From : [WWW.Ilfm.net](http://WWW.Ilfm.net)



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## أنواع السياق في القرآن الكريم - دراسة تفسيرية موضوعية

د. أمال السيد محمد الأمين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية العلوم والآداب

بخميس مشيط - جامعة الملك خالد - السعودية

D.amal@msn.com

عرض البحث لقضية أنواع السياق في القرآن الكريم، ويسلط الضوء على السياق؛ كونه من أبرز القرائن المعينة على فهم النص وتفسيره تفسيراً صحيحاً يكشف عن المراد منه وتعرض البحث لتعريف السياق، وبيان منزلته ومجالاته، وبين أن كثيراً من المفسرين عُنوا به قديماً وحديثاً، وأنزلوه منزلته بإزاء القرائن الأخرى، وطائفة أخرى قليلة ربما أهملته، أو تجاوزت في توظيفه، فنتج عن هذا خلل في فهم النص، وقد بين ذلك كله بالأمثلة القرآنية وخلص البحث إلى أن للسياق أنواعاً، السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته. وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: سياق القرآن.

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة اثتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنها متكاملة تكاملاً، ينتج عنه معاني متعددة وأغراض متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملاً للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة) وكان لمفسري القرآن فضل السبق في الكشف عن دور السياق مما يظن أنه من نتاج الدراسات اللسانية الحديثة، ومن مبتكرات مدارس تحليل الخطاب.

واشتمل هذا البحث على الخطة التالية

المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحاً، والمراد بالسياق القرآني.

المبحث الثاني: أهمية السياق ومكانته في التفسير ومنزلته من قرائن الترجيح.

المبحث الثالث: أنواع السياق في القرآن.

المبحث الرابع: قواعد وضوابط في السياق.

المبحث الخامس: أدلة اتصال السياق وانقطاعه.

المبحث السادس: كيفية الكشف عن السياق، وطريق الوصول إليه.

## الملخص

## 3

## مقدمة:

الحمد لله الذي نصب للحق دليلاً، والصلاة والسلام على النبي الأمين أعلم الناس بمراد الله، ورضي الله عن صحابة رسوله الكرام الأمناء علي الوحي، ومن تبعهم بإحسان، ويعد. كان تفسير النصوص - وما زال - الشغل الشاغل للعلماء، كلٌّ في مجال اختصاصه؛ لأن فهم المراد من النص الهدف الأولي، والغاية الكبرى؛ لما له من الآثار والثمار، فلا غرو بهذا الاعتبار أن تتجه الأنظار إلى تفسير النصوص منذ وجدت.

صاحب تفسير النصوص تباين في الوسائل والغايات، فمن طائفة حرصت على الكشف عن المراد من النص في ضوء ما أتيت لها من معالم وقرائن معينة على فهمه، وطائفة أخرى أهمتها أغراضها؛ فغدت على النص تفسره كيفما ترى أو يحلو لها، بعيداً عن الضوابط والقرائن، جاهلة بها، أو متجاهلة لها؛ فكانت الجناية على النص.

وحرص أهل الشأن علي الحيلولة دون العبث بالنصوص؛ فعمدوا بعد استقراء وجمع إلى وضع مجموعة من القواعد والمعالم التي تعين على التفسير السليم للنصوص، ولتكون بمثابة الميزان الذي يعرف به التفسير المقبول من غيره.

لقد آتت هذه القواعد ثمارها، وبرزت آثارها، فصار لها حضور مشهور لدى مفسري النصوص، بخاصة مفسرو القرآن الكريم، الذين عنوا بها منذ وقت مبكر؛ تفصيلاً وتأسيساً وتطبيقاً، فجازوا فضل السبق في ذلك كله. وكان السياق من أبرز هذه القواعد والقرائن، وقف المفسرون على دوره المتميز، فأنزله منزله اللائقة به في الجملة، مع شائبة مردها الإفراط والتضييق أحياناً، سنعرض لها ونحن نكشف عن معنى السياق، وعن منزلته ومجالاته وغاياته، في بحث يدور حول أثر السياق القرآني في الكشف عن المعاني، وسيكون هذا كله في نطاق ما يتسع له المقام من بسط وضرب للأمثلة، في محاولة لإبراز ما اندثر، وجمع ما انتثر من مسائل تتصل بالسياق، لعلها تعطي بمجموعها صورة واضحة المعالم، وتعين علي الإفادة منه دون إفراط أو تضييق، وهي خطوة سبقتها من غيري خطوات متناثرات؛ سوغت لي الكتابة في هذا الموضوع.

أمل أن تكون هذه الدراسة خطوة نحو تفسير سليم. والله سبحانه أعلم. السياق: أهميته ومجالاته:

يعتمد فهم النص - أي نص - على مجموعة من العوامل والمعالم، سواء أكانت داخله أم خارجه، وقد تنبه لها العلماء - كلٌّ في مجال اختصاصه - فعرضوا لها تفصيلاً وتأسيساً؛ بغية الوصول إلى تفسير للنص يكشف عن المراد منه.

إن هذه العوامل - على تفاوت بينها في الآثار والثمار - ذات تأثير مباشر على المعنى الدقيق للكلمات "وهذا أمر لم يعارض فيه أحد معارضة جدية"، ويعد السياق من أبرزها، وأكثرها أثراً في تحديد المعنى؛ "لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فيكون الفهم متوقفاً على النظر إلى الكلام في ضوء السياق" [٢، ص ٤٦٤]، سواء أكان هذا

السياق كلامياً أم غير كلامي .

تتسع دائرة السياق بعامة، ويمتد نفوذه فيؤثر في جوانب متعددة في النص، فهو يسهم في تحديد المعنى ودفع اللبس، كما في كلمة "السائل" مثلاً، ففي قولنا: "الدواء السائل أسلم للأطفال. تكون "السائل" اسم فاعل من "سال"، وفي قوله تعالى: ( وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ) [المعارج: ٢٥] تكون "السائل" اسم فاعل من "سال"، وفي قولنا: "سائل العلياء عنا" يكون "سائل" فعل أمر، ويعود الفضل للسياق في ضبط هذه الدلالات للكلمة الواحدة ، ودفع ما قد يتوهم من لبس.

للسياق كذلك أثر في تحديد الزمن النحوي وفي حل بعض مشاكل التنافر، وتوالي الأضداد ، كما يحول السياق دون إنشاء جمل مستقيمة نحويًا ولا معنى لها، كقولنا: تأكل التفاحة الولد ل، ص١٤٨، إلى غير ذلك من المجالات التي نعرض عنها؛ لأنها خارج دائرة هذا البحث[1].

للسياق حضور أيما حضور في مجال تفسير النصوص القانونية، ولهذا تسالم رجال القانون على أنه "يجب أن تفهم الكلمات الواردة في النص القانوني، في ضوء المعنى الذي يعبر عنه سياق النص" لقد عني العلماء بنظرية السياق كثيراً، حتى صارت عندهم الركن الرئيس في تحليل الخطاب، وفهم النص، حين أدركوا أهمية السياق في هذا المجال، ولو متأخراً، وفي هذا يقول براون ويول: "إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة مثلاً) تحليلاً كاملاً بدون مراعاة السياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك إذا كان بروز هذا الاهتمام متأخراً عند غيرنا - كما يفهم من العبارة السابقة - فإن عناية علمائنا بالسياق كانت مصاحبة لنزول القرآن الكريم، وكان له استحضار مؤثر في فهم النص العربي بعامة. يحسن بنا قبل أن نفصل القول فيما نحن بصدده أن نحدد المقصود من السياق الذي سنعرض له؛ "لأن هذه الكلمة استعملت حديثاً في عدة معاني مختلفة دعت الحاجة، فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والقطعة كلها، والكتاب كله.

يمكن في ضوء ما تقدم أن نتفهم دور السياق القرآني في الكشف عن المعاني ونحن نستحضر أن ترتيب الآيات في السور القرآنية توقيفي[2]، وأن المناسبة في الأصل قائمة بين هذه الآيات، وهذا يحمل على الاطمئنان إلى النتائج التي تسفر عنها مراعاة السياق في نظم معجز تكلم به الحكيم الخبير، ولا غرو من ذلك بعد أن ظهرت الآثار الإيجابية لمراعاة السياق في تحليل الخطاب الصادر عن البشر كما قال أولمان: "إن نظرية السياق إذا طبقت بحكمة؛ تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة بهذا الشأن" ١١، ص٦١].

فإذا كان قد ظهر هذا في كلام البشر والذي لا يخلو من نقص وخلل، فإنه في كلام الله تعالى أشهر وأظهر، في ظل تميزه بنظمه المعجز. (الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ) [هود: ١]. إن لكل كلمة في القرآن معنى في ضوء سياقها، قد لا يصح هذا المعنى لسياق آخر؛ لأن مراعاة مساق الكلام ومنحى القول مهم، وإن كان المعنى الآخر صحيحاً؛ لهذا عد صاحب (المنار) السياق أفضل قرينة تكشف عن

حقيقة معنى اللفظ تضيء هذا التوجه نظرة إلى كتب الأشباه والنظائر التي جمعت للكلمة الواحدة في القرآن دلالات متعددة، يعود للسياق الفضل في اكتسابها لهذه المعاني في ضوء الدلالة اللغوية، ذلك أن "دلالة اللفظ في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية" بخاصة أن دلالاته تختلف، كونه مفرداً أو مقروناً إن لكلمة "أمر" في القرآن الكريم ستة عشر معنى وكلمة "الرحمة" أربعة عشر معنى، ولكلمة "فتن" أحد عشر معنى أدت كل كلمة منها المراد الذي يفرضه السياق.

لقد عني المفسرون منذ وقت مبكر بالسياق القرآني؛ لما له من أثر فاعل في الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه، وكان له - السياق - حضور بارز إلى جانب القرائن الأخرى؛ كأسباب النزول، واللغة، والعموم، وربما قدم على بعضها، أو تحكم بها؛ لتوقف المعنى العام عليه؛ "فإنه عند التفاضل بين هذه القواعد؛ لا بد من مراعاة السياق دائماً، فهو المقصود بهذه القواعد، حتى يفهم على وجهه" جعل الشاطبي مراعاة السياق مظهراً من مظاهر الاعتدال في التفسير المفضي إلى الفهم السليم، حين قال: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض."]

إن هذا القانون الذي يجعل السياق محل اعتبار كان سمة صاحبت التفسير منذ بداياته الأولى - ويجهد متميز من شيخ المفسرين الإمام الطبري؛ تأصيلاً وتطبيقاً - وإلى العصر الحديث. على الرغم من أن التفسير في عهد الصحابة الكرام كان ذا طابع تجزيئي يعني بتفسير المفردة القرآنية، إلا أنه لم يكن يغفل سياقها؛ ولهذا جاء تفسيرهم سليماً خالياً من الخلل بعامة، وإن لم يكن قد ورد عنهم صراحة ما يعد توصيفاً للسياق وتأصيلاً له، عدا إشارات قد تدل على ما نحن بصده، منها إنكار عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - علي الخوارج، ونعته لهم بأنهم شرار الخلق، حين عمدوا إلي آيات نزلت في الكفار؛ فجعلوها في المسلمين وهذا لا يكون إلا بتجاهل السياق.

يتضمن تفسير الإمام الطبري إشارات أخرى تدل على استحضر السياق في وقت مبكر؛ فإن كثيراً من اختياراته في التفسير، والتي جاءت في ضوء السياق كان موافقا فيها لابن عباس - رضي الله عنهما [3]، وتزداد هذه المسألة وضوحاً بما روي عن تابعي متقدم روى عن ابن عباس وتلمذ عليه، ذلكم هو مسلم بن يسار البصري، المتوفى سنة ١٠٠ هـ، حين قال وهو ينبه إلى ضرورة الاهتمام بالسياق: "إذا حدثت عن الله؛ فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده" وهذا طاووس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ) يستند إلى السياق في تحديد المراد بالنفس في قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) [٢١]، فيقول: "إنما يراد بهذا الكافر، اقرأ ما بعدها يدل على ذلك"

لقد بقي هذا المنهج محل عناية المفسرين قديماً وحديثاً - على تفاوت بينهم؛ "لأن دلالة السياق متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"، فلم يكن يسع أحداً منهم تجاهلها، وإن حصل شيء من هذا؛ عوتب أصحابه،

وصاروا موضع نقد واستدراك.

هذا الذي أشرنا إليه وجد شيء منه عند أبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) في كتابة (مجاز القرآن)؛ فإنه عني في مواطن متعددة منه بدراسة المفردة القرآنية من الجانب اللغوي، دونما اعتبار لسياقها القرآني، فجاءت دراسته في هذه المواطن إلى البحث اللغوي أقرب منها إلى التفسير المفضي إلى الكشف عن مراد الله، ولهذا تعاقبت عليه الاستدراكات، والتي صاحبها تشنيع أحياناً [4].

لسنا في هذا المقام بصدد تقويم منهج شخص بعينه، وإنما نهدف إلى بيان أن ثمة توجهاً ظهر في وقت مبكر أيضاً لم يُعن كثيراً بالسياق، وربما أهمله، فتسرب الخلل إلى التفسير من هذا الوجه، ولئن نعمد أمثلة لهذا من تفسير التابعين ومن بعدهم، لكنها لم تكن تؤلف ظاهرة.

- يحسن التنبيه - احترازاً - إلى أن تفسير الصحابة - والذي عني بتفسير المفردة القرآنية كما أسلفنا - سلم من هذا الخلل؛ بسبب توافر مجموعة من الصفات كان يفترق إليها من جاء بعدهم، وهي أنهم تتلمذوا على الرسول صلي الله عليه وسلم، وعاشوا الجاهلية، وعاصروا تنزيل القرآن، وكانوا عرباً خالصاً، فكانوا أعرف الناس بمقاصد القرآن وسياقه العام، وكان تفسيرهم على أية حال قليلاً.
- كان هذا بخلاف طائفة ممن جاء بعدهم؛ فإن هؤلاء - إضافة إلى ما تقدم - كانوا يرغبون في تجميع الأقوال، وكانوا حريصين على تكثير المعاني، فأدى هذا إلى عدم الحرص على تجاوز معاني المفردات إلى ما هو أبعد من ذلك، كتتبع السياق.

يُلاحظ شيء مما ذكرنا عند أبي عبيدة وابن قتيبة والأخفش من المتقدمين، ومن المتأخرين نسبياً: البيضاوي والخازن وابن الجوزي، وهي أحكام لا تخلو من تجوّز؛ لأننا لا ندعي أنها صادرة عن تتبع واستقراء، وإنما هي ملحوظات تتابعت من مداومة النظر في كتبهم، وقد يشهد لها ما سيأتي من أمثلة في ثنايا هذا البحث، يرى الحذاق من العلماء أن في هذا المسلك قصوراً؛ لأن بعض أصحابه "راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام (مفردات القرآن)، فقد أثنى الزركشي على منهجه وهو يتحدث عن تفسير بعض آي القرآن الذي لم يرد فيه نقل، حيث قال: "وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها، واستعمالاتها، بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب (المفردات)، فيذكر قيدهم زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتنصه من السياق"

يمكن القول على هدى مما تقدم: إن السياق قرينة متميزة في مجال تحليل الخطاب، والكشف عن المراد، إذا أحسن استعماله، ووضع في نصابه، بأن لا يهمل اكتفاء بتحليل البناء اللغوي؛ لأن هذا وحده لا يرشد إلى دلالة الكلمة، لا مفردة ولا مقرونة بغيرها، لما أسلفنا.

يعد - بإزاء هذا - الخروج بالسياق عن مكانته؛ بأن يقدم على غيره من القرائن مطلقاً، يعد هذا انحرافاً بالسياق عن دوره ووظيفته، وهذا مسلك الذين يرون: "بأن الكلمات لا معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في

النظم، ولا شك أن في هذا التوجه مبالغة تسيء إلى السياق أكثر مما تحسن إليه، والناظر في كتب التفسير يلحظ ملامح الاتجاهات الثلاثة بادية فيها ثمة آيات كثر في القرآن الكريم للسياق أثر في تفسيرها، وتحديد المعنى المراد منها، ويكثر هذا في الآيات التي تتضمن ألفاظاً مشتركة، وحسبنا في هذا المقام مثال يوضح ما نحن بصده؛ لأن أمثلة هذا النوع أكثر من أن يستوعبها بحث كهذا.

إن كلمة البلوغ لفظ مشترك، يطلق في اللغة على المقاربة، وعلى الانتهاء إلى الشيء، وقد ورد هذا اللفظ في آيتين متجاورين، كان للسياق الفضل في اختيار المعنى المناسب لهذه اللفظة في الموضوعين.

جاء في الآية الأولى، قوله تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) [البقرة: ٢٣١]، فالخطاب هنا للأزواج، والمراد ببلوغ الأجل: قرب انتهاء العدة؛ لأن الأجل إذا انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح، فلما خير الزوج دل على أن المعنى ما ذكرنا بالإجماع.

نرى في الآية التالية أن السياق يحتم حمل المعنى على الانقضاء، وهي قوله تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: ٢٣٢]، فالخطاب هنا للأولياء، والمعنى: أن الزوج إذا طلق زوجته، وانقضت عدتها، وأراد أن ينكحها من جديد؛ فليس لولي أمرها أن يمانع، فلو كان معنى بلوغ الأجل هنا المقاربة؛ لراجع الزوج مطلقته دون حاجة إلى ولي أمرها، ورحم الله الشافعي حين قال: "دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين" لقد جعل السياق البلوغ في الآية الأولى بمعنى مشاركة بلوغ الأجل، وجعله في الآية الثانية بمعنى انتهاء الأجل، وكل الذي ذكرنا محل إجماع المفسرين.

## المبحث الأول

## تعريف السياق لغة واصطلاحاً، والمراد بالسياق القرآني

## المطلب الأول: السياق في اللغة:

أصل المادة: سوق، وردت في المعاجم بمعان مترادفة.

قال الأزهري: "السياق المهر... وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت وكذلك تقاودت" (١).

وقال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد معناه: حدو الشيء، ومنه سمي المهر سياقاً، وسوق الدابة، والسويق؛ لأنسيابه في الحلق بلا مضغ" (٢) وقال الراغب: "سوق الإبل: جلبها وطردها، يقال: سقته فانساق" (٣) وقال ابن منظور: "سوق السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياًقاً.. وقد انسقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت" (٤).

وقال في المعجم الوسيط: "سياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه" (٥)

هذه أهم التعريفات اللغوية للسياق، ونلاحظ من هذه المعاني أن الوسيط اللغوي الاستعمالي الذي دارت حوله جل التعاريف والاستعمالات هو: (المتابعة والتقاود والتسلسل والانتظام) وأن كلمة ساق تعني لحوق شيء لشيء آخر، واتصاله به، واقتفاؤه أثره، كما تعني الارتباط والتسلسل والانتظام في سلك واحد.

## المطلب الثاني: مفهوم السياق عند العلماء:

بالنظر إلى أقوال العلماء في تحديد مفهوم السياق نجد أنهم متفاوتون في التعبير عنه، ولنا أن نستعرض شيئاً من أقوالهم في ذلك ليتبين المراد:

قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه" (٦).

وقال السرخسي (٧): "القريئة التي تقترن باللفظ من المتكلم، وتكون فرقاً فيما بين النص والظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام" (٨).

وقال السلجماسي (٩) في تعريف السياق بأنه: "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول" (١٠).

(١) (تهذيب اللغة) ((٢٣٤/٩)).

(٢) (معجم مقاييس اللغة) ((١١٧/٣)).

(٣) (مفردات الفاظ القرآن) ((ص٤٣٦)).

(٤) انظر (لسان العرب) ((١٦٦/١٠))، (القاموس المحيط) ((٦٤٩/٢)).

(٥) (المعجم الوسيط) ((ص٤٩٠)).

(٦) (إحكام الأحكام) ((٢١/٢)).

(٧) محمد بن أحمد بن سهل، قاض من كبار الأحناف، مجتهد، مات سنة ٤٨٣هـ انظر: الأعلام ٣١٥/٥

(٨) (أصول السرخسي) ((١٦٤/١)).

(٩) علي بن عبد الواحد بن محمد أبو الحسن الأنصاري، كان آية باهرة في جميع العلوم وجميع أحواله كلها مرضية مات سنة ١٠٥٧هـ انظر: الموسوعة الميسرة

٤٧١/٢ او معجم المؤلفين ٤٧١/٢

(١٠) (المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع) ((ص١٨)).

وقال البناني (١): "السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه" (٢).  
بالنظر لمجموع ما ذكر العلماء في تعريف السياق يمكن الخروج بنتيجة واضحة أن السياق مؤلف من عدة عناصر:

أولها: وهو محوره وقطب رحاه وعمدته: الغرض والمقصود ومراد المتكلم.

ثانيها: تألف الكلام وتتابعه وجريانه على أسلوب واحد.

ثالثها: الظروف المحيطة بالنص، وأحوال المخاطبين فيه.

واستيعاب السياق لهذه العناصر واشتماله عليها هو الذي يوفق بين المعاني المختلفة ويحدد هذا المصطلح العام.

ويمكن أن نخلص إلى تحديد أدق للسياق بناءً على ذلك كله: بأن السياق هو الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية.

وبهذا الحد يتوافق المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وبه يجتمع اختلاف العلماء والمفسرين في تعريف السياق؛ ولذا فإنه يمكن أن يطلق على عنصر من عناصر السياق بأنه السياق باعتبار أنه جزء منه، وعليه يحمل إطلاق بعض المفسرين للسياق، وغالب إطلاقهم للسياق مقصود به الغرض الذي ورد الكلام لأجله كما تبين من أقوالهم السابقة

وتأبيداً لما خلصت إليه في تحديد السياق أذكر ما قرره بعض الدارسين لمفهوم السياق:

قال صاحب كتاب دلالة السياق: "وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية: الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام... الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام" (٣).

وقال صاحب كتاب منهج الدرس الدلالي عند الشاطبي: "ويمكن نعت بحث الشاطبي لمسألة السياق بأنه مستوعب لمقتضيات الخطاب التي تتطلب النظر في مجموع ما يرتبط به" (٤).

وقال صاحب كتاب البحث اللساني: "السياق يقتضي عناصر مختلفة، أولاً عنصر ذاتي وهو معتقدات المتكلم وأيضاً مقاصد المتكلم، ثم العنصر الثاني أسميه عنصراً موضوعياً وهو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية. ثم العنصر الذي أسميه العنصر الذواتي، وأقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين" (٥).

(١) عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي فقيه أصولي نزيل مصر مات سنة ١١٩٨ هـ (معجم المؤلفين ٨٦/٢)

(٢) (حاشية البناني على جمع الجوامع) (٢٠/١).

(٣) (دلالة السياق لردة الله الطلحي) (ص ٥١).

(٤) (منهج الدرس الدلالي عند الإمام الشاطبي) (ص ١٦٥).

(٥) (البحث اللساني لطفه عبد الرحمن) منشورات كلية الآداب بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٦، ص ٣٠١.

وقال صاحب رسالة دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي: "وبعد هذا البيان فإننا نخلص إلى تعريف للسياق، وهو أنه: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم نفسه، أو السامع" (١).

ويقول صاحب رسالة أثر السياق في النظام النحوي: "وبعد هذا الكم من التعريفات يمكن أن نخلص إلى تعريف يختصرها بقولنا هو: (مجموعة القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به)" (٢).

ويقول صاحب رسالة السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية: "التعريف المختار للسياق القرآني، هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه" (٣).

### المطلب الثالث: مفهوم السياق القرآني

السياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام، إلا أن له مكونات خاصة يتميز بها، لا بد من اعتبارها فيه، وهي:

#### أولاً: ما بنيت عليه الآية من الأغراض.

من أعظم ما تميز به القرآن تضمنه لأغراض متعددة في الآية الواحدة، ولا شك أن هذا من كمال القرآن، فإنه محتمل للوجوه بحسب اختلاف الأغراض التي تضمنتها الآية، وهذا سر تعدد المعاني في الآية واختلافها، ولهذا فلا بد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني. والأغراض التي تتضمنها الآية هي:

١ - أغراض القرآن ومقاصده العظمى.

٢ - غرض السورة.

٣ - غرض المقطع والآيات الواردة في موضوع واحد.

٤ - غرض الآية.

فكل هذه الأغراض لا بد من اعتبارها في تفسير الآية، ولا يظهر كمال معنى الآية إلا بها، وهي متألفة متكاملة مبنية على بناء واحد.

قال ابن القيم في بيان قيمة معرفة الغرض ومراد المتكلم: "والفقه أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا، تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم" (٤).

(١) ((دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى، للشيخ فهد الشتوي)) (٢٧).

(٢) ((أثر السياق في النظام النحوي على كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري)) للدكتور نوح الشهري (ص٧٩).

(٣) ((السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، للدكتور سعيد الشهراني)) (ص٢٢).

(٤) ((الإعلام الموقعين)) (٢٨١/١).

ومما يدل على أن الغرض هو الأصل في السياق ما دلت عليه السنة في اعتباره في الكلام والحكم. ومن الأمثلة على ذلك:

١ - ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر (أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب: ((لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)) فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم) (١)  
فلما كان الغرض هو الأمر بالمبادرة خالف بعضهم أمر النبي ﷺ وصلوا في الطريق، وذلك لنظرهم لمراد النبي ﷺ ولهذا قالوا: لا يريد منا ذلك، ويؤيده أن النبي ﷺ لم يعنف أحداً من الفريقين.

قال شيخ الإسلام: "فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب، فجعلوا صورة الفوات داخلية في العموم، والآخرين كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم، فإن المقصود المبادرة إلى القوم" (٢).

٢ - ما جاء في الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول ﷺ: ((أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً)) قالت: فكأن يتطاوئن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق (٣).  
فمراد النبي ﷺ هنا حثهن على الصدقة، وذلك لأن اعتبار طول اليد لا فائدة منه وليس له غرض في الوصف الذي علق به الحكم.

قال ابن حجر: "قال المهلب: في الحديث دلالة على أن الحكم للمعاني لا للألفاظ: لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة، وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة" (٤).

### ثانياً: النظم القرآني، والأسلوب البياني المعجز.

لاشك أن النظم القرآني، والأسلوب البياني الذي ائتلف منه القرآن يمثل البناء المحكم المتسق الذي تميز به القرآن عن سائر الكلام، وهو خاصية مهمة في السياق القرآني بل هو ركن فيه؛ إذ لا يمكن تفسير القرآن إلا باعتباره.

قال شيخ الإسلام: "أكثر المحققين من علماء العربية والبيان يثبتون المناسبة بين الألفاظ والمعاني" (٥).  
قال الزركشي: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز" (٦).

(١) أخرجه البخاري ٣٢١/١ برقم ٩٠٤ ومسلم ١٣٩١/٣ برقم ١٧٧٠

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٢٠/٢٥٢).

(٣) أخرجه البخاري ٥١٥/٢ برقم ١٣٥٤ ومسلم ١٩٠٧/٤ رقم ٢٤٥٢

(٤) ((فتح الباري)) (٣/٣٣٨).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) (٢٠/٤١٨).

(٦) ((البرهان في علوم القرآن)) (١/٣٦).

وقال أيضاً: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخى بين الموارد، ويعتمد ماسيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك... إلى أن يقول . واعلم أن هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة" (١).

وقال السيوطي في الإتقان: "على المفسر مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له" (٢).

وقال الخطابي (٣): "وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحدق فيها أكثر لأنها لحام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض" (٤).

### ثالثاً: أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية وأحوال المخاطبين بها.

أسباب النزول والأحوال التي نزلت فيها الآية من أعظم ما يدل على تحديد الغرض والمعنى المقصود في الآية، وعليه فلا بد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني.

قال الشاطبي في الضابط المعول عليه في الفهم: "إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان" (٥).

وقال السيوطي في الإتقان: "قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها" (٦).

وقال السعدي: "النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه" (٧).

ومن أعظم ما يدل على الغرض والمعنى المقصود في الآية، معرفة المخاطبين بالآيات، فإن معرفة المخاطب بالآية والمقصود بها يحدد الغرض من الآية ومعناها الصحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "جزء الدلالة معرفة المخاطب" (٨).

وعلى هذا فيكون السياق القرآني مؤثلاً من ثلاثة عناصر أساسية:

### أولاً: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.

ثانياً: النظم والأسلوب القرآني المؤثلاً من مجموع الكلام والتعبير فيه.

(١) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣١١/١).

(٢) ((الإتقان في علوم القرآن)) (١٨٥/١).

(٣) حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي كان ثقة متثبتاً من أوعية العلم مات سنة ٣٨٨هـ. ((طبقات الحفاظ ص ٤٠٤))

(٤) ((عجاز القرآن للمخاطبي)) (ص ٣٦).

(٥) ((الموافقات)) (٢٦٦/٤).

(٦) ((الإتقان)) (٩٣/١).

(٧) ((تيسير الكريم الرحمن)) (٤/١).

(٨) ((مجموع الفتاوى)) (٤٢٨/٢٠).

**ثالثاً: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها فيها.**

وقد جمع شيخ الإسلام هذه العناصر جميعاً فقال: "وتختلف دلالة الكلام تارة بحسب اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال" (١).

وقال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: "أما السياق القرآني، فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته" (٢).

ونخلص من هذا كله إلى أن السياق القرآني هو ((الأغراض التي بنيت عليها الآية، وما انتظم بها من القرائن اللفظية والحالية وأحوال المخاطبين بها)).

والمقصود بالقرائن اللفظية: القرائن النصية وهي ما احتواه النص من التعبير والتركيب والارتباط بين الآيات ونحوها.

والمقصود بالقرائن الحالية: الأسباب والأحوال التي نزلت الآية فيها.

وهذا المعنى الذي تحدد به السياق القرآني، والعناصر التي ائتلف منها، راجعة إلى عموم معنى السياق وعناصره الأساسية كما تبين.

وهنا مسألة مهمة متعلقة بمصطلح السياق وإطلاق المفسرين له، وهو أن بعض المفسرين كثيراً ما يستعمل السياق بعبارات مرادفة يطلقونها في معنى السياق، ومنها: نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام، مقتضى الكلام، فحوى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة، المقام، ونحوها، وهذه المصطلحات كلها معتمدة على النص الذي هو مناط السياق (٣).

(١) ((الفتاوى الكبرى)) (٢٠٨/٣).

(٢) ((دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن)) (ص٨٨).

(٣) انظر: ((التناسب البياني)) (ص١٨٢) ((السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية)) (ص٨٧).

## المبحث الثاني

## أهمية السياق القرآني، ومكانته في التفسير، ومنزلته بين قرائن الترجيح

المطلب الأول: أهمية السياق ومنزلته في التفسير.

السياق القرآني أصل من أصول علم التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في الآية.

وتظهر أهمية السياق في أمور:

أولاً: أن السياق من تفسير القرآن بالقرآن.

السياق مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن بل هو أعلى درجات تفسير القرآن بالقرآن إذا كان صريحاً؛ لأنه تفسير الآية بما تضمنته من الدلائل والقرائن وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها هو السياق، وذلك يؤكد أهميته، واعتباره أصلاً في التفسير.

قال صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين في تحريره لمفهوم مصطلح القرآن بالقرآن: "وبعد طول تأمل في هذا المصطلح ظهر لي - والله أعلم - أنه ينقسم إلى قسمين؛ أحدهما توقيفي: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيأتي بما يزيله ويفسره، إما بعده مباشرة أو في موضع آخر وارد مورد البيان له، ومن أمثلته تفسير الهلوع في قوله تعالى: ( إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعاً "بقوله بعده + إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً" ) [المعارج ١٩ - ٢١].... فهذا القسم ولا شك أنه أبلغ أنواع التفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يتخلف فيه، وهو الذي يصنّف من التفسير بالمأثور" (١).

ثانياً: أنه أصل معتبر ظاهر في تفسير النبي ﷺ والسلف.

من أعظم ما يدل على أهميته أنه وارد في تفسير النبي × والسلف الصالح من بعده. بل قد تجلى ذلك في إنكارهم على من فهم الآية على غير السياق والغرض الذي وردت لأجله.

فمن أمثلة اعتباره في تفسير النبي ﷺ ما يلي:

المثال الأول: في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي × عن قوله تعالى: ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) [المؤمنون ٦٠]، فقالت: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) (٢).

فقد بين النبي ﷺ معنى الآية بسياقها وذلك لاستدلاله بأخر الآية بقوله: +أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" [المؤمنون ٦١] وهو موافق لأخر الآية بزيادة كلمة (الذين).

(١) (قواعد الترجيح عند المفسرين) (٣٢٠/١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٦/٥) رقم (٣١٧٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ٢٥٣٧

المثال الثاني: في تفسير قوله تعالى: عن الحوت في قصة موسى والخضر +فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا [الكهف ٦٠] وقوله تعالى: +وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا [الكهف ٦٣]، فقد بين النبي ﷺ المراد بذلك في الحديث الطويل فقال: ((فكان للحوت سرباً ولموسى ولفضته عجباً)) (١).

وإنما حدد النبي ذلك لأن الآية الأولى سياقها في الحديث عن الحوت، والثانية في أمر موسى وغلغله ونسيانها للحوت.

#### ومن أمثلة اعتبار السياق في تفاسير السلف:

المثال الأول: ما أخرجه ابن جرير عن يسيع الكندي في قوله تعالى: +وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء ١٤١]، قال: (جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: كيف هذه الآية: +وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا؟ فقال علي: ادنّه، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله، يوم القيامة، للكافرين على المؤمنين سبيلاً)) (٢). فقد فسر علي رضي الله عنه الآية بسياقها وهو ما قبلها.

المثال الثاني: قال سعيد ابن جبير في قوله تعالى: +فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي [مريم ٢٤] قال: عيسى، أما تسمع الله يقول +فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ [مريم ٢٩]، وهذا ما رجحه ابن جرير رحمه الله مراعاة للسياق أيضاً (٣).  
المثال الثالث: ما أخرجه ابن جرير عن الإمام مالك لما سأله ابن وهب عن قول الله تعالى +فرجالاً أو ركباناً قال: (راكباً وماشياً، لو كانت إنما عنى بها الناس، لم تأت إلا رجالاً، وانقطعت الآية، إنما هي رجالاً مشاة، وقرأ +يَأْتُونَكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ [الحج ٢٧] قال: يأتون مشاة وركباناً (٤).

فاستدل بالركبان على معنى الرجال بدليل ذكر الضامر معه.

المثال الرابع: ما ذكره شيخ الإسلام عن القاضي أبي يعلى قوله: (وقد اعتبر أحمد القرائن.. فقال في قوله تعالى: +مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ [المجادلة ٧] قال: المراد به علم الله؛ لأن الله افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم) (٥).

وقد أورد ابن القيم في حديثه عن فهم دلالات الألفاظ أمثلة مما فهمه بعض الصحابة من الآيات في غير ما دل عليه لفظ الآية وسياقها، وهو تقرير مهم في هذا الباب أذكره لنفسه، قال: "وقد أنكر النبي × على عمر فهمه إتيان البيت الحرام عام الحديبية من إطلاق قوله: ((إنك ستأتيه وتطوف به)) (٦)، فإنه لا دلالة في هذا اللفظ في تعيين العام الذي يأتونه فيه.

(١) أخرجه البخاري ١٢٤٦/٣ برقم ٢٢٢٠ ومسلم برقم ٢٣٨٠

(٢) انظر: (جامع البيان) (٢٦٤/٥).

(٣) انظر: (جامع البيان) (٣٢٧/٨).

(٤) انظر: (جامع البيان) (٥٩٠/٢).

(٥) انظر: (نقض أساس التقديس) مخطوط (ج ٣/٧) نقلاً عن (قواعد الترجيح عند المفسرين) (٣٠١/١).

(٦) رواه ابن حبان ٢١٦/١١ برقم ٤٨٧٢ والطبراني في المعجم الكبير ٩/٢٠ برقم ١٣ وصححه الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان

وأذكر على عدي بن حاتم فهمه من الخيط الأبيض والخيط الأسود نفس العقالين.  
وأذكر ﷺ على عائشة إذ فهمت من قوله تعالى: «فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا» [الانشقاق ٨] معارضته لقوله ﷺ  
(من نوقش الحساب عذب) (١)، وبين لها أن الحساب اليسير هو العرض، أي حساب العرض لا حساب  
المناقشة.

وأذكر على من فهم من قوله: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»  
[الأنعام ٨٢] أنه ظلم النفس بالمعاصي، وبين أنه الشرك وذكر قول لقمان لابنه «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان  
١٣] مع أن سياق اللفظ عند إعطائه حقه من التأمل يبين ذلك فإن الله سبحانه لم يقل (ولم يظلموا  
أنفسهم) بل قال «وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» ولبس الشيء بالشيء تغطيته به وإحاطته به من جميع جهاته،  
ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه إلا الكفر.

وفهم قدامة بن مظعون من قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا  
اتَّقَوْا وَأَمْنُوا» [المائدة ٩٣] رفع الجناح عن الخمر حتى بين له عمر أنه لا يتناول الخمر. ولو تأمل سياق الآية  
لفهم المراد منها؛ فإنه إنما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيه، وذلك إنما يكون باجتناح ما حرمه  
الله من المطاعم، فالآية لا تتناول المحرم بوجه ما.

وقد فهم من قوله تعالى: «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» [البقرة ١٩٥] انغماس الرجل في العدو حتى بين له أبو  
أيوب الأنصاري أن هذا ليس من الإلقاء بيده إلى التهلكة بل هو من بيع الرجل نفسه ابتغاء مرضات الله، وأن  
الإلقاء بيده إلى التهلكة، هو ترك الجهاد والإقبال على الدنيا وعمارتهأ (٢).

ثالثاً: أن السياق أصل معتبر في التفسير عند العلماء.

يعتبر السياق عند العلماء والمفسرين أساساً في فهم الكلام، وأصلاً يحتكم إليه، وبخاصة في كلام الله تعالى  
الذي بني على أغراض معتبرة، ونظم متحد، وقد تضافرت وتواترت أقوال العلماء في تأكيد ذلك وتقريره.  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هذا القرآن كلام الله عز وجل، فضوعه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه  
أهواءكم» (٣).

قال مسلم بن يسار: «إذا حدثت عن الله حديثاً فقف! حتى تنظر ما قبله وما بعده» (٤).  
وقال عز الدين بن عبد السلام في كلام طويل يدل على أن السياق أصل معتبر عند العلماء: «السياق مرشد  
إلى تبين المجملات، وترجيح الاحتمالات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في

(١) أخرجه البخاري ٥١/١ برقم ١٠٣ ومسلم ٢٢٠٤/٤ برقم ٢٨٧٦

(٢) ((إعلام الموقعين)) (١/٣٥١-٣٥٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في ((الزهدي)) (ص ٤٦)، وذكره السيوطي في ((الدر المنثور)) (٣٣٠/٧).

(٤) ((تفسير القرآن العظيم لابن كثير)) (٦/١).

سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً.. (١) واستطرد في ذكر الأمثلة على ذلك.

وقال الشاطبي مبيناً كون السياق عمدة في فهم كلام الله تعالى: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض" (٢).

وقال شيخ الإسلام: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القران والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما مطلقاً، ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب، وطرد الدليل ونقضه.. وفي سائر أدلة الخلق" (٣).

فانظر كيف كان السياق عند ابن تيمية هو الأصل العظيم في فهم الكتاب والسنة، وفي كل العلوم أيّاً كانت، بل وفي جميع حجج الخلق واستدلالاتهم.

وقال أيضاً: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين" (٤).

وقال ابن القيم: "فائدة: إرشادات السياق: السياق يرشد إلى تبين الجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغلط في مناظرته" (٥). وقال الزركشي: "دلالة السياق أنكراها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكراه، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى" (٦).

ويقول محمد رشيد رضا نقلاً عن شيخه محمد عبده: "وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى" (٧).

وتقول بنت الشاطئ: "إن ضوابط منهجنا الالتزام بصريح النص وحكم السياق، والالتزام بدلالات الألفاظ كما يعطيها الاستقراء الكامل لكل مواضع ورود اللفظ في المصحف والاحتكام إلى توجيه صريح السياق" (٨).

(١) ((الإمام في بيان أدلة الأحكام)) (ص ١٥٩).

(٢) ((الموافقات)) (٣/٨٥٥).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٦/١٨).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (١٥/٩٤).

(٥) ((بدائع الفوائد)) (٤/٩)، ((البرهان في علوم القرآن)) (٢/٣٣٥).

(٦) ((البحر المحيط في أصول الفقه)) (٦/٥٢). ط. وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، تحرير د. عبدالستار أبو غدة.

(٧) ((تفسير المنار)) (١/٢٢).

(٨) ((القرآن والتفسير العصري لبنت الشاطئ)) (ص ٣٠).

رابعاً: أن السياق القرآني هو المعتبر في حل الخلاف والإشكال والتشابه في الآيات، وهو الدال على المناسبات وأسرار التعبير في الآية.

من أعظم ما تظهر به أهمية السياق ومنزلته في التفسير أنه من أعظم القرائن في الترجيح، وحل المشكلات والمتشابه من الآيات هو السياق (١).

قال الزركشي: "وما يعين على معرفة المعنى عند الإشكال.. دلالة السياق: فإنها ترشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد..." (٢).

وقال ابن جزي الكلبي: "من أوجه الترجيح: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله وما بعده" (٣) وهو أيضاً الدال على المناسبات، والكاشف لأسرار التعبير في الآيات إذ أن التعبير في الآية وارد على حسب السياق والغرض فيها.

### المطلب الثاني: منزلة السياق من قرائن الترجيح

لبيان منزلة السياق من بين قرائن الترجيح لابد من اعتبار أمور:

أولاً: الاتفاق على أن السياق القرآني يجري في كلام الله تعالى كما قرر ذلك الزركشي (٤)، وأنه معتبر في كل موضع كما قال شيخ الإسلام: "فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية" (٥).

ثانياً: أن السياق أصل معتبر في بيان المعنى كما قرر ذلك شيخ الإسلام فيما سبق (٦).

فيتقرر من ذلك أن السياق ثابت في كل آية من كتاب الله تعالى، وهو أصل في بيان معناها؛ لأنه لا يتعارض مع أي قرينة من القرائن، ولا يجوز الخروج بالآية عما دل عليه لفظها وسياقها.

ويقرر ذلك صاحب قواعد الترجيح في قاعدة مهمة فيقول: "كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله" (٧).

(١) ومن الأمثلة الموضحة لذلك، في قوله تعالى: + إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (النساء: ٤٨)، وقال في نفس السورة + إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (النساء: ١١٦). وكتبت ذلك أن الأولى في سياق الحديث عن اليهود وهم الذين افتروا على الله ماليس في كتابه، والثانية في سياق الحديث عن المشركين ولا كتاب لهم وضلائهم (أشد). انظر: (معتزك القرآن) (٣٦/١).

(٢) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣٥/٢) ، وهو نص كلام ابن القيم السابق، ولعله نقله منه.

(٣) ((التسهيل لعلوم التنزيل)) (٩/١).

(٤) انظر: ((البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي)) (٥٢/٦).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) (١٤/٦).

(٦) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٨/٦).

(٧) ((قواعد التفسير عند المفسرين)) (٣٤٩/٢).

وعليه فيكون السياق أصلاً مطرداً متفقاً مع جميع القرائن والأدلة في الآية، وقد تقرر هذا لدي واطرد في جميع تفسير سورة البقرة من خلال السياق وكفا بها شاهداً، ولم يمر عليّ مثال واحد في ترجيح معنى مخالف للسياق، وإنما يكون السياق مطرداً معضوداً بالقرائن الأخرى.

ويتقرر من هذا بأن السياق يأتي في المرتبة الأولى من حيث الاعتبار في معنى الآية، ويكون القول الذي يتوافق مع سياق الآية هو القول الصحيح المعتمد.

وقد قرر ذلك الزركشي بقوله: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"<sup>(١)</sup>.

ويقرر ذلك صاحب قواعد الترجيح فيقول: "القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه"<sup>(٢)</sup>. ولكن هنا مسألة مهمة يجب اعتبارها وهي أن معرفة السياق مبنية على الاجتهاد وغلبة الظن، وعليه فيكون تحديد السياق أمراً ظنياً لا قطعياً، ولهذا تجد الاختلاف في تحديد السياق في الآية الواحدة<sup>(٣)</sup>. ومن هذا الباب اعتبرت دلالة السياق قرينة ظنية يمكن ترجيح غيرها عليها حال التعارض، أما حال ثبوت السياق فهو العمدة في التفسير.

مسألة مهمة: تنازع دلالة السياق مع غيرها للآية.

ذكر بعض الباحثين مسألة متعلقة بهذا المطلب وهي تنازع دلالة السياق مع دلالة أخرى للآية<sup>(٤)</sup>. وذكر من ذلك:

أولاً: تعارض دلالة السياق مع الحديث أو مع تفاسير جمهور السلف.

ومثلاً لذلك بقوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ» [الأحقاف ١٠]، وحكى ما ذكره ابن جرير من الخلاف في الآية، وأن فيها قولين:

القول الأول: أنه موسى بن عمران عليه السلام، على مثله، يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتصديق التوراة.

القول الثاني: أنه عنى به عبد الله بن سلام، قالوا: ومعنى الكلام وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتصديق. قالوا: ومثل القرآن التوراة، وهو الوارد عن جمهور السلف.

وقد رجح الطبري القول الأول لدلالة السياق ثم رجع إلى القول الثاني لكونه قول أكثر أهل التأويل من السلف. فقال: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل:

(١) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣١٧/١).

(٢) ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٢٩٩/٢).

(٣) انظر: ((اثر السياق في النظام النحوي)) (ص ٩٣).

(٤) ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٦٦/١).

لأن الآية في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبية × .... غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله × بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام، وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل" (١).

وبالتأمل نرى أنه لا تعارض بين القولين؛ لأن القول الثاني داخل في القول الأول؛ إذ هو استشهاد بالآية عليه، ولكن القول الأول هو الأصل في الآية ولا يمكن إغفاله لوجوه:  
أولاً: أنه سياق السورة كلها والآية في خطاب المشركين، كما ذكر ابن جرير.

قال ابن جرير في تأويل الآية السابقة لهذه الآية: "الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عز وجل خطاباً للمشركين وخبراً عنهم، وتوبيخاً لهم، واحتجاجاً من الله تعالى ذكره لنبية × عليهم" (٢). فإذا كانت السورة كلها في المشركين، فما الذي يجعلنا نخص هذه الآية ونخرجها عن سياقها.

ثانياً: أن الآية نازلة في مكة، وعبد الله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة، فيكون تضمن الآية له على وجه العموم. ويؤكد ذلك ما أخرجه ابن جرير عن مسروق قال: (والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أنزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه) (٣).

وعلى هذا فلا يكون تفسير السلف مخالفاً للسياق، ولعل ما ورد عن السلف في تفسير الآية من باب دخوله في جنس الشاهد أو أن النبي ﷺ استشهد بالآية عليه، وذكرها فيه، وهذا كثير في تفاسير السلف.  
قال شيخ الإسلام: "وقوله تعالى: +وَشَهِدَ شَاهِدٌ" ليس المقصود شاهداً واحداً معيناً، وقول من قال: إنه عبد الله بن سلام ليس بشيء، فإن هذه نزلت بمكة قبل أن يعرف ابن سلام، ولكن المقصود جنس الشاهد" (٤).  
قال ابن كثير: "وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام" (٥).

ثانياً: تنازع دلالة السياق مع العموم. قال صاحب قواعد الترجيح: "وقواعد العموم مقدمة على قواعد السياق وغيرها، فقواعد العموم أقوى من قواعد السياق" (٦).

ومع تقريره لهذه القاعدة إلا أنه قد بين تخصيص السياق للعموم في قاعدة أخرى فقال: قاعدة (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)، ثم يبين المخصص بأنه السياق أو الدليل بقوله: (إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً، أو يقوم الدليل على ذلك) (٧).

(١) (جامع البيان) ((٢٨١/١١)).

(٢) (جامع البيان) ((٢٣٧/١١)).

(٣) انظر: (جامع البيان) ((٢٧٨/١١)).

(٤) ((النبوات)) ((١٣٧/١)).

(٥) ((تفسير القرآن العظيم)) ((٢٧٨/٧)).

(٦) ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) ((٦٦/١)).

(٧) ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) ((٥٢٨/٢)).

وعليه فإن القاعدة التي قررها محل نظر، وذلك لأن الأصل اعتبار السياق والغرض الذي نزلت فيه الآية، والقول بالعموم إخراج للفظ عما اقتضاه الغرض المقصود، إلا أن يكون العموم متفقاً من جميع الوجوه مع المعنى الذي نزل فيه النص.

أما حين يختلف العموم مع الغرض المقصود في بعض الأحكام الواردة في الآية فليس لائقاً أن تغفل المعنى الخاص ونرجح المعنى العام؛ لأن ترجيح المعنى العام يرد عليه إشكالات في معنى الآية بعمومها، ويخرجها عن الغرض المقصود بها.

قال صاحب بحث السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني: "المقصود من الخطاب حصول الفهم، ولا يتيسر هذا إلا بمراعاة السياق، ولهذا قدم بعض العلماء السياق على قرائن متمكنة.. يتأكد هذا إذا أدى الحمل على العموم إلى إشكالات في الفهم وقصور في الدلالة على الحكم" (١).

والذي يؤكد اعتبار تقديم السياق على العموم، ما أخرجه البخاري في تفسير قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» [الأنعام ٨٢] قال ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: ((إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان ١٣])) (٢)

فالنبي × بين لأصحابه أن الآية ليست على عمومها بل هي مخصوصة بالشرك، وهذا موافق للتخصيص بالسياق؛ لأن السياق ظاهر في الشرك إذ الآية واردة في سياق محاجة إبراهيم لقومه. في عبادة غير الله تعالى، ومجادلتهم في إبطال شركهم بالحجة العقلية (٣).

ونخلص من هذا إلى أن تقديم السياق هو الأولى، وأن العموم في الآية يؤخذ من الآية بعد ذلك. قال صاحب رسالة أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص: "هل يعد السياق عند العلماء مخصصاً للعام أم لا"؟

قلما تعرض العلماء لهذه المسألة، ولكن ورد عن الشافعي في الرسالة ما يقتضي التخصيص بالسياق، فإنه بوب على ذلك فقال: (باب الذي يبين سياقه معناه) وأورد فيه قوله تعالى: «وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» فإن السياق أرشد إلى أن المراد أهلها، وهو قوله تعالى: «إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ» [الأعراف ١٦٣] وما ذهب إليه قوي؛ لأن السياق نوع من القرائن، ولا ريب في أن الناس في مخاطباتهم يتكون العام لأجل القرينة الدالة على إرادة الخصوص، والشرع يخاطب الناس بحسب تعارفهم (٤).

(١) انظر: مجلة جامعة الملك سعود. مجلد ١٥ ص ٨٦٧ بحث ((السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني)).

(٢) أخرجه البخاري ٢١/١ برقم ٣٢ ومسلم ١١٤/١ برقم ١٢٤

(٣) انظر: (أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص) (ص ٤١٧).

(٤) (أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص) (ص ٤١٨).

## المبحث الثالث

## أنواع السياق في القرآن

السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته. وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: سياق القرآن.

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنها متكاملة تكاملاً، ينتج عنه معاني متعددة وأغراض متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملاً للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة) (١).

وقد حقق هذا التنوع في سياق القرآن صاحب كتاب (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم) فقال: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى" (٢).

وسنقف مع كل نوع لتحديد المراد منه بإجمال في المطالب التالية:

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٥٥/١١) رقم (٢٠٤٧٣)، وانظر: (البرهان في علوم القرآن) (١٩٣/١).

(٢) (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم) (ص ٨٨).

### المطلب الأول: سياق القرآن

المراد بهذا النوع من السياق القرآني، مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن. وعلى هذا فيمكن تقسيم هذا النوع إلى وجوه:

الوجه الأول: مقاصد القرآن العظمى.

القرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية، وهذه الأغراض والمقاصد معتبرة في تفسير كلام الله تعالى كله، بل يجب الاعتماد عليها في كل سورة وآية منه حسب ما يقتضي المقام فيها.

ومقاصد القرآن ظاهرة فيه، وقد حررها العلماء:

قال السيوطي في الإتقان: "وقال الغزالي في خواص القرآن مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة، وثلاثة تنمة، الأولى: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدورها، وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى، وهو الآخرة، كما أشير إليه بقوله تعالى: +مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة ٤]. والأخرى: تعريف أحوال المطيعين، كما أشار إليه بقوله تعالى: +الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [الفاتحة ٧]، وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه بقوله تعالى: +إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة ٥]" (١).

وقد أجمل ابن عاشور مقاصد القرآن كلها في ثمانية مقاصد: الأول: إصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: بيان التشريع، الرابع: سياسة الأمة وصلاحتها وحفظ نظامها، الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، السادس: التعليم بما يناسب حاله عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول (٢).

ودليل اعتبار مقاصد القرآن كله ما جاء في السنة من اعتبار سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، واعتبار سورة البقرة سنام القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وهذا إنما يكون بالنظر لمعاني هذه السور بالنسبة لمعاني القرآن كله.

قال ابن عاشور في بيان ماتضمنته سورة الفاتحة: "القصود من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين وذلك يحصل بالأوامر والنواهي ولما توقفت الأوامر والنواهي على معرفة الأمر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات ولما توقفت تمام الامتثال على الرجاء في الثواب والخوف من العقاب لزم تحقق الوعد والوعيد. والفاتحة مشتملة على هاته الأنواع" (٣).

(١) (الإتقان) (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: (التحرير والتنوير) (١/ ٨).

(٣) (التحرير والتنوير) (١/ ٧٥).

وقال الألوسي في بيان ما جمعته سورة البقرة: "والسورة الكريمة لكونها سنام القرآن ذكر فيها كليات الأحكام الدينية من الصيام والحج والصلاة والجهاد على نمط عجيب" (١).

الوجه الثاني: المعاني الكلية.

والمقصود بالمعاني الكلية هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرد أو يغلب معناها في جميع القرآن، فيستعملها القرآن بمعنى واحد غالباً، وهذا ما يسمى بكليات القرآن.

قال شيخ الإسلام: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله تعالى ورسوله بقول فيه نزاع" (٢).

ومن أمثلة ذلك معنى النكاح فإن المراد به في القرآن العقد.

قال الزمخشري في بيان المراد بالنكاح في قوله تعالى: «الزَّانِي لَأَ يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» [النور ٣]: "قيل المراد بالنكاح الوطاء، وليس بقول، لأمرين؛ أحدهما: أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد..." (٣).

فنجد أن الزمخشري قد بين معنى النكاح معتمداً على سياق القرآن في لفظ استعمال النكاح.

ومن الأمثلة ما ذكره الشنقيطي في معنى الغلبة قال: "والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة بالسيف والسنان" (٤).

الوجه الثالث: الأساليب المطردة:

والمقصود بالأساليب المطردة هو ما يستعمله القرآن من الأساليب، ويطرد في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: «وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [البقرة ٢١٢] فقال: "وقوله: «وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ» أريد من الذين اتقوا المؤمنون الذين سخر منهم الذين كفروا؛ لأن أولئك المؤمنين كانوا متقين.. ولكنه لم يكن بالاسم الذي سبق أعني «الَّذِينَ آمَنُوا» لقصد التنبيه على مزية التقوى، وكونها سبباً عظيماً في هذه الفوقية، على عادة القرآن في انتهاز فرص الهدى والإرشاد ليفيد فضل المؤمنين على الذين كفروا، وينبه المؤمنين على وجوب التقوى لتكون سبب تفوقهم على الذين كفروا يوم

(١) (روح المعاني) (١٦٢/٢).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٣٥/٧).

(٣) (الكشاف) (٢٠٧/٣).

(٤) (أضواء البيان) (٣٧٦/٣).

القيامه، وأما المؤمنون غير المتقين فليس من غرض القرآن أن يعبأ بذكر حالهم ليكونوا دوماً بين شدة الخوف وقليل الرجاء، وهذه عادة القرآن في مثل هذا المقام<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً في قصة ذي القرنين: " ولم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه؛ لأن ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص وليس من أغراض القرآن، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حكيمياً أو خلقيةً فلذلك قال الله: +قُلْ سَأْتُلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا" [الكهف ٨٣]<sup>(٢)</sup>.

وقال الشنقيطي: " كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: +أَيُّ اللَّهِ شَكٌّ" [إبراهيم ١٠]، وقوله تعالى: +قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آبْغِي رِبًا" [الأنعام ١٦٤]<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: سياق السورة

من أعظم دلائل الإعجاز في هذا القرآن العظيم، أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها غرض واحد يسمى بوحدة السورة أو سياقها. ووحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها، ولو تدبر القارئ وتفحص وتبصر في سورة واحدة لرأى قرآناً عجيباً ذلك بما سيتجلى له من ترابط السورة وقوة بنائها وانتظامها في خيط واحد، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام رب العالمين الذي أتقن كل شيء<sup>(٤)</sup>. قال البقاعي: " إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن، مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقت لها السورة"<sup>(٥)</sup>.

وحين نرى العناية بهذا العلم العظيم نرى أن كثيراً من المفسرين أغفلوه ولم يلقوا له بالأ مع أنه من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى.

وممن عنى بهذا المجال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم اللذان أبعدا في تفسير كتاب الله تعالى واستخراج دقائقه.

(١) ((التحرير والتنوير)) (٢/٢٤٠).

(٢) ((التحرير والتنوير)) (٨/٤٢١).

(٣) ((أضواء البيان)) (٣/٣٧٦).

(٤) قد يرد تساؤل في هذا وهو: إذا كان هذا العلم صحيحاً فلم لم يصرح به القرآن أو يبيئه النبي ﷺ لكي تكون على علم بكتاب الله تعالى؟ أقول - والله أعلم - إن ذلك لحكم عظيمة ترجع إلى أمر الله تعالى بالتدبر في آيات القرآن كما قال تعالى +كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته" (ص ٢٩) فيبقى هذا القرآن مدخراً لكنوز من المعاني تستخرجها الأمة على مر العصور فيبقى متجدداً. ويؤكد ذلك ما نراه من إظهار متجدد لإعجاز القرآن وما ادخره من المعاني والأحكام.

(٥) ((نظم الدرر)) (١٧/١).

فنرى مثلاً شيخ الإسلام يبرز وحدة سورة البقرة ويحدد سياقها وغرضها العام فيقول: "وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين" (١).

ويبين سياق سورة الأحزاب وغرضها العام، فيرى أنها تتحدث عن النبي ﷺ في نصرة الله له وهزيمة الأحزاب الذين تحزبوا عليه، وذكر خصائصه وحقوقه؛ ولهذا افتتحت بنداؤه بقوله تعالى: "يا أيها النبي"، وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده وأعز فيها جنده المؤمنين وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم وذكر فيها خصائص رسول الله وحقوقه وحرمة وحرمة أهل بيته لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال" (٢).

ونرى أيضاً ابن القيم الذي كان بارعاً في استخراج دقائق القرآن وأسراره، يبين سياق سورة التحريم وأنها في بيان مقام النبي ﷺ وأزواجه وتحذيرهن من التظاهر عليه ولهذا افتتحت بنداؤها بقوله تعالى: "يا أيها النبي"، قال: "في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالها بهما" (٣).

ومن أشهر من تناول هذا العلم من السياق وبرع فيه صاحب كتاب (النبا العظيم) فمحمد دراز، وصاحب الظلال سيد قطب، قد حملا رأيته، وأبدعا فيه.

أما محمد دراز فقد أبدع في دراسته لسورة البقرة واستكشف غرضها. ويقول في مقدمته: "لو عمدنا إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى، وما أكثرها! وتتبعناها مرحلة مرحلة، وتدبرناها كيف بدئنا، وكيف ختمت، وكيف تقابلت أو ضاعها وتعادلت، وكيف تلاقت أركانها وتعاقت.. لو تدبرنا ذلك لوجدنا انتلافاً وتناسباً بين المعاني والمباني، ولبدت لنا السورة، وكأنها نزلت في نجم واحد" (٤).

وقال أيضاً: "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشواً، وأزواجا من المباني جمعت عضواً، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بناء واحد قد وضع رسمه مرة واحدة.. ولماذا نقول إن هذه المعاني تتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان.. ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية" (٥).

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٤١/١٤).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٤٣٣/٢٨).

(٣) ((الأمثال في القرآن)) (ص ٥٧).

(٤) ((النبا العظيم)) (١/١٤٤).

(٥) ((النبا العظيم)) (ص ١٥٤-١٥٥).

أما سيد قطب فقد سلك هذا المسلك في تفسيره الظلال، وجعل من منهجه أن يقدم بين يدي كل سورة بوحدتها الموضوعية وسياقها العام. ولعلنا نعرض لمثال واحد من ذلك، يقول في أول كلامه عن سورة البقرة: "يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سورته شخصية متميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص.. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور كهذه السورة"<sup>(١)</sup>.

ويدخل في سياق السورة الاستدلال بما غلب وروده في السورة كلها. ومن أمثلة ذلك: ما ذكره ابن جرير في ترجيح ماورد من القراءات في قوله تعالى: +سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ+ الصافات ١٣٠، ووردت قراءة بلفظ +آل ياسين+ (٢) فرجح الأولى بدلالة سياق السورة فقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا: قراءة من قرأ +سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ+ بكسر ألفها، على مثال إدراسين؛ لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عند كل موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه - صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاماً لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إيلياس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله"<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثالث

#### سياق النص

سياق النص يأتي كجزء ووحدة من جملة السورة، يكون موضوعه واحداً وغرضه واحداً لكنه يتناسق ويتناسب مع وحدة السورة العام. ويظهر النص غالباً في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات. كقصة آدم، وآيات بني إسرائيل، وآيات القبلة، وآيات الحج في سورة البقرة. ولو تدبرت كل سورة لوجدتها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع يتضمن غرضاً مستقلاً. وقد تجلى ذلك في دراستي لسورة البقرة.

فمن أمثلة ذلك آيات النفقة والربا والمداينات في سورة البقرة كل موضوع جاء لغرض، وقد اجتمعت كلها في غرض واحد وسياق واحد هو حفظ الأموال وبناء النظام الاقتصادي للأمة.

قال ابن عاشور: "نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات، فابتدأ بأعظم تلك الأصول، وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها.."<sup>(٤)</sup>.

وقال صاحب الظلال: "منذ الآن إلى قرب نهاية السورة يتعرض السياق لإقامة قواعد النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي يريد أن يقوم عليها المجتمع المسلم، وأن تنظم بها حياة الجماعة المسلمة"<sup>(٥)</sup>.

(١) ((في ظلال القرآن)) (٢٧/١).

(٢) انظر: ((التيسير)) (ص١٨٧)، ((السبعة)) (٥٩٤).

(٣) ((جامع البيان)) (٥٢٣/١٠).

(٤) ((التحرير والتنوير)) (٧٨/٣) باختصار.

(٥) ((في ظلال القرآن)) (٣٠٤/١).

ومن أمثلة ذلك أيضاً الأيتان في ختام سورة البقرة التي تمثل خواتيم سورة البقرة، وقد جاءت كالتيجة لما ورد في السورة من الأحكام والتشريع، والدليل على تحقق الغرض التي سيقى السورة لأجله.

قال الزجاج: "ما ذكر الله عز وجل فرض الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وأقاصيص الأنبياء والدين والربا ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه × والمؤمنين بجميع ذلك فقال +أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ" (١) [البقرة ٢٨٥].

#### المطلب الرابع: سياق الآية

كل آية في كتاب الله تعالى تحمل غرضاً مستقلاً، وإلا فما سر هذه الفواصل بين الآيات، وقد تجلى ذلك في دراستي لسورة البقرة، فرأيت أن كل آية لها غرض قد تشترك فيه مع سابقتها أو لا حققتها لكنها تختص بجانب منه.

وقد تناول المفسرون هذا النوع كثيراً في بيانهم لتفسير كلام الله والترجيح بين المعاني فيه، ومن على الأمثلة في ذلك:

ما ذكره بعض المفسرين في المراد بالإحصان في قوله تعالى: +فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَنْتِنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ" [النساء ٢٥].

فقد رجح ابن كثير والشنقيطي أن المراد بالإحصان في الآية التزويج لدلالة السياق.

قال ابن كثير: "والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول الله تعالى +وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ" [النساء ٢٥] والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله تعالى: +فَإِذَا أَحْصِنَّ" أي تزوجن كما فسره ابن عباس ومن تبعه" (٢).

وقال الشنقيطي: "قوله تعالى: +فَإِذَا أَحْصِنَّ" أي: فإذا تزوجن، وقول من قال من العلماء: إن المراد بالإحصان في قوله تعالى: +فَإِذَا أَحْصِنَّ" الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال +وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً" الآية" (٣).

ومن الأمثلة في تعيين غرض الآية:

١ - قوله تعالى: +مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" [البقرة ٢٦١]

غرض هذه الآية هو بيان شرف النفقة ومضاعفة أجرها، تحريضاً على الإنفاق في سبيل الله تعالى.

(١) (معاني القرآن وإعرابه) (٣٦٨/١).

(٢) (تفسير ابن كثير) (٦٣١/١).

(٣) (إيضاء البيان) (٢٨٠/١).

قال ابن عطية: "هذه الآية لفظها بيان مثل بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك" (١).

٢ - قوله تعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة ٢٦٢]

غرض الآية هو بيان صفة النفقة المضاعفة، والتحذير من مبطلاتها.

قال ابن القيم: "هذا بيان للقرض الحسن ما هو؟ وأن يكون في سبيله أي في مرضاته، والطريق الموصلة إليه، ومن أنفعها الجهاد، وأن لا يتبع صدقته بمن ولا أذى" (٢).

هذه هي أنواع السياق القرآني، وهي بمجموعها تنبئك عن عظمة القرآن في ترابطه وبنائه وإحكامه، وتطلعك على منهج عظيم لدراسة القرآن العظيم وتفسيره، وقد سلك هذا المنهج - بحمد الله وتوفيقه - في دراستي لسورة البقرة كلها. فله الحمد أولاً وآخراً.

(١) ((المحرر الوجيز)) (٣٥٥/١).

(٢) ((طريق الهجرتين)) (٥٤١).

## المبحث الرابع

## قواعد وضوابط في السياق

لما كان السياق أصلاً عظيماً في تفسير كلام الله تعالى وبيان معناه، فقد توجه بعض الدارسين لاستخلاص القواعد والضوابط المتعلقة بالسياق من كلام المفسرين والعلماء المحققين ليكون منهجاً ثابتاً يجب مراعاته في تفسير كلام الله تعالى، ومن الكتب التي اعتنت بجمع قواعد التفسير، ومن ضمنها قواعد السياق ما يلي:

١ - (قواعد التفسير) للدكتور خالد السبت. وقد عنى بجمع كل ما يمكن إلحاقه بالتفسير من القواعد.  
٢ - (قواعد الترجيح عند المفسرين) للدكتور حسين الحربي. وقد عنى بكل ما يتعلق بالترجيح في التفسير من القواعد.

٣ - (دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير) للشيخ عبد الحكيم القاسم. وقد عنى باستخلاص قواعد التفسير المتعلقة بالسياق من خلال تفسير ابن جرير.

وسأعرض في هذا المبحث - بإذن الله - لأهم ما يتعلق بالسياق من القواعد مما ذكره أصحاب الكتب السابقة أو مما استخلصته خلال دراستي لسورة البقرة:

وسأقسم القواعد إلى أقسام:

القسم الأول: القواعد والضوابط العامة في السياق:

أولاً: أن السياق القرآني أصل معتبر في تفسير كلام الله تعالى.

هذه القاعدة هي أساس قواعد السياق، فأول ما يجب اعتباره في السياق أمران:

١ - أنه ثابت جارٍ في كلام الله تعالى؛ إذ لا يخلو كلام من سياق يدل على مراد المتكلم. وهذا أمر متفق عليه. قال الزركشي: "دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى" (١).

٢ - أنه من أعظم وأول ما يجب اعتباره في التفسير كما تقرر في مبحث منزلة السياق بين قرائن الترجيح. وقد قرر ذلك العلماء.

قال الزركشي: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز" (٢).

وقال أيضاً: "وهذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم، وأن يواخى بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك.... إلى أن يقول -

(١) ((البحر المحيط في أصول الفقه)) (٥٢/٦). ط وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، تحرير د. عبدالستار أبو غدة.

(٢) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣٦/١).

واعلم أن هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير، المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة<sup>(١)</sup>.

وقال السيوطي في الإتقان: "على المفسر مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له"<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن السياق يرشد إلى المسلك الصحيح الذي يوصل إلى فهم مراد الله تعالى في كلامه.

وهذه القاعدة من أهم القواعد المتعلقة بالسياق، وهي تبين منزلة السياق في الوصول للمعنى الصحيح الذي هو مراد الله تعالى في كلامه، وذلك لأن السياق هو الذي يجعل الكلام متناسقاً منتظماً، وهذا هو المتوافق مع كتاب الله المحكم المعجز الذي انتظمت سوره وآياته وجمله. وتفسير كلام الله على وجه يراعي انتظامه أعظم مسلك في تفسيره، وأدعى إلى الوصول لمراد الله فيه، وبضد ذلك فإن الإعراض عن السياق يجعل الكلام متنافراً منقطعة أجزاءه مما يجعل كلام الله متنافراً، وهو الذي يوقع في الخطأ في التفسير.

قال ابن القيم رحمه الله: "السياق يرشد إلى تبين الجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقيد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب كتاب الأقوال الشاذة في التفسير: "ولا شك أن سياق الكلام يعطي دلالة صحيحة للمعنى، وأن انتزاع الكلام عن سياقه ربما أفسد المعنى... والمقصود أن إغفال السياق لأي سبب كان هو مظنة للخطأ في القول، ولذا تجد المفسرين يرجحون من الأقوال ما دلّ عليه السياق، ويرون أن من أسباب ضعف قول ما أنه كان مخالفاً للسياق"<sup>(٤)</sup>. وضرب لذلك أمثلة من التفاسير الخاطئة بسبب إغفال السياق.

ثالثاً: أن تعيين السياق مبني على الاجتهاد والعلم بأصوله وقواعده.

السياق - كما تقرر - ثابت أصلاً في كلام الله تعالى، لكن تعيينه يختلف بحسب فهم المفسر له وقدرته على الوصول إليه بقرائن السياق المعبرة وأركانه، فالبحث عن السياق هو بحث عن قرينة، والقرينة موجودة علمها من علمها وجهلها من جهلها<sup>(٥)</sup>، ولذا تجد الاختلاف بين المفسرين على تعيين السياق في الآية الواحدة.

وهذه القاعدة مهمة تبين لنا أنه لا يجب اعتبار السياق وتعيينه إلا بدليل ظاهر، كأن يكون السياق ظاهراً في الآية كقوله تعالى: **وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ❖ النُّجْمُ الثَّاقِبُ** [الطارق ١ - ٣] فالسياق هنا ظاهر متعين في بيان المراد بالطارق وأنه النجم الثاقب.

(١) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣١١/١).

(٢) ((الإتقان في علوم القرآن)) (١٨٥/١).

(٣) ((بدائع الفوائد)) (٩/٤).

(٤) ((الأقوال الشاذة في التفسير)) (ص ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٥) ((اثر السياق في النظام النحوي)) (ص ٩٤).

قال ابن دقيق العيد: "ودلالة السياق لا يقام عليها دليل، وذلك لو فهم المقصود من الكلام، وطولب بالدليل عليه لعسر فالناظر يرجع إلى ذوقه" (١).

رابعاً: لا يجوز صرف الكلام عن سياقه إلا بحجة يجب التسليم لها.

صرف الكلام عن سياقه الذي ورد لأجله لا يجوز، لكونه مخالفاً لمُرَاد المتكلم، إلا أن يرد دليل صحيح يدل على صرف الكلام عما دل عليه السياق، كأن يثبت في الآية نسخ.

وقد قرر هذه القاعدة ابن جرير واعتمد عليها في تفسيره، فقال في تقريرها: "فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول × تقوم به حجة، فأما الدعاوى، فلا تتعذر على أحد" (٢).

خامساً: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٣)..

هذه القاعدة الأصولية تعتبر قاعدة في السياق من جهة أنه لا عبرة بخصوص السياق الذي نزلت فيه الآية، وإنما العبرة بسياقها العام وهو ما دل عليه غرضها وحكمها العام، ولهذا جاءت ألفاظ القرآن عامة.

قال شيخ الإسلام: "والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب، هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين إن عموماً الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنما تختص بنوع ذلك الشخص فتعم ما يشبهه" (٤).

فإذا كانت الآية نازلة في سبب معين فإن هذا يبين المعنى المراد لكنه لا يعني بحال قصر الحكم في الآية على خصوص سببها.

فخصوص السبب عمدة في فهم المعنى، وعموم اللفظ عمدة في حكم الآية، إلا أن ما نزلت الآية بخصوصه قطعية الدخول في معنى الآية إذ هي الأصل فيها، لكن الآية تشمل غيره من جهة القياس على وصفه.

قال السرخسي: "وقال بعضهم: النص يكون مختصاً بالسبب الذي كان السياق له، فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر، وليس كذلك عندنا، فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب، فيكون النص ظاهراً لصيغة الخطاب، نصاً باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها" (٥).

وقال السيوطي: "إن صورة السبب قطعية الدخول في العام، وقد تنتزل الآيات على الأسباب الخاصة، وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق" (٦).

(١) ((إحكام الأحكام)) (١٣٠/٢).

(٢) ((جامع البيان)) (٣٥٦/٤).

(٣) انظر: ((القواعد والفوائد الأصولية)) (ص ٢٤١)، ((مجموع الفتاوى)) (٤٤/٣١).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) (٣٣٨/١٣).

(٥) ((أصول السرخسي)) (١٦٤/١).

(٦) ((الاتقان)) (٦٥/١).

وضرب لذلك مثلاً بقوله تعالى: «وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» [الليل ١٧- ١٨] فإنها نازلة في أبي بكر الصديق بالإجماع (١)، ومع كونها فيه ثناء عليه إلا أن الصيغة العامة التي وردت فيها تفيد أن هذا الحكم ليس مقصوراً عليه.

ولهذا فإنه كثيراً ما تكون الآيات نازلة بحال معين أو حدث خاص أو شخص مقصود، إلا أنها تأتي بصيغة العموم فتعم غيره من جهة الوصف؛ لأن القرآن عام في حكمه، إلا أنه يجب اعتبار ما نزلت فيه الآية في بيان المعنى ابتداءً؛ لأنه المحدد للوصف وللغرض من الآية.

قال السعدي: "قاعدة: وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى؛ إذا كان السياق في قصة معينة، أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم لا يختص به، ذكر الحكم وعلقه على الوصف العام، ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، ليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين" (٢).

القسم الثاني: القواعد المتعلقة بترجيح السياق.

أولاً: أن القول المعتبر في التفسير هو الموافق للسياق.

تقرر أن السياق القرآني أصل معتبر في كلام الله تعالى، وأنه هو الدال على المعنى الصحيح، وعليه فإن القول الذي يتوافق مع السياق هو القول المعتبر والراجح.

وهذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح في التفسير.

وقد اعتبر السلف والعلماء هذه القاعدة في تفسيرهم، ومن ذلك:

ما قاله صاحب رسالة دلالة السياق عند ابن جرير في تقرير القواعد المعتبرة عند ابن جرير: "يختار من المعاني ما اتسق وانتظم معه الكلام" (٣)، وأورد لذلك أمثلة من تفسير ابن جرير (٤).

وقد قرر هذه القاعدة شيخ الإسلام أتم تقرير في معرض رده على نفاة الصفات الذين يؤولون الصفات استدلالاً بنصوص أخرى دل سياقها على معنى آخر، كتأويل إتيانه تعالى بإتيان عذابه استدلالاً بقوله تعالى: «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» [الحشر ٢] فقال: "لما رأوا بعض النصوص تدل على الصفة، جعلوا كل آية فيها ما يتوهمون أن يضاف إلى الله تعالى - إضافة صفة - من آيات الصفات كقوله تعالى: «فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ»

(١) انظر: (أسباب النزول للواحي) (ص ٧٢١).

(٢) (تيسير الكريم الرحمن) ((٦٨٢/١).

(٣) ((دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير)) (ص ٢١٩).

(٤) ((دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير)) (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

[الزمر ٥٦] وهذا يقع فيه طوائف من المثبة والنفاة، وهذا من أكبر الغلط، فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية" (١).

وقد قرر صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين هذه القاعدة بقوله: "قاعدة: القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه". وأورد الأمثلة والأقوال الدالة عليها (٢).

ثانياً: يجب حمل كلام الله على المعاني والأوجه اللائقة بالسياق والموافقة لأسلوب القرآن.

هذه القاعدة تعني أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعاني والأوجه اللغوية والإعرابية والبلاغية اللائقة بسياق الآية والموافقة لأسلوب القرآن، دون الأوجه القاصرة عنه، وليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه (٣). إذ القرآن هو أعظم الكلام، فلا بد من حمله على أكمل الوجوه وأعظمها، ولا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي (٤).

قال العزبن عبد السلام: "وعلى الجملة فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني، وأفصح الأقوال، فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك" (٥).

وقال ابن القيم مقررًا هذه القاعدة بكلام فصل: "وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن مثل قول بعضهم في قراءة من قرأ +وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْبًا [النساء ١] بالجر أنه قسم، ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: +وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [البقرة ٢١٧] إن المسجد مجرور بالعطف على الضمير المجرور في به، ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: +لَكِنَّ الرَّاْسِيْحُوْنَ فِي الْعُلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ [النساء ١٦٢] إن المقيمين مجرور بواو القسم، ونظائر ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا وأوهى بكثير.

بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفة والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة أفاضله إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن أفاضله ملوك الألفاظ وأجلها

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ١٤).

(٢) انظر: ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٢٩٩/١).

(٣) انظر: ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٢٣٥/٢).

(٤) انظر: ((أثر السياق في النظام النحوي)) (١٩٧).

(٥) ((الإشارة إلى الإيجاز)) (ص ٢٢٠).

وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذاك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي.

فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه، وسنزيد هذا إن شاء الله تعالى بيانا وبسطا في الكلام على أصول التفسير فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: كل تفسير خارج عن دلالات الألفاظ والسياق باطل مردود.

هذه القاعدة نتيجة للقاعدة التي قبلها، فإذا ورد تفسير خرج بمعاني كتاب الله تعالى عما تدل عليه ألفاظه وسياقه ولم يدل اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من الدلالة: مطابقة، أو تضمناً أو التزاماً، أو مفهوماً، أو موافقاً، أو مفهوماً مخالفاً، فهو مردود<sup>(٢)</sup>.

وهذه القاعدة متقررة عن سلف الأمة وعلمائها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن هذا القرآن كلام الله عز وجل فضوه على مواضعه، ولا تتبعوا فيه أهواءكم)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا** [فصلت ٤٠]: (الإلحاد في آيات الله: أن يوضع الكلام على غير موضعه)<sup>(٤)</sup>.

قال السيوطي بعد ما أورد تفسير ابن عباس: "ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعله الباطنية، والاتحادية، والملاحدة، وغلاة المتصوفة"<sup>(٥)</sup>.

قال محمد بن كعب القرظي في رده على المبتدعة الذين يقطعون الآية عن سياقها الذي وردت لأجله استدلالاً لبدعتهم: (لا تخاصموا هؤلاء القدرية، ولا تجالسوهم.. والذي نفس محمد بيده لوددت أن يميني تقطع على كبر سني، وأنهم أتموا آية في كتاب الله عز وجل، ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون أولها)<sup>(٦)</sup>.

ف نجد أنه رحمه الله أثبت أن المعنى لا يتم إلا بالسياق كاملاً. وهذا هو المقصود بالقاعدة.

(١) (بدائع الفوائد) ((٢٧/٣)).

(٢) انظر: (قواعد الترجيح عند المفسرين) ((٣٤٩/٢)).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (ص٤٦). وانظر: (الدر المنثور) ((٣٠/٧)).

(٤) انظر: (جامع البيان) ((١١/١١٤)).

(٥) ((الإكليل في استنباط التنزيل)) (ص٣٥٢).

(٦) انظر: (الشريعة للأجري) (ص٢٢٢).

قال شيخ الإسلام في كلام فصل في هذه القاعدة: "وأما النوع الثاني من سببي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان... والقائلون بالجهتين المتقدم ذكرهما قسماً:

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به.

فالأولون: راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط بذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطوهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً فيكون خطوهم فيه في الدليل لا في المدلول. فالذين أخطئوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم: تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه...<sup>(١)</sup>.

رابعاً: حمل كلام الله على الغالب من عرفه ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك<sup>(٢)</sup>.

وعرف القرآن ومعهود استعماله مما يتضمنه السياق من جهة أن القرآن وارد على أسلوب منتظم مؤتلف، ومن جهة أن ذلك داخل في السياق القرآني، فالأولى أن يرجح القول الذي يوافق عادة القرآن ومعهود استعماله وسياقه العام، إلا أن يدل دليل من سياق الآية أو دليل آخر على معنى آخر مستقل.

قال شيخ الإسلام: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرده في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء"<sup>(٣)</sup>.

وقال الشنقيطي: "ومن أنواع البيان المذكور في هذا الكتاب المبارك الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية"<sup>(٤)</sup>.

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٣٥٥/١٣).

(٢) انظر: ((قواعد السياق عند المفسرين)) (١٧٢/١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٣٥٧).

(٤) ((أضواء البيان)) (٥١/١).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره شيخ الإسلام في بيان رده على من جعل السراح والفرار صريحاً في الطلاق مستدلاً بغالب استعمال القرآن: "الوجه الثاني: وهو القاصم: أن هذه الألفاظ أكثر ما جاءت في القرآن في غير الطلاق" (١).

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره ابن القيم في معرض ترجيحه لمعنى الرجوع في قوله تعالى: "إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ" [الطارق ٨] على أنه الرجوع إليه يوم القيامة: "والقول الصواب هو الأول لوجوه: أحدها: أنه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد" (٢).

خامساً: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها (٣).  
إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق واحد، واحتملت في مرجعها أقوالاً متعددة، فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى وأحسن؛ لأنسجام النظم، واتساق السياق  
وقد اعتمد هذه القاعدة أئمة اللغة من المفسرين كابن جرير، والزمخشري، وابن عطية، وأبي حيان وغيرهم (٤).

قال الزمخشري في ترجيحه لعود الضمير إلى موسى دون التابوت في قوله تعالى: "فاقذفه في اليم" [طه ٣٩]:  
"والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى التابوت فيه هجئة، لما يؤدي إليه من تنافر النظم... ومراعاته أهم ما يجب على المفسر" (٥).

وقال أبو حيان: "وتناسق الضمائر لشيء واحد أوضح" (٦).  
وقال الزركشي: "إذا اجتمع ضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف" (٧).

سادساً: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا أن يدل السياق على الحذف (٨).  
الأصل في كلام الله تعالى أن يكون كاملاً لا يحتاج إلى تقدير، إلا أن يدل السياق على الحذف؛ لأن الإضمار والحذف والتقدير خلاف الأصل (٩).

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٤٥٠/١٥).

(٢) ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص ٢٧٩).

(٣) انظر: ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٦١٣/٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٦١٣/٢).

(٥) ((الكشاف)) (٥٣٦/٢).

(٦) ((البحر المحيط)) (١٨٩/٨).

(٧) ((البرهان في علوم القرآن)) (٣٥/٤).

(٨) انظر: ((قواعد الترجيح عند المفسرين)) (٤٢٤/٢).

(٩) انظر: ((مغني اللبيب)) (٥٩٩/٢).

قال أبو حيان: "متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار كان أولى من أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها عن التكلف، وأسوغها في لسان العرب" (١).

ولا يقال بال حذف في كلام الله تعالى إلا بدليل من السياق يدل عليه.

قال ابن جزي في معرض ذكره لأوجه الترجيح التي قررها: "الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار" (٢).

وقال ابن عاشور: "إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفاً، ولكن لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق" (٣).

ومثال ذلك قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً» [النساء ١٧١] فإن الحذف هنا ظاهر لدلالة رفع «ثَلَاثَةً» بعد القول. قال ابن جرير: "ورفعت الثلاثة بمحذوف دل عليه الظاهر، وهو (هم)، ومعنى الكلام: ولا تقولوا هم ثلاثة" (٤). فنجد أن ابن جرير استدل على وجود الحذف بالسياق، وقدره بحسب سياق الآية وقال أبو علي الفارسي (٥) وغيره التقدير: هو ثالث ثلاثة، لموافقته لما ظهر في القرآن في قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» (٦). [المائدة ٧٣] وهذا أولى

سابعاً: جميع حذف القرآن لا تقدر إلا على أكمل الوجوه اللائقة بالسياق. إذا دل السياق على حذف في الآية، فإنه لا يقدر إلا أفصح التقديرات وأنسبها للسياق والغرض، أو ما دل عليه سياق آية أخرى.

قال العز بن عبد السلام: "جميع حذف القرآن من المفاعيل والموصوفات وغيرها لا يقدر إلا أفصحها وأشدّها موافقة للغرض؛ لأن العرب لا يقدرّون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام" (٧).

وقال أيضاً: "لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدّها موافقة وملاءمة للسياق" (٨).

ثامناً: حمل اللفظ على معنى جديد أولى من حمله على التأكيد، إلا أن يدل السياق على التأكيد.

(١) ((البحر المحيط)) (١/ ٦١).

(٢) ((التسهيل)) (١/ ٩).

(٣) ((التحرير والتنوير)) (١/ ١٢٢).

(٤) ((جامع البيان)) (٦/ ٣٧).

(٥) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي صنف كتابا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها مات سنة ٣٧٧هـ. ((الموسوعة الميسرة)) (١/ ٦٤٢).

(٦) انظر: ((البحر المحيط)) (٤/ ١٤٤).

(٧) ((الإشارة إلى الإيجاز)) (ص ٤).

(٨) ((الإشارة إلى الإيجاز)) (ص ٢).

إذا احتل اللفظ في السياق بين أن يكون مفيداً معنى جديداً لم يسبق في الكلام، أو يكون مؤكداً للفظ أو جملة سابقة، فحملة على الإفادة أولى من الإعادة إلا أن يدل السياق على كونه تأكيداً.

قال مكي بن أبي طالب: "حمل اللفظين على فائدتين، ومعنيين أولى من حملهما على التكرار بمعنى واحد" (١).

وقال الشنقيطي: "إن المقرر في الأصول أنه إذا دار الكلام بين التأكيد والتأسيس معاً، وجب حملة على التأسيس، ولا يجوز حملة على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه" (٢).

وقد ذكر صاحب قواعد الترجيح هذه القاعدة من غير أن يذكر رجحان التأكيد حال دلالة السياق عليه، فقال: "قاعدة: إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحملة على التأسيس أولى" (٣).

(١) (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه) (ص ٢١٩).

(٢) (أضواء البيان) (٣/٣٥٥).

(٣) (قواعد الترجيح عند المفسرين) (٢/٤٧٣).

## المبحث الخامس

### أدلة اتصال السياق وانقطاعه

السياق - كما تقرر - ثابت وموجود في كلام الله تعالى، والأصل فيه الاتصال، ولا يقال بانقطاعه إلا بدليل يدل عليه من السياق.

وسأعرض في هذا المبحث للأدلة الدالة على اتصال السياق وانقطاعه.

### المطلب الأول: أدلة اتصال السياق

لاتصال السياق أدلة تدل عليه وهي:

**أولاً: اتحاد الغرض بين الآيتين أو بين الآياتك الغرض هو أصل السياق وركنه الأساس، فإذا ما كانت الآيتان أو النص متفقاً في غرض معين فهذا دال على اتصاله في سياق معين. ومتى ما اختلف الغرض انقطع السياق الخاص للانتقال إلى سياق آخر ومثال ذلك: اتحاد الغرض في آيات الربا. وانقطاع هذا الغرض إلى غرض آخر حال الانتقال إلى آية المداينات، لكن المقطعان متصلان بسياق عام وهو حفظ الأموال. وهكذا بين كل آية وآية، فكل آية لها سياق خاص، وهو جزء من سياق أعم وهو سياق النص، وسياق النص جزء من سياق أعم منه وهو سياق السورة. فثبت بذلك أن السياق متصل بعمومه، ومنقطع في أجزائه.**

**ثانياً: اتحاد الموضوع أو الخطاب أو القصة: إذا أتت الآية في خطاب معين أو موضوع معين، أو قصة معينة، فهذا دال على اتصال السياق بينها. وانقطاع الخطاب أو الموضوع أو القصة؛ دليل على انقطاع السياق الخاص بها، وهذا له صلة بما قبله إذ أن كل قصة لها غرض معين ضمن آيات السورة كلها.**

ومثال ذلك: اتحاد الخطاب عن المؤمنين في أول سورة البقرة وانقطاعه ببيان صفات الكافرين بقوله تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ»** [البقرة ٦] لكن هذا الانقطاع انتقال من خطاب إلى خطاب في إطار غرض عام يجمع بينهما، وهو هنا بيان مواقف الناس وأصنافهم مع القرآن وهدايتهم.

**ثالثاً: وجود دليل في السياق اللفظي يدل على الاتصال أو الانقطاع. ومن أدلة الاتصال في الآية الروابط النحوية، وهي كثيرة، منها:**

- ١- الضمير.
- ٢- الظرف
- ٣- الاسم الموصول.
- ٤- التعليل
- ٥- الاستفهام
- ٦- العطف بحروفه المختلفة وأنواعه.
- ٧- أسماء الإشارة.

- ٨ - الاستثناء  
٩ - القسم المعطوف في موضع.  
١٠ - التشبيه.  
١١ - الجار والمجرور.

### المطلب الثاني: أدلة الانقطاع

من أدلة انقطاع السياق:

**أولاً: انتهاء الآية، أو المقطع، أو القصة، أو الموضوع، أو السورة.** وهذا لا يعتبر انقطاعاً كلياً وإنما هو انتقال من غرض إلى غرض في إطار غرض عام.

**ثانياً: تغيير المتكلم أو المخاطب في إطار السياق العام.** ومثال ذلك قوله تعالى: على لسان موسى في مخاطبته لفرعون +الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً [طه ٥٣] ثم انتقل الكلام من الله تعالى مباشرة في نفس الآية فقال +فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى [طه ٥٣] وهذا انقطاع جزئي في إطار السياق العام للآيات دعى إليه غرض معين.

**ثالثاً: انقطاع السياق الخاص الذي نزلت فيه الآية، واتصاله بالسياق العام الذي وضعت الآية فيه، وذلك بأن تكون الآية نازلة في شخص، فتدل على حكم يخص من نزلت فيه، فإذا وضعت في موضعها من كتاب الله انتقل السياق إلى سياق الآيات.** ومثال ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسير قوله تعالى: +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" [النساء ٥٦] قال: "اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفيمن نزلت، فقال بعضهم: نزلت في الزبير بن العوام وخصم له من الأنصار، اختصما إلى النبي ﷺ في بعض الأمور (١) .. وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في المناق واليهودي اللذين ذكر الله صفتهم في قوله تعالى: +أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ [النساء ٦٠]... قال أبو جعفر: وهذا القول: أعني قول من قال: عني به المحتكمان إلى الطاغوت - اللذان وصف الله شأنهما في قوله تعالى: +أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ" أولى بالصواب؛ لأن قوله: +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: ++أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ" ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم فالحاق بعض ذلك ببعض - ما لم تأت دلالة على انقطاعه - أولى.. فإن ظن ظان أن في الذي روي عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة(٢)، وقول من قال في خبرهما: فنزلت +فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" ما ينبىء عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير

(١) الحديث أخرجه البخاري ٨٣٢/٢ برقم ٣٢٣١، ومسلم ١٨٢٩/٤ برقم ٢٣٥٧. انظر: (أسباب النزول للواحي) (ص ٣٠٢).

(٢) الشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. انظر: (النهاية في غريب الحديث) (١١٣٠/٢).

وصاحبه الأنصاري إذ كانت الآية دلالة دالة، وإذ كان ذلك غير مستحيل كان إلحاق معنى بعض ذلك ببعض أولى ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد إلا أن تأتي دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض فيعدل به عن معنى ما قبله"<sup>(١)</sup> فنرى ابن جرير رحمه الله قد رجح القول الذي يدل عليه سياق الآية على الذي دل عليه نزولها، مع إمكانية تضمينها لمن نزلت فيه ابتداءً. وهذا يمكن تسميته بالسياق الخاص إذ أننا قررنا بأن السياق يتضمن الأحوال التي نزلت فيها الآية ومنها سبب النزول، وهذا المعنى يزيل كل إشكال بين سبب النزول وسياق الآية مع الآيات التي وردت فيها؛ لأن الآية قد تكون نازلة لحادثة معينة، فتوضع في سورة معينة فتدل على معنى لا يختلف مع الغرض الذي نزلت فيه بل اختلف الموضع والقصة، والحكم واحد. وهذا يشمل كل آية نزلت في سبب خاص فيتعين بها ابتداءً ثم ينتقل الحكم إلى كل من اتصف بحاله.

استدراك مهم: ذكر أحد الباحثين لدلالة السياق عند ابن جرير دراسة لاتصال السياق وانقطاعه عند ابن جرير. وصرح بانقطاع السياق في أحوال معينة فقال: "وفي هذا المطلب سأتكلم عن أدلة الانقطاع، التي نص عليها الطبري رحمه الله، وقد قمت بإحصائها فوجدتها على النحو التالي:

- ١ - نص الآية.
- ٢ - السنة.
- ٣ - قول الصحابة.
- ٤ - الإجماع.
- ٥ - سبب النزول.
- ٦ - اللغة.
- ٧- ترجيح المعنى الأغلب.
- ٨ - الإعراب"<sup>(٢)</sup>.

وبالتأمل نجد أن ما ذكره الباحث عن ابن جرير فيما نص على انقطاعه لا يعتبر انقطاعاً للسياق الكلي للآية، وإنما هو اختلاف في الخطاب أو انتقال من سبب خاص للآية إلى حكم عام كما ذكرت. والسبب في ذلك أن ابن جرير رحمه الله يطلق السياق أحياناً على جزء من أجزاء السياق الكلي وهو ما قبل الآية وما بعدها دون اعتبار الغرض العام، أو يطلقه على موضوع الآية كأن يقول الآية في الصيام، أو إطلاقه على الخطاب كأن يقول الخطاب في اليهود. وهكذا، وقد تقرر أن السياق شامل لذلك كله ومبناه على الغرض، وإن اختلف موضوع الآية أو الخطاب فيها.

ولعل السبب فيما ذهب إليه الباحث هو أنه حصر السياق بالنص دون ما وراءه من الغرض والأحوال التي نزلت فيها الآية، ورجح بأن السياق اللغوي أوسع من معنى السياق الشرعي قال الباحث في تعريفه للسياق: "وكان السياق عند علماء الشريعة: الأصوليين والمفسرين، والمحدثين، والفقهاء يختص بالنص دون ما وراءه، فلا

(١) ((جامع البيان)) (٤/١٦٠).

(٢) ((دلالة السياق وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير)) (ص١٤٩).

يعدون من السياق أسباب النزول، ومناسبة الحديث ومقام الكلام، مع اهتمامهم بذلك كله<sup>(١)</sup> وما ذكره الباحث مما نسبته إلى علماء الشريعة فيه نظر، فقد تقرر في بيان مفهوم السياق عند العلماء، أن من أعظم عناصره الغرض، والأحوال التي نزل فيها، كما تقرر فيما سبق.

أما ما ذكره من أن السياق اللغوي أوسع من معنى السياق عند أهل الشريعة ففيه نظر، ذلك أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، بل إن سياق القرآن يزداد قوة باتساع النظر في آيات القرآن وفهم مقاصده وأسلوبه، وربط ذلك كله بأسباب النزول وفهم السلف له... وهذه النظرة الموسعة للسياق هي التي استثمرها المفسرون في تفسير كلام الله، وهو ما أسماه بعض الباحثين بالسياق الأكبر<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فغالب ما ذكره الباحث فيما أورده من أدلة انقطاع السياق عند ابن جرير راجع إلى أمور:

أولاً: أن يكون انتقال من سياق خاص في الآية إلى آخر<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أن يكون انتقالاً من السياق الخاص الذي نزلت فيه الآية إلى السياق العام الذي دل عليه موضعها في السورة.

ثالثاً: أن تكون الآية عامة استدلت بها النبي ﷺ أو الصحابة لشخص أو أشخاص معينين تتضمنهم الآية بدلالة التضمن، فيُظن انقطاع السياق بذلك، كما استشهد النبي ﷺ للحسن بقوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» [الأحزاب ٣٣] مع أن الآية نازلة في أزواج النبي ﷺ بدلالة سياق الآيات، لكنها متضمنة قرابته من باب أولى كما رجح ذلك ابن كثير<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: أن الباحث نص على تصريح ابن جرير في القول بانقطاع السياق، مع أن جميع الأمثلة التي ذكرها لا تصريح فيها لابن جرير بانقطاع السياق، وغالب لفظ ابن جرير ترجيح لقول باعتبار دليل لا يناه في السياق حقيقة، وإنما لكونه سبب نزول، أو هو المشهور عن السلف. مثل ترجيحه لقوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ» بأنه عبد الله بن سلام، لتواتر الأخبار الواردة عن السلف في ذلك، وهذا ليس إثباتاً لانقطاع السياق، وإنما ترجيح لقول داخل في السياق، مع أن الراجح في الآية أنه موسى ويدخل فيه كل من آمن من بني إسرائيل بالنبي ﷺ ومنهم عبد الله بن سلام. كما تقرر.

فثبت بذلك أن القول بانقطاع السياق مطلقاً غير مطابق للواقع، وأنه يمكن القول بذلك في جزء من السياق، والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

(١) ((دلالة السياق وأثرها في التفسير)) (ص٦٣).

(٢) ((أثر السياق في النظام النحوي)) (ص١٨٤).

(٣) ((دلالة السياق وأثرها في التفسير)) (ص١٥٠).

(٤) انظر: (تفسير ابن كثير) (٤٦٥/٣).

(٥) انظر: (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى) (ص٢٢). فقد استدرك صاحب الرسالة على الباحث ما ذهب إليه من انقطاع السياق.

**البعد الأسلوبي والبلاغي في عينية لقيط بن يعمر الإيادي - دراسة نقدية**

د. عبد الكريم حسين رعدان

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وعميد

كلية التربية - سقطرى جامعة حضرموت

r.adan2009@hotmail.com

## المخلص

## 4

هذا البحث يسعى لاستقراء قصيدة جاهلية قديمة لشاعر جاهلي قديم، هو لقيط بن يعمر الإيادي وهو أحد الشعراء الفحول، إذ أشارت روايات عدة أن قبيلته إياد سكنت في الحيرة، بينما اتصل هو بالفرس، وتعلم لغتهم الفارسية، كما تعلم الكتابة العربية، فكان من كتّاب كسرى والمطلعين على أسرار دولته، وأصبح من كبار المترجمين له، وهمزة وصل بين دولة فارس والقبائل العربية.

وقصيدته العينية هذه والتي مطلعها: "يا دار عمرة من محلها الجرعا، هاجت لي الهم والأحزان والوجعا" هي من غرر الشعر العربي، وقد بعث بها إلى قومه إياد، يندرهم ويحذرهم أن كسرى وجه جيشاً كبيراً لغزوهم، غير أن القصيدة - بعد أن وصلت إلى هدفها كما ترجح - سقطت في يد من أوصلها إلى كسرى فسخط على لقيط بن يعمر المقرب إليه وقطع لسانه ثم قتله.

حيث تناول البحث القصيدة في الجانب الأول المكونة من واحد وستين بيتاً بالشرح لمفرداتها، وتوضيح معناها بشكل منثور، ووقف على شاعر القصيدة وحياته وخبر القصيدة وقصتها التي صاحبت إنتاجها.

أما في الدراسة والتحليل فقد وقف البحث على بنية القصيدة وأسلوبها الفني، ووحدها الموضوعية، وأساليبها البلاغية، والصور الشعرية والإيقاع، وأثر القصيدة وفعاليتها الإبداعية والإبداعية.

وبذلك كانت القصيدة رسالة قوية ذات أثر فاعل دفع الشاعر نفسه ثمناً لها، وكانت كتاب إنذار للقوم، وصرخة قوية نبهتهم من غفلتهم، وأيقظت فيهم النخوة، فاستعدوا لملاقات العدو أيما استعداد.

## مقدمة:

ليست أهمية قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي العينية في كونها سببا في قطع لسان صاحبها ولقياه لحتفه، بل لأنها - أيضاً - ترصد حدثاً مهماً في تاريخ العرب إبان الفترة الجاهلية المتقدمة نسبياً. وهي قصيدة مطولة - كغيرها من المطولات الجاهلية - مثقلة بقضايا الإنسان وهمومه وفيها تسجيل لجوانب وزوايا مهمة مما كان يجري في ذلك العصر، بمعنى أنها سجل لأحداث العصر، بالإضافة إلى عنصر الإبداع ووظيفة الأدب الإمتاعية التي يراها النقد ضرورة في تعريفه لماهية الأدب، وكما يقول الدكتور ناصر الدين الأسد بأن: "في هذا الشعر الجاهلي وفرة من القيم الفنية الأصيلة لم يحظ بها كثير من الشعر العربي بعده، ففيه من خصب الشعور، ودقة الحس، وصدق الفن، وصفاء التعبير، وأصالة الطبع، وقوة الحياة، ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العربي، وأصدق مصدر لدراسة حياته وحياة قومه من حوله" (١).

وقد تأكد لدي وأنا أقرأ وأستقري قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي موضوعية مقولة: إن الشعر الجاهلي لا تزال جماليته غائبة في الكثير من الدراسات، أو على الأقل لم تستطع أن تتذوقه بأدوات نقدية حديثة تفصله عن سياقه وظروف أنيته، أو دراسته وفق رؤى تقليدية قديمة، "ولقد تورطت حركة النقد الجديد وهي تعالج القصيدة العربية القديمة باقتراض جملة من الأفكار والمفاهيم المستمدة من النقد العربي القديم بدلا من أن تستمد هذه الأفكار والمفاهيم من القصيدة نفسها" (٢).

وأود أن أشير هنا إلى قول عبد الملك مرتاض وهو يغوص في أعماق القصيدة الجاهلية، ويتقارب مع نصوصها إذ يقول: "إن كل من يبحث في أمر الشعر الجاهلي، قد يصاب بالحيرة والذهول، وهو يقرأ، هذه الأشعار الراقية التي ظلت على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً: نموذجاً يُحتذى، ومثالاً يقتدى، وكيف ورثنا القصيدة العربية ببنيتها الطليعية المعروفة، وبإيقاعاتها المسكوكة، وبتقاليدها الجمالية المرسومة: من حاد عنها لا يكون شاعراً، ومن حاكها عد في الشعراء" (٣). ولا أقصد من خلال هذه الشهادات التحيز للنص الجاهلي القديم ولكن ليعرف القارئ أن مثل هذه الشهادات انطلقت من تذوق حقيقي عاشه أصحابها بعد وقوف طويل مع تلك النصوص. فهذه القصيدة العينية القديمة التي بين أيدينا - رغم إيغالها في غابر الزمان - لكنها جعلتني أثق أن الشعر الجاهلي يملك قوة ونفاذاً إلى الذائقة السليمة ما لا يملكه غيره.

لذلك فأنا في دراستي لهذه القصيدة لن أتكلف إقحام النظريات النقدية المعقدة التي تجعل في الشكل كل همها، ولن أذهب بعيداً في البحث عن المعاني التي غاصت في بطن الشاعر، ولن أصول وأجول في التأويلات البعيدة بحثاً

(١) مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة ١٩٨٨م. ص ١٣٢.

(٢) شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رومية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٦م. ص ١٣٩.

(٣) السبع المعلقات مقارنة سيميائية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م.

عن الأساطير في كلماتها ومعانيها بوعي وبغير وعي، بل ساقف وقفة متأملة للكشف عن الدلالات التي يريدها الشاعر فعلاً، والمعاني التي قصدها فكره وعاشها في وجدانه، وامتزجت بها عواطفه ومشاعره.

ثم إن جديداً نراه في هذه القصيدة وهو أنها تشير إلى غرض شعري قديم هو غرض التحذير والإنذار، ولا نستطيع أن نقول قد غفل عنه القدماء، وإنما لعل قلة ما نظم فيه من شعر هو السبب في عدم اعتماده غرضاً ضمن الأغراض المعتمدة التي جمعوها في مؤلفاتهم.

وتأتي أهمية هذه القصيدة في إمكانية تصنيفها في إطار الشعر السياسي، فلقد نقل الرواة أن الشاعر قد دفع حياته ثمناً لهذه القصيدة، ومثّل به كسرى وقطع لسانه بعد أن ألقى عليه القبض ثم قتله.

وهذه القصيدة تمتلك الكثير من المقومات الفنية والموضوعية التي تؤكد حقيقتها التاريخية، فصاحبها من الكتاب المعروفين في العصر الجاهلي، وقد وردت إشارات كثيرة إلى تدوين القصيدة، كما في قول الشاعر في نهايتها: "هذا كتابي والنذير لكم"، ويقال إنه "كتبها على شيء لا يلفت النظر، كحدوج الجمال المسافرة إلى جهة معينة، لتقرأ هناك، أو رسائل لا تلفت النظر"<sup>(٤)</sup>.

ولأهمية هذه القصيدة فقد وجدت دراسات سابقة لها يجدر الإشارة إليها بدءاً بديوان الشاعر الذي طبع بعدد من التحقيقات، أبرزها تحقيق خليل إبراهيم العطية، وطبع في بغداد عام ١٩٧٠م. وكذا شرحه وحققه الدكتور محمد التونجي، وطبع في بيروت عام ١٩٩٨م. والديوان في جملته هو هذه القصيدة العينية وبضعة أبيات أخرى، فهو شاعر مقل<sup>(٥)</sup>.

وهناك ثلاث دراسات عن القصيدة فيما أعلم، الأولى بعنوان "شاعر التحريض والفتاء لقيط بن يعمر الإباضي"، لأحمد الربيعي، وقد طبعت في بغداد سنة ١٩٧٨م.

ودراسة أخرى بعنوان "البنية اللغوية والإيقاعية في عينية لقيط بن يعمر"، للدكتور خالد محمد الجديع، نشرت في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ٣٩٠، وما بعدها، طبع سنة ١٤٢٣هـ.

ودراسة ثالثة بعنوان "البناء الشكلي والرسالي في عينية لقيط بن يعمر الإباضي استنطاق نقدي معاصر"، للدكتور صبري أبو حسين منشورة على شبكة المعلومات في الجزء الثامن والثلاثين من مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ٣٩٠، وما بعدها، طبع سنة ١٤٢٣هـ.

وهذه الدراسات تناولت جوانب فنية ولغوية عديدة، وأهملت قضايا أسلوبية نقدية مهمة، كما أن بعض هذه الدراسات كانت تحاول إسقاط روح القصيدة ونفس الشاعر على واقع العرب المعاصر اليوم ومن منطلق نقد الذات، وهو إسقاط قد يشوبه الحماس العاطفي ويغفل النظر إلى عناصر أسلوبية ونقدية في القصيدة.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقية، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ١٥، ص ٣٠٤.

(٥) ينظر: ديوان لقيط بن يعمر الإباضي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٣١.

ويلاحظ أن هذه الدراسات لم تلتفت إلى الخلط الذى وقع فى ترتيب أبيات القصيدة فى المصادر الأدبية والتاريخية القديمة، مما يربك الوقوف على معاني القصيدة ودلالاتها.

ومن هنا فقد اعتمدت على مصادر عديدة فى الوقوف على نص القصيدة، وكان المعتمد الأساس على ديوان لقيط بن يعمر، بشرح وتحقيق الدكتور محمد التونجى، فهو أهم مصدر فى تخريج القصيدة وتوثيقها، إذ اعتمد فيه المحقق على مخطوطات متعددة، رغم أنني وجدت بعض الأبيات الشعرية فى هذا الديوان غير متوائمة فى الترتيب، فأعدت ترتيبها بما يمكن أن يؤدي إلى توافق دلالي (٦). مع إضافة بيت شعري واحد لم يكن موجوداً فى الديوان المذكور وهو قوله:

هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي تَبَقَى مَدَلَّتُهُ  
إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْمًا وَإِنْ وَقَعَا

وهذا البيت أورده الأصفهاني، وابن قتيبة (٧) مع اختلاف فى الألفاظ. لتصبح القصيدة فى مجملها واحداً وستين بيتاً. وهناك مصادر أخرى اعتمد عليها الباحث أهمها، كتاب الأغاني، والكامل فى الأدب للمبرد، وكتاب البيان والتبيين، وغيرها من الكتب الأدبية، وكذا كتب التاريخ وتراجم الأعلام وكتب حديثة عديدة فى الأدب وتاريخه تمت الإشارة إليها فى مواضعها.

وعلى كل فقد جعلت دراستي لهذه القصيدة فى جانبين:

الأول: وقفت فيه على نص القصيدة بالشرح والبيان، ووقفت فيه على ترجمة شاعرها وحياته وخبر القصيدة وقصتها. أما الجانب الثانى فقد وقفت فيه على القصيدة بالدراسة والتحليل من محورين المحور الأول البعد الأسلوبى، والمحور الثانى البعد البلاغى .

### نص القصيدة (٨)

- ١ - يا دارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا ❖ هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
- ٢ - تامت فؤادى بذات الجزع حَرَبَةً ❖ مرّت ثريدُ بذات العذبّة البيعا
- ٣ - بمقلّتي خاذلٍ أدماء طاع لها ❖ نبت الرياض تُرْجِي وَسَطَهُ دَرَعَا
- ٤ - وواضح أنشب الأنياب ذى أشرٍ ❖ كالأقحوان إذا ما نورهُ لمعا
- ٥ - جرّت لهما بيئنا حبل الشّموس فلا ❖ يأساً مبيناً ترى منها ولا طمعا

(١) على سبيل المثال: نرى محقق الديوان جعل البيت "لا يطعم النوم إلا ريث بيعته..."، بعد قوله: "قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم..." وموقعه هنا ليس له ارتباط بما قبله، بل هو فى جملة البيات التى تتحدث عن صفات القائد، وفق ما رتبناه فى القصيدة هنا.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية، ج ٢٢، ص ٣٥٩. والشعر والشعراء، ص ٣٥.

(٣) اعتمد الباحث فى نص القصيدة على عدد من المصادر أهمها: ديوان لقيط بن يعمر الإيادى. والحماسة البصرية، ومختارات شعراء العرب لابن الشجري، وأمالى المرزوقى.

- ٦ - فَمَا أزالُ عَلَى شَحَطٍ يُورِّقُنِي ❖ طَيْفٌ تَعَمَدَ رَحَلِي حَيْثُما وَضِعَا
- ٧ - إِيَّيَ بَعِيَّتِي إِذْ أَمَّتْ حُمُولُهُمْ ❖ بَطْنَ السَّلْوَطِجِ لَا يَنْظُرْنَ مَنْ تَبِعَا
- ٨ - طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أُبِينُهُمْ ❖ إِذَا تَوَاضَعَ خَدِرٌ سَاعَةً لَمَعَا
- ٩ - بَلْ أَيْهَا الرَّاكِبِ المَزْجِي عَلَى عَجَلٍ ❖ نَحْوَ الجَزِيرَةِ مُرْتادًا وَمُنْتَجِعَا
- ١٠ - أَبْلِغْ إِبادًا وَخَلَّلْ فِي سَرَاتِهِمْ ❖ أَنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قَدْ نَصَعَا
- ١١ - يَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ كَانَتْ أُمُورِكُمْ ❖ شَتَّى وَأَحْكِمُ أَمْرَ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
- ١٢ - أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أبا لَكُمْ ❖ أَمَسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثالِ الدِّبَا سُرْعَا
- ١٣ - أَبْناءُ قَوْمٍ تَأوُّوْكُمْ عَلَى حَنْقٍ ❖ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللّٰهُ أَمْ نَفَعَا
- ١٤ - أَحْرارُ فِارِسِ أَبْناءِ المُلُوكِ لَهُمْ ❖ مِنْ الجُمُوعِ جُمُوعٌ تَرْدُهِي القَلْعَا
- ١٥ - فَهَمُّ سِرَاعِ إِلَيْكُمْ بَيْنَ مَلْتَقِطٍ ❖ شَوْكًا وَأَخَرَ يَجْنِي الصَّابِ وَالسَّلْعَا
- ١٦ - لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ رَامُوا بِهَدْيِهِ ❖ شَمُّ الشَّمَارِيخِ مِنْ ثَهْلانٍ لَأَنْصَدَمَا
- ١٧ - فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتَوْنَ الحَرابِ لَكُمْ ❖ لَا يَهْجَعُونَ إِذَا ما غَافَلٌ هَجَعَا
- ١٨ - خَزَزَ عَيْوُهُمْ كَأَنَّ لِحْظَهُمْ ❖ حَرِيْقُ نارٍ تَرى مِنْهُ السَّنَا قِطْعَا
- ١٩ - لَا الحَرثُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ ❖ مِنْ دُونَ بَيْضَتِكُمْ رِبًّا وَلَا شِبَعَا
- ٢٠ - وَأَنْتُمْ تَحْرُثُونَ الأَرْضَ عَن سَفِهِ ❖ فِي كُلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعَا
- ٢١ - وَتَلْقَحُونَ حَيْالَ الشَّوْلِ أَوْثَةً ❖ وَتَنْتَجُونَ بَدَارِ القُلْعَةِ الرُّبْعَا
- ٢٢ - وَتَلْبَسُونَ ثِيابَ الأَمْنِ ضاحِيَةً ❖ لَا تَجْمَعُونَ وَهَذَا اللِّيْثُ قَدْ جَمَعَا
- ٢٣ - إِيَّيَ أَرَاكُمْ وَأَرْضًا تُعْجِبُونَ بِهَا ❖ مِثْلَ السَّفِينَةِ تُعْغِي الوَعْثَ وَالطَّبْعَا
- ٢٤ - أَنْتُمْ فَرِيْقانِ هَذَا لَا يَقُومُ لَهُ ❖ هَصْرُ اللِّيْوثِ وَهَذَا هالِكٌ صَتْعَا
- ٢٥ - وَقَدْ أَظْلَكْتُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ ❖ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ تَغْشَاكُمْ قِطْعَا
- ٢٦ - ما لي أَرَاكُمْ نِيامًا فِي بِلْهَنِيَّةٍ ❖ وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الحَرَبِ قَدْ سَطْعَا

- ٢٧ - فَأَشْفُوا غَلِيلِي بِرَأْيِ مِنْكُمْ حَسَنٍ ❖ يُضْحِي فُوَادِي لَهُ رِيَانٌ قَدْ نَقَعَا
- ٢٨ - وَلَا تَكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَبِعًا ❖ إِذَا يُقَالُ لَهُ إِفْرَجُ غُمَّةً كَنَعَا
- ٢٩ - يَسْعَى وَيَحْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدُهُ ❖ إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيضًا زَادَهُ طَمَعًا
- ٣٠ - فَأَقْنُوا جِيَادَكُمْ وَأَحْمُوا ذِمَارَكُمْ ❖ وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ لَا تَسْتَشْعِرُوا الْجَزْعَا
- ٣١ - صُونُوا خِيُولَكُمْ وَأَجْلُوا سِيُوفَكُمْ ❖ وَجَدُّوا لِلْقَيْسِيِّ النَّبْلِ وَالشَّرْعَا
- ٣٢ - وَأَشْرُوا تِلَادَكُمْ فِي حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ ❖ وَحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ لَا تَهْلِكُوا هَلْعَا
- ٣٣ - وَلَا يَدَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِنَائِبَةٍ ❖ كَمَا تَرَكْتُمْ بِأَعْلَى بَيْشَةَ النَّخْعَا
- ٣٤ - أَذَكُوا الْعِيُونَ وَرَاءَ السَّرْحِ وَأَحْتَرَسُوا حَتَّى تُرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعَا
- ٣٥ - فَإِنْ غَلِبْتُمْ عَلَى ضِنِّ بَدَارِكُمْ ❖ فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرِ حَازِمٍ فَرَعَا
- ٣٦ - لَا تَلْهَيْكُمْ إِبِلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ ❖ إِنَّ الْعَدُوَّ بَعْظَمٍ مِنْكُمْ قَرَعَا
- ٣٧ - لَا تَتَمَرُّوا بِالْمَالِ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ ❖ إِنْ يَظْهَرُوا يَحْتَوِيكُمْ وَالْتِيَادَ مَعَا
- ٣٨ - هَيْهَاتَ لَا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِبِلٍ ❖ يُرْجَى لِبَغَابِرِكُمْ إِنْ أَنْفَكْتُمْ جُدْعَا
- ٣٩ - وَاللَّهِ مَا انْفَكَّتِ الْأَمْوَالُ مِنْذُ أَبَدٍ ❖ لِأَهْلِهَا إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا
- ٤٠ - فَلَا تُغَرِّتْكُمْ دُنْيَا وَلَا طَمَعٌ ❖ لَنْ تَنْعَشُوا بِزِمَاعِ ذَلِكَ الطَّمَعَا
- ٤١ - يَا قَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِرْثِ أَوْلِيكُمْ ❖ مَجْدًا قَدْ أَشْفَقْتُمْ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا
- ٤٢ - مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوْلِيكُمْ ❖ إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ وَانْتَضَعَا
- ٤٣ - يَا قَوْمِ بِيضَتُّكُمْ لَا تُنْجَعَنَّ بِهَا ❖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْأَزْلَمَ الْجَدْعَا
- ٤٤ - يَا قَوْمِ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرًا ❖ عَلَى نِسَائِكُمْ كِسْرَى وَمَا جَمَعَا
- ٤٥ - هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي تَبَقَى مَذَلَّتُهُ ❖ إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْمًا وَإِنْ وَقَعَا
- ٤٦ - هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِي يَجِثُّ أَصْلَكُمْ ❖ فَشَمِّرُوا وَاسْتَعِدُّوا لِلْحُرُوبِ مَعَا
- ٤٧ - قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ❖ ثُمَّ إِفْرَعُوا قَدْ يِنَالُ الْأَمْنِ مَنْ فَرَعَا

- ٤٨ - وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دُرُكُمْ ❖ رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَجِعًا
- ٤٩ - لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ ❖ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
- ٥٠ - لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ ❖ هَمٌّ يَكَادُ سَنَاهُ يَقْصِمُ الضِّلْعَا
- ٥١ - مُسَهَّدَ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُغْوِرُكُمْ ❖ يَرُومُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطَّلَعَا
- ٥٢ - مَا إِنْفَكَ يَحْلُبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ ❖ يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبَعًا
- ٥٣ - وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يُنْمِرُهُ ❖ عَنْكُمْ وَلَا وَدَّ يَبْغِي لَهُ الرِّفْعَا
- ٥٤ - حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزٍ مَرِيرْتُهُ ❖ مُسْتَحْكِمَ السِّنِّ لَا قَمَحًا وَلَا ضَرَعَا
- ٥٥ - كَمَا لِكَ بْنِ قِنَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ ❖ زَيْدِ الْقَنَا يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثَيْنِ مَعَا
- ٥٦ - إِذِ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ ❖ دَمَّتْ لِحْنِيكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعَا
- ٥٧ - فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عَلَلٍ ❖ فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرِّثْبَالَ وَالسَّبْعَا
- ٥٨ - عَبَلُ الذَّرَاعِ أَبْيَأُ ذَا مُزَابِنَةٍ ❖ فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نَكْسًا وَلَا وَرَعَا
- ٥٩ - مُسْتَنْجِدًا يَتَّحِدَى النَّاسَ كُلَّهُمْ ❖ لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا
- ٦٠ - هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّدِيرُ لَكُمْ ❖ مَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا
- ٦١ - لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلَا دَخَلٍ ❖ فَاسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا

#### شرح القصيدة (٩)

- ١ - دار عمرة: موضع زوجة الشاعر أو محبوبته. الجرعا: الأرض الرملية التي لا تنبت. هاجت: أثارت. فالشاعر يخاطب دار عمرة وأطلاتها الدارسة التي احتلتها الرمال الجرداء، ومنظرها هيح ذكريات الشاعر وأثار في نفسه الأحران والأوجاع.
- ٢ - تامت: دلت له من الشوق، وهامت في الحب إلى درجة العبادة. الجزع: منعطف الوادى. الخرعبة: المرأة الشابة الحسنة القوام. بذات العذبة البيعا: أراد تنقل الماء العذب إلى البيع، وهي جمع بيعة: معبد النصرارى.

(٩) تم الرجوع فى شرح مفردات القصيدة إلى لسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزمخشري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، وشرح ديوان الشاعر لمحمد التنجى.

- ٣ - خادل: وصف للطبية. خادل: تخلفت عن صواحبها. أدماء: شديدة البياض. طاع لها: استجاب لها. تزجي: تسوق. الذرع: ولد البقرة أو الطبية.
- ٤ - الشنب: دقة في الأسنان. والأشر: حُسن الأسنان وحدة في أطرافها. الأفيحوان: نبتة بيضاء تنبت في الربيع.
- ٥ - الشموس من الدواب: الذي لا يكاد يستقر عند اللجام. المبين: الواضح.
- ٦ - الشحط: البُعد. الطيف: الخيال. تعمد: قصد. الرحل: المركب من الناقة والبعير.
- ٧ - أمت: قصدت. السلوطح: موضع بالجزيرة. لا ينظرن: لا يرقين.
- ٨ - لا أبينهم: لا أعرفهم. تواضع: تباعد وتراخى. اللمعان: البريق.
- ٩ - المزجي ناقتة: الذي يسوقها. الارتياذ: طلب الحاجة. المنتجع: السير في الأرض لطلب الكلاً. وانتجعت فلاناً: طلبت خيره.
- ١٠ - خلل في سراتهم: خص أشرافهم بالتبليغ والتحذير. والسراة: هم سادة القوم. نصح الرأي: بان ووضح.
- ١١ - اللهف: الأسى والحسرة. شتى: متفرقة. أحكم: أحكم الأمر واستحكم، توثق وصار ممتنعاً على التفكك. وأحكم الأمر أبرم.
- ١٢ - الدبا: صغار الجراد. سرعا: مسرعين.
- ١٣ - تأووكم: قصدوكم. حنق: غضب وغيظ. لا يشعرون: لا يباليون.
- ١٤ - تزدهي: تستخف وتتهاون. القلعا: الصخور العظام. ومفردها قلعة. والمراد الحصون المحكمة.
- ١٥ - سراع: مسرعون. الشوك: السلاح من الحديد. الصاب: لبن العشر وهو سم، والسلع: نبت يكون بالحجاز خبيث الطعم لا يرعى.
- ١٦ - راموا: قصدوا. هدته: ضربته. الشماريخ: قمم الجبال. ثهلان: جبل معروف.
- ١٧ - يسنون: يشحذون. الحراب: جمع حربة وهي رؤوس السهام. لا يهجعون: لا ينامون.
- ١٨ - الخزن: ضيق العين وصغرها، ورجل أخزن: ينظر بمؤخرة عينه. واللحظ: النظر. السنا: ضوء البرق.
- ١٩ - الحرث: العمل في الزراعة. بيضتكم: أرضكم وأصلكم وتطلق البيضة على وجود الإنسان وحياته وما يلزم ذلك. البيضة هاهنا كناية عن عقر الدار محللة القوم.
- ٢٠ - عن سفه: عن غفلة. المعتمل: موضع العمل. المزدرع: موضع الزرع.
- ٢١ - حالت الناقة تحوّل حياً: إذا لم تحمل؛ فهي حائل. والجمع حيال. والشول: النياق التي يرسل فيها الإبل بعد لقاحها وجفاف لبنها. آونة: حين. القلعة: يقال هذا منزل قلعة؛ إذا لم يكن مستوطناً؛ والقوم على قلعة: أي رحلة.
- ٢٢ - ضاحية: ظاهرة للعيان. والليث: كناية عن شراسة العدو والمراد به كسرى.

- ٢٣ - الوعث: أرض مسترخية رطبة. والطَّبع: الصدأ يكثر على السيف. والطبع: استعاره هنا لتدنس العرض وتلطخه.
- ٢٤ - الهصر: الإمالة والكسر، وهي صفة للأسد. الصقع: الهالك الذي يذهب بعيداً في الأرض.
- ٢٥ - البيت كناية عن إقبال العدو نحو القوم من بعض نواحي ثغورهم. والثخور: مواضع الخوف من أطراف البلدان وحدودها.
- ٢٦ - البلهنية: رخاء العيش ولينه.
- ٢٧ - الغليل: حرارة الجوف نتيجة لهم أو حزن. الرأي الحصد والمستحصد: الرأي المبرم القوي. النقع: ذهاب العطش.
- ٢٨ - المكتنع: الخاشع الذليل. الغمة: من الغم والهم. والكنع: تشنج الأصابع وتقبضها.
- ٢٩ - الطريف: المال الجديد المستحدث.
- ٣٠ - فاقنوا: الزموا واحفظوا. الذمار: ما لزم الإنسان حفظه من مال وعرض وأرض.
- ٣١ - واجلوا سيوفكم: اشحنوها وأعدوا للقتال. القسي: الرماح. الأوتار.
- ٣٢ - اشروا: بيعوا. التلاد: الأموال الثمينة. الحرز: المكان الذي يحفظ فيه الشيء. الهلع: الخوف الشديد.
- ٣٣ - بيشة: اسم قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن. النائبة: المصيبة. النخع بن عمرو بطن من مذحج.
- ٣٤ - اذكوا: من الذكاء وهو الفطنة والنباهة. وأذكيت النار أوقدتها وأحييتها. السرح: يطلق على الأنعام، وربما المال النفيس. رُجعا: ترجع أيدها في السير.
- ٣٥ - الضن: الإمساك والبخل. والمعنى لا لوم عليكم إذا أخذتم بأمر الحزم.
- ٣٦ - قرع العظم: الإصابة بالشدة.
- ٣٧ - لا تتمرروا: لا تكثر الزرع. يحتووكم: يستولون عليكم. التلاد: المال القديم.
- ٣٨ - الغابر: من يبقى بعد الحرب. جدع الأنف: قطعه، وهو كناية عن الذل والخضوع.
- ٣٩ - ما انفكت: ما زالت. تبعاً: أي تتبعهم أموالهم.
- ٤٠ - تنعشوا: تخبروا وتحياوا. بزماع: بثبات وقوة واستعداد للحرب.
- ٤١ - الأرت: ما يبقيه السلف للخلف.
- ٤٢ - اتضع: ذل.
- ٤٣ - بيضتكم: أصلكم. الأزلم الجنع: صفة للدهر لأنه جديد أبداً. ويطلق الجنع على الجمل الذي يبلغ خمساً.
- ٤٤ - الغُير: من غار يغير الرجل على أهله.
- ٤٥ - الجلاء: الحشر والطرده. طار طائركم: كناية عن الجاه والمجد والسمعة.
- ٤٦ - الفناء: الهلاك والإبادة. يجتث: يستأصل.

- ٤٧ - أمشاط: سلاميات عظمية في أصابع القدم. افزعوا: كناية عن الاستعداد والتهوض للحرب.
- ٤٨ - ربح الذراع: واسع الذراع، وهو كناية عن صفة السخاء والجود. يضطلع بالأمر: يقوى على حمله.
- ٤٩ - المترف: المتنعم. عض مكروه: نزل. خشع: خضع.
- ٥٠ - ريث: مقدار من الوقت. السنا: بريق الضوء ولمعانه. القصم: القطع والانصداع.
- ٥١ - مسهد: الذي نزع عنه النوم. تعنيه: تهمة. الثغور: الحدود والفرج في الأطراف من جهة العدو. المطلع: المراقب في المكان العالي.
- ٥٢ - حلب الدهر أشطره: جرب الدهر وعركته الأيام، ومرت عليه ضروب من الخير والشر. الدر: اللبن.
- ٥٣ - يثمره: ينميه ويكثر ثماره. الرفعا: جمع رفعة.
- ٥٤ - استمرت مريرته: اشتدت قوته. الشزر: شدة فتل الحبل. القحم: الشيخ الهرم. الضرع: الرجل الضعيف.
- ٥٥ - يقصد: مالك بن قنان. وزيد بن سلامة بن قنان بن كعب. ويقصد بالحرثين: الحرث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس، والحرث بن أبي شمر الغساني، وهما من ملوك العرب في الجاهلية. وقيل: المراد بالحرثين: الحرث بن ظالم المري أشهر فتاك العرب في الجاهلية، والحرث بن عوف المري من فرسان العرب في الجاهلية.
- ٥٦ - الدمث: اللين. والدمائة السهولة واللين.
- ٥٧ - المساورة: المواثبة. العلل: القوة والضرب. احتبل: لزم مكانه دون خوف، ويحتبل: يصيد. الرثبال: الأسد. والمراد قوة الرجل وشكيمته، فهو لشجاعته يتربص بالأسد ويثبت في مكانه غير خائف.
- ٥٨ - عبل الذراع: غليظ أو ضخم الذراع. المزبنة: المدافعة بقوة، وتزابن القوم: تدافعوا. النكس: المنكسر المطأطئ رأسه الضعيف. ورع: جبان.
- ٥٩ - مستنجداً: أي ذو نجدة. قارع: ضارب، من المقارعة في الأحساب والتباهي بالأنساب.
- ٦٠ - كتابي: يقصد رسالته في القصيدة. رأى رأيه: نظر فيه وفكر. ومن سمعا: من أصغى.
- ٦١ - الدخل: الغش، ويقصد أنه مخلص وصادق في النصيح. استيقظوا: انتبهوا من الغفلة.

#### شاعر القصيدة وحياته:

لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي (١٠) شاعر جاهلي قديم جداً وكان كاتباً في ديوان كسرى، ويبدو أنه كان مترجماً بارعاً بين العربية والفارسية، ويستشهد الكثير من الكتاب والنقاد بهذا الشاعر على وجود الكتابة ونموها في العصر الجاهلي وخاصة في الحواضر والمدن التجارية كمكة وغيرها (١١).

(١٠) ينظر: الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م، ج ٥، ص ٢٤٤. وديوان لقيط بن يعمر الإيادي، ص ٢١.

(١١) ينظر: العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ص ١٣٩.

ولقيط شاعر قبيلة عربية عريقة وهي قبيلة "إياد" من القبائل الموغلة في الزمن الجاهلي، وسميت بذلك نسبة إلى إياد بن نزار بن معد بن عدنان(١٢). ويرى بعض الدارسين أنها من القبائل اليمينية التي هاجرت في الزمن القديم واستوطنت العراق(١٣) وكانت تدين بالنصرانية كما هو شأن عدد من قبائل العرب في العراق وما جاورها، وقد أشار لقيط بن يعمر الإيادي إلى بيعهم في مطلع قصيدته العينية التي بين أيدينا. كما كانت إياد تعتمد في معيشتها على الزراعة وفق ما أشار شاعرها في قصيدته، وأشار إلى ذلك الأعشى في شعره بقوله(١٤):

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادٌ دَارَهَا      تَكَرَّيْتَ تَنْظُرَ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

وهناك خلاف بين الرواة والمؤرخين في ترجمة الشاعر فمنهم من يقول لقيط بن معمر، وبعضهم يجعله لقيط بن معبد، وقد جاء في الشعر(١٥):

كَقَسٍّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيْطٍ بِنِ مَعْبَدٍ      وَعُدْرَةَ وَالْمَنْطِيقَ زَيْدِ بِنِ جُنْدِبِ

ويذكر هنا من الصحابة شبيباً بن حرام بن نبهان بن وهب بن لقيط بن يعمر وكان قد شهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابن الكلبي والطبري(١٦).

ومن هذا القبيلة نبغ شعراء يعدون كلهم في جملة رواد الشعر القديم، ومنهم أبو دؤاد بن حريز الأيادي كما نبغ بلغاء لهذه القبيلة أيضاً لهم قدم في اللسان والبلاغة، ومنهم قس بن ساعدة الإيادي.

يقول الجاحظ: "ولإيادٍ وتميمٍ في الخُطْبِ حَصْلَةٌ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ: لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي رَوَى كَلَامَ قَسِّ بْنِ سَاعِدَةَ وَمَوْقِفَهُ عَلَى جَمَلِهِ بَعْكَازٍ وَمَوْعِظَتَهُ"(١٧).

ويذكر بعض المؤرخين أن وفاة لقيط كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي(١٨). ولعل هذا التاريخ هو الأقرب إلى الصواب نظراً للأحداث التي أشار إليها الشاعر في قصيدته.

#### خبر القصيدة وقصتها:

وتأتي قصة القصيدة وخبرها وفق روايات عديدة، وتواتر وقائها في مصادر جملة، لتؤكد حقيقة القصيدة وصدق نسبتها إلى شاعرها.

(١٢) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن الشيباني، دار صادر، بيروت - ١٩٨٠م. ج ١، ص ٩٦.

(١٣) ينظر: العصر الجاهلي لشوقي ضيف، ص ٥٦.

(١٤) ينظر: العصر المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

(١٥) البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي. دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م. ج ١، ص ٣١.

(١٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. ج ٣، ص ٣١٣.

(١٧) البيان والتبيين، للجاحظ، ص ٤٢.

(١٨) ينظر: الأعلام للزركلي. ج ٥، ص ٢٤٤. ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت. ج ٨، ص ١٥٧.

إذ جاء من خبر القصيدة كما روت كتب الأخبار: "أن قبيلة إياد كانت أكثر نزار عدداً، وأحسنهم وجوهاً، وأمدهم وأشدهم وأمنعهم، وكانوا لقاها لا يؤدون خرجاً، وهم أول معدى خرج من تهامة، فنزلوا السواد، وغلبوا على ما بين البحرين إلى سندان والخورنق، وسندان نهر كان بين الحيرة إلى الأبله، وكانوا أغاروا على أموال لأنوشروان فأخذوها، فجهز إليهم الجيوش، فهزمهم مرة بعد مرة، ثم إن إياداً ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة، فوجه إليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفاً في السلاح، وكان لقيط متخلفاً عنهم بالحيرة، فكتب إليهم:

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيْطٍ      إِلَى مَنْ بِالْجَزِيْرَةِ مِنْ إِيَادٍ  
بَأَنَّ اللَّيْثَ كَسْرَى قَدْ أَتَاكُمْ      فَلَا يَشْغَلُكُمْ سَوْقُ النَّقَادِ  
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُّونَ أَلْفًا      يَزُجُّونَ الْكَتَائِبَ كَالْجَرَادِ  
عَلَى حَنْقٍ أَتَيْنَاكُمْ هَذَا      وَأَوَّانُ هَلَكَكُمْ كَهَلَكَ عَادِ

ويذكر المؤرخون أن لقيط بن يعمر قد جعل هذه الأبيات الأربعة عنواناً لقصيدته العينية (١٩). وبعد أن وصلت إلى قبيلته استعدت إياداً لمحاربة جنود كسرى، ثم التقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، أصيب فيه من الفريقين، ورجعت عنهم الخيل، ثم اختلفوا بعد ذلك، فلحقت فرقة بالشام، وفرقة رجعت إلى السواد، وأقامت فرقة بالجزيرة (٢٠). ويرى بعض المؤرخين أن لقيط الإيادي سار مع جيش كسرى ليد لهم في طريقهم نحو الجزيرة، فتوه بالجيش في صحراء الإهالة، فكان ذلك سبباً في ضعف الجيش الغازي وهزيمته، ولذا يقال في المثل تحذيراً: "إِيَاكَ وَصَحْرَاءَ الْإِهَالَةِ" (٢١). وهناك روايات كثيرة واختلافات واسعة لدى القدماء والمحدثين حول قبيلة إياد وحروبها، وكذلك نهايتها، تركناها لما يشوبها من أساطير وأقتصرنا على أقربها واقعية وتوافقاً مع دلالات القصيدة.

## المحور الأول

### دراسة البعد الاسلوبي في القصيدة

#### ١ - بنية القصيدة وأسلوبها الفني:

لم تذهب هذه القصيدة بنفسها بعيداً عن نمط أسلوب القصيدة الجاهلية البنائي الصارم، والمتمثل في تصريح البيت الأول وذكر الأطلال والخراب في الديار التي نبتت فيها الأشواك والأعشاب لخلوها من سكانها وزوارها منذ أمد بعيد - كما يتراءى للشعراء - إلا أننا نلاحظ أن الشاعر في هذه القصيدة لم يتعمق في تلك التقاليد الفنية في مقدمة قصيدته هذه واكتفى بالإشارات المختصرة في ذكر الديار والمرأة والحيوان، والرحلة والركب، وحمل الراكب الراحل نحو الجزيرة على عجل منتقلاً بلاغته الخطير لقبيلته إياد:

(١٩) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ١٥، ص ١٣٦.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه ج ١٥، ص ١٣٧. والأغاني: ج ٢٢، ص ٣٦٠.

(٢١) مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، ج ١، ص ٧٦.

بَلْ أَيُّهَا الرَّاحِبُ الْمَرْجِي عَلَى عَجَلٍ نَحْوَ الْجَزِيرَةِ مُرْتَادًا وَمُنْتَجِعًا  
أَبْلَغُ إِيَادًا وَخَلَّلَ فِي سَرَاتِهِمْ أَنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُعْصَ قَدْ نَصَعًا

فالشاعر في الحقيقة قدم لنا في هذه القصيدة نوعاً جديداً من الأداء الإبداعي إذ استطاع أن يوظف التقليد الفني في مقدمة القصيدة - والذي لم يسرف فيه - لبلاغ قبيلته وإنذارها بالخطر الداهم، وهذا أسلوب فني ابتكره الشاعر في قصيدته.

إن الشاعر رغم البعد عن قومه ورغم ما يجنيه من ذهب وفضة في بلاط مملكة فارس إلا أن الحس القومي متغلغل في وجدانه، وانتماء الذات القبلي لم يمنعه أمام مكاسبه الخاصة، فكان شاعر الوفاء وصدق الانتماء، يتمثل ذلك في معظم أبيات القصيدة بدءاً بمطلعها الذي ينادي فيه دار المحبوبة وتيام فؤاده بذات الجزع:

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُحْتَلِّهَا الْجَرَعَا هَاجَتَ لِي الْهَمُّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَعَا  
تَامَتْ فُؤَادِي بِذَاتِ الْجَزَعِ خَرَعَبَةً مَرَّتْ تُرِيدُ بِذَاتِ الْعَدْبَةِ الْبَيْعَا

ثم بعد ذلك يظهر في تلك الحالة النفسية التي يتلهف فيها على أمور قومه المشتتة:

يَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ شَتَّى وَأُحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا

والقارئ المتأمل لهذه القصيدة يدرك أن مشاعر القلق والتوتر قد سيطر على نفسية الشاعر سيطرة تامة، وقد سارت القصيدة في هذا الجو النفسي الكئيب، بدءاً بتلك المقدمة الغزلية القصيرة التي انتقل بعدها الشاعر إلى صرخة البلاغ القوية، كما يستشف ذلك من خلال بعض المعاني التي جاء بها الشاعر، كالاستعجال، ولهف نفسه، وسرعة العدو، وغير ذلك من معاني حتى بلغ غاية التوتر والقلق وهو يخاطب قومه في قوله:

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ ثُمَّ إِفْرَعُوا قَدْ يَنَالُ الْأَمْنَ مَنْ فَرَعَا

وقيام القوم على أمشاط أرجلهم غاية ما يمكن قوله في الترقب والتأهب، وهو أسلوب بارع يحسب للشاعر، وأردفه بالفرع الذي يؤدي إلى التمكين والتمكن من العدو ونيل الأمن.

وقد تميز الشاعر في أسلوبه الفني بأن أفرد مساحة كبيرة في قصيدته للمقارنة بين حال قبيلته وضعفها من النواحي المادية والمعنوية والنفسية، وما أعده العدو من تجهيزات مرعبة، وما يتمتع به من معنويات ونفسيات عالية، وأبرز مثال قوله:

لَا الْحَرْتُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لَا يَرُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا وَلَا شَيْعَا  
وَأَنْتُمْ تَحْرَثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفَهٍ فِي كُلِّ مُعْتَمَلٍ تَبْعُونَ مُزْدَرَعَا  
وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً لَا تَجْمَعُونَ وَهَذَا اللَّيْثُ قَدْ جَمَعَا

ونرى الشاعر يعتمد في البناء اللغوي لهذه القصيدة على المفردات السهلة الواضحة، مما يؤكد تأثر الشاعر بالتمدن الذي عاشه، فمن خلال التتبع لتلك المفردات نجد ما ألفتة معتادة، حتى أنه في بعض الألفاظ يبتعد عن معجم القصيدة الجاهلية، كما في المفردات: أحرار، أبناء، الملوك، يا قوم، فشمروا، ثمرروا، المال، الحرث، وغيرها، إلا أننا نجد عدداً من المفردات الغريبة في القصيدة مثل: خرعبة، الشموس، شحط، تأووكم، الوعث، بلهنية، الأزلم، قمحاً وغيرها، بما يعني تمكن الشاعر ورسوخ سليقته اللغوية،

كما يلاحظ أن الشاعر قد كرر مفردات معينة تدور حول معانٍ محددة مثل الحرب، والقتال والخوف، والفضاء، والاستئصال، فكلمة الحرب وحدها تكررت ست مرات، كما ذكر مسميات أخرى للحرب وأدواتها من خيل وسيف ونبيل، وشرع وقيادة وجموع، حتى بدت القصيدة في لغتها عنيفة مشتعلة، حققت ما يرمي إليه الشاعر من تحذير وإنذار لقومه. والقصيدة لا تخلو من الجزالة والقوة في بعض مفرداتها كما في مقدمتها والعديد من أبياتها.

## ٢ - الوحدة الموضوعية في القصيدة

ثار ولا يزال الجدل بين النقاد حول الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية بين نافي لها ومثبت، فيرى شوقي ضيف "أن القصيدة الجاهلية مفككة مشتتة الموضوعات، وأن الشاعر لا يثبت على معنى أو غرض، فتبدو القصيدة مجزأة متباينة"<sup>(٢٢)</sup>. وهناك من يتحدث عنها تحت مسمى "الوحدة العضوية"<sup>(٢٣)</sup>، نافياً أن تكون "للقصيدة الجاهلية وحدة عضوية في شكل من الأشكال"<sup>(٢٤)</sup>.

غير أننا ومن خلال الوقوف على الملابسات والظروف التي صاحبت إنتاج القصيدة الجاهلية سنصل حتماً إلى وجود تلك الوحدة. وخاصة إذا دققنا في الحالة النفسية التي دفعت الشاعر لإنتاج تلك القصيدة. ومن هنا فالقصيدة التي بين أيدينا من القصائد التي حققت وحدة في موضوعها إلى حد كبير، فالشاعر جعل غايته تحذير قومه من عدو غاز ثم وجه لهم نصيحة بالاستعداد وما يجب عليهم فعله من أجل ذلك، من ترك الفرقة والشتات، ونسيان الماضي، وترك الطمع والتخلي عن حب الأرض والمال، والتسلح الجيد، واختيار القائد.

ويجوز لنا أن نصنف هذه القصيدة في إطار الشعر القومي وفق المصطلح النقدي المعاصر، فهي قصيدة قومية، تنبض فيها روح شاعرها حباً لقومه وأهله وقبيلته، فقد وجه هذه القصيدة من موقعه السامي تحذيراً لهم من عدو داهم غشوم. أما إذا نظرنا إلى القصيدة من منظور الأغراض وفق التصنيف النقدي للشعر القديم فيمكن أن تشكل هذه القصيدة غرضاً شعرياً لم يفتن له القدماء وهو "التحذير" أو "الإنذار". وهناك شواهد شعرية عديدة تدعم هذا الغرض<sup>(٢٤)</sup>.

<sup>(٢٢)</sup> في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة [د.ت]. ص ١٥٤، ١٥٥.

<sup>(٢٣)</sup> انظر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م. ص ٣٧٤.

<sup>(٢٤)</sup> كشرع الفروسية والبطولة والحماسة الذي صنفه الكثير من الكتاب في كتبهم، فهو يدخل في الجانب السياسي.

ويرى الرافعي أن هذه القصيدة تمثل الشعر السياسي ففيها نجد الشاعر "يعلمهم وجه الحزم في تدبير أمرهم وسياسة مجتمعهم واختيار من يلقون إليه المقادة في ذلك" (٢٥) ولهذا الشعر شواهد كثيرة "كأبيات سلمة بن خرشب التي أرسل بها غلى سبيع التغلبي في شان الرهن التي وضعت على يديه في قتال عبس وذبيان، يذكر فيها لسبيع سياسة القضاء وتدبير الحكم، وقد رواها الجاحظ في البيان، ولا بد أن يكون لهم من مثل ذلك أشياء لم تقع إلينا".

ولقد تحدث الشاعر في هذه القصيدة عن وسائل مواجهة العدو، بل أكد الشاعر أن هذه الوسائل هي الناجعة والحاسمة في الانتصار ولو كان العدو أكثر جيشاً وأقوى عتاداً. وهذه الوسائل هي:

- التجهيز بالسلاح والعدة ما أمكن.
- ترك الانشغال بالمال وحرث الأرض والاهتمام بالمعركة.
- عدم الاستهانة بالعدو وما يدبره.
- نبذ الفرقة والشقات والتنازع.
- اختيار قائد قوي ذي مواصفات عالية
- الغيرة على العرض والديار والعز والماضي العريق مما قد يلحقه من المهانة.
- التسلح بالوعي والنباهة والشجاعة والاحتراس

ثم إننا نستطيع وفق التحليل العام للنص الشعري أن نقف على الأفكار الرئيسية التي تضمنتها القصيدة ومن ثم يجوز لنا ان نربط تلك الأفكار بسياق الفكرة العامة والموضع الواحد أو الغرض الذي وسم القصيدة وهو الإنذار، وهذه الأفكار كالتالي:

- مقدمة طللية غزلية قصيرة
- إبلاغ قبيلة إباد وزعمائها بعزم كسرى غزو بلادهم
- وصف عدة العدو وعتاده واستعداده
- تنبيه قومه إلى مواضع ضعفهم
- بيان ما يجب على قومه فعله للمواجهة
- دعوته لهم بتعيين قائد عليهم
- بيان مواصفات القائد المطلوب
- الاستحثات لقومه والأعداء إليهم بالبلاغ

(٢٥) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

ومن هنا فإن قصيدة لقيط سلسلة من الحلقات المترابطة المتراسة والدفقات الشعورية التي تؤكد وحدتها الموضوعية وترابطها الدلالي المتن.

### ٣ - الذاتية في القصيدة:

والحديث عن الذاتية في الشعر القديم - على وجه العموم - قد لا يكون مباشراً بل قد يكون ممزوجاً بموضوعات وقضايا الواقع المعاش للشاعر (٢٦)، وهذا ما يمكن أن نجد في قصيدة لقيط، إلا أن الذاتية في هذه القصيدة مصحوبة بصدق العاطفة، وممزوجة بنظرة عقلية واعية، وهذه الذاتية تبرز من جانبيين: ذات الشاعر، وذات القبيلة، وإن كان الشاعر قد تحدث عن ذاته بشكل أكبر فهو منذ بدايتها يجعل رأيه هو الرأي الناصع الواضح ولا مجال لمخالفته أو القطع دونه، ثم في نظرته للقوم المنغمسين في إعجابهم بأرضهم، وغفلتهم عن عدوهم، واستهتارهم بما يتربص بهم، ويستمر في إظهار ذاته بوصاياهم وإنذاره القوي من منطلق المستشار بل القائد المنقذ كما في ختام القصيدة "هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... لقد بذلت لكم نصحي...". أما حديثه عن ذات القبيلة فهو غير مباشر بل يستشف من الصورة الكلية عن هذه القبيلة التي لها مجد عريق، ولها أرض وأموال ولها زعماء ولها ماضٍ رغم غفلتها ونومها، فهي قبيلة "إياد" قبيلة عريقة قوية. ويتحدث الشاعر في خط مواز وبنفس الأهمية - أيضاً - عن الآخر كما هو واضح من أبيات القصيدة.

ومن حيث المتلقي فقد غلب على القصيدة الحديث المباشر، حيث نرى ضمائر المخاطب المنفصلة والمتصلة، وختل القصيدة من الأسلوب الحوارية فالوقوف لا يسمح بالمحاور، والشاعر بعيد عن قومه وهو يريد إبلاغهم في أقصى سرعة بالخطاب المباشر، ويضعهم أما الحقيقة والأمر المبين، ليلتقوه ويعملوا بضواحه. كما أن الخطاب في غالبية ضمير جمعي أتى به الشاعر حرصاً على إشراك القوم فالكل معني بالأمر، وقد قال علماء اللغة إن "ضمير المخاطب يدل على المراد بنفسه وبمواجهة مدلوله... وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب وذلك لقللة الاشتراك" (٢٧)، فلاحظ في أول القصيدة حديث الشاعر بضمير الغائب في قوله: أبلغ إياداً وخلل في سراتهم" لكنه يلتفت سريعا إلى ضمير الخطاب في البيت التالي مباشرة: يا لهف نفسي إن كانت أموركم شتى" "ألا تخافون... وهكذا يستمر في خطابه المباشر إلى نهاية القصيدة "هذا كتابي إليكم...." لقد بذلت لكم نصحي...".

(٢٦) ينظر: شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رومي، ص ١٧٩.

(٢٧) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر. ج ١، ص ٢٢١، ٢٤٦.

## المحور الثاني

## دراسة البعد البلاغي في القصيدة

## ١ - تنوع الأسلوب البلاغي:

هذه القصيدة صرخة إنذار من فناء محقق، ولذلك نرى أساليب متنوعة جاء بها الشاعر، وهذا التنوع جعل للقصيدة جذاباً لدى المخاطب، وقد أشار علماء البلاغة إلى القيمة البلاغية لتعدد الأساليب في تطرية نشاط السامع، وإيقاض همته في الإصغاء لما يقال (٢٨). ويبدأ هذا التنوع بين الأساليب الطلبية والخبرية، فالأساليب الطلبية جاءت متنوعة ومباشرة، ومنها:

أسلوب الأمر في مثل "أبلغ، صونوا، اجلوا، اشفوا، قوموا، فشمروا، افزعوا، اشروا، قلدوا، فاستيقظوا..."، وغيرها من صيغ الأمر الجماعي، وهذه الصيغ وإن كانت تحمل أغراضاً بلاغية مجازية، بحسب السياق، كالتحذير وتحفيز الهمة والاستنهاض والنصيحة، لكنها تبقى في إفادتها الحقيقة اللغوية باعتبار القصيدة رسالة تحذير وخطبة تنفذ من قبل القوم.

ويأتي أسلوب النهي مكرراً للدلالات والأغراض نفسها التي في أسلوب الأمر، مثل "لا تكونوا، لا يدع، لا تفرنكم، لا تأمنوا، لا تلهكم، لا تثمروا..."، وتأتي لتعزيز طلبه القوي لبني قومه، كما يلاحظ أن هذه الأساليب الناهية تشير إلى أن قومه فعلاً غارقون في تلك المنهيات، ويرها الشاعر مثالب تحبط قوة قومه، وهي عوامل هزيمة في قبيلته.

أما أسلوب الاستفهام فقد استخدمه الشاعر في ثلاثة مواضع، إلا أنه حمل أبعاداً دلالية عميقة الأثر، فهو يتعجب ويأسى لحال قومه في آن واحد وهو يراهم نيماً لا يحركون ساكناً رغم ما يحدث بهم في قوله "مالي أراكم نيماً" كما يتعجب من تغني القوم بعز ماضيهم، بينما حالهم وضع وحاضرهم أسود ومستقبلهم مرتين بيد عدوهم:

ماذا يردُ عليكم عزُّ أوليكمُ  
إن ضاعَ آخرُهُ أو ذلُّ وألصعاً

ويتساءل الشاعر متعجباً في قوله "ألا تخافون قوماً" ليشعر قومه باستغرابه من غفلتهم، وليبعث في نفوسهم الهمة، والشعور بخطر العدو الداهم. وأسلوب الاستفهام يجعل المخاطب في حوار مع نفسه لكشف الجواب.

ويستخدم الشاعر أسلوب النداء في تنبيه قومه، إلى أعز ما يملكون وما يمكن أن يفجعوا فيه "يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها" "يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً"، مستخدماً الأداة "يا" ليشعرهم بقربه منهم، رغم بُعد المسافة بينه وبينهم.

أما الأساليب الخبرية فتستند عليها القصيدة في معظم أبياتها، وهي إذ تأتي في أنماطها المتعددة بالصدق الواقعي في مطابقة النسبة الكلامية للمخبر عنه واقعاً واعتقاداً، وتسعى من خلال ظاهر مصاغها اللفظي إلى تكوين قاعدة معرفية بالواقع، فهي أيضاً تعبيرات خبرية محملة بدلالات وإيحاءات بليغة، ترمي إلى أغراضها في توجيه المخاطب، إلى ما يجب

(٢٨) ينظر: المثل السائر لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥م. ج ٢، ص ٣.

فعله بعد وصف الواقع له، فنجدها تحكي قصة العدو الغازي، وتبين صفته وتصف قوته، وتشخص مكامن الخطر، لا لإفادة المخاطب بحكم الخبر، ولكن لأغراض بلاغية تدور في غالبها حول التحذير والإنذار، وتأتي للتنبيه والتحفيز، كما في قوله "أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا" وفي قوله "فهم سراع إليكم..." وفي قوله "في كل يوم يسنون الحراب لكم....." كما يستخدم الشاعر الأسلوب الخبري في لفت نظر القبيلة إلى مواضع الضعف، ويذكرهم بحالهم معتمداً على المقارنة في كثير من المواضع كما في قوله "لا الحرث يشغلهم..." "وأنتم تحرثون الأرض عن سفه".

وقد تأتي الجمل الخبرية بعد طلب كأمر أو نهي أو نداء، وذلك بغرض بث الأمل وتلطيف الطلب كما في قوله "ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا". أو لتأكيد الأسلوب الإنشائي وتوضيح الهدف والغاية من الطلب كما في قوله ناهياً قومه: "لا تلهكم إبلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ إِبِلٌ إِنَّ الْعَدُوَّ بَعْظَمٌ مِنْكُمْ قَرَعَا".

وتأتي في الغالب الجمل الخبرية مؤكدة بمؤكدات عدة أبرزها "أن" والجملة الأسمية، وقد غيرها كما نرى ذلك بوضوح في أبيات القصيدة.

وملمحاً نشير إليه في استقراء هذه الأساليب الخبرية والإنشائية في أنها خلت من أي مديح أو استعطاف لقومه، بل يستشف منها التوبيخ والتحذير، مراعيًا بذلك مقام حال الخطر وغزو جحافل العدو الزاحف، "أمسوا إليكم كأمثال الدبا سرعا" وفي قوله "فهم سراع إليكم بين ملتقط شوكاً وآخر يجني الصاب والسكعا". أو التحفيز واستنهاض الهمم كما في قوله: "إن لكم من إرث أوليكم مجداً قد أشفقت أن يفنى وينقطعاً".

ورغم أن الشاعر ينوع في إيراد الأسلوب الخبري بين جمل خبرية فعلية وجمل خبرية اسمية، كما في قوله "فهم سراع إليكم بين ملتقط شوكاً وآخر يجني الصاب والسكعا" إلا أن الجمل الخبرية الفعلية هي الغالبة، وذلك مثل قوله "يسنون الحراب، تلتحون حيال الشول، وتنتجون بدار القلعة، وتلبسون ثياب الأمن، لقيتم بأمر حازم فزعا... وغيرها من الجمل الفعلية التي توحى بتجدد الحدث وترقبه، وبالذات الجمل التي تحتوي على الفعل المضارع، إذ يرى علماء اللغة أن الفعل المضارع يُستعمل للدلالة على الحال والاستقبال، أي: لأحدهما أو لهما معاً كما يرى البلاغيون أن الجمل الخبرية المشتملة على فعل مضارع غير مسبوق بعوامل نصب وجزم تغير من زمنيته، تفيد تجدد حدوث النسبة الحكمية فيها، بمقتضى دلالة الفعل المضارع، مع إفاضة تتابع تجدد الحدث، سواء أكانت الجملة مثبتة، أم منفية (٢٩).

ومن الأساليب البديعة تلك التقسيمات التي نراها في ثنائية متضادة حيناً ومتجانسة أخرى كما في قوله، "طوراً اراهم وطوراً لا أبينهم" وقوله "مرتاداً ومنتجعاً" وقوله "يكون متبعاً طوراً ومتبعاً" وقوله "لا قمحا ولا ضرعا".

(٢٩) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي سعيد الأنباري، دار الفكر دمشق، ج ١، ص ١٢٨. وينظر: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي القاء الكفوي، تصحيح: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٨٤.

ولا بد من الإشارة إلى أن القصيدة لا تخلو من بعض الركاكة في الصياغة إذ نجد بعض الأبيات تقترب في مصاغها من النظم التقليدي، ومنها قوله: "فأشفا غليلي برأي منكم حسن" وقوله "فأقنونا جياذكُم وإحموا ذماركمُ وأسشعروا الصبرَ لا تستشعروا الجزعا"، وفي قوله " فلا تُعزَّنكم دنيا ولا طمَعٌ " وفي قوله "هذا كتابي إليكم والنذيرُ لكم" وغير ذلك من الجمل التي هي أقرب إلى الأسلوب الخطابي. وهذا أخل كثيراً بشعرية القصيدة، إذ إن للشعرية لغة مخصوصة، وطريقة في التعبير معدولة، فالشاعر يقوم ببناؤها بطريقة تخرج عن مألوف الكلام، وجاري الاستعمال، حيث إن من خصائص هذه اللغة الوصول إلى المعاني بطريقة غير مباشرة، والاعتماد في اللغة على طاقاتها المكنونة الخفية(٣٠).

## ٢ - الصور الشعرية في القصيدة:

لم تتضمن القصيدة صوراً شعرية كثيرة اعتماداً على الوسائل والعناصر البلاغية المعروفة، كالتشبيه والاستعارة والكناية، وإنما استطاع الشاعر أن يلتقط عدداً قليلاً من تلك الصور التي لا تخلو من روعة إبداعية، وإثارة للخيال. فنلاحظ بداية عدداً من الصور التشبيهية في القصيدة منها قوله:

وَوَاضِحٌ أَشْنَبُ الْأَنْيَابِ ذِي أُشْرٍ كَالْأَقْحَوَانِ إِذَا مَا نورهُ لَمَعَا

إذ استطاع الشاعر أن يرسم صورة ابتسامة المحبوبة ويشخص لعان الأسنان عندما شبهه بالأقحوان المتفتح الذي يعكس النور في فصل الربيع.

وصورة تشبيهة نراها في قوله: "أمسوا كأمثال الدُّبا سرعا" فالتشبيه هنا مضرد، وهو مرسل مفصل محسوس، حيث شبه الأعداء بصغار الجراد التي تغطي مساحة من الأرض وهي تزحف في سرعة مخيفة، والناس يحسبون للجراد ألف حساب، فما بالك إذا كان ذلك السواد المقبل من البشر. ثم إن أداة الشبه وصيغة "أمثال" الجمعية توحي بعظم العدو، وفي لفظة "سرعا" بمصاغها تأكيد للمعنى.

ونراه يشبه لحظ عيون الأعداء بحريق نار يشتعل ويحرق، وهو تشبيه مخيف استخدم له أداة التشبيه "كأن" لتوحي بقوة الصورة التشبيهية وتأكيدها.

ويضرب لهم مثلاً مع أرضهم فيشبههم بسفينة تبحر في أماكن غير صالحة للإبحار:

إِنِّي أَرَاكُمْ وَأَرْضاً تُعْجَبُونَ بِهَا مِثْلَ السَّفِينَةِ تَغْشَى الوَعْثَ وَالطَّبْعَا

وتتمثل القوم بالسفينة يوحى بمعان عديدة، تتعلق بالخطورة، فالرياح والأمواج تواجه السائرين في البحار، والوصول إلى الشاطئ يحتاج إلى يقظة وتنبه حتى يصلوا إلى النجاة. ومن الصور الاستعارية قول الشاعر:

(٣٠) مسألة الإبلاغ في الشعر الحديث، حمادي حموده، علامات في النقد، المجلد الثاني عشر رجب ١٤٢٣هـ/ سبتمبر ٢٠٠٢م. ص ١٧.

وَقَدْ أَظْلَمَكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ هَوْلٌ لَهُ ظَلَمٌ تَغْشَاكُمْ قِطْعًا

ففي البيت استعارة تصريحية حيث أظهر العدو القادم من أطراف البلاد وشبهه بالهول بجامع الكثرة والسواد المخيف، والاستعارة هنا مبنية على تشبيهه مفرد بهيئة مركبة من الهول الذي له ظلمٌ وليست ظلمة واحدة، ثم إنها تغشى القوم قطعاً، وكلمة "قطعاً" تفيد تدفق تلك الظلم واحدة بعد الأخرى. وفي الشطر الأول من البيت إحياء دلالي يؤكد قوة الصورة، ويشير إلى مفاجأة العدو وقد أظل القوم وهجم عليهم من ناحية واحدة.

ومن الصور الكنائية قوله "يسنون الحراب لكم" وهي كناية عن صفة الاستعداد والتأهب للحرب. وفي قوله "ويجني الصاب والسلعا" تصوير بطريق الكناية لحال العدو وهو يجني ذلك النوع من الشجر المر، وهذه كناية عن صفة الشر الذي يضمه العدو.

ومن الصور الكنائية الرائعة قوله: "قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم" وهي كناية عن صفة التأهب والحذر الشديد.

### ٣ - إيقاع القصيدة:

يعرف الإيقاع لدى النقاد بأنه "الحركة الصوتية العامة الداخلية الناشئة من النظام الوزني للأنغام في حركتها المتتالية"<sup>(٣١)</sup>.

وتعتمد القصيدة الجاهلية في إيقاعها بشكل أساسي على الوزن والقافية، فذلك وحده يعطيها فخامة موسيقية عجيبة، من خلال الأوزان العروضية وتقسيمها إلى وحدات في البيت الشعري وتقسيم البيت الشعري إلى شطرين ينشئ ما يسمى بعمود الشعر، وهذا العمود الشعري سمة للقصيدة القديمة إذ إنه العنصر المتسق المتناسق الذي يجعل الشعر كالمجرى المتدفق في حركته الإيقاعية، وهو بذلك عنصر جمالي؛ "يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه"<sup>(٣٢)</sup> غير أن هناك عناصر أخرى تتعاقد مع الوزن والقافية لتعطي القصيدة قوة إيقاعية أقوى، ويحس لها رنيناً ومن ذلك، جود السبك، وفخامة الألفاظ، والمحسنات اللفظية والمعنوية، كالسجع والجناس والترصيع، والمقابلات والتضاد، وغير ذلك مما يسمى بالإيقاع الداخلي. ويمكن الوقوف على هذه العناصر لمعرفة ما تؤديه من أداء في فعالية الإيقاع:

**الوزن:** وهو الموجة الصوتية المتكررة الناتجة من البحر العروضي الذي تنتظم فيه القصيدة، وقد "امتلك الوزن بوصفه طبعاً إمكانية القدرة على مفاجأة المتلقي بالقدرة على ضبط الكلام المتناثر المشتت، ونظمه وجعله أخذاً وملفتاً وأكثر بروزاً وحضوراً"<sup>(٣٣)</sup>. وهذه القصيدة جاءت على وزن البحر البسيط وهو من بحور الشعر الطويلة وفي إيقاعه بساطة وسهولة، وقد استخدمه الجاهليون كثيراً في أشعارهم فهو يتميز بحركة مناسبة وفيه تتوفر للشاعر حرية التعبير عن

(٣١) التعبير الموسيقي، فؤاد زكريا، مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦م. ص ٢٠.

(٣٢) عيار الشعر لابن طبا العلوي، تحقيق: محمد زغلول سلام وطه الحاجري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦م. ص ٥٣.

(٣٣) إشارات الشفوية في النقد العربي القديم، عبد القادر علي باعيسى، جذور التراث، السنة السابعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ج ١، ص ٢٠٦.

المعاني الطويلة، كما أنه من البحور ذوي التفعيلات المزدوجة ( مستفعلن فاعلن)؛ أخذت الأولى من الرجز، والثانية من بحر المتدارك وذلك يتيح للشاعر شحن البيت الشعري بدلالات كثيرة، فلو نظرنا إلى البيت الشعري الذي يقول:

أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَا لَكُمْ أَمَسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدَّبَا سُرْعَا

لوجدنا الشاعر قد ضمنه دلالات عديدة واستطاع فيه أن ينبه قومه ويخوفهم ويدعو عليهم زيادة في التنبيه ويحذرهم قوماً قرروا غزو بلادهم، وأن هؤلاء القوم كثر عددهم وسرع في سيرهم، حتى أن هذا البيت يكفي لتنبيه القوم بالأمر كله، وهو ما يسمى "ببيت القصيد".

ويمكن أن نلاحظ أن لبحر البسيط حركة إيقاعية فيها علو وانخفاض، يتولد من ذلك الازدواج في التفعيلتين المتكررتين، ففي القصيدة نجد تدفقاً إيقاعياً يتناغم مع صرخات الشاعر ولهفه النفسي وقلقه الشعوري للحدث الذي يعالجه في قصيدته. أما القافية فإنها من الأنظمة الإيقاعية الثابتة في القصيدة الجاهلية، وتعرف بأنها "آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن" (٣٤)، "وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام" (٣٥) مكونة بذلك "مقطعاً صوتياً موسيقياً، يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول، فيكرره إلى نهاية أبيات القصيدة" (٣٦).

والقافية هنا قافية مطلقة بنيت على حرف الروي "العين"، وألف الوصل الناشئ عن إشباع حركة الروي "الفتحة"، وقد التزم الشاعر بحركة الفتحة الثابتة "المجرى" لحرف الروي، وهذه القافية من النوع المتراكب، وذلك أن يجتمع ثلاثة حروف متحركة بعدها ساكن" (٣٧).

وهذه القافية المتراكبة بحركة حروفها الثلاثة وحرف الوصل بامتداده "الوجعاً، البيعاً، طمعاً، تبعاً، لمعاً ... أحدثت إيقاعاً وربينا شديد الوضوح، يجعل السامع يترقبه ويتلهف لسماع نهاية كل بيت ويجد نفسه مشدوداً لانتظاره.

**أما الإيقاع الداخلي:** فهو أحد الأشكال الجمالية في القصيدة الجاهلية، ويتمثل في "الرنين المنبعث من الشعر" (٣٨) في مبانيه ولغته، وانتظام مفرداته وجمله التي تصاغ في هيئة خاصة. وأبرز العناصر التي تكوّن الإيقاع الداخلي تتمثل في: المفردات، التي صاغها الشاعر بسلاسة، وفيها صورة جيدة من الترابط والتلاؤم حتى في أصوات المفردة الواحدة أحياناً فقد يتكرر حرف في البيت الشعري فيحدث رنيناً رائعاً كما نرى ذلك في تكرار حرف الجيم وتوزيعه المتناسق في قوله:

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي عَلَى عَجَلٍ نَحْوَ الْجَزِيرَةِ مُرْتَاداً وَمُنْتَجِعَا

ويظهر ذلك الإيقاع من خلال التجنيس أو التردد لعبارات معينة في البيت أو الشطر الواحد في مثل قوله: "طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أُبِينُهُمْ... لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعًا .. لَا تَجْمَعُونَ وَهَذَا اللَّيْثُ قَدْ جَمَعَا" ونرى ذلك الإيقاع الداخلي

(٣٤) القوافي، لأبي الحسن سعيد الأقفش، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م، ص ١.

(٣٥) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠ م، ج ٦، ص ٥٧٣.

(٣٦) بنية القصيدة التقليدية، د. عبد الرضا علي، دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، العدد السادس والخمسون ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م، ص ٣١.

(٣٧) القوافي، لأبي يعلى التنوخي، ص ٢.

(٣٨) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الرابعة ١٩٩١ م، ج ٤، ص ٣٤.

ينبعث من خلال المقابلات الدلالية والطباق بين الألفاظ والمعاني كما في قوله: "فلا ترى ياساً منها ولا طمعاً" وفي قوله: "إن كانت أموركم شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعاً" وفي قوله: "يكون متبهاً حيناً ومتبهاً" وكما في قوله "لا يشعرون أضر الله أم نفعاً.. إن طار طائرُكم يوماً وإن وقعا": فقد وفق الشاعر في استخدام هذه الصيغ الرائعة، وزادت من الحسن الإيقاعي للقصيدة، وتوافق هذا الإيقاع مع دلالات القصيدة ومضامينها.

والملاحظ أن الصياغة القوية للمفردات ومواقعها في الجمل والتراكيب لهذه القصيدة جعل لها نغماً إيقاعياً فريداً، ففي معظم أبياتها أجد تلك المفردات القوية، والتراكيب الدقيقة، فمثلاً جمع الشاعر بين الشحط والأرق لكن في صيغة أسم وفعل، "شحط يؤرقني" وفي قوله "يضحي فؤادي" وقوله "يرجى لغابركم" وقوله "إن طار طائرُكم" وفي قوله "زيد القنى يوم لاقى" وغيرها من المفردات التي أحدثت بموقعها وعلاقتها في سياقها إيقاعاً ملموساً، وأحياناً نجد الإيقاع نتيجة التقديم والتأخير، كما في تقديم الجار والمجرور في قوله: في كل يوم يسنون الحراب لكم" وتقديم الصفة على الموصوف في قوله "خزر عيونهم" وتقديم المعمول على العامل في سياق النفي كما في قوله "لا الحرث يشغلهم" ومثل هذه التركيبات تولد إيقاعات لطيفة لا تخطئها الأسماع.

#### ٤ - أثر القصيدة وفعاليتها في الواقع:

لا يماري أحد في أن للشعر الجاهلي القديم سطوته وأثره في واقع الحياة، إذ كان وقوداً للمعارك، وكان الشعراء يتقدمون الصفوف، ويتعنون بالشعر كما هي عادة العرب في الحروب (٣٩)، وأحياناً يبلغ الشعر في فاعليته مبلغ السحر، لاسيما ذلك الذي يقال في الهجاء، فيؤدي إلى وضع الرفيع، وهتك الأعراض، أو بالمديح فيرتفع شأن الوضع، حتى إن بعض زعماء القبائل في الجاهلية والإسلام كانوا يشترطون أعراض قبائلهم من الشعراء بالأموال ليكفوا عن هجائها (٤٠).

ونستطيع القول بعد هذه النظرات الأسلوبية في هذه القصيدة بأنها أدت وظيفتها الإبلاغية ووظيفتها الإمتاعية، أما وظيفتها الإبلاغية فقد دفع الشاعر حياته ثمناً لها كرسالة قوية فاعلة. كما صارت هذه القصيدة مقدسة لدى قبيلة إياد كونها المنقذ من حملة أجنبية أوشكت أن تبيدهم وتمحوهم من مرابضهم، فكانت صرخة أطلقتها الشاعر لقيط الإباضي فنبهت قومه، واستنهضت همهم، وأيقظت فيهم الدفاع عن بيضتهم وديارهم.

وأرى أن هذه القصيدة وغيرها من القصائد الجاهلية المتقدمة تمثل بدايات متقدمة لفنية الشعر الجاهلي، وقد قال ابن دريد "لم يقل العرب قصيدة في النذير أجود من هذه" (٤١).

(٣٩) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٣١٩.

(٤٠) ينظر: الأغاني، ج ١٩، ص ٢٠٠.

(٤١) ديوان لقيط بن يعمر، ص ٣١.

ونظراً لما حملته هذه القصيدة من أبعاد قومية وما فيها من فداء للعرب آنذاك من الشاعر وما تضمنته من حكم ونصائح لاسيما تلك الصفات التي يراها لقيط في القائد العربي الشجاع فقد كان الكثير من القادة إبان الفتوحات يتمثلونها ولربما كانوا يحفظونها، وتجري على ألسنتهم في المحافل والمناسبات، فيروى " أن المهلب قدم على الحجاج فأجلسه إلى جانبه، وأظهر إكرامه وبره، وقال: يا أهل العراق، أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت والله كما قال لقيط الإيادي:

وقلدوا أمركم لله دركم      رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه      هم يكاد حشاه يقصم الضلعا  
لا مترفاً إن رخاء العيش ساعده      ولا إذا عض مكروه به خشعا  
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره      يكون متبعاً طوراً ومتبعاً  
حتى استمرت على شزر مريته      مستحکم الرأي لا قحماً ولا ضرعاً

فقام إليه رجل، فقال: أصلح الله الأمير! والله لكأني أسمع الساعة قطرياً وهو يقول: المهلب كما قال لقيط الإيادي، ثم أنشد هذا الشعر، فسر الحجاج حتى امتلأ سروراً" (٤٢).

وقد تحدث القدماء وأشاروا إلى القصيدة وأثنوا على شاعرها، ومنهم الثعالبي إذ يقول: "لقيط بن يعمر الإيادي أمير شعره قصيدته التي كتبها إلى قومه يحذرهم جند كسرى، ويحرضهم على الجد والتشمّر للممانعة والمقارعة فمنها: قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم... (٤٣).

كما نجد إشارات وحديثاً عن هذه القصيدة وفعاليتها وأثرها الفاعل في الواقع لدى العديد من الأكاديميين والقادة في العصر الراهن، "يقول الدكتور عبدا لعزیز الفيصل: وإذا كانت رسالة لقيط بن يعمر موجهة إلى عرب إياد في آخر العصر الجاهلي، فإن مادتها لا تزال حية متجددة فكأنه يوجهها من جديد إلى عرب اليوم، الذين يجتمعون لتدارس أمورهم، وحماية أنفسهم، ومقدساتهم من كيد الأعداء الذين يملكون القوة والسلاح، إننا نطلب من العرب الاجتماع وعدم التفرق، ففي الاجتماع القوة وفي التفرق الضعف، فإجماعهم على أمر هو الذي سيوصلهم إلى نتيجة مشرفة، واستمرار الخلاف سيفرقهم، وعاقبة الفرقة التشرذم" (٤٤).

ويقول الدكتور صبري حسين: "تعد عينية لقيط بن يعمر الإيادي رسالة شعرية قيلت في زمان معين وظرف خاص، لكنها تجاوزت الزمان والمكان، جمع فيها لقيط أطراف ملكته وتخبر مفتاح التعبير في الوزن والقافية، ومدّ بنات فكرة إلى

(٤٢) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. ج ٣، ص ٢٨٧.

(٤٣) لباب الأدب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: أحمد حسن ليج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. ١١٧.

(٤٤) رسالة من لقيط بن يعمر إلى العرب، د. عبدا لعزیز الفيصل، رؤى وأفاق، العدد الأربعاء ٢٧، محرم ١٤٢٣ هـ أول صحيفة سعودية تصدر على شبكة الانترنت.

شتى قطوف المعاني، صاعداً بالنفس الخطابية إلى مراقٍ من الإفصاح الرحب المدى، المستمر الخالد خلوداً غريباً عجبياً دفنعا: مبدعين ومتلقين، دفعاً إلى استدعائها، استدعاءً متنوعاً في ميادين الكلمة الشاعرة وقاعات الدرس الأولي التربوي والأكاديمي، إذ المطالع لها، والمتفحص فيها يجد أنه منذ ما يقرب من سبعة عشر قرناً بعث هذا الشاعر رسالة إلى قبيلته، يخبرهم بأن كسرى الفرس يخطط لاستئصالهم ويعد العدة لذلك الهدف، وينصحهم باتخاذ السبل العملية لمواجهة هذا المخطط العدائي الحاقد. مبرزاً قوة العدو وتهاوي القبيلة أو أدوائها ومقداً الرؤية المثالية لما ينبغي أن يكونوا عليه. كأنني به فيلسوف من أبناء هذا الزمن، يخاطب الأمة وسط هذه الأحداث المخزية والمآسي المبكية التي نمر بها على مستوى القاع والقمة<sup>(٤٥)</sup>.

أما وظيفتها الجمالية، فقد وقفنا عليها من خلال التحليل والاستقراء لأساليبها وما تضمنته من عناصر جمالية إبداعية، ويستطيع القارئ تذوقها في لغتها وأساليبها الفنية وإيقاعها وقافيتها الرنانة التي تحكي قصة شاعر غيور على قومه وقوة شكيمة ونخوته.

وإذا كانت قصيدة عمر بن كلثوم النونية<sup>(٤٦)</sup> أنشودة شُغلت بها قبيلة تغلب، ترويتها كابراً عن كابر، فإن قصيدة لقيط بن يعمر أنشودة قبيلة إياد أينما ذهبت تجد في أبياتها صرخة وتحذير ونداء واستغاثة واستعجال وتلهف، فكان جديراً بالقصيدة أن تخلد في ذاكرة القبيلة، وذاكرة غيرهم من الشعوب العربية والإسلامية ليستعدوا لمؤامرة أعدائهم "فرس اليوم" وما أشبه الليلة بالبارحة.

#### الخاتمة:

وقفت هذه الدراسة على قصيدة جاهلية قديمة لشاعر جاهلي قديم، هو لقيط بن يعمر الإيادي وهو أحد الشعراء الفحول، إذ أشارت روايات عدة أن قبيلته إياد سكنت في الحيرة، بينما اتصل هو بالفرس، وتعلم لغتهم الفارسية، كما تعلم الكتابة العربية، فكان من كتّاب كسرى والمطلعين على أسرار دولته، وأصبح من كبار المترجمين له، وهمزة وصل بين دولة فارس والقبائل العربية.

وقصيدته العينية هذه والتي مطلعها: "يا دار عمرة من محتلتها الجرعا، هاجت لي الهم والأحزان والوجعا" هي من غرر الشعر العربي، وقد بعث بها إلى قومه إياد، يندرهم ويحذرهم أن كسرى وجّه جيشاً كبيراً لغزوهم، غير أن القصيدة - بعد أن وصلت إلى هدفها كما ترجح - سقطت في يد من أوصلها إلى كسرى فسخط على لقيط بن يعمر المقرب إليه وقطع لسانه ثم قتله.

<sup>(٤٥)</sup> تحليل قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي، للدكتور صبري أبو حسين، دراسة منشورة في منتديات بلاد ثماله على شبكة الإنترنت، بتاريخ ٢٦/٤/١٤٢٩هـ.

<sup>(٤٦)</sup> هي من قصائد المعلقات، ويقول في مطلعها: ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا. (شرح المعلقات السبع، القاضي حسين الزوزني، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. ص ١٩٤).

وقد تبين من خلال الدراسة والتحليل لهذه القصيدة أننا بإزاء قصيدة ذات غرض شعري جديد هو التحذير والإنذار، وهذا الغرض لم يطرقه الجاهليون بتلك القوة والوضوح ووحدة الموضوع.

وقد صاغ الشاعر هذه القصيدة بلغة سهلة مناسبة، وفيها لذة تعبيرية وإبداع جمالي، كان نتيجة للتنوع الأسلوبي، ووضوح الدلالات، وكثرة المقارنات بين حال القبيلة وحال العدو، وتنوع الصور الشعرية الجاذبة، إلى قوة الإيقاع الوزني ورين القافية والروي.

وإن أهم ما يلاحظ في هذه القصيدة هي تلك الروح القومية المستعرة، والتضحية بالمكاسب الشخصية والمكانة المرموقة والنعيم الذي كان يرفل فيه الشاعر، في سبيل القبيلة والعرض والديار، فالقصيدة من أولها إلى ختامها تنبض بالغيرة والقلق النفسي الذي بدا على الشاعر وهو يلح في التحذير لبني قومه الغافلين عن عدو غاشم يزحف قاصداً لهم، ليس له غاية إلا استئصالهم، إلى أن وصل الأمر بالشاعر أن يامر القوم بالقيام على أمشاط أرجلهم.

فكانت القصيدة رسالة قوية ذات أثر فاعل دفع الشاعر نفسه ثمناً لها، وكانت كتاب إنذار للقوم، وصرخة قوية نبهتهم من غفلتهم، وأيقظت فيهم النخوة، فاستعدوا لملاقات العدو أيما استعداد.

#### المصادر والمراجع:

- ١ - الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٢ - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- ٣ - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية.
- ٤ - الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي سعيد الأنباري، دار الفكر دمشق.
- ٥ - البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي. دار صعب - بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- ٦ - تاريخ أداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- ٧ - التعبير الموسيقي، فؤاد زكريا، مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٦م.
- ٨ - جذور التراث، السنة السابعة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٩ - دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء، العدد السادس والخمسون ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١٠ - ديوان لقيط بن يعمر الإباضي، شرح وتحقيق: د. محمد التونجي، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ١١ - السبع المعلقات مقارنة سيميائية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨م.

- ١٢ - شرح المعلقات السبع، القاضي حسين الزوزني، تحقيق: يوسف علي بدوي، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ١٣ - شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب رومية، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٦م.
- ١٤ - العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف.
- ١٥ - علامات في النقد، المجلد الثاني عشر رجب ١٤٢٣هـ / سبتمبر ٢٠٠٢م.
- ١٦ - عيار الشعر لابن طبا طبيا العلوي، تحقيق: محمد زغلول سلام وطه الحاجري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٦م.
- ١٧ - في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة د.ت.أ.
- ١٨ - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
- ١٩ - القوافي، لأبي الحسن سعيد الأخفش، تحقيق: د. عزة حسن، دمشق ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ٢٠ - لباب الآداب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: أحمد حسن لبيح، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢١ - اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن الشيباني الجزري، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٢ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى د.ت.أ.
- ٢٣ - الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٤ - الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تصحيح: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
- ٢٥ - المثل السائر لابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥م.
- ٢٦ - مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت.
- ٢٧ - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- ٢٨ - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الرابعة ١٩٩١م.
- ٢٩ - مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٨٨م.

- ٣٠ - معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقى، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٣٢ - النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر القاهرة ١٩٧٧م.
- ٣٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد النويري، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى، بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٤ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## من أسرار التقديم في القرآن الكريم -دراسة بلاغية تحليلية

د.عبد الرحمن الطيب عبدالواحد خليفة

أستاذ البلاغة والنقد كلية اللغة العربية - جامعة

أمدرمان الإسلامية - السودان

dr.abdou114@gmail.com

## الملخص

## 5

إن ظاهرة تقديم ركن من أركان الجملة العربية وتأخير الركن الآخر تتم وفقاً لأغراض بلاغية متنوعة يلحظها المتكلم ، وينظم حديثه وفقاً لهما لكي يُؤدّي المعنى أداءً سليماً وواضحاً ، كما إنه يكسب الأسلوب قوة وجمالاً . وفي فضل التقديم والتأخير أورد عبدا لقاهر الجر جاني كلاماً جميلاً مبيّناً شأن التقديم والتأخير ، فقد أولاه عنايته ، وفصل القول فيه ، وقد بدأ الحديث فيه بالإشارة إلى فضله ، وبيان أنواع التقديم وما تكون عليه ، موضحاً أن التقديم على نوعين :

أ - نوع يكون التقديم فيه على نية التأخير ، أي أن هذا التقديم لا يخرج عن بابه ولا يحوله عن أصله ، وذلك كأن تقدم الخبر على المبتدأ مثلاً فتقول : فوق الشجرة طائر ، أو تقدم المفعول على الفاعل ، فتقول : قطفَ الزهرة عليّ ، فقد بقي المبتدأ مبتدأ ، والخبر خبراً في المثال الأول ، وبقي الفاعل فاعلاً والمفعول مفعولاً في المثال الثاني .

ب - نوع يخرج فيه المقدم عن أصله ويحول عن بابه ، ويأخذ حكماً جديداً ، وذلك في الخبر المعرفة ، نحو قولك : زيدٌ المنطلق ، والمنطلق زيدٌ ، فحين قدما الخبر لم يعد خبراً وإنما صار مبتدأ ، وصار زيد الذي كان مبتدأ خبراً ، ومثل تقديم المفعول في قولنا : ضربتُ زيداً ، فإننا حين نقدم فنقول : زيدٌ ضربتهُ ، يتحول المفعول إلى مبتدأ خبره الجملة الفعلية بعده ، ويعمل الفعل في ضميره.

وقد أدرك شيخ البلاغيين ذلك عندما قال : إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم ، من غير أن يُذكر ، من أين كانت تلك العناية ، وبم كان أهم ؟ ولتخيلهم ذلك ، قد صغّر أمر " التقديم والتأخير " في نفوسهم ، وهوتوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف . وهذا ما وقع فيه ظن كثير من الناس .

وفي ترتيب كلمات القرآن الكريم وجدنا أسباباً متعددة لتقديم لفظ على لفظ في آيات وتأخرت في آيات لسبب الحديث ، وهذا كله مؤداه السياق العام للقرآن الكريم وبلاغته المعجزة . لأن أسلوب التصوير القرآن في رسم مشاهدته وإيضاحها سس ارتباطاً وثيقاً بالتقديم والتأخير ، فقد أبرزت المعاني والصور والمشاهد عن طريق المعنى أو المشهد الحسي لتأكيد الكلام وتثبيت المشاهد وإطلاق الخيال للمستمع أو القارئ.

## Research Summary

The phenomenon of providing corner of the Arabic sentence and delay the other corner are in accordance with the purposes of rhetorical variety unnoticed speaker, and organizes his speech, according to them, in order to lead a sound sense and clear performance, as he earns strength and beautiful style. In the preferred presentation and delay a slave to a compelling cited traction Jani words beautiful noting would surrender and the delays, it has given by his care, and the separation of say in it, and talk began the reference to the bounty, and the statement of the types of presentation and be, :pointing out that the introduction of two types

A. Type the presentation in which the intention of the delay, which means that this submission does not get it out from the door and turns it on its origin, and that was offering news on the Debutante for example, says: Above the tree a bird, or provide effect on the actor, says: picking Venus Ali, has remained Debutante tyro, the news story in the first example, and remained an active and effective force effect in the second .example

B) type which comes out submitted its origin and turns on his door, and takes a new ) provision, in the news of knowledge, about your saying Zaid mind, and spirit Zaid, when we introduced the news is no longer news, but became a tyro, and became Zaid, who was tyro news, and such provision in effect in our saying: hit Zaida, we offer when we say: Zaid hit him, becomes in effect, beginning to experience beyond the actual .sentence, and shall act in his conscience

Sheikh Albulageyen have realized that when he said he made because of the care and said the most important, it is not to mention, Where was the care, WPM was the most important? To Tejelhm it, "surrender and delays" may command small in them, they played down the speeches, so that you see to see the most followed and consider it .a form of affectation. This is what happened when he thought a lot of people

In the order of the words of the Koran and found multiple reasons for providing utter the word in the verses and verses of late in the context of the modern, and this year the whole context of the Koran and the effect his eloquence miracle. Because the method of imaging the Koran in drawing watch and clarified, SAS has been associated closely Apply delays, it has highlighted the meanings and images and scenes through the meaning or sensuous scene to confirm the speech and install the viewer and the launch of the .imagination of the listener or the reader

**تمهيد:**

إن ظاهرة تقديم ركن من أركان الجملة العربية وتأخير الركن الآخر تتم وفقاً لأغراض بلاغية متنوعة يلحظها المتكلم ، وينظم حديثه وفقاً لهما لكي يُؤدّي المعنى أداءً سليماً وواضحاً ، كما إنه يكسب الأسلوب قوةً وجمالاً . وفي فضل التقديم والتأخير يقول عبداً لقاهاجر الجرجاني : ( هو بابٌ كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروكك مسمّعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبباً أن راقك ولطف عندك ، أن قدّم فيه شيء ، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)<sup>١</sup>

ولما كان هذا شأن التقديم والتأخير ، فقد أولاه عبد القاهر عنايته ، وفصل القول فيه ، وقد بدأ الحديث فيه بالإشارة إلى فضله ، وبيان أنواع التقديم وما تكون عليه ، وراى أن التقديم على نوعين<sup>٢</sup> :  
 أ - نوع يكون التقديم فيه على نية التأخير ، أي أن هذا التقديم لا يخرج عن بابهِ ولا يحوله عن أصله ، وذلك كأن تقدم الخبر على المبتدأ مثلاً فتقول : فوق الشجرة طائر ، أو تقدم المفعول على الفاعل ، فتقول : قطف الزهرة عليّ ، فقد بقي المبتدأ مبتدأ ، والخبر خبراً في المثال الأول ، وبقي الفاعل فاعلاً والمفعول مفعولاً في المثال الثاني .

ب - نوع يخرج فيه المقدم عن أصله ويحول عن بابهِ ، ويأخذ حكماً جديداً ، وذلك في الخبر المعرفة ، نحو قولك : زيدٌ المنطلق ، والمنطلق زيدٌ ، فحين قدمنا الخبر لم يعد خبراً وإنما صار مبتدأ ، وصار زيد الذي كان مبتدأ خبراً ، ومثل تقديم المفعول في قولنا : ضربتُ زيداً ، فإننا حين نقدم فنقول : زيدٌ ضربته ، يتحول المفعول إلى مبتدأ خبره الجملة الفعلية بعده ، ويعمل الفعل في ضميره .

وقد أدرك شيخ البلاغيين ذلك عندما قال : ( إنه قدم للعناية ولأن ذكره أهم ، من غير أن يُذكر ، من أين كانت تلك العناية ، وبم كان أهم ؟ ولتخيلهم ذلك ، قد صغر أمر " التقديم والتأخير " في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلّف )<sup>١</sup> . وهذا ما وقع فيه ظن كثير من الناس .

اختلف علماء البلاغة في هذا الفن البلاغي ، فمنهم من عدّه من المجاز ، لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل<sup>٢</sup> . ولكن خالفهم في ذلك كثير منهم الزركشي ، والصحيح

<sup>١</sup> - دلالات الإعجاز عبدالقاهر الجرجاني ، ص ١٠٦

<sup>٢</sup> - المصدر السابق ، ص ١٠٦

<sup>١</sup> - دلالات الإعجاز ، ص ١٠٨

<sup>٢</sup> - المعجم المفصل ، ص ٤١٢ ، أنظر أصول البلاغة ص ٩٣

أنه ليس منه ، لأن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع ، في الإسناد أو في المعنى ، وكل تلك الشروط لم تتوفر في هذا الفن ، لذا لا يصح جعله من المجاز.

ولا بد أن نشير إلى نقطة مهمة وهي أن رتبة المسند إليه التقديم ، وذلك لأن مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم ، فلهذا تقدم وضعاً ، ولتقديمه دواعي وأسرار بلاغية عظيمة سنقف عندها بإذن الله . ومعلوم أن الألفاظ قوالب المعاني كما أشار إلى ذلك صاحب نظرية النظم ، فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي حسب ترتيبها الطبيعي ، ومن البين والمعلوم كذلك أن ركني الجملة هما المسند والمسند إليه ، وما عدهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة ، ولكن قد يعرض لبعض الحكم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها ، وإن كان من حقها التأخير ، فيكون من الحسن إذا تغير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه ، ومترجماً عما يريد . وبالتالي ورد عن بعضهم أن التقديم لا يخلو من أحوال أربع<sup>١</sup> :

أ - ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ ، وذلك هو الغاية القصوى ، وإليه المرجع في فنون البلاغة ، والكتاب الكريم هو العمدة في هذا ، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ ﴾ والقيامة ( ٢٢ - ٢٣ ) ، نجد أن التقديم هنا قد أفاد التخصيص ، وأن النظر لا يكون إلا لله مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

ب - ما يفيد زيادة في المعنى فقط نحو : ﴿ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ( الزمر ٦٦ ) ، فتقديم المفعول أفاد التخصيص بالعبادة ، وأنه ينبغي ألا تكون لغيره ، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك .

ج - ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير ، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحظة كقوله :  
وكانت يدي مألَى به ثم أصبحت بحمد إلهي وهي منه سَلِيبُ

فتقديره : ثم أصبحت وهي منه سليل بحمد الله .

د - ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظي ، كتقديم الصفة على الموصوف ، أو نحو ذلك كما في قول الفرزدق<sup>١</sup> :

إلى ملكٍ ما أمه من محاربٍ أبوه ولا كانت كليبٌ نَصَاهِرُهُ

فتقديره : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أي ما أم أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى ، بل يحتاج إلى تأمل وترتيب ورفق حتى يفهم المراد منه . لكن البلاغيين بحثوا الأمر بحثاً فكرياً منطقياً دقيقاً ، ناظرين على حال المخاطب ، وما الأعراف لديه من ركني الإسناد اللذين هما من المعارف . فأَيُّ المعرفتين هو الأعراف بالنسبة إليه ، وحالته تتطلب مزيداً من العلم عنه يُجعل هو المبتدأ ، والركن الآخر

<sup>١</sup> - جواهر البلاغة ، ص ١٢٣

<sup>١</sup> - ديوان الفرزدق ، ج ١ ، ص ٤١٧

يُجعل هو الخبر ، وتُرتب له الجملة بتقديم المبتدأ وتأخير الخبر . فمن عرف مثلاً الإمام الشافعي وجعل أنه هو الشاعر الأول بين الفقهاء يقال له : الإمام الشافعيُّ الشاعرُ الأولُ بين الفقهاء ، ومن عرف وجود شاعر هو الشاعر الأول بين الفقهاء ، واستقر ذلك في ذهنه وسمع شعره أو قرأه ، وهو لا يعرف أنه هو الإمام الشافعي يقال له : الشاعرُ الأولُ بين الفقهاء الإمام الشافعي<sup>١</sup> .

لأن الأصل في الجملة الاسمية تقديم المسند إليه " المحكوم عليه " وهو المبتدأ وما يتصل به ، وتأخير المسند " المحكوم به " وهو الخبر وما يتصل به ، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر المماثلة لمتعلقات الفعل ، إذا كان الخبر مما يعمل عمل الفعل ، أو جملة مصدره بفعل . أما الأصل في الجملة العربية فهو تقديم المسند " المحكوم به " وهو الفعل ، ويُلاحق به ما يعمل عمل الفعل ، وتأخير المسند إليه " المحكوم عليه " وهو الفاعل أو ما ينوب منابه ، ثم تأتي متعلقات الفعل أو ما يعمل عمله .

البلاغيون بصفة خاصة ، وأهل اللغة بصفة عامة يقرون في هذا الفن ما يشبه الأصل ، ويجعلون ما يأتي بعد ذلك متفرعاً عليه. ويحدد عبدالقاهر هذا الأصل بما أطلق عليه " العناية والاهتمام " . فالقديم عندهم هو ما كان موضع الاهتمام ، وما كانت العناية به أشد ، عندما قال : واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل ، غير العناية والاهتمام .

قال صاحب الكتاب<sup>١</sup> وهو يذكر الفاعل والمفعول : ( كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم ، وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم )<sup>٢</sup> . ولبيان ذلك قال سيبويه في جملة ضرب عبدالله زيداً : ( فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك قولك : ضرب زيداً عبدالله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً أردت به مقدماً ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً ، وهو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم )<sup>٣</sup> .

ولكن شيخ البلاغيين لم يكتف بهذا القول الذي يتصف بالعموم ، ورأى ضرورة أن يُعرف من أين تأتي العناية ؟ ولم كان الاهتمام ؟ . ذلك لأن الوقوف عند القول بالعناية والاهتمام دون اتصال المعرفة بما وراء ذلك دفعهم إلى التهوين من شأن العلم وقدره . وهو لهذا السبب يفصل القول في التقديم والتأخير ويجعل من الخطأ النظر إلى الأمر نظرتين مختلفتين ، فتارة تكون للتقديم فائدة مذكورة ومنصوص عليها ، وأخرى غير موجودة إنهم يعللون التقديم مرة بالعناية ، لكنهم في أخرى يجعلونه مجرد توسعه على الشاعر والكاتب ، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه ، ومن البعيد عنده " أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل تارة

١ - البلاغة العربية - عبدالرحمن حبيكة : ص ٣٥٦

٢ - إشارة إلى سيبويه

٣ - الدلائل : ص ١٠٧

٤ - كتاب سيبويه: تحقيق عبدالسلام هرون ، ج ١ ، ص ٣٤ ، مكتبة الخانجي ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

أخرى لذا نجد الشيخ لم يقتنع برأي من قال إن الغرض من التقديم محصور في العناية والاهتمام . فالإكتفاء بهذا القول قد قلل من شأن التقديم وهونه في النفوس . بل إن الوقوف عند القول بالعناية والاهتمام ، قد صرف القوم عن معرفة البلاغة ومقاديرها ، وصدّهم عن الجهة التي هي فيها . فكان رأي الشيخ أن كل تقديم لا بد أن يكون له غرض معنوي ، وأنه من الخطأ أن يقسم الأمر في التقديم والتأخير إلى مفيد تارة وترجع إفادته إلى معنى الكلام ، وغير مفيد تارة أخرى والغرض منه أمر لفظي ، وقد وضحنا ذلك .

ثبني الألفاظ في الآية بالتقديم والتأخير، تبعاً لمقاصدها ، وأسبابها ، إذ لا يتقدم لفظ أو يتأخر في آية من الآيات ، إلا لموجب يقتضيه ، ولداع من المعنى يطلبه ويستدعيه ، وذلك ما ستبينه هذه الدراسة ، معتمداً فيها على ذكر بعض الأمثلة ، التي تبين ذلك التصريف العجيب ، والبناء الدقيق . ومثل ذلك في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ فَزَعُوا فَلَا فُوتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (سبا ٥١) ، قال بدوي طبانة : ( تأويله والله أعلم : ولو ترى إذا فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت ، لأن الفوت يكون بعد الأخذ )<sup>٢</sup> . ولأن من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخير هو في المعنى مقدم . ومن ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (التوبة ٥٥) ، المعنى : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا<sup>١</sup> .

معلوم أن الواو لمطلق الجمع ، ولا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً ، وليس معنى ذلك أن الآية القرآنية ، تجمع بها معطوفات على غير ترتيب ولا نظام ، وإذا كان من الجائز أن يتقدم بعض أجزاء الجملة على بعض ، فقد حرصت الجملة في القرآن على أن يكون هذا التقديم مشيراً إلى مغزى ، دالاً على هدف ، حتى تصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج نفسي ، يتقدم عنها فيها ما تجد النفس تقديمه أفضل من التأخير ، فيتقدم مثلاً بعض أجزاء الجملة حين يكون المحور الذي يدار عليه الحدث وحده ، فيكون هو المقصود والمعنى ، والنفس يتقدم عنها من يكون هذا شأنه ، فلا جرم أن يتقدم في الجملة كما تقدم في النفس<sup>٢</sup> .

ففي القرآن الكريم نجد أن التقديم يمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني فيه ، ذلك أن إنزال الكلمات في منازلها واستغلال معطيات التقديم النحوي والدلالي والجمالي المتمثل في رؤوس الآي ، واعتدال المقاطع ، وتناسب الفواصل ، هو مما شغل علماء القرآن والإعجاز والبلاغة . والبحث باستخدام التقديم والتأخير في الأسلوب القرآني لا ينحصر في دائرة تركيب الجمل ، بل يتناول إلى جانب ذلك مباحث أخرى كترتيب الصفات وترتيب المتعاطفات ، ومن جملة ما يميز لغة القرآن مراعاة الفاصل .

<sup>٢</sup> - معجم البلاغة العربية : ص ٥٢٨

<sup>١</sup> - معجم البلاغة العربية : ص ٥٢٩

<sup>٢</sup> - من بلاغة القرآن : أحمد أحمد بدوي ، ص ١١٢

فالتقديم والتأخير إذن عملية فنية تحتاج إلى خبرة بضم القول ، وترتبط - عادة - بالمستويات العليا من نصوص اللغة ، ولذا ( نلاحظ أنه كلما قلَّ المستوى الثقافي للمتكلم مالت لغته إلى الترتيب المألوف للجملة اسمية أو فعلية ، ويتضح ذلك كثيراً في لغة الصحافة اليومية واللهجات المعاصرة ، وهي تميل إلى نمط الجملة الثابتة بوضوح ، فإذا ما نظرنا في الكلام الفصيح ، وأعلاه القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي ، ثم أشعار العرب ونثرها الفني ، كل ذلك ستظهر فيه بلاغة التقديم والتأخير ، ولولا وجوده لضاعت اللغة على أهلها ، وذهب كثير من جميل القول ، وعذب البيان ، غير أنهم جعلوا الإعراب ميزاناً لهذا كله )<sup>١</sup> . قال ابن يعيش : ( ولو اقتصر البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقديمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب )<sup>٢</sup> .

### مفهوم التقديم والتأخير

لأن التقديم والتأخير في اللغة متناقضان ، حيث يعني الأول بوضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه ، ويعني الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه ، وبالمعنى نفسه ( انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية ، إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى ، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته ، وذلك يجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعرض اختصاص أو أهمية أو ضرورة )<sup>٣</sup> . ولا شك أن العرب كانت تفعل ذلك دلالة على ملكتهم في صوغ الكلام وحاجتهم إلى إصابة المعنى ، وتحقيق الغرض ، فورد في كلامهم ( وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق )<sup>٤</sup> .

وعند تناولنا لهذا الفن من خلال أي الذكر الكريم ، وشواهد الغنية بالمزايا ، تتضح لنا أكثر أهمية التقديم ودوره المتعاطف الذي يؤديه بغية إيصال المعنى المراد من الكلام ، وكيفية بناء الجملة لتؤدي غرضها داخل النص ، وكيف أن المتكلم يحتاج إلى التقديم والتأخير بغية تمام المعنى وإيصاله على الوجه المراد ، وقد يكون بقاء التقديم - لما رتبته التقديم أصلاً - واجباً وداعياً من واجبات إيصال المعنى ودواعيه دون المساس بترتيب الألفاظ في الجملة.

فالتقديم والتأخير ظاهرة تطبع الجملة العربية في كثير من صورها ، فهذا الفن مجال المبدعين وميدان الشعراء والناثرين ، وهو مجال خصب لبلاغة القول ، تتفاوت فيه القرائح ، لذا ليس بغريب على عبدالقاهر حين أولاه اهتمامه ، ورصعه بالعبارات الجميلة ، منوهاً إلى عظم قدره وعلو مرتبته بين سائر فنون البلاغة الأخر.

<sup>١</sup> - الفواصل القرآنية (دراسة بلاغية) - د. السيد خضر ، جامعة المنصورة ، كلية التربية - ص ٩٦ ، مكتبة الإيمان ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

<sup>٢</sup> - شرح المفصل ، ٧٢ \ ١ ، ط ٠ مكتبة المتنبي

<sup>٣</sup> - التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ، د. مختار عطية ن ص ١٥ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الأسكندرية ، ٢٠٠٥ م

<sup>٤</sup> - البرهان في علوم القرآن : ص ٢٣٣

والحقيقة أن التقديم والتأخير كثيراً ما يرتبطان بالمستويات العليا من الكلام ، وبحالة المتكلم أو الكاتب النفسية والفكرية ، ومما يقرره اللغويون المحدثون أن : ( مخالفة النظام المألوف في ترتيب الكلمات قد يقع في الأساليب التي تشبه الشعر الموزون ، كبعض الخطب العنيفة الحماسية ، وفي كل أسلوب انفعالي عاطفي كالذي يكون في الحوار والمحاكاة )<sup>١</sup> ، لأن ( مخالفة الترتيب المألوف للكلام تثير انتباه المتلقي ، وتصرف الفكر والاهتمام إلى ذلك المقدم ، والقرآن نازل بلغة العرب وعلى مذاهبهم وسننهم في استعمال لغتهم حيث ورد فيه التقديم والتأخير كثيراً ، وصرفه النحاة والبلاغيون - عادة - إلى الاهتمام والاختصاص )<sup>١</sup> .

فلا شك إذن في أن للتقديم والتأخير دوراً في تحقيق بلاغة الجملة ، لما يضيفه على الأسلوب من إعادة بناء الكلام طبقاً لما يحتاجه المقام ، بحيث تتعلق هذه الفائدة بإرادة الأديب أو المتكلم مع حسه ، ونتيجة لذلك تتحقق الرغبة المرجوة وهي التركيب الجيد ، وهذا الجانب النفسي يتطلب وجوده لدى كل من الكاتب أو الأديب .

لأن للبلاغيين في درس التقديم والتأخير طرائق تبحث في دلالة تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض ، لتحقيق ما يريده المتكلم ، وحاجة المخاطب ، حيث يتقدم المفعول على الفعل والفاعل كما يتقدم الظرف والحال على الفعل ، والخبر على المبتدأ ، وخبر كان على أسماها ، والمستثنى على المستثنى منه ، كما تتقدم بعض متعلقات الفعل عليه . ويقع ذلك كله في الإثبات ، أما في النفي فكانت لهم بحوث عميقة المغزى حول تقديم النفي على ألفاظ العموم " كل وجميع " ، كما درسوا التقديم والتأخير في الاستفهام بأنواعه وأنماطه ، سواء أكان استفهاماً حقيقياً أم تقريرياً أم إنكارياً ، أم نكرة تقدمت على الفعل ، أو الخبر في ألفاظ بعينها منها : " مثل وغير " و " إنما " . لأن التقديم والتأخير ليس عملية لفظية للتلاعب بالكلمات ، إنما هو عملية لفظية دلالية في أن معاً ، فمتى تقدم لفظ كان حقه التأخير أو تأخر حقه التقديم وصدور ذلك ممن يُعرف عنه الاجتهاد في صياغة البيان ، أمكن تحليل الكلام لمعرفة الجمال الفني الذي أحدثه ذلك المبدع بالتقديم والتأخير .

وإذا أردت أن تعرف خطر التقديم والتأخير ، فاستمع إلى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ ( البقرة ٢٥٨ ) ، ولم يقل : يحيي ويميت ربي . والفرق كبير ، فقوله : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ ، يفيد أنه لا محيي ولا مميت إلا الله ، ولوقيل : يحيي ويميت ربي ، لكان المعنى : إن الله قادر على الإحياء والإماتة ، ولا مانع أن يقدر عليهما غيره . ولهذا قال ذلكم المجادل : ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ . أي أنا لا غيري ، لأن النزاع ليس على قدرة الله على الإحياء والإماتة ، بل في تضرد الله سبحانه

<sup>١</sup> - من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ص ٣٤١

<sup>١</sup> - بحث منشور بمجلة كليات المعلمين ، للدكتور السيد علي خضر ، ص ١٣٦

وتعالى بهما اتضح بعد هذه النماذج التي أوردناها أهمية التقديم والتأخير، وعظم شأن النظم الذي هو عمود إعجاز القرآن، الذي نراه يقدم الكلمة تارة ويؤخرها أخرى، وأنه كان للعرب تفنن في نطقهم وهنا لابد أن نقرر أمراً مهماً، وهو أن أمر التقديم والتأخير إنما قرر قواعده وبينها أفضل بيان الإمام عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله - وكان الناس من قبل عبدالقاهر يتحدثون عن التقديم والتأخير حديثاً عاماً، فيقولون: إنما يقدم الشيء للاهتمام به.

فنحن عندما نقدم بعض أجزاء الجملة تارة، ونؤخرها تارة، فإننا لا نفعل ذلك رغبة في التعبير أو تفنناً في القول فحسب، إنما ذلك ناشئ عن اختلاف المعنى الذي يريده المتكلم، فالكلام البليغ لا يجوز أن يكون التقديم فيه لغرض لفظي فقط، بل يكون مع هذا الغرض اللفظي هدف يتعلق بالمعنى، فلسنا مع ابن الأثير ومن نهج نهجه من أن بعض الكلمات قدمت مراعاة للفاصلة، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥)، وقوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى ٩)، وقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ﴾ (الحاقة ٣١) فإن تقديم المفعول في الآيات الكريمة لا من أجل رعاية الفواصل فحسب، بل إن هناك غايات تتصل بالمعنى.

#### أولاً: التقديم والتأخير في الاستفهام

يفرق البلاغيون في درس التقديم والتأخير في الاستفهام بين ما كان التركيب فيه جارياً على الاستفهام الحقيقي، وما كان جارياً على الاستفهام التقريري، وما كان الاستفهام فيه إنكارياً، ولكل دلالاته البلاغية وغاياته التي تحقق مغزى الكلام.

إن أدوات الاستفهام، بما فيها الهمزة وهل، لا يتقدم عليها عنصر التركيب الاستفهامي. هذا هو الأصل<sup>١</sup> ومعنى هذا أن تقدم الفاء على اسم الاستفهام (أين) في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير ٢٦) وعلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفُكُونَ﴾ (الأنعام ٩٥). وقد عدّ سيبويه تقديم الاسم على الفعل في أسلوب الاستفهام المصدر بهمزة الاستفهام حسناً، ومثله تقديم الخبر - شبه الجملة - على المبتدأ المعرفة قائلاً: (فلو قلت: ألقيت زيداً أم عمراً؟ كان جائزاً حسناً، ولو قلت: أعددك زيد أم عمرو؟ كان كذلك، وإنما كان تقديم الاسم - ها هنا - أحسن)<sup>٢</sup> وهذا الذي ذكره سيبويه يتناقض مع ما قاله البلاغيون، لأنهم أوجبوا إيلاء المستفهم عنه الهمزة - كما مر بنا - وسيبويه يجوز تأخيرها، بل يعده حسناً. وقال صاحب دلالات التراكيب: (ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن ما أجازته سيبويه كان في مراحل سابقة، اللغة فيها تنمو، والتراكيب تتطور، ثم إن الترتيب في التراكيب الهادف إلى تنقية الصياغة قد تجاوز ذلك إلى الصورة المنضبطة التي قررها البلاغيون ورفضوا ما عداها مما

<sup>١</sup> - الشرط والجزاء في الأساليب العربية، ص ١٥٣

<sup>٢</sup> - المصدر السابق: ص ١٥٣

أجازه سببويه واستحسنه ، وإشارة سببويه إلى أن هناك تركيبين يفيدان هذا المعنى أحدهما أفضل من الآخر وأحسن ، توحى بصحة هذه الإجابة<sup>١</sup> .

وتتصدر محاولات البلاغيين ، جهود عبدالقاهر الجرجاني الذي تناول تركيب الاستفهام على وجوهه المختلفة ، والدلالات الفنية لكل وجه ، وأول ما عالجته من هذه المسائل ( الاستفهام بالهمزة ) . فذكر أن ( الهمزة ) إذا وليها الفعل دلت على معنى ، وإذا وليها الاسم دلت على معنى آخر وهو مع المفعول لئن لا يتكامل مع الفعل . فالتقديم والتأخير - عند الجرجاني - لا يأتيان للاهتمام أو العناية ، وإنما يأتيان لتحرير المعنى وضبط الدلالة .

أما التقديم في الاستفهام فإن الزمخشري كغيره من البلاغيين يرى أن المستفهم عنه ما يلي الهمزة ، وحينما يدخل معنى جديد على حرف الاستفهام كالإنكار أو التعجب فإن الذي يلي هذا الحرف هو المقصود بهذا المعنى الجديد<sup>١</sup> .

لذلك امتازت هذه الدراسة بالدقة والشمول ، فالقرآن يختار لكل مقام ما يناسبه ، وقد تابع السكاكي والخطيب وغيرهما خطوات الجرجاني والزمخشري ، واعتمدا وجهيهما وإن تفرقت كل منهما بأراء مخالفة لهما .

### أغراض الاستفهام في القرآن

#### أولاً : الاستفهام الحقيقي :

أيقع في القرآن ؟ وهل يصدر من المولى ؟

قال ابن هشام : لا يكون الاستفهام من المولى على حقيقته ، وقال آخر : لا يكون الحقيقي في القرآن إلا على دعوى أنه مجاز ، لأنه يستلزم الجهل وهو على الله محال ، والذي ورد في القرآن كان من قول البشر دائماً ، لذا وقعت جملة الاستفهام الحقيقي معمولة للقول أو السؤال ، لأن الاستفهام الحقيقي في القرآن قليل ، وكل ما عرفته من أساليب بلغ (١٩) أسلوباً من مجموع الاستفهام القرآني كله (١٢٦٠) أي : بنسبة ١ : ٦٦ تقريباً . وهذه الأساليب وليها الجواب عليها بلسان من وجه إليه السؤال . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَضْرِبْتَ مِنَ الْجِنَّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل ٣٨ - ٤٠) ، فالسؤال من سليمان عليه السلام فكانت الإجابة عليه مباشرة بلسان من

<sup>١</sup> - دلالات التراكييب : للدكتور محمد أبو موسى ، ص ٣١٩ . أنظر : علم المعاني : بسيوني عبدالفتاح فيود ، ص ٣٠٨

<sup>١</sup> - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، دكتور محمد حسنين أبو موسى ، ص ٢٨٩

<sup>١</sup> - أساليب الاستفهام في القرآن : عبدالعليم السيد فوده ، ص ١٩٢

وَجَهْهُ إِلَيْهِ السُّؤَالُ. ومثال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: ١٤) ، وكقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَىٰ قَالَ أَأَلْقَاهَا يَا مُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْضُ سَنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (طه: ١٧- ٢١) ، قال السيوطي: (( وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى )) : وما التي في يمينك يا موسى ؟ ( قال هي عصاي أتوكأ عليها ) ، قال موسى : اعتمد (عليها) عند الوثوب والمشي ، ( وأهش ) أخبط ورق الشجر (بها) ليسقط ( على غنمي ) فتأكله ، ( ولي فيها مآرب ) جمع مآربه ، أي : حوائج كحمل الزاد والسقاء وطرده الهوان ، وزاد في الجواب بيان حاجاته بها <sup>١</sup> . فتلك العصا أمرها عظيم وسرها أعظم ، لأنه قد يكون للسؤال مقصد ومغزى غير حقيقة الاستفهام ، وغير هذه المعاني التي أشرنا إليها ، كأن يراد لفت المسؤول إلى المسؤول عنه ليتبينه أشد التبين تمهيداً لإحداث أمر عظيم فيه ، يقول الزمخشري : ( إنما سألته ليريه عظم ما اخترعه عز وجل في الخشية اليابسة من قلبها حية نضاضة ، وليقرر في نفسه المباشرة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبئه على قدرته الباهرة ) <sup>٢</sup> .

وخلاصة القول : إن الذي يُعتمد عليه أكبر الاعتماد في الدلالة على الأغراض البلاغية لأساليب الاستفهام هو السياق والقرائن ، فلن نتبين الغرض تبيناً واضحاً إلا إذا عرفنا القائل ، والمقول له ، والأحوال المحيطة بهما مما يدخل تحت القرائن المعنوية والقرائن اللفظية . ولعل نصيب هذه القرائن في الدلالة على تلك المعاني البلاغية أكبر من نصيب أدوات الاستفهام أنفسها في الدلالة عليها كما سيتضح بإذن الله تعالى .

ثانياً : الاستفهام غير الحقيقي

أ - التقديم والتأخير في الاستفهام التقريري:

معنى التقرير في القاموس<sup>١</sup> : الإقرار ، الإذعان للحق ، وقد قرره عليه ، وقرراً بالمكان يقرّ بفتح القاف وكسرهما قراراً ثبت وسكن ، وأقره فيه وعليه ، وقرره .

الاستفهام التقريري أحد المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها ، فإن الاستفهام لا يكون حقيقياً إلا إذا كان المتكلم جاهلاً بالمسؤول عنه . أما في التقرير فإن المتكلم عالم به ، ولكنه يريد من المخاطب

<sup>١</sup> - تفسير الجلالين : ص ٦٤٤

<sup>٢</sup> - الكشاف : ج ٣ ، ص ٤٤

<sup>٣</sup> - القاموس المحيط : الفيروز أبادي

أن يوافقه لغرض من الأغراض ، كالحكم عليه بإقراره ، والتشهير به وإظهار أمره للناس ، وقد يقرر بأمر ممدوح إظهاراً للتستر عليه ، أو رفعاً من شأنه .

كيف نعرف المقرر به ؟

١ - إذا كان التقرير قد أُدِّيَ باسم من أسماء الاستفهام فمدلول ذلك الاسم هو المقرر به .  
٢ - أما إذا كان التقرير بالهمزة فإين يقع المقرر به ؟ وهو ما يهمننا - ففي التلخيص وشروحه - أن الهمزة يليها المقرر به فاعلاً كان أو مفعولاً أو غير ذلك <sup>٢</sup> . وعبدالقاهر يقول في قوله تعالى : قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِأَلْهَيْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿الأنبياء ٦٢﴾ ؟ لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه قد كان ، ولذا قال في الجواب " بل فعله كبيرهم " ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلتُ أو لم أفعل .

ويقول الخطيب القزويني : يجوز أن تكون الآية دالة على الاستفهام الحقيقي ، ولكن الشراح يردون عليه مؤيدون رأي عبدالقاهر بأن السياق يجعلهم عالمين بكسر الأصنام لها لقوله: (لأكيدين أصنامكم) وبأن البيئة كلها تعظم الأصنام ولا يجرؤ على تكسيرها سواه. والذي يظهر <sup>٣</sup> : أن إيلاء المقرر به للهمزة ليس لازماً ، بل هو غالب ، ويكثر ذلك في أساليب الهمزة وأم المتصلة كقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْتُمُ شَجَرَتُهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ (الواقعة ٧١ - ٧٢) وقوله : ﴿ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ ﴾ (البقرة ١٤٠) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة ١١٦) ، ففي الآيات تقرير للمخاطبين .

وقد يلي الهمزة غير المقرر به كقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (سبا ٤٠) فإنه يقرر المخاطبين من الملائكة ، ولكنه ألي الهمزة اسم الإشارة الذي يعود على من أشركوا بالله غيره .

لذا يرى علماء البلاغة أن التقرير كالاستفهام ، يجب أن يلي المقرر به الهمزة. فإذا أردت أن تقرر بفعل ، كالسرقة مثلاً ، فقل: " أسرقت " ؟ وإذا أردت أن تقرر بالمفعول ، فقل : " أحمرأ شربت ؟ " .  
صاحب الكشاف يورد كلاماً ، مبيناً قصد إبراهيم - عليه السلام - من خلال الآية السابقة قائلاً : ( إن قصد إبراهيم - عليه السلام - لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم • ولقائل أن يقول : ) غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة مرتبة ، وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد لما رأى من زيادة

<sup>٢</sup> - في تلخيص المفتاح وشروحه ، ص ٢٩٤

<sup>٣</sup> - أساليب الاستفهام في القرآن : عبدالمنعم السيد فوده ، ص ٢٣١

تعظيمهم له ، فأسند الفعل إليه ، لأنه هو الذي تسبب لاستهانتها بها وحطمه لها ، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه ، ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم ، كأنه قال لهم : ما تنكرون أن يفعله كبيرهم ، فإن من حق من يُعبد ويُدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشد منه ، ويحكي أنه قال : فعله كبيرهم هذا ، غضب أن تُعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها . وقيل : فعله كبيرهم ، يعني : فعله ، أي : فعل الفاعل كبيرهم )<sup>١</sup> .

ويُفهم من كلام الجرجاني والزمخشري أن تقديم الاسم المصدرب " همزة " الاستفهام على الخبر الضلعي يشير إلى أنه الفاعل دون غيره ، أي : أن الاستفهام - في مثل هذا الموضع - لتعيين القائل ، كما هو المتبادر من إيلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال المشهور . ويضيف الجرجاني : ( لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له - عليه السلام - وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان ، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : ( أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ ) ، وقال عليه السلام في الجواب : " بل فعله كبيرهم هذا " ولو كان التقرير بالفعل وكان الجواب : فعلتُ ، أو : لم أفعل )<sup>١</sup> . وقد يكون مستأنفة جواب سؤال مقدر ، وفي الكلام حذف تقديره : ( فجاء إبراهيم حيث أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لإقامة الحجة عليه في زعمهم " قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه " أي : قال إبراهيم مقيماً للحجة عليهم ميكتاً لهم ، بل فعله كبيرهم هذا مشيراً إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره )<sup>٢</sup> . أراد عليه السلام أن يبين لهم أن من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ، ولا يصح في العقل أن يطلق أنه إله . فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي عبدها ليست بألهة ، إذا قالوا إنهم لا ينطقون ، قال لهم : فكيف تعبدون من يعجز عن النطق لأنهم ، ويقصر من أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه .

ومن اللافت للنظر أن الخطيب القزويني عارض هذا الرأي ، فقال : ( وفيه نظر ، لجواز أن تكون الهمزة على أصلها ، إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه - عليه السلام - هو الذي كسر الأصنام )<sup>١</sup> .

#### (ب) التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري :

ورد في القاموس : ( أنكر فلان الأمر نكراً ونكراً ونكراً ونكراً ونكراً ونكراً وأنكره واستنكره وتناكره : تجاهله ، والاستنكار استفهامك أمراً تنكره . وتناكر : تجاهل . والمنكر ضد المعروف )<sup>١</sup> . فإذا أنكرت أمراً فإنك تظهر أنك نافر منه ، راغب عنه ، لأنك لا تألفه بل لا تعرفه كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَّا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَّا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هود ٧٠) .

<sup>١</sup> - الكشاف : ج ٤ ن ص ١٥٢ - ١٥٣

<sup>٢</sup> - الدلائل : ص ١١٣

<sup>٣</sup> - فتح القدير ك للشوكاني ، ج ٣ ن ص ٥٤٣

<sup>٤</sup> - الإيضاح : ص ١٤٢

<sup>٥</sup> - القاموس المحيط : الفيروز أبادي ، باب الرء

يقول شيخ البلاغيين في تفسير الاستفهام الدال على الإنكار: ( أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجوابة ، إما لأنه قد ادعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل له : " فافعل " ، فيفضحه ذلك ، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا رُوجع فيه تنبه وعرف الخطأ ، وإما لأنه جوز وجود أمر لا يوجد مثله )<sup>١</sup> .

ويفهم من كلام الشيخ أن الإنكار يجيء فيما لا يقول عاقل أن يكون إذ يحقق التقديم والتأخير في الاستفهام الإنكاري غرض ردع المتكلم عما يخوض فيه ، وتكشف أمره فيما يدعيه ، فإذا تقدم الفعل في أمر محال ، فهو إنكار لوقوعه ، مثل: أتصعد إلى السماء ؟ وإذا تقدم الاسم فهو إنكار لقدرة الفاعل على القيام بمثل هذا الفعل المحال ، مثل : أنت تصعد إلى السماء ؟ كقوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف ٤٠) ، يقول صاحب الكشاف ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكدّ روحه في دعاء قومه ، وهم لا يزيدون على دعائه إلاّ تصميماً على الكفر وتمادياً في الغي ، فأنكر عليه بقوله " أفأنت تسمع الصم " ، إنكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم ، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر )<sup>٢</sup> كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر ٢٢ - ٢٣) ، فهنا ليس بمقدوره - عليه السلام - أن يقوم بهذا الفعل ، وهو محال عليه ( وهو الهداية ) ، ولا يقدر على ذلك إلا هو ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٨٠) . وهنا نجد فريقاً من العلماء من يقول إن الاستفهام في هذه الآية للإنكار ، وفريقاً يقول إنه للتقرير ، ويبدو في هذا تدافعاً ، لأن الإنكار نفي والتقرير إثبات ، وهما لا يجتمعان في مثال واحد ، ويبدو - كذلك - أن التوفيق بين الأمرين ممكن ؛ ( فالإنكار منظور فيه إلى ناحيتين وهما : الوقوع والواقع ، فإنكار الوقوع منصب على اتخاذهم العهد ، إذ لا عهد لهم متخذ عند الله فأنكر وقوعه أصلاً . وإنكار الواقع منصب على قولهم على الله بما لا علم لهم به . وهذا القول واقع فعلاً كما حكى عنهم القرآن : ) وقالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات ( ، فأنكر هذا الواقع وحكم بطلانه . أما التقرير فإن المراد منه حمل المخاطبين على أن قولهم ذلك لا سبيل إليه إلاّ باتخاذ العهد ، ولا عهد ، وهذا يؤدي إلى حملهم على الاعتراف بأنهم ما قالوه إلاّ رجماً بالغيب . إذ لا علم لهم به ، فالإنكار منظور فيه إلى نفي الحقيقة من حيث هي ، والتقرير منظور فيه إلى حال المخاطبين . وهذا هو وجه الجمع بين ذينك القولين اللذين يبدوان أنهما متدافعان )<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> - دلائل الإعجاز : ص ١١٩ - ١٢٠

<sup>٢</sup> - الكشاف : الزمخشري ، ج ٥ ، ص ٤٤٥

<sup>٣</sup> - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : د. عبدالعظيم إبراهيم المعطي ، ج ، ص ٢٧ - ٢٨

إن المتأمل في هذه النقول يدر - في يسر - أن الأئمة لم يهتموا بمدخول الهمزة بقدر اهتمامهم بأم الواقعة بعدها، وأياً كان الأمر فإن الهمزة فيه للإنكار. أما أم فقد اجمعوا على احتمالها للاتصال والانقطاع - فيما عدا القرطبي<sup>١</sup> الذي أجمل القول فيها - فإن كانت متصلة كان المعنى: أي هذين واقع: اتخاذهم العهد أم قولهم بلا علم .

ومثل ذلك ورد في تقديم لفظ (غير) المصدر بهمزة في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلْتَأْخِذُوا بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَيَحْتَسِبُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ ، أَعْبُدُوا اللَّهَ فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَهُمَا لُجْنٌ مُّطْعِمٌ ۗ ﴾ (الأنعام: ١٤) وفي تأويل ذلك يقول الطبري: ( يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله، ويحسبونك على عبادتها، أعبدوا الله فاطر السموات والأرض، وهو يرزقني وغيري ولا يرزقه أحد، أأخذ ولياً هو له عبد مملوك وخلق مخلوق )<sup>١</sup>.

ونلاحظ أن همزة الاستفهام قد تصدرت المفعول الأول " غير " المتقدم على الفعل " أأخذ " ليؤدي التركيب دلالة الإنكار لا مطلق اتخاذ الولي، واعلم أنه فرق بين أن يقال: " أعبدوا الله أأخذ ولياً ؟ "، وبين أن يقال: " أأخذ غير الله ولياً ؟ "، لأن الإنكار إنما حصل على اتخاذ الولي، وقد عرفت أنهم يقدمون الأهم، فالأهم الذي هم بشأنه أعنى فكان قوله تعالى: " قل أعبدوا الله أأخذ ولياً " أولى من العبارة الثانية. والقرآن الكريم يختار مقام ما يناسبه من النظم، ففي مقام الإنكار الشديد لاتخاذ غير الله ولياً يتناسب أن يلي المفعول " الهمزة ". وإلى مثل هذا التركيب أشار الجرجاني بقوله: ( واعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، أعني أن تقديم اسم المفعول يقتضي أن يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أن يكون، بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل، فإذا قلت: " أزيداً تضرب ؟ "، كنت قد أنكرت أن يكون " زيد " بمثابة أن يضرب، أو بموضع أن يجترأ عليه ويستحار ذلك فيه، ومن أجل ذلك قدم " غير " في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَلْتَأْخِذُوا بِاللَّهِ وَالرُّسُلِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَيَحْتَسِبُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ ، أَعْبُدُوا اللَّهَ فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَهُمَا لُجْنٌ مُّطْعِمٌ ۗ ﴾ (الأنعام: ١٤)، وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَعْبُرُوا اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ ﴾ (الأنعام: ٤٠) وكان له من الحسن والمزية والفضامة، ما تعلم أنه لا يكون لو أُخْرِفَ قِيلَ: " قل أأخذ غير الله ولياً " و" أأخذوا غير الله ؟ "، وذلك لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: " أأخذوا غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً ؟ " وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك ؟ وأيكون جهل " أجهل - وعمى أعمى من ذلك ؟ " )<sup>١</sup>.

والحق أن التقديم - هنا - للاهتمام بشأن المقدم ليلي أداة الاستفهام، فيعلم أن محل الإنكار هو اتخاذ غير الله ولياً، فليس الإنكار موجهاً إلى اتخاذ الولي، وإنما هو موجه إلى أن يكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً.

<sup>١</sup> - أنظر الجامع لأحكام القرآن الكريم

<sup>١</sup> - تفسير الطبري: ج ٧، ص ١٥٩

<sup>١</sup> - دلائل الإعجاز: ص ١٢١، أنظر: الكشف ج ٢، ص ٣٢٩، فتح القدير: ج ٢، ص ١٥٠

وقد يرد كذلك في تقديم لفظ " هم " المصدر بهمزة كما في قوله تعالى : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الزخرف ٣٢) . تقدم أداة الاستفهام على الاسم أفاد الإنكار الدال على التجهيل والتعجب من إعراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لأمر النبوة ، ثم ضرب لهذا مثلاً حيث قال : " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات " . أي : أفقرنا قوماً وأغنينا قوماً ، فإذا لم يكن أمر الدنيا إليهم فكيف أمر النبوة إليهم . أشار شيخ البلاغيين<sup>١</sup> إلى أن تقديم الاسم - هنا - على صيغة " يفعل " ، أفاد الإنكار أن يكون الفاعل وهذا قريب من تأويل الزمخشري للآية الكريمة ، يقول الزمخشري : ( هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم ، وأن يكون المدبرين لأمر النبوة ، والتخير لها من يصلح لها ، ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي يتولاها إلا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته . فإن الله عز وجل هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالها تدبير العالم بها ، ولو وكلهم الله إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا ، وإذا كانوا في تدبير معيشتهم في الحياة الدنيا على هذه الصفة ، فما ظنك في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى )<sup>٢</sup> .

### التقديم للتخصيص أو تقوية الحكم

#### بين عبد القاهر والسكاكي

يرى عبد القاهر أنه إذا تقدم المسند إليه على خبره الفعلي ، وكان والياً لحرف النفي ، فإنه يفيد قصر نفي الخبر عليه وجهاً واحداً ، سواء كان المسند إليه معرفةً أو منكرةً ، وسواء كان المعرف مظهراً أو مضمراً . أما إذا لم يكن المسند إليه والياً لحرف النفي ، وكان خبره فعلياً ، ولم يكن نكرة فإنه يأتي للتخصيص ، إن كان المخاطب حكم على خلاف حكمك ، وللتقوية إن لم يكن له هذا الحكم ، والمراجع في ذلك إلى القرائن والمقامات أما إذا كان نكرة فإنه للتخصيص قطعاً ، إلا أنه يتنوع إلى نوعين : تخصيص الجنس وتخصيص العدد ، واشترط السكاكي في إفادة التقديم الاختصاص أمرين<sup>٣</sup> :

الأول : أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخراً ، بأن يكون فاعلاً في المعنى ، كقولك : أنا قمتُ ، فإنه يجوز أن تقدر أصله : " قمتُ أنا " على أن " أنا " تأكيد للفعل الذي هو التاء في " قمتُ " فقدم " أنا " وجعل مبتدأ . الثاني : أنه يُقدر كونه كذلك ، فإن انتفى الثاني دون الأول ، كالمثال المذكور إذا أُجري على الظاهر - وهو أن يقدر الكلام من الأصل مبنيًا على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير . أو انتفى الأول ، بأن يكون المبتدأ اسماً ظاهراً ؛ فإنه لا يفيد إلا تقوي الحكم .

<sup>١</sup> - أنظر الدلائل ، ص ١٢٢

<sup>٢</sup> - الكشف : ج ٣ ص ٤٨٦

<sup>٣</sup> - مفتاح العلوم : ص ٢٩١

واستثنى المنكر، كما في نحو: "رجل جاءني" بأن قدر أصله "جاءني رجل" لا على أن "رجل" فاعل جاءني، بل على أنه بدل الفاعل الذي هو الضمير المستتر في "جاءني" كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنبياء ٣)، إن "الذين ظلموا" بدل من الواو في "أسروا" وفرق بينه وبين المعرفة بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه؛ إذ لا سبب لتخصيصه "سواه"، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ، بخلاف المعرف: لوجود شرط الابتداء فيه، وهو التعريف.

خلاف بين مذهب عبد القاهر ومذهب السكاكي<sup>١</sup>:

فكلام السكاكي مخالف لما ذكره عبد القاهر؛ لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرف النفي؛ القطع بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً، معرفاً أو منكرأ، من غير شرط، لكنه لم يمثل إلا بالمضمر. وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد إلا إذا كان مضمراً، أو منكرأ بشرط تقدير التأخير في الأصل. فنحو: "ما زيد قام" يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ، ولا يفيد على قول السكاكي. ونحو "ما أنا قمت" يفيد على قول الشيخ مطلقاً، وعلى قول السكاكي بشرط. وظاهر كلام الشيخ أن المعرف إذا لم يقع بعد النفي وخبره مثبت أو منفي؛ قد يفيد الاختصاص، مضمراً كان أو مظهراً، لكنه لم يمثل إلا بالضمير. وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد إلا المضمر، فنحو "زيد قام" قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ، ولا يفيد عند السكاكي.

ومن أسرار التقديم ما ورد في قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (يس ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص ١٩).

تناولت الآيتان قصة الرجل، فمن هو؟ الرجل الذي في القصص معاصر لموسى -عليه السلام- وهو مؤمن من آل فرعون، واختلف المفسرون والمحدثون في اسمه، وعلم مبهمات القرآن مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأي فيه؛ واخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق أنه شمعان. وقال الدارقطني: إنه مؤمن لا يعرف إلا باسم شمعان. وقال السهيلي: شمعان أصح ما قيل فيه. وقيل إنه حبر وأنه حبيب وأنه حزقيل -أما مؤمن سورة يس فهو حبيب النجار، وهو في عصر عيسى -عليه السلام-<sup>٢</sup> وقوله: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ في العربية يحتمل ثلاثة أوجه:

-أحده: أن يكون من أقصى المدينة صفة لرجل

-الثاني: أن يكون صلة لرجل

-الثالث: أن يكون صلة ليسعى

<sup>١</sup> - الإيضاح: ص ١٤٤

<sup>٢</sup> - البرهان في متشابه القرآن: ص ٢٨٩

والأظهر في هذه السورة " القصص " أن يكون وصفاً ، وفي " يس " أن يكون صلة . وخصت القصص بالتقديم لقوله قبله: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾ (القصص ١٥) ، ثم قال: " وجاء رجل " . وخصت سورة " يس " بقوله: " وجاء من أقصى المدينة رجل " : لما جاء في التفسير أنه كان يعبد الله في جبل ، فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلاً<sup>١</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ (غافر ٢٨) ، يوهم التأخير خلاف المقصود<sup>٢</sup> ، فإنه لو أخرج " من آل فرعون " عن يكتم " لثوهم أن " من " متعلقة بيكتم صلة منه ، أي: يكتم إيمانه من آل فرعون ، فلا يفهم أن ذلك الرجل كان منهم ، " من آل فرعون " مع أن المراد ذلك لمزيد العناية به . لأن قوله " من آل فرعون " نعت لـ " رجل مؤمن " ، وقوله: ( يكتم إيمانه ) نعت لـ ( رجل مؤمن ) ، ( وهذان النعتان متكافئان في الرتبة فليس أحدهما أولى بالتقديم من الآخر ، لكن تقديم قوله: " يكتم إيمانه " على قوله: " من آل فرعون " يوهم أن الجار والمجرور في الآية متعلقان بفعل " يكتم " مع إنهما متعلقان بمحذوف هو صفة لـ " رجل مؤمن " فرفع تقديمهما هذا الإيهام ، وجاء البيان سليماً واضحاً<sup>٣</sup> .

وهكذا يلعب التقديم والتأخير دوراً بارزاً في إيصال المعنى المراد ، وتحقيق بلاغة الجملة من خلال إعادة توزيع الألفاظ بما يتناسب مع الدلالة المطلوبة لدى المتكلم والسامع ، بغض النظر عن البناء الأصلي ( كما مر بنا من خلال الآيات ) ، الذي يشكل في هذا الجانب ركيزة أساسية يمكن العدول عنها لتحقيق الغرض ولكن بمقاييس محددة لا تجور على بناء الجملة الأصلي ، ولا تحيد عنه ، والغرض من ذلك كله: الوقوف على أسرار هذا التقديم وما يشير إليه ، حتى نفهم ما يسره لنا الله من العلم . لأن كلامه عز وجل قال فيه أهل العلم: فيه خبر ما قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وحكم فيما بيننا ، إنه الفصل وليس بالهزل . من حكم به عدل ، ومن سار عليه هدي ، ومن عمل به ظفر ونال الثواب والرضا من الله وهو غاية كل مسلم .

### تقديم متعلقات الفعل عليه

#### (أ) تقديم المفعول على الفعل:

يقصد بمتعلقات الفعل : الزمان والمكان الذي يقع فيهما الفعل ، والجار والمجرور والحال والمفعول ومثل ذلك قولك: " محمداً أكرمت " والأصل ، " أكرمتُ محمداً " ، فإن في قولك بالتقديم " محمداً أكرمتُ " تخصيصاً لمحمد بالكرم دون غيره ، وذلك بخلاف قولك " أكرمتُ محمداً " ، لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاع الكرم على أي مفعول شئت ، بأن تقول : أكرمتُ خالداً أو علياً أو غيرهما . فتقديم المفعول على الفعل هنا قصد به اختصاصه به ، أي اختصاص محمد دون غيره بالإكرام . وقد يأتي هذا التقديم لنفي

<sup>١</sup> - المصدر السابق : ص ٢٨٩

<sup>٢</sup> - انظر : الإيضاح ، ص ٢٠٨ ، وانظر كذلك : معجم البلاغة : ص ٥٣٤

<sup>٣</sup> - البلاغة العربية : عبدالرحمن حبنكه : ص ٣٩٤ - ٣٩٥

اعتقاد غير صحيح ، يقول صاحب المفتاح ، ( أن يكون هناك من اعتقد أنك عرفت إنساناً وأصاب لكن أخطأ ، فاعتقد ذلك الإنسان غير زيد ، وأنت تقصد رده إلى الصواب فتقول : زيدا عرفت) <sup>١</sup> . فكان القائل يجمع إلى نفي الاعتقاد تخصيص الفعل -أي المعرفة -بزيد .

علماء البلاغة <sup>١</sup> يرون أنه إذا قدم المفعول على الفعل ، كان تقديمه للقصر غالباً . فإذا قلت: " زيدا ضربت " ، أفاد التركيب أن " الضرب " حاصل بلا شك ، وأن المخاطب يرى أنك ضربت غير " زيد " ، فترد عليه بأنك ضربت زيدا ، ولم تضرب غيره ، وتقول لتأكيدِه وتقديرِه : " زيدا ضربت لا غيره " . وكذلك إذا قلت: " ما زيدا ضربت " ، أفاد التركيب أن " الضرب " حاصل بلا شك ، وأن المخاطب يزعم أنك ضربت زيدا ، فتنفي الضرب عن " زيد " ، وتثبتَه لغيره بتقديم المفعول ، وإيقاعه بعد النفي ، ولذلك لا يصح أن تقول: " ما زيدا ضربت ولا غيره " ، لأن تقديم الاسم وإيقاعه بعد النفي ، يفيد إثبات الضرب واقعاً على غير " زيد " ، والعطف يفيد عدم وقوعه على غيره ، فيتناقض ما أفاده التقديم .

ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ه) ، أحر الفعل وقدم المفعول به ، وهذا التقديم يفيد الاختصاص ، ولكن للعلوي في ذلك مذهبان <sup>٢</sup> :

الأول: إن تقديم المفعول إنما كان من أجل الاختصاص ، وهو الذي أشار إليه الزمخشري في تفسيره ، وهو رأي أكثر علماء البيان ، وذلك لأن المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص كما قلنا " زيدا ضربت " ، ولأجل ذلك تكون العبادة مختصة بالله تعالى لأجل التقدم ، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر ٦٦) . ولم يقل " بل اعبد الله " لأجل الاختصاص ، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: " إياك نعبد وإياك نستعين " فتقدمه من أجل الاختصاص ، وهذا فيه نظر لقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش ٣) . وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء ٣٦) . وقوله عز وجل: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ﴾ (الحجر ٩٩) ﴿وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (الحج ٧٧) ، ولو كان التقديم من أجل الاختصاص لوجب تقديمه في هذه الآيات كلها ، فلما ورد مؤخراً عن الفعل والمعنى واحد بطل ما قاله .

ثانياً: إنه إنما تقدم من أجل المشاكلة لرؤوس الأبي ، ومراعاة حسن الانتظام ، واتفاق أعجاز الكلم السجعية ، لأن قبله " مالك يوم الدين " فلو قال نعبدك ونستعينك ، لذهبت تلك الطلاوة ، ولزالت تلك العذوبة ، وهذا شيء يحكي عن بعض علماء البيان واختاره ابن الأثير .

أما فيما يتعلق بتقديم ( إياك نعبد ) على ( إياك نستعين ) ففي هذه الآية قرن الاستعانة بالعبادة ، ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته . وقدم العبادة على الاستعانة ،

<sup>١</sup> - مفتاح العلوم ، السكاكي ، ص: ٣٢٩

<sup>٢</sup> - انظر : دلائل الإعجاز : ص ١٢١ ، المفتاح : ص: ٣٣٧ ، الإيضاح ص: ٢٠٧

<sup>٣</sup> - الطراز : ص: ٦٦-٦٧

وذلك كما يقول الزمخشري : ( لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها )<sup>١</sup> . بينما يرى الطبري أن: ( " إياك نستعين " إذا قُدمت على " إياك نعبد " الأمر عنده سواء ، أي يجوز عنده أن يُقدم أو يُؤخر كل من الجملتين ولن يفسد المعنى ، ووضح ذلك عندما قال : " لما كان معلوماً أن العبادة لا سبيل للعبد إليها إلا بمعونة من الله جل ثناؤه ، وكان محالاً أن يكون العبد عابداً إلا وهو على العبادة معان ، وأن يكون معاناً عليها إلا وهو فاعل " كان سواء تقديم ما قدم منها على صاحبه كما سواء قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها : قضيت حاجتي فأحسننت إليّ ، فقدمت ذكر قضاء حاجتك إذ قلت: أحسننت إليّ فقضيت حاجتي ، فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة ، لأنه لا يكون قاضياً حاجتك إلا وهو إليك محسن ، ولا محسناً إلا وهو لحاجتك قاضٍ ، فكذلك سواء قول القائل اللهم إياك نعبد فأعنا على عبادتك ، وقوله اللهم أعنا على عبادتك فإننا إياك نعبد )<sup>١</sup> .

والزمخشري يلحظ أن موقع الكلمة قد يتغير في آيتين فيقدم المتأخر ثم يؤخر المتقدم ، ثم يقف ليتأمل ويستكشف السر وراء هذا العدول ، مستعيناً بسياق الآية والغرض منها . ولا بد لنا من مراعاة خصوصية القرآن وعظمة أسرارهِ وقديسية دلالة تراكيبِ جملة ، لأن عقولنا قاصرة عن بلوغ معانيهِ وخفاياه . فتقديم العبادة على الاستعانة ، تقديم للوسيلة قبل طلب الحاجة ، وذلك أنجح في توقع حصولها .

#### (ب) تقديم الجار والمجرور:

من لطائف ما جاء في التنزيل : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ، ف " بسم " جار ومجرور ، ولا بد له من فعل يتعلق به ، وهذا الفعل تقديره : ( أتلو ) ، أي: بسم الله أقرأ ، أو بسم الله أتلو ، وإنما قُدِّر متأخراً ، ليفيد التخصيص ، فهو رد على الذين يبدؤون أعمالهم بغير اسم الله تبارك وتعالى ، فالمعنى: باسم الله أبدأ لا باسم أحد غيره ، فقدم الجار والمجرور ، وذلك لتخصيصه بالابتداء من دون غيره لما في ذلك من التبرك والتعظيم . يقول الزمخشري : ( فإن قلت: لم قدرت المحذوف متأخراً ؟ قلت: لأن الأهم من الفعل المتعلق به المتعلق به ، لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم ، فيقولون : باسم اللات ، وباسم العزى ، فوجب أن يقصد الموحّد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء ، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل ) ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نُعْبُدُ ﴾ (الفتحة ٥) حيث صرح بتقديم الفعل لإرادة للاختصاص . والدليل عليه قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ (هود ٤١)<sup>١</sup> . أي: إجراؤها مجراها ومرسأها باسم الله لا بهبوب الرياح وإلقاء المرساة كما يتوهمه أهل العرف .

<sup>١</sup> - الكشاف: ج ١ ، ص: ٣٠

<sup>١</sup> - تفسير الطبري ، ج ١ ، ص : ٧٠

<sup>١</sup> - الكشاف: ج ١ ، ص ٣٠

وفي قوله عز وجل: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق ١) قدم في هذه الآية الفعل (اقرأ) ولم يقدم الجار والمجرور " باسم " كما هو الحال في الأمثلة السابقة، وذلك لأن المعنى المراد هنا هو تعظيم شأن القراءة، وعليها مدار الكلام. قال الزمخشري: ( تقديم الفعل أوقع، لأنها أول سورة نزلت، فكان الأمر بالقراءة أهم )<sup>٢</sup>. وأضاف السكاكي: ( فالوجه فيه عندي أن يحمل: " اقرأ " على معنى أفعل القراءة وأوجدها، على نحو ما تقدم في قولهم: فلان يُعطي ويمنع )<sup>١</sup> يعني إذا لم يُحتمل على العموم وهو بعيد. ومن أمثلة تقديم الجار والمجرور قوله عز وجل: ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (الأنفال ٤٤) وهذا المثال من قصر الصفة على الموصوف، وهو من قبيل الاختصاص، فتقديم الجار والمجرور خص الأمور وإرجاعها إليه عز وجل دون غيره. ومثله كذلك قوله جل شأنه ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾ (الأنعام ١٠٠)، بتقديم الجار على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق الجعل. فصي الآية تقديم وتأخير، إذ الأصل: ( الجن شركاء )، وقدم المفعول الثاني على الأول، لأن المقصود التوبيخ، وتقديم " الشركاء " أبلغ في حصوله<sup>٣</sup>. نستخلص من عرضنا للآيات السابقة، أن الألفاظ القرآنية تتصرف وفق بناء محكم، بالتقديم تارة وبالتأخير أخرى، إذ أنه لا يتقدم أو يتأخر إلا لموجب يقتضيه المقام أو لمناسبة، يكون اللفظ فيها أنسب من غيره، وكذلك لا اختلاف المقاصد، فيكون اللفظ الأليق في مكانه والأولى على معناه، ليؤدي أسراره المعنوية التي يقتضيها السياق في دقة وإحكام.

وهكذا نرى القرآن الكريم، لا يتهج في ترتيب كلماته سوى هذا المنهج الفني، الذي يقدم ما يقدم، لمعنى نفهمه وراء وصف الألفاظ، وحكمة ندركها من هذا النسيج المحكم المتين. المخاطبون في الآية الأولى الفقراء المقلين الذين يخشون الفقر، أي: لا تقتلوهم من فقر بكم فحسُنْ:، " نحن نرزقكم " ما يزول به إملاكم " ففركم " ثم قال " وإياهم " أي نرزقكم جميعاً. والمخاطبون في الآية الثانية هم الأغنياء، أي: خشية فقر يحصل لكم بسببهم فحسُنْ " نحن نرزقهم وإياكم " أما فيما يتعلق بتقديم بعض الألفاظ على بعض في السورة الواحدة، مثل ذلك قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية ١٧ - ٢٠). فمناسبة تقديم الإبل على السماء أنسب، لأن الإبل أقرب إلى الإنسان إذ يتعامل معها مباشرة، ويعتمد عليها في حياته، وله معرفة بها أكثر من معرفة السماء، لذلك -والله أعلم - تقدم ذكرها، وهو من باب الترقي من السهل إلى الصعب. وفي ذلك يضيف صاحب الطراز: (فأما تقديم الإبل، فإنما كان ذلك من أجل أن الخطاب للعرب من أهل البلاغة، فمن أجل ذلك كان الاستجلاء على حسب ما يألّفونه وذلك أن العرب أكثر تعويلهم في

٢ - المصدر السابق، ص ٣٠

١ - المفتاح، ص ٣٤٢، أنظر: الايضاح: ص ٢٠٧

٢ - الكشاف: ج ٢، ص ٤٢٣

معظم تصرفاتهم على المواشي في المطاعم والملابس والمشارب والمراكب ، وأعمها نفعاً هي الإبل ، لأن أكثر المنافع هذه لا تصلح إلا فيها على العموم ، مع ما اختلفت به من الخلق العظيم ، والإحكام العجيب ، فمن أجل ذلك صورها بالنظر فيها لذلك ، ثم إنه أردفها بذكر النظر في خلق السموات ، ووجه الملاءمة بينهما ، هو أن قوام هذه الأنعام ومادة المواشي ، إنما هو بالرمي وأكل الخلى ، وكان ذلك لا يكون إلا بنزول المطر من السماء مع ما اختلفت به من التأليف الباهر ، والامتداد العظيم ، والسعة الكلية ، فمن أجل ذلك عقب بها ذكر الإبل ، ثم أردف ذلك بذكر النظر في الجبال وما تضمنته من العجائب العظيمة من أجل أنهم إذا قعدوا في البراري ويطون الأودية لا يأمنون التخطف لهذه الأنعام والنفوس والأموال ، وأشار إليها لما فيها من التحفظ على أموالهم ونفوسهم ، بارتفاعها وكونها شوامخ لا يوصل إليها لعلوها وارتفاعها ، فعقب بها ذكر السماء... فأشار الله إلى هذه العجائب الأربعة لما كانت من أعظم الآيات الباهرة<sup>(١)</sup> .

لمسات عريضة تجمع بين السماء والأرض في نظام ، وبين مشاهد الطبيعة ، ومشاهد الحياة في سياق . حيث تتسع رقعة الصورة لهذا كله ، على أساس من " الوحدة الكبيرة " بدل الوحدة الصغيرة ، تناسق فني بديع : ( ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال ، في مشهد واحد ، حدوده تلك الأفاق الواسعة ، من الحياة والطبيعة ، والملحوظ هنا هو " الضخامة " وما تلقيه في الحس من استهوال ، والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة السنام . وهذه دقة تأخذها عين المصور المبدع ، في الأشكال والأحجام )<sup>(٢)</sup> . ومما يلاحظ هنا بعين المصور كذلك أن لوحة طبيعية قاعدتها السماء والأرض ، لا يبرز فيها من الجماد إلا الجبال ، ولا يبرز فيها من الأحياء إلا الجمال ، أو ما هو في حجم الجمال ، والجمال هو الحيوان المناسب ، لأنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال وهكذا كان التصوير . وأياً كانت الملاحظات فمردها الأول إلى المشاهدة ، مشاهدة هذه اللوحة الطبيعية التي توجه إليها الأنظار لترآها بالبداهة الملهمة ، والحس البصير ، مشهد جمال طبيعي يغري الخيال بالجولان ، ويملي للخواطر في الهيجان .

### ما قدم في آية وأخر في أخرى

هذا النوع ينطوي على كثير من الدقائق والعجائب ، التي لا يظن إليها إلا من أنار الله بصائرهم ، ومنحهم قوة الإدراك والملاحظة . لأن الألفاظ القرآنية تتصرف وفق بناء محكم ، بالتقديم تارة وبالتأخير أخرى ، إذ إنه لا يتقدم أو يتأخر إلا لموجب يقتضيه المقام ، أو لمناسبة يكون اللفظ فيها أنسب من غيره . ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة ٤٨) . ومن نفس السورة قوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾

<sup>١</sup> - الطراز : يحيى بن حمزة العلون ، ج ٣ ، ص ٣١١-٣١٢ ، انظر : بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ، ج ٢ ، ص ٢٨٣

<sup>٢</sup> - التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ص ١٢٣

وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿البقرة ١٢٣﴾. تنوع البيان في هاتين الآيتين بتقديم الشفاعة في الآية الأولى وتأخير العدل ، وتقديم العدل في الثانية وتأخير الشفاعة ، لأسرار: ( إنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم ، وأن الأصنام شفعواؤهم عند الله ، وأخرها في الآية الأخرى ، لأن التقدير في الآيتين معاً: لا تقبل منها شفاعة ، فتنتفعها تلك الشفاعة ، لأن النفع بعد القبول ، وقدم العدل في الآية الأخرى ، ليكون لفظ القبول مقدماً فيها )<sup>١</sup>.

ومن ذلك قوله جل شأنه في فاتحة الكتاب: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (الفاتحة ١) . وفي خاتمة الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾ (الجاثية ٣٦) فتقديم " الحمد " في الأول جاء على الأصل ، والثاني على تقديم الجواب ، فكأنه قيل عند وقوع الأمر: لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ ، فجاء الجواب على ذلك ، ونظيره: ( لمن الملك اليوم ) ، ثم قال: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (غافر ١٦) .

### أسباب وأسرار ما قدم لو آخر

اعلم أنه إذا كان مطلع الكلام في إفادة معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين ، وأحدهما يكون أفضل من الآخر ، وكان المفضول مناسباً لمطلع الكلام ، فأنت ههنا بالخيار ، فإن شئت قدمت المفضول ، لما له من المناسبة لمطلع الكلام ، وإن شئت قدمت الفاضل لما له من رتبة الفضل ، وقد جاء في التنزيل تقديم السماء على الأرض وتقديم الأرض على السماء ، وكل واحد منهما تحت سرور رمز إلى لطائف غريبة ، ومعان عجيبة ، فعلى الناظر إعمال نظره في استنباطها ، وإمعان فكرة في استخراجها ، فليجد النظر الممارسون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ولذلك أسباب وأنواع متعددة منها:

١ - السابق:

وهو إما في الزمان ، باعتبار الإيجاد كتقديم الملائكة على البشر في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (الحج ٧٥) . فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر ، وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود . وتقديم الأزواج على الذرية في قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ ﴾ (الأحزاب ٥٩) ، فإن البنات أفضل من الأزواج ، لكونهن بضعة منه - صلى الله عليه وسلم - وإنما قدم الأزواج ، لأنهن أسبق بالزمان<sup>٢</sup> . وتقديم السنة على النوم في قوله جل شأنه: ﴿ لَأَتَّخِذُهُ سِنَةً وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة ٢٥٥) لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم ، فجاءت العبادة على حسب هذه العادة<sup>٣</sup> .

وتقديم الظلمات على النور مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ﴾ (الأنعام ١) ، لأن الظلمات سابقة للنور في الإحساس ، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة للنور المعنوي ، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

<sup>١</sup> - البرهان في متشابه القرآن : ص ١٢١

<sup>٢</sup> - انظر : غرائب القرآن : ج ٢ ، ص ٢٦٢

<sup>٣</sup> - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٣٩

<sup>٤</sup> - المصدر السابق : ص ٢٤٠

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿ (النحل ٧٨) . فانتقاء العلم ظلمة ، وهو متقدم بالزمان على نور الإدراكات . وتقديم الليل على النهار في قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ﴾ (الإسراء ١٢) لأنه سابق عليه في الزمن ، ولذلك اختار العرب التاريخ بالليالي دون الأيام ، وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة ، وقاعدتهم تغليب المذكر ، إلا في التاريخ<sup>١</sup> .

أو باعتبار الإنزال ك(آل عمران ١٩٩) ما في قوله جل شأنه: ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران ٣ -٤) . وقوله تعالى: ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف ١٥٧) . وأما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ . فإنما قدم القرآن منبهاً له على فضيلة المنزل إليهم<sup>٢</sup> .

## ٢ - السببية:

كتقديم العزيز على الحكيم في قوله جل شأنه: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران ٦٢) ، لأنه عز فحكم . وتقديم العليم على الحكيم في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَمَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة ٣٢) . لأن الإحكام ناشئ عن العلم . وأما تقديم الحكيم عليه في قوله عز وجل: ﴿ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام ٨٣) . وقوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٢٨) وقوله عز وجل: ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام ١٢٩) ، فلأنه مقام تشريع الأحكام<sup>٣</sup> . وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاحة ٥) . قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة ، كم مر بنا من قبل ، وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢) ، قدمت التوبة لأنها سبب الطهارة . وقوله تعالى: ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الجنائية ٧) ، قدم الأفك ، لأنه سبب الأثم . وقوله عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامَ الْإِنْسَانِ كَثِيرًا ﴾ (الفرقان ٤٨ -٤٩) . قدم إحياء الأرض لأنه سبب إحياء الأنعام والأناسي ، وقدم إحياء الأنعام لأنه مما يحيى به الناس ، بأكل لحومها وشرب ألبانها<sup>٤</sup> .

## ٣ - الكثرة:

وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (التغابن ٢) . قدم الكافر لأنه أكثر ، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف ١٠٣) ، وقوله جل شأنه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ﴾ (فاطر ٣٢) ، قدم الظالم لنفسه للإيدان بكثرتة ، وأن معظم الخلق على ظلم نفسه ، ثم ثنى بالمقتصدين ، لأنهم قليل بالإضافة

١ - أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن : ص ٨١

٢ - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٤١

٣ - الإتيان : ج ٣ ، ص ٤٥

٤ - الكشاف : ج ٣ ، ص ٩٥

إلى الظالمين ، ثم ثلث بالسابقين ، لأنهم أقل من المقتصدین<sup>١</sup> . وقوله عز وجل: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة ٣٨) . وقوله جل شأنه: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور ٢) . قدم في الآية الأولى " السارق " . لأن السرقة في الذكور أكثر ، وقدم في الثانية " الزانية " لأن الزنا فيهن أكثر<sup>٢</sup> . وأما قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لَأَيْكُحْ إِذَا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَأَيْكُحْهَا إِذَا زَانَتْ أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ (النور ٣) . فمستحق لذكر النكاح ، والرجل أصل فيه ، لأنه هو الراغب والخاصب ، ومنه يبدأ الطلب<sup>٣</sup> . وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن ١٤) . قيل إنما قدم الأزواج لأنه المقصود الإخبار أن فيهم أعداء ، ووقوع ذلك في الأزواج أكثر منه في الأولاد فكان أقعد في المعنى المراد ، فقدم ولذلك قدمت الأموال في قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن ١٥) لأن الأموال لا تكاد تفرقها الفتنة بدليل قوله عز وجل: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴾ (العلق ٦-٧) . وقوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ (الإسراء ١٦) . وليست الأولاد في استلزام الفتنة مثلها ، فكان تقديمها أولى . ومن هذا القبيل تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع في القرآن غالباً ، ولهذا ورد: ( إن رحمتي غلبت غضبي ) . وأما تقديم التعذيب على المغفرة في قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة ١١٨) . فللسياق .

٤ - التشرية:

مثل ذلك قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ (الأحزاب ٣٥) وقوله جل شأنه: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ (النجم ٢١) . وأما تقديم الإناث في قوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ (الشورى ٤٩) . فلجبرهن ، إذ هن موضع الانكسار ، ولهذا جبر الذكور بالتعريف للإشارة إلى ما فاتهم من فضيلة التقديم ، لأن التعريف تنويه بالذكر ، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم<sup>٤</sup> .

ويحتمل إنما يكون قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ، لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى ، وهي قوله عز وجل ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلًّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (الشورى ٤٨) . وكفران الإنسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ، ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث لأن سياق

١ - المثل السائر : ص ١٨٢

٢ - الإتيان : ج ٣ ، ص ٤٥

٣ - الكشاف : ج ٣ ، ص ٥٠

٤ - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٥٢

الكلام أنه فاعل ما يشاء ، لا ما يشاؤه الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الإنسان ، ولا يختاره أهم ، والأهم واجب التقديم<sup>١</sup> .

وتقديم الحر على العبد في قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ (البقرة ١٧٨) ، وتقديم الحي على الميت في قوله جل شأنه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ٢٢) . وتقديم الرسول على النبي في قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج ٥٢) . وتقديم العاقل على غير العاقل في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ (النور ٤١) . وأما تقديم الأنعام في قوله عز وجل: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ (السجدة ٢٧) ، فلأنه تقديم ذكر الزرع ، فناسب تقديم الأنعام .

وتقديم الذين يعملون على الذين حرموا فضيلة العلم في قوله جل شأنه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر ٩) . وتقديم الغيب على الشهادة في قوله عز وجل: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (المؤمنون ٩٢) . ، لأن علم الغيبات أشرف من المشاهدات . وتقديم الحلق على التقصير في قوله تعالى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ (الفتح ٢٧) . وتقديم النبي -صلى الله عليه وسلم- على نوح ومن معه في قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب ٧) .

وتقديم جبريل على ميكائيل في قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٦٨) ، لأن جبريل صاحب الوحي والقلم ، وميكائيل صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية . وتقديم المهاجرين على الأنصار في قوله جل شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ (التوبة ١٠٠) . لأنهم أفضل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار) ، وبالأية احتج الصديق -رضي الله عنه- على تفضيلهم وتعيين الإمامة فيهم . وتقديم القلب على السمع والبصر في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ (البقرة ٧) ، قدم القلب على السمع والبصر ، لأن الحواس خدمة القلب ، وموصلة إليه وهو المقصود ، ثم قدم السمع على البصر لأن السمع أشرف ، ولذا وقع في وصفه -جل شأنه- ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج ٦١) بتقديم السمع ، وأما تأخير القلب على السمع في قوله عز وجل: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ (الجنات ٢٣) ، فلأن العناية هناك بدم المصامين عن السماع ، ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم ، حتى لا يسمعون ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ (الجنات ٧- ٨) ، وتقديم موسى على هارون في قوله عز وجل: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الأعراف ١٢٢) ، لاصطفائه بالكلام ، وكونه من أولى العزم .

<sup>١</sup> - المثل السائر : ص ١٨٢

<sup>٢</sup> - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٥٦

وتقديم الإنس على الجن حيث ذُكروا في القرآن لشرفهم على الجن ، كقوله عز وجل: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ (الإسراء ٨٨) . وقوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن ٣٩) . وقوله جل شأنه: ﴿ لَمَّ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (الرحمن ٥٦) . وقوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الجن ٥) . وأما تقديم الجن في قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾ (الأنعام ١٣٠) ، فلأنهم أقدم في الخلق ، فيكون من قبيل التقديم بالزمان ، ولهذا لما أحرى آية الحجر صرح بالقبلية بذكر خلق الإنسان ، ثم قال : ﴿ وَالْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾ (الحجر ٢٧) .

أو لأنهم أقوى أجساماً وأعظم أقداماً ، ولهذا قدموا في قوله جل شأنه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَتَمَفَّذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الرحمن ٣٣) ، وقوله عز وجل: ﴿ وَحَشِيرَ لِسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾ (النمل ١٧) . ويجوز أن يكون تقديمهم على الإنس في هذه المواضع من باب تقديم الأعمج لأن خلقها أغرب<sup>١</sup> .

والأجود أن يقال: إنما قدم الجن في قوله جل شأنه ( يا معشر الجن والانس ) ، لأن المقام مقام تسلط واجتراء ، والجن أحق بذلك فلهذا قدمهم<sup>٢</sup> .

وأما تقديم الجن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الانبياء ٥٦) . فلأن المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة ، فقدمهم لما كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس<sup>٣</sup> . وتقديم الأنفس على الأموال في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ (التوبة ١١١) . وأما تقديم الأموال في قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال ٧٢) ، فوجه التقديم في الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال ، فهو من باب السبق بالسببية<sup>٤</sup> .

وتقديم السموات على الأرض في قوله جل شأنه: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ (العنكبوت ٤٤) ، وأما تأخيرها عنها في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر ٦٧) ، فلأن الآية في سياق الوعد والوعيد ، وإنما هو لأهل الأرض<sup>٥</sup> . وكذا قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ (إبراهيم ٤٨) .

وتقديم الشمس على القمر في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (الحج ١٨) ، لأن الحكماء يقولون: إن نور القمر مستمد من نور الشمس . كما تقول الحقيقة العلمية إن نوره انعكاس لأشعة الشمس عليه.

١ - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٥٨  
٢ - أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن : ص ٨٩  
٣ - الطراز : ج ٢ ، ص ٦٢  
٤ - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٥٦  
٥ - أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن : ص ٩٠

وأما تأخير الشمس عن القمر في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (نوح ١٥ - ١٦) . فيحتمل وجهين: إما مناسبة رؤوس الأبي، أو أن انتفاع أهل السموات به أكثر . قال ابن الأنباري : يقال إن القمر وجهه يضيء لأهل الشمس وظهره إلى الأرض ، ولهذا قال جل شأنه : (فيهن) لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء .

٥ - الترقى من الأدنى إلى الأعلى:

ونظير ذلك قوله عز وجل: ﴿ أَمْ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف ١٩٥) . حيث بدأ بالأدنى لغرض الترقى ، لأن اليد أشرف من الرجل ، والعين أشرف من اليد ، والسمع أشرف من البصر<sup>١</sup> . وقد يكون الترقى في العدد من القليل إلى الكثير ، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ مَاءً طَابًا لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا ﴾ (النساء ٣) ، وقوله جل شأنه: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ ﴾ (المجادلة ٧) . وأما قوله عز وجل: ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ (سبا ٤٦) . فقد سبقت في مقام دعوتهم إلى التفكير في شأن محمد ورسالته ، وربما كان اجتماعهم مثنى ، أسرع في وصولهم إلى الحق ، فقد تعترض أحدهم شبهة ، فيبديدها صاحبه ، ولهذا قدم مثنى على فرادى<sup>٢</sup> .

٦ - المرتبة: كتقديم " سميع " على " عليم " في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتَقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات ١) . فإنه يقتضي التخويف والتهديد ، فبدأ بالسمع لتعلقه بالأصوات ، لأن من سمع حسك ، فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم ، وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن<sup>٣</sup> .

ومثل ذلك أيضاً تقديم " غفور " على " رحيم " في قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٧٣) . فإن المغفرة سلامة ، والرحمة غنيمة ، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ، وإنما تأخرت في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبا ٢) . لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم ، وهو قوله: ﴿ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبا ٢) . فالرحمة شملتهم جميعاً ، والمغفرة تخص بعضاً ، والعموم قبل الخصوص بالرتبة<sup>٤</sup> .

وقوله جل شأنه: ﴿ وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة ١٢٥) ، قدم الطائفين لأن سياق الآية في عظم العناية بالبيت ، والطائفون أقرب ما يكونون إليه ، ثم ثنى بالعاكفين وهم العاكفون ، لأنهم يخصون موضعاً بالركوع ، والطواف بخلافه ، فكان أعم منه ، والأعم قبل

١ - الإتيان : ج ٣ ، ص ٤٦

٢ - من بلاغة القرآن : ص ١١٢

٣ - البرهان : ج ٣ ، ص ٢٤٩

٤ - المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٤٩

الأخص ، ثم ثلث بالركع ، لأن الركوع لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده<sup>١</sup> . وقوله عز وجل: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج ٢٧) . فإن الغالب أن الذين يأتون رجالاً من مكان قريب ، والذين يأتون على الضامر من البعيد<sup>٢</sup> .

٧ - التعجب من شأنه: وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ (الأنبياء ٧٩) . قدم الجبال على الطير ، لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد ، والطير حيوان ناطق .

**الخاتمة:** التقديم والتأخير في القرآن الكريم بلاغة وإبلاغ؛ لأنه يحمل أسرار إعجاز القرآن الكريم وبيانه، وهو إبلاغ لأنه يبلغ المعاني القرآنية بصورة تجعل المتلقي أمامها يقف مبهوراً بالتركيب النحوي، فالكلمات تترتب في الآيات وكأنها مسبوكة بأسلوب لا يمكن تغييره، فأى كلمة يتبدل مكانها يؤدي إلى تبدل المعنى. وتأتي أهمية هذه الدراسة عن كونها ترتبط بالأبحاث القرآنية التراثية، وبعمالقة علماء البلاغة مثل عبدالقاهر الجرجاني والسكاكي والزمخشري وغيرهم. أضف إلى ذلك أن هذه الدراسة تضم آيات القرآن الكريم التي تضمنت تقديماً وتأخيراً. فكان التناول لهذه الدراسة نحوياً وبلاغياً، وأهم النتائج التي خرجت بها ما يلي:

١. في ترتيب كلمات القرآن الكريم وجدنا أسباباً متعددة لتقديم لفظ على لفظ، كالتبرك والتعظيم والسبق والسببية والكثرة والتشريف وغيرها.
٢. تقدمت بعض ألفاظ القرآن الكريم في آيات وتأخرت في آيات لسياق الحديث، والمعنى العام للآيات كتقديم الآباء وتأخير الأزواج في آية وتقديم الأبناء وتأخير الأزواج في أخرى، وهذا كله مؤداه السياق العام للقرآن الكريم وبلاغته المعجزة.
٣. إن أسلوب التصوير القرآن في رسم مشاهدته وإيضاحها ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتقديم والتأخير، فقد أبرزت المعاني والصور والمشاهد عن طريق المعنى أو المشهد الحسي؛ لتأكيد الكلام وتثبيت المشاهد وإطلاق الخيال للمستمع أو القارئ. فليس كافياً أن نقول: إن التقديم والتأخير في بعض الآيات جاء لتناسب الفواصل الموسيقية، بل هناك معانٍ خفية لا يتدبرها إلا من تعمق في هذا الأسلوب وطريقة ترتيب الكلام.
٤. التقديم والتأخير يراعي أحوال المتكلم والمخاطب معاً فالأولوية لهما، فلا يتم تغيير البناء الأصلي مراعاة لحال السامع دون المتكلم، كما نرى مثلاً في طرق إلقاء الخبر.

<sup>١</sup> - الطراز: ج ٢، ص ٦٣ - ٦٤

<sup>٢</sup> - البرهان: ج ٣، ص ٢٤٩

٥. ثم أقف على أحد من المفسرين تناول تقديم (مثل وغير) في القرآن الكريم، ربما لقلّة ورودها، وربما لأنها من أدقّ غايات التقديم والتأخير، حيث يقدمان في الكلام ويكون تقديمهما من البلاغة ما ينعدم إذا أُخّر، وأشار إلى ذلك عبدالقاهر عندما قال: (فأنت إذا تصفحت الكلام وجدت هذين الاسمين يقدمان أبداً على الفعل إذا نُحي بهما هذا النحو، وترى هذا المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدما). ويرى البلاغيين المحدثين أن العرب آثرت تقديم هذين اللفظين، إذا استعملتا في إثبات الحكم على سبيل الكناية لا على سبيل التعريض، وآخرون يرون أن الغاية التي يحققها تقديم هذين اللفظين أن التقديم للتقوية وتثبيت الحكم، ولكن الراجح أن العرب رأت في تقديمهما كلازم إذا أُريد من غير تعريض، وأن استعمالهما على هذا السبيل شيء مركوز في الطبع، وهو جارٍ في عادة كل قوم، لأن تقديمهما مما يحقق التأكيد ويفيد التقوية.

### المصادر والمراجع:

- ١=الاتقان في علون القرآن: تأليف جلال الدين السيوطي، المتوفى (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- ٢ -أساليب الاستفهام في القرآن: عبدالعظيم السيد فوده، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف.
- ٣ -أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم: تأليف الدكتور محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٤ -أصول البلاغة: للإمام العلامة كمال الدين ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩هـ، تحقيق: الدكتور عبدالقادر حسين، نشر وتوزيع دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥ -الإيضاح في علو البلاغة: للإمام الخطيب القزويني، تحقيق: الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٦ -البرهان في علوم القرآن: تأليف الإمام بدرالدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ .
- ٧ -البرهان في متشابه القرآن: للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، تحقيق أحمد عزالدين عبدالله خلف الله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٨ -بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم: الدكتور عبدالله محمد النقراط، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دمشق، سوريا.
- ٩ -البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها: تأليف عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار العلوم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- ١٠ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية: الدكتور محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي.
- ١١ - التبيان في إعراب القرآن: تأليف أبي البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق على محمد البجاوي، طبع دار إحياء الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي.
- ١٢ - التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة عشر، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١٣ - تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ١٤ - التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم: تحقيق د.عبدالعظيم إبراهيم المطعني، المكتبة التوفيقية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار المعارف، القاهرة.
- ١٥ - تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ١٦ - تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار إحياء عالم الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرياض ١٤٢٤هـ .
- ١٧ - التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية: دكتور مختار عطية ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠٠٥م.
- ١٨ - الجامع لأحكام القرآن الكريم: لأبي عبيدة محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٩ - جواهر البلاغة - في المعاني والبيان والبدیع، تأليف: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- ٢٠ - ديوان الأعشى: دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤.
- ٢١ - دلالات التراكيب: محمد أبو موسى ، دار المعلم، ١٣٩٩هـ.
- ٢٢ - شرح ديوان الفرزدق: ضبط إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٢٣ - غرائب القرآن ورجائب الفرقان: تأليف نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القني النيسابوري، المتوفى (٧٢٨هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.
- ٢٤ - فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

- ٢٥ - الفواصل القرآنية: دراسة بلاغية، دكتور السيد خضر، توزيع مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م.
- ٢٦ - القاموس المحيط: تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب آبادي المتوفي سنة (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٧ - كتاب دلائل الإعجاز: تأليف الشيخ أبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٨ - كتاب سيبويه: تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٩ - كتاب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: تأليف يحيى بن حمزة العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ٣٠ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود - الشيخ على محمد معوض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- ٣١ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لابن الأثير، تحقيق: د. أحمد الخويفي وآخرون، دار نهضة مصر، ١٩٧٣م.
- ٣٢ - معجم البلاغة العربية: تأليف الدكتور بدوي طبانة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار المنارة للنشر والتوزيع، جده، ودار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٣٣ - المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، إعداد الدكتورة إنعام فوّال عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٤ - مفتاح العلوم: تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي حققه وقدم له وفهرسه: الدكتور عبدالحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٣٥ - من أسرار اللغة: دكتور إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٣٦ - من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة والتشتر، الضجالة، القاهرة، ١٩٥٠م.

## الأساليب التفسيرية في الأحاديث النبوية

د. الزبير صالح محمد أحمد الوصابي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد . كلية التربية .

عبس - جامعة حجة

zuromance@gmail.com

لا يخفى على كل مسلم أن القرآن كلام الله تعالى وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله والمبلغ عنه كلامه إلى الإنس والجن أجمعين ، وقد تولى صلى الله عليه وسلم بيانه للأمة خير بيان ، والحديث عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن جاء بأساليب متعددة وصور متنوعة أوردها المحدثون في كتبهم ، غير أنني رأيت في بحثي هذا إيضاح هذه الأساليب وفق المباحث الآتية :-

المبحث الأول يشمل تعريف مصطلحات عنوان البحث فعرفت الأسلوب والتفسير والحديث لغة واصطلاحاً ، وذكرت الضوابط الهامة في الأحاديث التفسيرية ، وما يندرج تحت الحديث التفسيري من غير المرفوع ، وما يدخل وما لا يدخل من الأحاديث التي يوردها المحدثون في كتبهم في باب التفسير ، وفي المبحث الثاني ذكرت مصادر تفسير القرآن ، وما أهمية التفسير الحديثي للقرآن ، ومقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن ، وحكم مخالفة التفسير النبوي ، وحكم تفسير القرآن بالحديث الضعيف ، وحكم القياس على التفسير النبوي ، وفي المبحث الثالث تناولت فيه أساليب التفسير الحديثي للقرآن من حيث أسلوب تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن ببيان معنى الآية أو معنى لفظ الآية ، وأسلوب تفسير القرآن بالمثل وبيان المجمل والمبهم والمشكل وتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان النسخ والتأكيد والاستشهاد وبيان الأحكام الفقهية ، ثم ختمت البحث بخاتمة فيها نتائج البحث ، فهرس المصادر والمراجع سائلاً المولى عز وجل السداد والتوفيق وأن ينفعنا به في الدارين اللهم آمين .

الملخص

6

**Abstract****Interpretive methods in the Prophetic sayings (hadith)**

It is not secret on every Muslim that the Qur'an is the word of Allah And that Muhammad bless be upon him is Allah Messenger and reported his words to mankind and the jinn, he bless be upon him has took over elucidate it to the nation with the best statement, talking about the statement of the Prophet Muhammad, peace be upon him, to the Quran came with a number of ways and a variety of images cited by narrators in their books, but my opinion in my research to clarify of these methods according to the following sections:

The first section includes the definition of research title terms, where I have defined the method, interpretation and Prophetic sayings (hadith), in language and idiomatically, and I mentioned the important controls in the explanatory Prophetic sayings (hadith), and what included under the interpretative Prophetic sayings , of not lifted, and what includes and what does not include of Prophetic sayings (hadith) that cited by narrators in their books as a matter of interpretation.

In the second section, I have mentioned the sources of interpretation of the Quran, and the importance of the modern interpretation for the Quran , and the amount of what has been interpreted by the Prophet Muhammad, peace be upon him, and the judgment of violation of interpretation of the Prophet, of the interpretation of the Quran by the Prophet Muhammad weak sayings and of measurement on the interpretation of the Prophet.

The third section dealt with the modern interpretation methods of the Qur'an in terms of the method of interpretation of the Qur'an by the Qur'an itself, the interpretation of the Qur'an through explanation of the meaning of the verse or the meaning of the word verse , the way of interpretation of the Qur'an by example and clarify Overall, vague, shaper, the allocation of public , restricting the absolute, revoked , Confirmed ,quotation and the statement of Jurisprudential Provisions Pertaining.

Then I concluded the search with results and references index.

Praying to God Almighty payment and conciliation and benefit us in both realms Amen.

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،  
ويعد:

فإن العلم بكلام الله تعالى رأس العلوم وأكملها، ولذا فإن العلم بتفسيره أشرف العلوم، ولذلك كان لعلم التفسير الصدارة بين جميع العلوم؛ إذ إن الموضوع الذي يتناوله هو تبين معاني كلام الله تعالى، ولذلك يعتبر علم التفسير أحق العلوم الإسلامية بالدراسة والتدبر، وأفضل ما تنفق فيه الأوقات وتصرف فيه الأعمار؛ وذلك من أجل أن يفقه المرء خطاب ربه له، ويفهم ما يريد منه، بل كانت وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم تبينه للناس: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) (النحل: ٤٤).

على أن علم التفسير ليس فوضى يخبط فيه من شاء بما شاء دون ضابط، وإنما هو علم له قواعده ومصادره التي لا يجوز تعديها أو إهمالها، وإلا كان من باب القول على الله تعالى بدون علم، وسأتناول في هذا البحث: «الأساليب التفسيرية في الأحاديث النبوية»، والله أسأل، وبنبيه أتوسل، أن يوفقني لما فيه الصواب، إنه على ذلك قدير.

## أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية الموضوع من أهمية تفسير كتاب الله أولاً، ومن أهمية الأحاديث النبوية في تفسيره. كما تبرز أهمية الموضوع من معرفة أن هناك كثيراً من التفسير العالق في أذهان بعض المثقفين فضلاً عن العوام وهي معتمدة على حديث ضعيف أو أثر لا أصل له، وهنا نحتاج إلى إرشاد الأمة إلى الطرق الصحيحة في معرفة معاني كتاب الله تعالى، وهذا أحد الأسباب التي دعيتني لاختيار هذا الموضوع. وأيضاً: فإنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كم لا بأس به من الأحاديث التفسيرية، والأساليب المتنوعة في تفسير بعض آيات الكتاب العزيز، وكثير من الناس يجهلون، فأحببت فتح نافذة للاطلاع على ذلك.

## الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة في هذا الموضوع، بل هناك دراسات عن جمع أحاديث التفسير، أو تخريجها أو نحو ذلك، وهذا حسب علمي القاصر، والله أعلم.

## منهجية البحث:

- ١ - بدأت البحث بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع والدراسات السابقة فيه وخطة البحث ومنهجيته.
- ٢ - جمعت جميع الأحاديث التفسيرية من أمهات كتب السنة حسب الضوابط التي ذكرتها في المطلب الثالث من التمهيد، ثم قسمت الأساليب التفسيرية النبوية على ضوئها.
- ٣ - انتقيت من الأساليب التفسيرية الواضحة منها في دلالتها على الأسلوب مباشرة.

- ٤ - لما كانت الأمثلة النبوية التي استشهدت بها على الأسلوب التفسيري واضحة في ذلك اكتفيت بالحديث النبوي فقط، دون ذكر بقية آراء المفسرين، إلا في أسلوب التفسير بالمثل؛ إذ الحديث التفسيري عبارة عن مثال فقط.
- ٥ - بدأت كل المباحث التي وردت في البحث بمقدمة صغيرة مختصرة تدل على ما ورد فيه.
- ٦ - خرجت الآيات القرآنية الواردة في صلب البحث من المصحف الشريف حسب تشكيلها في المصحف، بين قوسين هلالين مزدوجين، هكذا: (( ))، وتبعها بذكر السورة التي وردت فيها ورقم الآية في صلب البحث بين قوسين مركنين، هكذا: [].
- ٧ - خرجت الأحاديث الواردة في صلب البحث من دواوين السنة النبوية حسب الطريقة الآتية:
- أ - إن كان الحديث في الصحيحين أكتفي بالتخريج منهما، وإن كان في أحد الصحيحين أكتفي بالتخريج منه، ولا أتعداهما أو أذكر معهما غيرهما من كتب الحديث.
- ب - إن لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما وكان في السنن الأربعة أو بعضها أكتفي بالتخريج منها.
- ج - إن لم يكن الحديث في الصحيحين والسنن الأربعة أو بعضها أخرجه من أهم دواوين السنة المشهورة.
- د - الأحاديث التي ليست في الصحيحين أو أحدهما أبين درجتها من حيث الصحة والضعف بحسب ما ذكره أهل هذا الشأن. فإن كان المرجع الذي ورد فيه هذا الحديث محققاً فأكتفي بحكم المحقق عليه، مع بيان رقم هامش التحقيق، ولا أتعداه أو أطيل بذكر غيره، وإن لم يكن المرجع محققاً فأذكر حكم الحديث ممن ذكر حكمه من أهل هذا الشأن.
- هـ - عند تخريج الحديث الوارد في البحث أبدأ بذكر من أخرجه مع كتابه الذي أخرجه فيه، ثم أذكر عنوان الكتاب الذي ذكر فيه إن وجد، ثم الباب الذي ورد تحته إن وجد، ثم رقم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث.
- ٨ - وضعت الأحاديث الواردة في البحث بين قوسين هلالين، هكذا: ( ).
- ٩ - وضعت آثار الصحابة بين قوسين مركنين، هكذا: [].
- ١٠ - عند إيراد الحديث في البحث أضعه داخل القوسين من أول الحديث، ولا أقوس كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه فقط.
- ١١ - عندما أنقل نصاً لأحد أهل العلم أضعه بين قوسين، هكذا: «».
- ١٢ - عرفت المصطلحات العلمية في البحث.
- ١٣ - لم أترجم لأي علم ورد في البحث؛ لكثرتهم، وخوف الإطالة.
- ١٤ - لم أذكر بيانات النشر لأي مصدر أو مرجع في البحث؛ خوفاً من التطويل، ولأني ذكرتها في فهرس

## المطلب الأول: تعريف بمصطلحات البحث

الفرع الأول: تعريف الأساليب والتفسير والحديث:

### أولاً: تعريف الأساليب لغة واصطلاحاً:

الأساليب لغة: جمع أسلوب بضم الهمزة، وله في اللغة عدة معان، وهي:

- ١ - الطريق والمذهب، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم، أي: على طريق من طرقهم<sup>(١)</sup>. ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - الض والطريقة التي يؤلف بها الكلام<sup>(٣)</sup>، يقال: أخذ في أساليب من القول أي: أفانين<sup>(٤)</sup>، أو: فنون متنوعة، ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، والأساليب: الطرق والفنون<sup>(٥)</sup>.
- ٣ - ما يمتد ولا ينثني، فكل شيء امتد على غير امتناع فهو أسلوب، ويقال لعنق الأسد: أسلوب لأنها لا تنثني<sup>(٦)</sup>.

### والأساليب اصطلاحاً:

عرفه في القاموس الفقهي بنفس التعريف اللغوي، فقال: «الأسلوب: الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه. وجمعه أساليب. وهو: الفن»<sup>(٧)</sup>.

ويمكن تعريفها بأنها: الطرق والمذاهب التي تسلك في فن من فنون العلم.

### ثانياً: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير في اللغة: مشتق من الفسر، وهو: البيان، يقال: فسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسراً، وفسره: أبانه، والتفسير مثله<sup>(٨)</sup>، قال ابن فارس رحمه الله (ت: ٣٩٥هـ): «الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه»<sup>(٩)</sup>، وكل شيء ترجم عن حال شيء فهو تفسيرته<sup>(١٠)</sup>. فالفسر: إظهار المعنى

<sup>(١)</sup> لسان العرب لابن منظور (٤٧٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٢/١٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس للمرئضي الزبيدي (٧١/٣). مادة: سلب.

<sup>(٢)</sup> لسان العرب لابن منظور، مادة: سلب (٤٧٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري، مادة: سلب (٣٠٢/١٢).

<sup>(٣)</sup> المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٥٠٥/٨)، مادة: سلب. وتكملة المعاجم العربية لرينهات بيتير آن دوزي (١١٤/٦)، وعزاه لابن خلدون.

<sup>(٤)</sup> المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، مادة: سلب (٥٠٥/٨).

<sup>(٥)</sup> لسان العرب لابن منظور (٤٧٣/١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٠٢/١٢)، المصباح المنير للفيومي (٢٨٤/١)، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى

وأخرين (ص: ٤٤١)، مادة: سلب.

<sup>(٦)</sup> المصادر السابقة، ومجمل مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧٠/١)، مادة: سلب.

<sup>(٧)</sup> القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً للدكتور سعدي أبي حبيب (ص: ١٧٩).

<sup>(٨)</sup> الصحاح للجوهري (٧٨١/٢)، القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص: ٥٨٧)، مادة: فسر.

<sup>(٩)</sup> معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: فسر (٥٠٤/٤).

<sup>(١٠)</sup> أساس البلاغة للزمخشري، مادة: فسر (٢٢/٢)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، مادة: فسر (١٩٢/٤).

المعقول، والتفسير في المبالغة كالمفسر<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حيان رحمه الله تعالى (ت: ٧٤٥هـ): «التفسير في اللغة: الإبانة والكشف، ويطلق التفسير أيضاً على: التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فسرت الفرس: عريته لينطلق في حضره. وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده من المجري»<sup>(٢)</sup>، وكان المفسر يجرى فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، ويحل عقد إشكالاتها<sup>(٣)</sup>.

وقد يخص التفسير بإيضاح الألفاظ المشككة فقط، كما قال ابن منظور رحمه الله تعالى (ت: ٧١١هـ): «التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكك»<sup>(٤)</sup>. وقال الفيروز أبادي رحمه الله تعالى (ت: ٨١٧هـ): «وحيقيقته: كشف المتعلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس عن الفهم به»<sup>(٥)</sup>.

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن التفسير في اللغة هو: الإيضاح والتبيين والظهور والانكشاف والتفصيل، «ويكون البيان والتفصيل والإيضاح في المعاني المعقولة، والكشف والإظهار في المحسوسات»<sup>(٦)</sup>. فالتفسير يستعمل لغة في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول<sup>(٧)</sup>.

### والتفسير اصطلاحاً:

عرف العلماء التفسير بعدة تعريفات: حسب نظرة كل منهم لحقيقته، وهذه الأنواع:

أ - منهم من عرفه باعتباره علماً على علم مخصوص، وهو تفسير القرآن الكريم ببيان معانيه، ومن هذه التعريفات:

١ - التفسير: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة<sup>(٨)</sup>.

٢ - التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه<sup>(٩)</sup>.

٣ - التفسير: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه،

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٦٣٦).

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (١٣/١).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٧٨/١).

(٤) لسان العرب لابن منظور، مادة: فسر (٥٥/٥).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٧٩/١).

(٦) عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير لعبد الواحد بكر إبراهيم أحمد عابد (ص: ١٠).

(٧) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١٢/١).

(٨) التعريفات للجرجاني (ص: ٨٧).

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١٥/١).

واستخراج أحكامه وحكمه<sup>(١)</sup>.

ب - ومنهم من جعله نفس علوم القرآن الكريم، قال الزركشي: «هو: علم نزول الآية وسورها وأقاصيصها، والإشارة النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها». ثم قال: «وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وهذا الذي منع فيه القول بالرأي»<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: تعريف الحديث لغة واصطلاحاً:

الحديث لغة: نقيض القديم. يقال: حدث الشيء يحدث حدثاً وحادثة، وأحدثه هو فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه<sup>(٣)</sup>.

والحديث أيضاً: الطري من الثمار، ويقال لكل ما قرب عهده: حديث، والحدث: كون الشيء بعد أن لم يكن، عرضاً كان أو جوهرًا، وإحداثه: إيجاده<sup>(٤)</sup>.

وقال الفيروز أبادي رحمه الله تعالى: «وقد ورد في القرآن<sup>(٥)</sup> على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الأخبار والآثار، ((أَتَحَدَّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)) [البقرة: ٧٦]، أي: أتخبرونهم؟

الثاني: بمعنى القول والكلام، ((وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)) [النساء: ٨٧]، أي: قولاً.

الثالث: بمعنى القرآن العظيم، ((فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ)) [الطور: ٣٤]، ((فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ))

[المسلمات: ١٩٥٠]

الرابع: بمعنى القصص ذات العبر، ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ)) [الزمر: ٢٣]، أي: أحسن القصص.

الخامس: بمعنى العبر في حديث الكفار والفجار، ((فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثًا)) [سبأ: ١٩]،<sup>(٦)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى: «وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال

له: حديث، قال تعالى: ((وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا)) [التحریم: ٣]. وقوله: ((وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الْحَادِيثِ)) [يوسف: ١٠١] أي: ما يحدث به الإنسان في نومه»<sup>(٧)</sup>.

### والحديث اصطلاحاً:

المشهور في تعريف الحديث اصطلاحاً أنه: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو

<sup>(١)</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٣/١)، وانظر: التعبير في علم التفسير للسيوطي (ص: ٣٧)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١).

<sup>(٢)</sup> البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٤٨/٢).

<sup>(٣)</sup> لسان العرب، مادة: حدث (١٣١/٢).

<sup>(٤)</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٤٤٠/٢).

<sup>(٥)</sup> يعني: الحديث.

<sup>(٦)</sup> بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٤٣٩/٢).

<sup>(٧)</sup> نفس المرجع السابق.

صفة<sup>(١)</sup>. وهناك من زاد فيه: أو صفة خلقية كانت أو خلقية أو سيرة، سواء كانت قبل البعثة أو بعدها<sup>(٢)</sup>.

وهناك من زاد فيه أيضاً: حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام<sup>(٣)</sup>.

والحديث يختص بالمرفوع عند الإطلاق، ولا يراد به الموقوف إلا بقريضة<sup>(٤)</sup>.

**الفرع الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمصطلحات البحث:**

**أولاً: المصطلحات ذات الصلة بالتفسير:**

**(١): علوم القرآن الكريم:**

مصطلح علوم القرآن يشير إلى كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن، ومن ثم جمع لفظ علوم ولم يضر؛ لأن المراد شمول كل علم يبحث في القرآن، فيشمل ذلك علم التفسير، وعلم الرسم، وعلم القراءات، وعلم غريب القرآن، وعلم إجاز القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم إعراب القرآن، وعلم مجاز القرآن، وعلم أمثال القرآن، إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة التي توسع العلماء في بحثها، وأفردوا لها المؤلفات المتكاثرة<sup>(٥)</sup>.

**(٢): التأويل:**

**التأويل في اللغة:**

يأتي بمعنى: الرجوع والعود، والأول: الرجوع، وقد آل يؤول أولاً، ومنه المؤئل: للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً<sup>(٦)</sup>.

وفي مقاييس اللغة: «أول الحكم إلى أهله أي: أرجعه ورده إليهم، وآل جسم الرجل إذا نحف، أي: رجع إلى تلك الحالة»<sup>(٧)</sup>.

ويأتي بمعنى: التفسير والبيان، فالتأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء، وقد أولته وتأولته تأولاً بمعنى<sup>(٨)</sup>، بمعنى<sup>(٩)</sup>، والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه<sup>(٩)</sup>.

وقد جاء التأويل في القرآن على خمسة أوجه:

<sup>(١)</sup> شرح ألفية السيوطي في الحديث المسمى إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر للشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي (١٤/١)، وفتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي للسخاوي (٢٢/١).

<sup>(٢)</sup> قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث للقاسمي (ص: ٣٨).

<sup>(٣)</sup> فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي للسخاوي (٢٢/١).

<sup>(٤)</sup> توجيه النظر إلى أصول الأثر للسمعوني (٤٠/١).

<sup>(٥)</sup> المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شعبة (ص: ٢٦).

<sup>(٦)</sup> انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣١٤/١٥)، مادة «أول». وانظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (٢٩١/٢ - ٢٩٢).

<sup>(٧)</sup> معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٩/١)، مادة «أول».

<sup>(٨)</sup> لسان العرب لابن منظور (٣٣/١١)، مادة «أول».

<sup>(٩)</sup> تهذيب اللغة للأزهري (٣١٤/١٥)، مادة «أول».

الأول: بمعنى الملك، ((وَأَبْتَعَاءَ تَأْوِيلِهِ)) آل عمران:٧، أي: ملك محمد، ((وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)) آل عمران:٧، أي: نهاية ملكه. فزعم اليهود أنهم أخذوه من حساب الجمل.

الثاني: بمعنى العاقبة ومآل الخير والشر الذي وعد به الخلق، ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ)) الأعراف:٥٣، أي: عاقبته، ((وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) النساء:٥٩، أي: عاقبة، ((ذُكِرَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ)) الكهف:٨٢، أي: عاقبته.

الثالث: بمعنى تعبیر الرؤيا، ((وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)) يوسف:١٠١، أي: تعبیر الرؤيا.

الرابع: بمعنى التحقيق والتفسير، ((هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ)) يوسف:١٠٠، أي: تحقيقها وتفسيرها.

الخامس: بمعنى أنواع الأطعمة وألوانها<sup>(١)</sup>، ((لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ)) يوسف:٣٧، أي: بألوانه وأنواعه<sup>(٢)</sup>.

### تعريف التأويل اصطلاحاً:

التأويل في الاصطلاح يطلق على معنيين:

الأول: تفسير الكلام، وبيان معناه، سواء أكان موافقاً للظاهر أم مخالفاً له. وعلى هذا يكون معنى التأويل نفس معنى التفسير ومرادفاً له، وبهذا المعنى استعمله الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره، ولذلك نجده يكثر في تفسيره من قول: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا"، ومن قول: "اختلف أهل التأويل في هذه الآية".

الثاني: صرف اللفظ عن المعنى الراجع إلى المعنى المرجوح لدليل يقترب به.

وفرق بعضهم بين التفسير والتأويل، فقيدوا التفسير بالرواية، والتأويل بالدراية<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: المصطلحات ذات الصلة بالحديث:

(١): السنة: السنة لغة: الطريقة والسير، حميدة كانت أو ذميمة<sup>(٤)</sup>.

وفي الاصطلاح لها تعريف عام، وتعريفات خاصة عند كل من المحدثين والفقهاء والأصوليين، كما يلي:

أ - التعريف الاصطلاحي العام للسنة:

تطلق السنة في اصطلاح أهل الشرع تارة على ما يقابل القرآن، وتطلق تارة على ما يقابل الفرض وغيره من الأحكام التكليفية الخمسة، وربما لا يراد بها إلا ما يقابل الفرض، كفروض الوضوء والصلاة والصوم وسننها، وتطلق تارة على ما يقابل البدعة، فيقال: أهل السنة وأهل البدعة. وتطلق

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: بمعنى الأنواع والألوان.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٢/٢٩١).

(٣) موسوعة علوم القرآن لعبد القادر محمد منصور (ص:١٧٤).

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٣/٢٢٥)، والمعجم الوسيط (ص:٤٥٦)، مادة: «سنن».

على ما هو أعم من المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين<sup>(١)</sup>.

ب - التعريفات الاصطلاحية الخاصة للسنة:

يعرف المحدثون السنة بأنها: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها<sup>(٢)</sup>. وهي بهذا مرادفة للحديث على الزيادة التي ذكرناها في تعريف الحديث. والله أعلم.

ويعرف الفقهاء السنة بأنها: ما طلب الشارع فعله طلباً غير جازم<sup>(٣)</sup>.

وأما الأصوليون فيعرفون السنة بأنها: ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير، والتي ليست للإعجاز<sup>(٤)</sup>. وعبارة الأمدى: «ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز ولا داخل في المعجز»<sup>(٥)</sup>.

(٢): الأثر: الأثر لغة: بقية الشيء، والخبر، والجمع آثار وأثور<sup>(٦)</sup>. والأثر مصدر قولك: أثرت الحديث، إذا ذكرته عن غيرك. ومنه قيل: حديث مأثور، أي: ينقله خلف عن سلف<sup>(٧)</sup>.

واصطلاحاً: في تعريفه «قولان: الأول: هو مرادف للحديث، أي: إن معناهما واحد اصطلاحاً.

والثاني: مغاير له، وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال أو أفعال»<sup>(٨)</sup>، ويشمل المرفوع

والموقوف؛ لاشتماله عليهما<sup>(٩)</sup>.

(٣): الخبر: الخبر لغة: النبأ، والجمع أخبار<sup>(١٠)</sup>، وخبره وأخبره: نبأه، واستخبره: طلب أن يخبره، ورجل خابر

وخبير: عالم بالخبر<sup>(١١)</sup>، وما لي به خبر أي: علم<sup>(١٢)</sup>.

واصطلاحاً: في تعريفه ثلاثة أقوال:

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار (١٥٩/٢ - ١٦٠). بتصرف.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي (ص: ٤٧).

(٣) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب الرعيني المالكي (٣٩/١).

(٤) الإبهاج في شرح المنهاج لابن السبكي (٢٦٣/٢)، وانظر: إرشاد الفضول للشوكاني (٩٥/١).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام للامدي (١٦٩/١).

(٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة: الأثر (ص: ٣٤١).

(٧) الصحاح للجوهري، مادة: أثر (٢٧٤/٢ - ٢٧٥).

(٨) تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان (ص: ١٦).

(٩) فتح المغيب للسخاوي (٩/١).

(١٠) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٣٨٢)، مادة «خبر».

(١١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٧٩/٥)، مادة «خبر».

(١٢) أساس البلاغة للزمخشري (٢٢٩/١)، مادة «خبر».

الأول: أنه مرادف للحديث<sup>(١)</sup>، أي: أن معناهما واحد اصطلاحاً.

الثاني: أنه مغاير للحديث، فالحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عن غيره<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنه أعم من الحديث، وأن الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، والخبر ما جاء عنه وعن غيره<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثالث: ضوابط في الأحاديث التفسيرية:

#### الضابط الأول: ما يندرج تحت الحديث التفسيري من غير الحديث المرفوع:

يندرج تحت الحديث التفسيري من غير الأحاديث المرفوعة الآثار الموقوفة على الصحابة رضي الله عنهم، مما يذكر فيه الصحابي سبب النزول؛ إذ هذا النوع من التفسير لا مجال فيه للرأي أو الاجتهاد، قال العراقي رحمه الله تعالى في ألفيته:

وعد ما فسره الصحابي ❖ رفعاً فمحمول على الأسباب

وقال ابن الصلاح رحمه الله تعالى: «ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك، كقول جابر رضي الله عنه: (كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ))» البقرة: ٢٢٣، الآية<sup>(٤)</sup>. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعدودة في الموقوفات، والله أعلم»<sup>(٥)</sup>.

وقد توسع الإمام الحاكم رحمه الله تعالى (ت: ٤٠٥هـ) في مسألة تفسير الصحابي، وذهب إلى أن كل تفسير الصحابي الذي شاهد الوحي وعرف التنزيل له حكم الرفع، ونسب هذا القول للبخاري ومسلم، قال رحمه الله تعالى: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند»<sup>(٦)</sup>.

ولم يجد الباحث هذا القول للشيخين رحمهما الله تعالى، ولا أحداً قال بهذا القول بعد طول البحث، غير الإمام الحاكم رحمه الله تعالى فقط، والله أعلم.

(١) شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني (ص: ٧).

(٢) تدريب الراوي للسيوطي (ص: ٦)، وشرح نزهة النظر لابن حجر العسقلاني (ص: ٧).

(٣) تفسير مصطلح الحديث لمصطفى الطحان (ص: ١٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للدبر (١٠٥٨/٢)، رقم (١٤٣٥).

(٥) مقدمة ابن الصلاح (ص: ٥٠).

(٦) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٢٨٣/٢).

## الضابط الثاني: ما يدخل وما لا يدخل في الحديث التفسيري من الأحاديث التي يوردها المحدثون في

## كتبهم في باب التفسير:

من عادة المحدثين رحمهم الله تعالى أنهم يوردون في مصنفاتهم كتاباً خاصاً بالتفسير، تحت اسم «كتاب التفسير» أو «كتاب تفسير آيات القرآن»، ثم يقسم المصنف هذا الكتاب إلى أبواب، يذكر فيها مروياته.

وحتى نبين مقصود المحدثين رحمهم الله تعالى بكتاب التفسير نذكر النماذج التالية من صحيح

الإمام البخاري رحمه الله تعالى من كتاب تفسير القرآن في صحيحه من سورة البقرة:

١ - بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى (ت: ٢٥٦هـ) في صحيحه: «باب ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) (الفاتحة: ٧)»، وذكر فيه: «عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال الإمام: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) (الفاتحة: ٧) فقولوا: آمين، فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)»<sup>(١)</sup>.

٢ - ويوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب قوله تعالى: ((فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)) (البقرة: ٢٢)»، وذكر فيه: «عن عبد الله رضي الله عنه قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: قال عبد الله رضي الله عنه: (قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعو لله نداً وهو خلقك. قال: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. فأنزل الله تصديقها: ((وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ)) (الفرقان: ٦٨-٦٩، الآية)<sup>(٣)</sup>.

٣ - ويوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب قوله: ((إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)) (البقرة: ١٥٨)»، وذكر فيه حديث عروة بن الزبير «أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وأنا يومئذ حديث السن: (أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ((إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (١٧/٦)، رقم (٤٤٧٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين (٣٠٦/١)، رقم (٤٠٩).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ((فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)) (١٨/٦)، رقم (٤٤٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٩٠/١)، رقم (١٤١).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)) (١٥٥/٩)، رقم (٧٥٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٩١/١)، رقم (١٤٢).

عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا)) [البقرة: ١٥٨]؟ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما؟ فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول كانت: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما". إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأنزل الله: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا)) [البقرة: ١٥٨]»<sup>(١)</sup>.

٤ - وبوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب قوله: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ)) [البقرة: ١٨٧]»، وذكر فيه: «عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله! ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا؛ إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار)»<sup>(٢)</sup>.

٥ - وبوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب قوله: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)) [البقرة: ١٩٣]»، وذكر فيه: «عن نافع: لأن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن! ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد علمت ما رغب الله فيه؟ قال: يا ابن أخي! بني الإسلام على خمس، إيمان بالله ورسوله، والصلاة الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت. قال: يا أبا عبد الرحمن! ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)) [الحجرات: ٩]، ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)) [البقرة: ١٩٣]؟ قال: فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يفتن في دينه: إما قتلوه، وإما يعذبونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة»<sup>(٣)</sup>.

بل ثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما لما قيل له: «آلم يقل الله: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم) (٢٣/٦)، رقم (٤٤٩٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٩٢٨/٢)، رقم (١٢٧٧).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتوا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) (٢٦/٦)، رقم (٤٥١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك (٧٦٦/٢)، رقم (١٠٩٠).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (٢٦/٦)، رقم (٤٥١٤).

كُلُّهُ لِلَّهِ)) [الأَنْفَال: ٣٩] فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله»<sup>(١)</sup>. وثبت مثله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

٦ - وبوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب ((فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ)) [البقرة: ١٩٦]»، وذكر فيه: «عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: لأنزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزل قرآن يحرمه، ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء»<sup>(٣)</sup>.

٧ - وبوب رحمه الله تعالى أيضاً: «باب ((وَهُوَ أَلَدُ الْخُصَامِ)) [البقرة: ٢٠٤]»، وذكر فيه: «عن عائشة رضي الله عنها ترفعه: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)»<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال النظر في هذه الأمثلة التي أوردتها وعناوين الأبواب التي بوب بها البخاري رحمه الله تعالى يتبين الآتي:

١ - أن الحديث الأول ليس تفسيراً للآية الكريمة، وإنما فيه تعليم التأمين بعد قراءة الإمام، وفضل موافقة الملائكة في ذلك. ولهذا قال العيني رحمه الله تعالى (ت: ٨٥٥هـ): «باب ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) [الفاتحة: ٧]، أي: هذا باب فيه ذكر قوله تعالى: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) [الفاتحة: ٧]، ولا وجه لذكر لفظ: باب هنا، ولا ذكره حديث الباب هنا مناسباً؛ لأنه لا يتعلق بالتفسير، وإنما محله أن يذكر في فضل القرآن»<sup>(٥)</sup>.

٢ - أما المثال الثاني فيمكن حمله على التفسير ولكن بتكلف، ووجه حمله على التفسير بسبب أن جعل الأنداد مع الله تعالى المنهي في الآية لكونه من أعظم الذنوب كما نص الحديث على ذلك. ووجه التكلف في جعل الحديث تفسيراً للآية: أنه نص في الرواية الأخرى "أنه أنزل الله تصديقها: ((وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ)) [الفرقان: ٦٨- ٦٩]، الآية"<sup>(٦)</sup>. وليست الآية التي بوب بها البخاري رحمه الله تعالى.

(١) نفس المرجع السابق، رقم (٤٥١٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٦/١)، رقم (١٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) (٢٧/٦)، رقم (٤٥١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز التمتع (٩٠٠/٢)، رقم (١٢٢٦). وقوله: «قال رجل برأيه ما شاء»، يعني نهي سيدنا عمر رضي الله عنه عن متعة الحج.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٨/٦)، كتاب تفسير القرآن، باب (وهو ألد الخصام) (٢٨/٦)، رقم (٤٥٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب في الألد الخصم (٤٠٥٤/٤)، رقم (٣٦٦٨).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخار لبيد الدين العيني (٨١/١٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته) (١٥٥/٩)، رقم (٧٥٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٩١/١)، رقم (١٤٢).

٣ - المثال الثالث بينت فيه عائشة رضي الله عنها سبب نزول الآية الكريمة، ومثل هذا لا يمكن أن يكون قولاً من رأيها رضي الله عنها، بل له حكم الرفع كما سبق، لذلك يعد من باب التفسير الصريح. وكذلك المثال الرابع من التفسير الصريح؛ إذ فيه تفسير نبوي للخيط الأبيض والخيط الأسود المذكورين في الآية الكريمة.

٤ - وأما المثالان الخامس والسادس فهما من باب تفسير الصحابي، وقد صرح في الحديث السادس بخلاف بعض الصحابة.

٥ - وأما المثال السابع ففيه بيان لكون الألد الخصم أبغض الرجال إلى الله؛ لكنه لم يفسر ألد الخصام، ولا ذكر الحديث تفسيراً للآية.

ومن خلال هذا العرض السريع لهذه الأمثلة يمكن القول: إن المحدثين في كتبهم المدونة في الحديث يوردون في كتب وأبواب التفسير ما له تعلق بالآية القرآنية ولو لم يكن تفسيراً لها، كما في المثال السابع، بل إنهم يوردن الأحاديث التي لا تصلح تفسيراً للآية إلا بتكلف، أو لا تدل على ذلك إلا بإشارة دقيقة خفية، وليس له أي تعلق في الظاهر بها، كما أنهم يوردون في ذلك الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والتابعين جنباً إلى جنب مما لا يمكن أن يعتبر حديثاً تفسيرياً.

فالأحاديث التي يذكرها المحدثون تحت أبواب التفسير هو اجتهاد خاص بهم.

بل كانوا يذهبون إلى أبعد من ذلك، حيث يوردون ما يتعلق بالآية من الأحاديث لأي سبب كان، كذكر بعض لفظ الآية في الحديث، أو ذكر قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم لتلك الآية في زمن مخصوص، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يدل على مدى حرصهم واهتمامهم بربط الآية بما يتعلق بها من الحديث النبوي، وإن لم يكن ذلك الحديث تفسيراً للآية<sup>(١)</sup>.

ولذلك قال الإمام أبو مسعود الكنهكوهي (ت: ١٣٢٣): «ثم الذي ينبغي التنبيه له: أن التفسير عند هؤلاء الكرام أعم من أن يكون شرح كلمة، أو بيان ما يقرأ بعد تمام سورة، ولا أقل من أن يكون لفظ القرآن وارداً في الحديث. وكون الأمور المتقدمة من التفسير ظاهر، وإنما الخفاء في هذا الأخير، والنكتة فيه: أن لفظ الحديث يفسر لفظ القرآن، بحيث يعلم منه أن المراد في الموضوعين واحد، وكثيراً ما يكشف معنى اللفظ بوقوعه في قصة وكلام لا يتضح مراده لو وقع هذا اللفظ في غير تلك القصة، فإذا لاحظ الرجل الآية والرواية معاً كانت له مكنة على تحصيل المعنى»<sup>(٢)</sup>.

فالمحدثون رحمهم الله تعالى يوردون في كتب التفسير كل ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية أو يبين معناها، كما أنهم يوردون كل ما يتعلق بالآية، وأنا إنما أقصد بالحديث التفسيري - في هذا البحث - ما

(١) مصادر التفسير للدكتور مساعد الطيار، الحلقة الثانية: التفسير بالسنة (ص: ١).

(٢) لامع الدراري على جامع البخاري لمحمد زكريا الكاندهلوي (٤/٩).

كان تفسيراً صريحاً للآية، سواء كان حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أو كان أثراً عن صحابي لا مدخل فيه للرأي أو الاجتهاد، على ما سبق في الفرع الأول من هذا المطلب. وبناء على هذا سنجد أن الأحاديث التفسيرية قليلة جداً ومعدودة، على خلاف ما ذكره أئمة الحديث والتفسير في مصنفاتهم. والله تعالى أعلم.

## المطلب الثاني: التفسير الحديثي للقرآن الكريم:

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: مصادر تفسير القرآن الكريم

الفرع الثاني: أهمية التفسير الحديثي للقرآن الكريم

الفرع الثالث: مقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم

الفرع الرابع: مخالفة الحديث النبوي في التفسير، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: مصادر تفسير القرآن الكريم:

تعرف مصادر التفسير بأنها: المراجع التي يرجع إليها المفسرون في تفسير القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، تسمى أيضاً: "مآخذ التفسير"<sup>(٢)</sup>.

فمصادر تفسير القرآن الكريم تكمن أهميتها في أنها المعين الذي يوضح معنى اللفظ القرآني والمقصود منه، وهذه المعرفة ضرورية جداً لفهم خطاب الله تعالى لعبيده؛ إذ لا يمكن فهم القرآن الكريم واستيعابه إلا بمعرفة معاني ألفاظه، ومن هنا عد الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى (ت: ٥٠٢هـ) معرفة مفردات ألفاظ القرآن اللغوية أول ما يجب على المشتغل بعلوم القرآن الكريم، فقال رحمه الله تعالى: «إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم»<sup>(٣)</sup>.

وهذه المصادر يمكن ترتيبها كالتالي:

١ - القرآن الكريم، ويسمى العلماء رحمهم الله تعالى هذا التفسير "تفسير القرآن بالقرآن"، وهذا أول وأهم مصادر التفسير، قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى (ت: ٩١١هـ): «قال العلماء: من أراد تفسير

(١) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره للدكتور محمد علي الحسن (ص: ٢٢٨).

(٢) هذه تسمية الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن (١٥٦/٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٤- ٥٥).

الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن.

والسبب في كون تفسير القرآن بالقرآن أول مصادر التفسير وأهمها وأنه لا يجوز إهماله: أن القرآن الكريم «قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى. ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً، وبما جاء مبيناً على فهم ما جاء مجملأً، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله. وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره»<sup>(١)</sup>.

٢ - السنة النبوية، ويسمي العلماء رحمهم الله تعالى هذا التفسير "تفسير القرآن بالسنة".

والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وتأتي في التفسير بعد القرآن لأن الله تعالى قد ذكر في القرآن أن وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما نزل إليهم؛ ولذلك فهي تأتي في المرتبة الثانية بين مصادر التفسير، قال الإمام السيوطي رحمه الله: «فإن أعيان ذلك طلبه من السنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقد قال الشافعي رضي الله عنه: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما فهمه من القرآن، قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ))، في آيات آخر، وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)، يعني السنة»<sup>(٢)</sup>.

وإذا جاء التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى تفسير آخر، قال ابن تيمية رحمه الله: «ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة»<sup>(٣)</sup>.

٣ - أقوال الصحابة رضي الله عنهم، ويسمي العلماء رحمهم الله تعالى هذا التفسير "تفسير الصحابي"، وقال السيوطي: «فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح»<sup>(٤)</sup>.

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد السيد حسين الذهبي (٣١/١).

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٠/٤).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/١٣).

(٤) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٠/٤)، وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٤٠).

بل قد ذهب الإمام الحاكم رحمه الله تعالى إلى أن تفسير الصحابي حديث مسند، فقال رحمه الله تعالى: «وتفسير الصحابي مسند»<sup>(١)</sup>، أي: له حكم الرفع. ونسب في موضع آخر القول بهذا للشيخين البخاري ومسلم.

ويكون اعتماد المفسر على الصحيح منها؛ لأن كثيراً من الأقوال لا تصح نسبتها إليهم، وقد يتعارض بعضها مع ظاهر كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهي كالحديث النبوي الشريف منها الصحيح والضعيف والموضوع<sup>(٢)</sup>.

٤ - أقوال التابعين رحمهم الله تعالى، ويسمي العلماء رحمهم الله تعالى هذا التفسير "تفسير التابعي"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»<sup>(٣)</sup>. ثم إن التابعين في تفسيرهم «إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم»<sup>(٤)</sup>. والتابعين رحمهم الله تعالى وإن جاء عنهم بعض الاختلاف في التفسير إلا أن اختلافهم هذا كان قليلاً جداً بالنسبة لمن جاء بعدهم، قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: «وقد كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً. وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم»<sup>(٥)</sup>.

وأقوال التابعين التي لا يمكن أن تكون من أقوالهم وليس للاجتهاد مجال فيها لا بد أن تكون قد أخذت من الصحابة رضوان الله عليهم، هذا إن كان التابعي الذي نقل هذا القول ثقة، فلا يمكن أخذه على أنه كذب، أما ما كان في مجال الاجتهاد والرأي فالرأي الراجح في ذلك أنه رأي قابل للصواب والخطأ، وإنما يستأنس به في التفسير؛ لأنهم قد شاهدوا وعاشوا الصحابة الذين بدورهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاصروا التنزيل<sup>(٦)</sup>.

٥ - اللغة العربية، وقد عبر عنها الزركشي رحمه الله تعالى بقوله: «الأخذ بمطلق اللغة؛ فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين»<sup>(٧)</sup>، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع<sup>(٨)</sup>.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/٦١٩).

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (٢/٢٣).

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٤٤).

(٤) المرجع السابق (ص: ٤٦).

(٥) الإقتان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٢٠٢).

(٦) درج الدرر في تفسير الآي والسور لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (٢/٢٥).

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/١٦٠).

(٨) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٣٤١).

ولا بد هنا من معرفة جميع لغات العرب للمفسر، وعلى هذا يجوز لمن عرف لغات العرب وشأن النزول أن يفسر القرآن، وأما من كان من المكلفين ولم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع، فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على سبيل التفسير<sup>(١)</sup>. وكذلك لا بد من معرفة علوم النحو والصرف والبلاغة<sup>(٢)</sup>.

٦ - الرأي والاجتهاد: وهذا آخر المصادر، وهو ما عبر عنه الزركشي رحمه الله تعالى بقوله: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع<sup>(٣)</sup>.

وفي اعتبار الاجتهاد مصدر من مصادر التفسير خلاف، فلا يصار إليه إلا عند عدم وجود التفسير في المصادر السابقة<sup>(٤)</sup> إذا كان لهذا التفسير أصل في المصادر السابقة، «ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل؛ لقوله تعالى: ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ))» [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ((وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))» [البقرة: ١٦٩]، وقوله: ((لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))» [النحل: ٤٤]. فأضاف البيان إليهم<sup>(٥)</sup>. وهذا التفسير بالرأي والاجتهاد ليس مطلقاً، بل مقيد بكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً، ولا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا على مجرد رأيهم فيه<sup>(٦)</sup>.

### مراجع التفسير النبوي للقرآن الكريم:

هناك العديد من المراجع اعتنت بالتفسير النبوي للقرآن الكريم، وهذه المراجع هي:

١ - دواوين السنة النبوية وأمهات كتب الحديث، ويدخل فيها المصنفات المسندة المؤلفة في العقيدة، وقد ذكرنا سابقاً أن المحدثين دأبوا على إيراد كتب وأبواب خاصة بالتفسير في مصنفاتهم في الحديث الشريف، وهم دائماً يوردونها تحت اسم "كتاب التفسير" .. "كتاب تفسير القرآن" .. "أبواب تفسير القرآن". ويذكرون تحتها مروياتهم الحديثية التي يرونها متعلقة بتفسير القرآن، كما أنهم قد يوردون أبواباً في تفسير قوله تعالى كذا في غير كتب التفسير.

وأما المصنفات المسندة في موضوع العقيدة ففيها تفاسير الصحابة رضي الله عنهم مما لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، ومنها "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي، وغيرها كثير.

٢ - كتب التفسير التي أهتمت بالتفسير بالمأثور، وأهم هذه الكتب على الإطلاق تفسير الإمام الطبري

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٦٣/٢).

(٢) مباحث في علوم القرآن لمتاع القطان (ص: ٣٤٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٦١/٢).

(٤) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره للدكتور محمد علي الحسن (ص: ٢٤٢).

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٦١/٢).

(٦) المرجع السابق (١٦٦/٢). بتصرف.

- رحمه الله تعالى المسمى "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، وكذلك "تفسير ابن أبي حاتم"، والدر المنثور للإمام السيوطي، وتفسير ابن الجوزي وغيرها.
- ٣ - الكتب المصنفة في علوم القرآن الكريم، ومن أهم هذه الكتب: "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، و"الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، وهناك الكثير غيرها.
- ٤ - الكتب المصنفة في أسباب النزول، ومنها "أسباب نزول القرآن" للواحدي، و"أسباب النزول" للسيوطي.

### الفرع الثاني: أهمية التفسير الحديثي للقرآن الكريم:

تتبن أهمية التفسير الحديثي للقرآن الكريم من خلال الآتي:

- ١ - أن الله عز وجل أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وكلفه أن يبينه للناس، كما قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) (النحل: ٤٤)، وقال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)) (إبراهيم: ٤). إذاً: مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم هي تبين القرآن وتبليغه، وهذا وحده كافٍ لإبراز أهمية التفسير الحديثي للقرآن الكريم.
- ولما كانت الغاية من بعث النبي صلى الله عليه وسلم هي تبين كلام الله عز وجل للخلق فقد أوحى الله إليه صلى الله عليه وسلم معاني القرآن الكريم كما أوحى إليه ألفاظه، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا، فعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)<sup>(١)</sup>. ولذلك كان أعلم الناس بمراد ما أنزل الله عليه<sup>(٢)</sup>. قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله تعالى (٣٨٨هـ): «قوله: (أوتيت الكتاب ومثله معه) يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما: أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو، ويحتمل أن يكون معناه: أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى، وأوتي من البيان، أي: أذن له أن يبين ما في الكتاب، ويعم ويخص، وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن»<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - أن الله عز وجل قد زكى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)) (النجم: ٣-٤). قال ابن كثير رحمه الله تعالى (ت: ٧٧٤هـ): «فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، قال الله تعالى: ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

<sup>(١)</sup> أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب السنة، باب في لزوم السنة (١٣/٧)، رقم (٤٦٠٤). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. سنن أبي داود (١٣/٧)، هامش رقم (١).

<sup>(٢)</sup> الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم لأليف الدين ترابي بن عالم الدين القرشي (ص: ٢٩٢- ٢٩٣). بتصرف.

<sup>(٣)</sup> معالم السنن للخطابي (٢٩٨/٤).

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)) [النساء: ٥٩]»<sup>(١)</sup>.

وجاء من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أكتتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأوماً بإصبعه إلى فيه، فقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)<sup>(٢)</sup>.

بل جاء عن عائشة رضي الله عنها: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يفسر شيئاً من القرآن برأيه، إلا آياً بعدد علمهن إياه جبريل)<sup>(٣)</sup>.

٣ - إخبار الله عز وجل بأن من أطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله، قال تعالى: ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) [النساء: ٨٠]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى»<sup>(٤)</sup>.

٤ - عصمته صلى الله عليه وسلم، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (ت: ٦٧٦هـ): «اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر صلى الله عليه وسلم حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه صلى الله عليه وسلم وفي هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها»<sup>(٥)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: «الإجماع معصوم من الخطأ، فالرسول أولى بذلك؛ لعلو رتبته»<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (١١٩/٦).

(٢) أخرجه أبو دود في سننه، أول كتاب العلم، باب في كتاب العلم (٤٨٩/٥ - ٤٩٠)، رقم (٣٦٤٩). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. سنن أبي داود (٤٩٠/٥)، هامش رقم (١).

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند عائشة (٢٣/٨)، رقم (٤٥٢٨). وقال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف. نفس المرجع السابق. وقال الألباني: ضعيف. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني (١٥٤/١٤)، رقم (٦٥٦٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٦٣/٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (٩٠/١١).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٧٤/١٣).

### الفرع الثالث: مقدار ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم:

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم فسر لأصحابه كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقد قال: «يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه»<sup>(١)</sup>.

ومن الأدلة التي استدلت بها على هذا القول:

- ١ - قال تعالى: ((لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)) (النحل: ٤٤).
  - ٢ - قال تعالى: ((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)) (ص: ٢٩)، وقال: ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)) (النساء: ٨٢) وقال: ((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)) (المؤمنون: ٦٨) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن.
  - ٣ - قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (يوسف: ٢). وعقل الكلام متضمن لفهمه. ومن المعلوم أن كل كلام فالمتقصد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.
  - ٤ - الآثار الدالة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتأنون في تعلم القرآن الكريم، ويتعلمون منه الآيات الضالئل، ثم لا ينتقلون إلى غيرها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ويعملوا بها. ولهذا كانوا يبقون مدة طويلة في حفظ السورة.
  - ٥ - إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم وديانهم<sup>(٢)</sup>؟
  - ٦ - أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه أنه قال: لمن آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها<sup>(٣)</sup>. وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه<sup>(٤)</sup>.
- القول الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لأصحابه من معاني القرآن إلا آيات قليلة، وإلى هذا ذهب الإمامان القرطبي والخويي والسيوطي رحمهما الله تعالى<sup>(٥)</sup>. قال الإمام القرطبي رحمه الله

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٩-١٠). بتصرف.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب التجارات، باب التغليظ في الربا (٣/٣٨٠)، رقم (٢٢٧٦)، وأحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٣٦١/١)، رقم (٢٤٦). وقال الأرنؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه: إسناده صحيح. سنن ابن ماجه (٣/٣٨٠)، هامش (١)، وقال في تحقيقه مسند

أحمد: حسن. مسند أحمد (٣٦١/١)، هامش (٢).

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي (٤٠/١).

(٥) تفسير القرطبي (٣٣/١)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/١٩٦) و(٤/٢٠٨).

تعالى (ت: ٦٧١هـ): «قال بعض العلماء: إن التفسير موقوف على السماع؛ لقوله تعالى: ((فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)) [النساء: ٥٩]. وهذا فاسد»<sup>(١)</sup>.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً: «إن الصحابة قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: «الذي صح من ذلك<sup>(٣)</sup> قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة»<sup>(٤)</sup>. ونقل السيوطي عن الخويي قوله: «وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته»<sup>(٥)</sup>.

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بالآتي:

- ١ - الأدلة التي أمرت بتدبر القرآن واستنباط معانيه، وهي كثيرة، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ((كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)) [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)) [محمد: ٢٤]. فلو كان تفسير القرآن كله مسموعاً لكان أولى الحث على الحفظ والاستظهار.
- ٢ - أن الواقع المشاهد الملموس أن كثيراً من القرآن الكريم لم ينقل فيه تفسير عنه صلى الله عليه وسلم، ولو كان فسره لنقل، وإلا لزم من ذلك تفريط السلف في النقل لما هو ضروري لفهم القرآن الكريم، وهذا باطل عقلاً ونقلاً، خصوصاً إذا علمنا حرصهم على أقواله صلى الله عليه وسلم رواية وحفظاً ودراية.
- ٣ - أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في التفسير، فلو كان التفسير منقولاً عنه صلى الله عليه وسلم لما كان لا اختلافهم سبب وجيه، وهم أحرص الناس على اتباعه في قوله وفعله<sup>(٦)</sup>.
- ٤ - إن بيان النبي صلى الله عليه وسلم لكل معاني القرآن متعذر، ولا يمكن ذلك إلا في أي قلائل، والعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، ولم يأمر الله نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته لأجل أن يتفكر عباده في كتابه<sup>(٧)</sup>.
- ٥ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يفسر شيئاً من القرآن برأيه،

(١) تفسير القرطبي (٣٣/١).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) يعني: من النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) الإقتان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٨/٤).

(٥) المرجع السابق (١٩٦/٤ - ١٩٧).

(٦) منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح) لسيد أحمد الإمام بن خطري (ص: ٤٩ - ٥٠). بتصرف.

(٧) الإقتان في علو القرآن للسيوطي (١٩٦/٤ - ١٩٧)..

إلا آياً بعدد علمهن إياه جبريل<sup>(١)</sup>.

٦ - لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه كل معانى القرآن لما كان لتخصيصه ابن عباس رضي الله عنهما بالدعاء بقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)<sup>(٢)</sup> فائدة؛ لأنه يلزم من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل معانى القرآن استواؤهم في معرفة تأويله، فكيف يخص ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الدعاء<sup>(٣)</sup>؟

وأما مناقشة أدلتهم فليس هذا موضعها، وقد ناقشها الدكتور محمد السيد حسين الذهبي رحمه الله تعالى (ت: ١٣٩٨هـ) في كتابه "التفسير والمفسرون"، وبين مغالاة الفريقين ومبالغتهما فيما ذهبا إليه<sup>(٤)</sup>، وكذلك ناقشها سيد أحمد الإمام بن خطري في رسالته "منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح)<sup>(٥)</sup>.

وقد ذهب جمع من العلماء إلى الجمع بين القولين، دون ترجيح أحدهما على آخر، ومن هؤلاء الدكتور محمد السيد حسين الذهبي رحمه الله تعالى، فقد قال رحمه الله تعالى: «اختيارنا في المسألة: والرأي الذي تميل إليه النفس بعد أن اتضح لنا مغالاة كل فريق في دعواه وعدم صلاحية الأدلة لإثبات المدعى هو أن نتوسط بين الرأيين، فنقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معانى القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبين كل معانى القرآن؛ لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته»<sup>(٦)</sup>. وقال أيضاً رحمه الله تعالى: «ويدهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته، وهو الذي لا يعرفه أحد بجهله؛ لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجرى مجرى الغيوب التي لم يطلع الله عليها نبيه، وإنما فسر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعها عليها وأمره ببيانها لهم، وفسر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث<sup>(٧)</sup>،

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (٤١/١)، رقم (١٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١٩٧/٤)، رقم (٢٤٧٧).

(٣) تفسير القرطبي (٣٣/١)، والتفسير والمفسرون للذهبي (٤٠/١).

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي (٤٠/١ - ٤٢). وقد عرضت عن ذلك في هذا البحث؛ إذ المقصود بيان الأقوال، وأما مناقشة أدلة الأقوال فشيء زائد، لا داعي له هنا. والله أعلم.

(٥) منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح) لسيد أحمد الإمام بن خطري (ص: ٥٠ - ٥٢).

(٦) التفسير والمفسرون للذهبي (٤٢/١).

(٧) بين القسم الثالث عند مناقشته لأدلة القولين وبيانه لغلوهما.

وهو ما يعلمه العلماء يرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفى معناه والتبس المراد به.

هذا وإن مما يؤيد أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفسر كل معانى القرآن أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص<sup>(١)</sup>.

ومنهم كذلك سيد أحمد الإمام بن خطري، فقد قال: «الراجح: أن التفسير على قسمين:

الأول: بيان غايات القرآن من إقامة قواعد الإسلام وأركان الإيمان، وبيان الأوامر والنواهي، والوعود والوعيد، وتفصيل العبادات والمعاملات، ورفع مستوى الأخلاق، وإقامة العدل بحفظ الدين والنفس والمال والعرض، إلخ. فهذا قد فسره الرسول صلى الله عليه وسلم غاية التفسير، ووضحه غاية التوضيح، وهو الإسلام برمته، وهو الذي تدور فيه جميع دواوين السنة الموجودة. وعلى هذا يحمل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثاني: هو تفسير سور القرآن وآياته وتراكيبه، وبيان مفرداته، وتوضيح قصصه ومبهمات على النحو المألوف الآن في كتب التفسير، فنقل هذا عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القليل النادر كما قال السيوطي<sup>(٢)</sup>.

وقد توسع في هذه المسألة الدكتور مساعد الطيار وتكلم بكلام طويل وجميل جداً، ورجح في آخره القول الثاني<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الرابع: مخالفة الحديث النبوي في التفسير:

#### أولاً: حكم مخالفة الحديث النبوي في التفسير:

لاشك أن مخالفة حديث النبي صلى الله عليه وسلم ضلال عن الصراط المستقيم، وهو من المشاقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حذر الله عز وجل من مخالفته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [النساء: ١١٥]. قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار في شق والشرع في شق، وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له<sup>(٤)</sup>. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون

(١) التفسير والمفسرون للذهبي (٤٢/١).

(٢) منهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح) لسيد أحمد الإمام بن خطري (ص: ٥٢).

(٣) انظر كلامه في: شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (ص: ٤١ - ٤٤). وهو كلام نفيس جداً.

(٤) تفسير ابن كثير (٤١٢/٢).

اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له من عذر في تركه»<sup>(١)</sup>.

وبناءً فليس لأحد أن يترك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس، أو يعارضه به؛ إذ لا يحل لأحد أن يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول أحد من المخلوقين كائناً من كان، فالنصوص الثابتة عن الله وعن نبيه عليه الصلاة والسلام لا تعارض بقول أحد كائناً من كان، حتى ولو كان قولاً لأبي بكر أو عمر رضي الله عنهما، ولذلك أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على رجل سألته عن مسألة فأجابها فيها بحديث، فقال له: "قال أبو بكر وعمر"، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: آراهم سيهلكون، أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: نهى أبو بكر وعمر<sup>(٢)</sup>! وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد قال تعالى: ((فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (النور: ٦٣)؛ ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من مخالفة حديثه -ومنه حديثه التفسيري -، فعن أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)<sup>(٣)</sup>. وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه. وما وجدنا فيه حراماً حرماناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله)<sup>(٤)</sup>.

ولو فتح هذا الباب لأصبح لكل من أراد أن يعرض عن أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك، وفي هذا ضياع للدين. وعموماً فالآيات والأحاديث والآثار الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم والأئمة رحمهم الله تعالى كثيرة جداً ومتظافرة في وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والتأسي به

<sup>(١)</sup> رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية (ص: ٨٠- ٩).

<sup>(٢)</sup> مسند أحمد، مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (٢٢٨/٥)، رقم (٣١٢١). وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. مسند أحمد (٢٢٨/٥)، هامش رقم (٣).

<sup>(٣)</sup> أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣٤/٤)، رقم (٢٦٦٣)، وأبو داود في سننه، أول كتاب السنة، باب في لزوم السنة (١٥/٧)، رقم (٤٦٠٥)، وابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعليق على من عارضه (١٠/١)، رقم (١٣). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. سنن أبي داود (١٥/٧)، هامش رقم (٢)، وسنن ابن ماجه (١٠/١)، هامش رقم (١).

<sup>(٤)</sup> أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم (٣٣٥/٤)، رقم (٢٦٦٤)، وابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعليق على من عارضه (٩/١)، رقم (١٢). وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، دون قوله: (ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله)، فقد انفرد بها الحسن بن جابر، وهو مستور. وقال الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٦٤/٦)، رقم (٢٦٦٤)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨٤/١)، رقم (١٢).

والتمسك بسنته.

### ثانياً: حكم تفسير القرآن الكريم بالحديث الضعيف:

ينبغي الحذر من التفسير بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، ويجب الابتعاد عن ذلك، وكتب الحديث والتفسير مليئة بالأحاديث الضعيفة، فيما عدا الصحيحين، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير"<sup>(١)</sup>. قال الزركشي رحمه الله تعالى: «قال المحققون من أصحابه: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة والا فقد صح من ذلك كثير»<sup>(٢)</sup>. وقد حذر العلماء رحمهم الله تعالى من التفسير بالحديث الضعيف، ومن نصوصهم في ذلك: قال الزركشي رحمه الله تعالى: «يجب الحذر من الضعيف فيه»<sup>(٣)</sup> والموضوع، فإنه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب»<sup>(٤)</sup>. ثم نقل كلام الإمام أحمد بن حنبل في قوله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير. قال الدكتور محمد السيد حسين الذهبي رحمه الله تعالى: «وأما ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف في سنده أو متنه فذلك مردود غير مقبول ما دام لم تصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم»<sup>(٥)</sup>. وقال الزرقاني رحمه الله تعالى: «ما لم يصح لسبب من الأسباب الأنفة أو غيرها وهذا يجب رده، لا يجوز قبوله ولا الاشتغال به، اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه إلى ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد»<sup>(٦)</sup>.

### ثالثاً: حكم القياس على التفسير النبوي في التفسير:

بينت سابقاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم في تبليغ الأحكام الشرعية، وذكرت النصوص المبينة لذلك، كما بينت أن التفسير بالحديث الصحيح يجب الأخذ به ويحذر من مخالفته، وأما الحديث الضعيف فيرد، ولا يؤخذ به في التفسير.

والأساليب التي فسر بها النبي صلى الله عليه وسلم متنوعة، وليست أسلوباً واحداً، كما سيأتي في المبحث الثاني، وقد اقتضى هذا التنوع في الأساليب التفسيرية كون السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم، وهي مختلفة في إمكانية احتمال القياس عليها في التفسير، فمنها ما يمكن القياس عليها، ومنها ما لا يمكن القياس عليها بحال، بل يلتزم فيها بالنص، ويتوقف عنده، ولا يجوز تجاوزه بحال. وخلاصة القول في ذلك: إن كان الحديث التفسيري يمكن القياس عليه فلا بأس من القياس عليه في هذه الحالة، وإن كان لا يمكن فلا. ولتوضيح ذلك أقول: إن تفسير القرآن بالقرآن يمكن القياس عليه، وأن تفسر آية بآية أخرى، ومطالعة

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٢١٢/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٥٦/٢).

(٣) يعني: في النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٥٦/٢).

(٥) التفسير والمفسرون للذهبي (١١٥/١).

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢٥/٢).

كتب التفسير كتفسير ابن كثير رحمه الله تعالى تشهد بذلك.

كما يمكن التفسير ببيان المعنى وبيان الغريب من الكلام، كما أن التفسير النبوي بالمثل يمكن القياس عليه، بأن يفسر النص القرآني بمثل آخر من جنس المثل الذي ذكره في الحديث التفسيري، وبخاصة إذا كان التفسير بالمثل بيان سبب النزول، فإنه يعم كل ما كان مشابهاً له. وسيأتي بيان كل هذا في موضعه من المبحث الثاني.

وأما بقية الأساليب التفسيرية فلا يمكن القياس عليها، وخاصة إن كانت مما يتعلق بأمور الغيب وأحوال الآخرة. وسيأتي بيان كل هذا في موضعه من المبحث الثاني. والله أعلم.

## المبحث الثاني: أساليب التفسير الحديثي للقرآن الكريم

تمهيد:

من خلال تتبع الأحاديث التفسيرية للقرآن الكريم نجد أن هذه الأحاديث لم تأت على طريقة واحدة، بل تنوعت في أساليبها التفسيرية للقرآن الكريم، وتنوع هذه الأساليب لم يأت عبثاً، وإنما اقتضاه واقع كون السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم ومفسرة له، وأيضاً بسبب الظروف التي اقتضت تنوع هذه الأساليب وتعددتها، ففي بعض الأحيان يأتي الحديث التفسيري لتوضيح وتبيين ما أجمل في القرآن الكريم أو ما أشكل من معناه، أو لشرح لفظاً غريباً فيه، وأحياناً يأتي لبيان حكم فقهي تضمنته الآية، وأحياناً يأتي جواباً لسؤال أو يأتي استشهاداً بالآية على واقعة حادثة، إلى غير ذلك من الأساليب الواردة في الأحاديث التفسيرية للقرآن الكريم. وسأوضح هذه الأساليب في هذا المبحث بذكر نماذج لها حسب ما ذكرته من ضوابط في المطلب الثالث من التمهيد.

### المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

من أساليب النبي صلى الله في التفسير أنه كان يفسر القرآن بالقرآن، ومن ذلك:

١ - تفسيره مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ)) [الأأنعام: ٥٩]، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَفَاتِحُ الْغَيْبِ)) [الأأنعام: ٥٩] خمس: ((إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [القمان: ٣٤]<sup>(١)</sup>. وبهذا قال ابن عباس<sup>(٢)</sup> وابن عمر<sup>(٣)</sup> رضي الله

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) (٥٦/٦)، رقم (٤٦٢٧).

<sup>(٢)</sup> تفسير الطبري (٤٠٢/١١).

<sup>(٣)</sup> الدر المنثور في التفسير بالمثلور لجلال الدين السيوطي (٣٧٨/٣).

عندهم، وبه قال قتادة<sup>(١)</sup>. ولم يذكر المفسرين رحمهم الله تعالى غير هذا القول في تفسير الآية.

٢ - تفسيره الظلم الوارد في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) [الأنعام: ٨٢]، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما نزلت هذه الآية: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ((إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) [لقمان: ١٣]<sup>(٢)</sup>. وهذا هو قول أبو بكر الصديق وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وإلى هذا ذهب علقمة النخعي وإبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وأبو عبد الرحمن السلمي وابن إسحاق رحمهم الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وذهب جماعة من السلف إلى أن معنى الآية: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله، أو ترك ما أمر الله بفعله، وقالوا: الآية على العموم؛ لأن الله لم يخص به معنى من معاني الظلم<sup>(٤)</sup>. والصواب الأول؛ إذ قد صح به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا ينبغي العدول عنه إلى غيره.

وهذا الأسلوب الذي هو تفسير القرآن بالقرآن يمكن أن يندرج تحت أسلوب تخصيص العام؛ إذ تفسير آية بأية أخرى أو لفظ في آية بأية أخرى يعنى قصر معناه هذا. والله أعلم.

(١) تفسير الطبري (١٦٠/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (١١٤/٦)، رقم (٤٧٧٦).

(٣) تفسير الطبري (٤٩٦/١١ - ٥٠٢).

(٤) المرجع السابق (٥٠٢/١١).

## المطلب الثاني: تفسير القرآن ببيان معنى الآية أو معنى لفظ في الآية

ويمكن التمثيل لهذا النوع بالآتي:

- ١ - تفسيره للتبديل المذكور في قوله تعالى: ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)) [البقرة: ٥٩]، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ)) [البقرة: ٥٩] قال: قالوا حبة في شعرة<sup>(١)</sup>. وقد روي هذا الحديث في الصحيحين كالتالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قيل لبني إسرائيل: ((ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة)) [البقرة: ٥٨]. فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة، حبة في شعرة<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - تفسيره "الخيط الأبيض" و"الخيط الأسود" المذكورين في قوله تعالى: ((حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) [البقرة: ١٨٧]، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله! ما الخيطة الأبيض من الخيطة الأسود، أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار)<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - تفسيره للفظ "وسطاً" الواردة في قوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: ١٤٣]، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب! فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما آتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتشهدون أنه قد بلغ، ((وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: ١٤٣]. فذلك قوله جل ذكره: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: ١٤٣]. والوسط: العدل<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة (٥٥/٥)، رقم (٢٩٥٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ولم يذكره الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب تفسير القرآن، باب (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وستزيد المحسنين) (١٩/٦)، رقم (٤٤٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير (٢٣١٢/٤)، رقم (٣٠١٥).

<sup>(٣)</sup> سبق تخريجه.

<sup>(٤)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) (٢١/٦)، رقم (٤٤٨٧).

## المطلب الثالث: تفسير القرآن بالمثال:

أي: بذكر أمثلة له فقط، دون استقصاء جميع معانيه. ومن أمثلته:

١ - تفسيره "المن" المذكور في قوله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى)) [البقرة: ٥٧] بذكر أحد أمثلته، فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين)<sup>(١)</sup>. والكمأة: نبات لا ورق له ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تزرع<sup>(٢)</sup>. وقال القسطلاني رحمه الله تعالى (ت: ٩٢٣هـ): شيء ينبت بنفسه من غير استنبات وتكلف مؤونة<sup>(٣)</sup>. ويدل على أن هذا تفسير بالمثال إتيانه بمن الدالة على التبويض في قوله: (الكمأة من المن). ولذلك اختلف السلف في تفسير المن، فعن ابن عباس: كان المن ينزل عليهم بالليل على الأشجار، فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا. وعن مجاهد: المن صمغة. وعن عكرمة قال: المن شيء أنزله الله عليهم مثل الطل، شبه الرب الغليظ. وعن السدي: قالوا: يا موسى! فكيف لنا بما هاهنا، أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان يسقط على شجرة الزنجبيل. وعن قتادة قال: كان المن يسقط عليهم في محلثهم سقوط الثلج، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وعن وهب بن منبه قال: خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النقي. وعن الربيع بن أنس قال: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل، يمزجونه بالماء ثم يشربونه<sup>(٤)</sup>.

قال النووي رحمه الله تعالى: «واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم (الكمأة من المن)، فقال أبو عبيد وكثيرون: شبهها بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل؛ لأنه كان يحصل لهم بلا كلفة ولا علاج، والكمأة تحصل بلا كلفة ولا علاج ولا زرع بزر ولا سقى ولا غيره، وقيل: هي من المن الذي أنزل الله تعالى على بني إسرائيل حقيقة عملاً بظاهر اللفظ»<sup>(٥)</sup>.

٢ - تفسيره لفظ "قوة" المذكور في قوله تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)) [الأنفال: ٦٠] بذكر أحد الأمثلة له، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)) [الأنفال: ٦٠]، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: وقوله تعالى: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١٨/٦)، رقم (٤٤٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة، ومداوة العين بها (١٦١٩/٣)، رقم (٢٠٤٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخار لابن حجر (١٦٣/١٠).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١٠/٧).

(٤) أخرج هذه الآثار ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٤/١ - ١١٥).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٤/١٤).

إن القوة الرمي<sup>(١)</sup>. وهذا تفسير للقوة بأحد أمثلتها، ولهذا فسرها عكرمة بالحصون، ومجاهد بذكور الخيل، وروي هذا أيضاً عن عكرمة، وفسرها سعيد بن المسيب بالفرس إلى السهم فما دونه، وقال مقاتل: السلاح وما سواه من قوة الجهاد، وقال السدي: السلاح، وقال أبو صخر حميد بن زياد: القوة: العدة، أي: إعداد ما استطعت لهم من عدة<sup>(٢)</sup>. وجمع الإمام البيهقي رحمه الله تعالى (ت: ٥١٠هـ) هذه الأقوال كلها في تفسير القوة، فقال رحمه الله تعالى: «أي: من الآلات التي تكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح»<sup>(٣)</sup>.

٣ - الآيات التي ذكر فيها أسباب النزول في أشخاص معينين تعتبر من التفسير بالمثال؛ إذ أنها تشمل من نزلت فيه وغيره؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قال الدكتور مساعد الطيار: «وقد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كان المذكور شخصاً، كأسباب النزول المذكور في التفسير»<sup>(٤)</sup>، إلى أن قال: «فالذين قالوا ذلك<sup>(٥)</sup> لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق. والناس وإن تنازعا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا، فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته»<sup>(٦)</sup>.

## المطلب الرابع: تفسير القرآن ببيان المجمل والمبهم والمشكل:

### تعريف المجمل والمبهم والمشكل:

يعرف المجمل بأنه: ما لم تتضح دلالته<sup>(٧)</sup>.

ويعرف المبهم بأنه: ما لا سبيل إلى معرفته إلا بتبيين المبهم عبارة أو إشارة . أو هو: ما خفى اسمه أو رسمه أو وصفه أو زمانه أو مكانه، ونحو ذلك مما خفيت آثاره أو جهلت أحواله، لسبب من الأسباب الجلية أو الخفية، سواء احتاج المكلفون إلى معرفته بالبحث عن الوسائل التي تزيل خفاءه وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك<sup>(٨)</sup>. والمبهم أنواع، فقد يكون المبهم عبارة عن أشخاص أو جماعات أو أقوال أو أماكن أو أوقات أو أعمال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، ودم من علمه ثم نسيه (١٥٢٢/٣)، رقم (١٩١٧).

(٢) أخرج هذه الآثار ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٢/٥).

(٣) تفسير البيهقي (٣٠٣/٢).

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (ص: ٦٥).

(٥) يعني: بسبب النزول في شخص معين.

(٦) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية للدكتور مساعد الطيار (ص: ٦٦- ٦٧).

(٧) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٥٩/٣).

(٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين (ص: ٦٠٨).

أعمال أو أشجار أو مواقف أو كيفية من الكيفيات أو مسافة من المسافات أو معيشة من المعيشات أو صلاة من الصلوات أو تسمية من التسميات<sup>(١)</sup>.

ويعرف المشكل بأنه: ما يوهم التعارض بين الآيات . وكلام الله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، كما قال تعالى: ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) النساء: ٨٢. ولكن قد يقع للمبتدئ ما يوهم اختلافاً، وليس به في الحقيقة، فاحتيج لإزالته .

ومن أمثلة هذا التفسير:

#### أولاً: أمثلة التفسير ببيان المجهول:

١ - تفسيره قوله تعالى: ((وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ)) البقرة: ٢٨٤. وتفسيرها ذكر في سبب نزولها، فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ( لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) البقرة: ٢٨٤ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: ((سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)) النساء: ٤٦: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتراها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ((أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) البقرة: ٢٨٥. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)) البقرة: ٢٨٦. قال: نعم. ((رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا)) البقرة: ٢٨٦. قال: نعم. ((رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)) البقرة: ٢٨٦. قال: نعم. ((وَأَعِزُّنَا وَعَنَّا وَعَمَّرْنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) البقرة: ٢٨٦. قال: نعم<sup>(٢)</sup>. فهذا الذي نزل من القرآن من بعد من وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالمغفرة غير مناف للمحاسبة لهم عما أسروا؛ لأن المحاسبة لا تعني العذاب، كما قال الله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا)) الانشقاق: ٧- ٨. وأما إضمار الكفر

<sup>(١)</sup> المرجع السابق (ص: ٢٦٢).

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه) (١١٥/١)، رقم (١٩٩).

والنفاق وبغض المؤمنين وموالات الكافرين فتلك من أعمال القلوب التي يحاسب عليها صاحبها ويؤاخذ بها. كما يدل أن هذه الآية محكمة: امتناع النسخ في الأخبار أصلاً<sup>(١)</sup>.

٢ - تفسيره لقوله تعالى: ((وَوَظِلُّ مَمْدُودٍ)) [الواقعة: ٣٠]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقروا إن شئتم: ((وَوَظِلُّ مَمْدُودٍ)) [الواقعة: ٣٠])<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: أمثلة التفسير ببيان المجهول:

١ - تفسيره "المغضوب عليهم" و"الضالين" المذكورين في قوله تعالى: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) [الفاتحة: ٧]، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال)<sup>(٣)</sup>.

٢ - تفسيره "بعض آيات ربك" المذكورة في قوله تعالى: ((يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا)) [الأنعام: ١٥٨]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين ((لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ)) [الأنعام: ١٥٨])<sup>(٤)</sup>.

٣ - تفسيره العبد المذكور في قوله تعالى: ((فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا)) [الكهف: ٦٥]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم، فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب! فكيف لي به، قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر، ((فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا)) [الكهف: ٦١]، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ((أَتَيْنَا عَدَاءَنَا لَقَدْ تَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)) [الكهف: ٦٢]. قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع (ص: ٢١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وظل ممدود) (١٤٦/٦)، رقم (٤٨٨١).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب (٥٣/٥) إيدون رقم للحديثا. لوهو جزء من حديث طويل. وقال

الألباني: حسن. صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤٥٤/٦)، رقم (٢٩٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (لا ينفع نفسا إيمانها) (٥٨/٦)، رقم (٤٦٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب

بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٣٧/١)، رقم (٢٤٨).

المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ((أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا)) [الكهف: ٦٣]. قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً، فقال موسى: ((ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدًّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)) [الكهف: ٦٤]. قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى ثوباً فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني ((مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا)) [الكهف: ٦٦]، ((قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)) [الكهف: ٦٧]. يا موسى! إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: ((سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا)) [الكهف: ٦٩]، فقال له الخضر: ((فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا)) [الكهف: ٧٠]،<sup>(١)</sup> إلى نهاية الحديث.

٤ - تفسيره "كلمة التقوى" في قوله تعالى: ((وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)) [الفتح: ٢٦]، فعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى)) [الفتح: ٢٦] قال: لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: أمثلة التفسير ببيان المشكل:

١ - تفسيره لحياة الشهداء المذكورة في قوله تعالى: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ)) [آل عمران: ١٦٩]، فعن مسروق قال: سألتنا عبد الله رضي الله عنه عن هذه الآية: ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ)) [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك، فقال: أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل. فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا<sup>(٣)</sup>.

٢ - تفسيره لأخت هارون المذكورة في قوله تعالى: ((يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا)) [مريم: ٢٨]، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (لما قدمت نجران سألتوني، فقالوا: إنكم تقرؤون:

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو امضي حقباً) (٨٨/٦ - ٨٩)، رقم (٤٧٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (١٨٤٧/٤)، رقم (٢٣٨٠).

<sup>(٢)</sup> أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الفتح (٢٣٩/٥)، رقم (٣٢٦٥). وقال الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٦٥/٧)، رقم (٣٢٦٥).

<sup>(٣)</sup> أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون (١٥٠٢/٣)، رقم (١٨٨٧).

(يَا أُخْتَا هَارُونَ) [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم<sup>(١)</sup>.

## المطلب الخامس: تفسير القرآن بتخصيص العام وتقييد المطلق:

### تعريف العام والتخصيص والمطلق والتقييد:

العام هو: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر<sup>(٢)</sup>.  
والتخصيص: إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام، أي: قصر الحكم على بعض أفراد العام لقريئة تفيد ذلك<sup>(٣)</sup>.

والمطلق: الدال على الماهية بلا قيد. وهو مع المقيد كالعام مع الخاص<sup>(٤)</sup>.  
والتقييد: اتباع الخاص بلفظ يقلل شيوعه<sup>(٥)</sup>. ويقصد بالخاص هنا المطلق على اعتبار أنه من أنواع الخصوص، والمقصود باللفظ هو القيد، والمقصود بتقليل شيوعه تقليل انتشاره بين أفراد جنسه<sup>(٦)</sup>.  
ومن أمثلة هذا التفسير:

### أولاً: أمثلة التفسير ببيان تخصيص العام:

- ١ - تخصيصه للزيادة في قوله تعالى: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)) [يونس: ٢٦] بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: أئلم تبيض وجوهنا؟ أئلم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)) [يونس: ٢٦]<sup>(٧)</sup>.
- ٢ - تخصيصه لمعنى قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ)) [المؤمنون: ٦٠] بإتيان الأعمال الصالحة، فعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ)) [المؤمنون: ٦٠]، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون

(١) أخرجه مسلم في مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (١٦٨٥/٣)، رقم (٢١٣٥).

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤٨/٣).

(٣) دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (ص: ٢٢٣).

(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٠١/٣).

(٥) النقص من النص حقيقته وحكمه وأثر ذلك في الاحتجاج بالسنة الأحادية لعمر بن عبد العزيز بن عثمان (ص: ٦٠). وعزاه إلى: النسخ في

القرآن الكريم (١٤٥/١).

(٦) نفس المرجع السابق.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١)، رقم (١٨١).

أن لا تقبل منهم، (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [المؤمنون: ٦١] <sup>(١)</sup>. فعائشة رضي الله عنها فهمت العموم من الآية، فأخبرها صلى الله عليه وسلم بالمعنى.

٣ - تخصيصه لمعنى قوله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [الانشقاق: ٨] بالعرض يوم القيامة دون الحساب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس أحد يحاسب إلا هلك). قالت: قلت: يا رسول الله! جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [الانشقاق: ٧-٨]؟ قال: ذلك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك <sup>(٢)</sup>. فعائشة رضي الله عنها فهمت من الآية عموم الحساب، فأخبرها صلى الله عليه وسلم بأن المقصود بالحساب في الآية العرض.

### ثانياً: أمثلة التفسير ببيان تقييد المطلق:

١ - تقييد القول الثابت المذكور في قوله تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [ابراهيم: ٢٧]، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) [ابراهيم: ٢٧] <sup>(٣)</sup>).

٢ - تقييد اليد في القطع في السرقة بالكف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)) [المائدة: ٣٨] فكانت السنة في القطع الكف <sup>(٤)</sup>.

## المطلب السادس: تفسير القرآن ببيان النسخ أو التأكيد والاستشهاد:

### تعريف النسخ والتأكيد والاستشهاد:

النسخ هو: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي <sup>(٥)</sup>.

التأكيد: تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره <sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون (٣٢٧/٥ - ٣٢٨)، رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب التوقي على العمل (٢٨٨/٥)، رقم (٤١٩٨). وقال الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني (١٧٥/٧)، رقم (٣١٧٥)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه للألباني (١٩٨/٩)، رقم (٤١٩٨). وقال الأرنؤاؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه. سنن ابن ماجه (٢٨٨/٥)، هامش رقم (٢).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) (١٦٧/٦ - ١٦٨)، رقم (٤٩٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (٢٢٠٤/٤)، رقم (٢٨٧٦).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) (٨٠/٦)، رقم (٤٦٩٩). وأخرجه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢١٩٩/٤)، رقم (٢٨٧١).

<sup>(٤)</sup> أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء في التيمم (٢١٣/١)، رقم (١٤٥). وقال الألباني: ضعيف الإسناد. صحيح وضعيف سنن الترمذي (١٤٥/١)، رقم (١٤٥).

<sup>(٥)</sup> الحديث في علوم القرآن والحديث لحسن محمد أيوب (ص: ١٠٩).

<sup>(٦)</sup> البديهيات في القرآن الكريم للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي (ص: ٢٤).

الاستشهاد: الشاهد: جزئي يذكر لإثبات القاعدة<sup>(١)</sup>. ويعرف الشاهد أيضاً بأنه: نص قصير حقيقي أو موضوعي، يرد فيه اللفظ المراد تعريفه<sup>(٢)</sup>.

ويعرف الشاهد في مصطلح الحديث بأنه: ما وافق راوٍ رواه عن صحابي آخر بمتن يشبهه في اللفظ والمعنى جميعاً، أو في المعنى فقط<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة هذا التفسير:

#### أولاً: أمثلة التفسير ببيان النسخ:

١ - نسخ الفدية في رمضان للقادر على الصوم، وإيجاب الصوم عليه، فعن ابن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: أنزل رمضان فشق عليهم، فكان من أطلعهم كل يوم مسكيناً ترك الصوم ممن يطيقه، ورخص لهم في ذلك، فنسختها: ((وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ)) [البقرة: ١٨٤]. فأمروا بالصوم<sup>(٤)</sup>.

٢ - نسخ عدة المرأة عند أهلها، وإباحة الاعتداد لها حيث شئت، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَتَوْفَوْنَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ)) [البقرة: ٢٤٠]: [نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، فتعدت حيث شئت، وهو قول الله تعالى: ((غَيْرَ إِخْرَاجٍ)) [البقرة: ٢٤٠]]<sup>(٥)</sup>.

٣ - نسخ قوله تعالى: ((إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ)) [البقرة: ٢٨٤]. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ)) [البقرة: ٢٨٤] قال: نسختها الآية التي بعدها<sup>(٦)</sup>.

#### ثانياً: أمثلة التفسير ببيان التأكيد:

١ - التأكيد على عظم إثم من يحلف ليأخذ مال غيره بغير حق بقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [آل عمران: ٧٧]. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان. قال

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣ - (٤٠٨/٧٤).

(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٥ - (٢٦/٣٤).

(٣) علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة للدكتور صبحي الصالح (ص: ٢٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب (وعلى الذين يطيقونه فدية) (٣٤/٣). ليدون رقم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بلغن

أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير) (٢٩/٦)، رقم (٤٥٣١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) (٣٣/٦)، رقم (٤٥٤٦). وأخرجه مسلم ضمن الحديث

الطويل الذي سبق في أمثلة المجمل.

عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله: ((إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا)) [آل عمران: ٧٧]، إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

٢ - التأكيد على أن موسى عليه السلام قد نسي كما هو المذكور في قوله تعالى: ((لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ)) [الكهف: ٧٣]، كما في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا)) [الكهف: ٧٣]. قال: كانت الأولى من موسى نسياناً<sup>(٢)</sup>.

٣ - التأكيد على نعيم الجنة بقوله تعالى: ((فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [السجدة: ١٧]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخراً، بله ما أطلعتكم عليه، ثم قرأ: ((فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [السجدة: ١٧])<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: أمثلة التفسير ببيان الاستشهاد:

١ - الاستشهاد بقوله تعالى: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)) [البقرة: ١٥٨] على البدء في الطواف بالصفاء قبل المروة، ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم: (فلما دنا من الصفا قرأ: ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)) [البقرة: ١٥٨]. أبدأ بما بدأ الله به. فبدأ بالصفاء، فرقي عليه، حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة)<sup>(٤)</sup>.

٢ - الاستشهاد بقوله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)) [الليل: ٥-١٠] على العمل، ففي حديث علي رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار. فقالوا: يا رسول الله! أفلا نتكل؟ فقال: اعملوا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (١٢٣/١)، رقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنت ناسياً في الأيمان (١٣٦/٨)، رقم (٦٦٧٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (١٨٤٧/٤)، رقم (٢٣٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ((فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)) (١١٦/٦)، رقم (٤٧٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢١٧٥/٤)، رقم (٢٨٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٨٦/٢)، رقم (١٢١٨).

فكل ميسر. ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)) (الليل: ٥-٦)، إلى قوله: ((لِلْعُسْرَى)) (الليل: ١٠)<sup>(١)</sup>.

## المطلب السابع: تفسير القرآن ببيان الأحكام الفقهية:

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

١ - تبينه لمقدار فدية الأذى في الحج المذكورة في قوله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)) (البقرة: ١٩٦)، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: (حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا، قال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك. فنزلت في خاصة، وهي لكم عامة)<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: (وقف علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملاً، فقال: يؤذيك هوامك؟ قلت: نعم، قال: فاحلق رأسك، - أو قال: احلق -، قال: في نزلت هذه الآية: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ)) (البقرة: ١٩٦)، إلى آخرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة، أو انسك بما تيسر)<sup>(٣)</sup>.

٢ - تبينه لحكم جماع المرأة في حالة الحيض المذكور في قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)) (البقرة: ٢٢٢)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ)) (البقرة: ٢٢٢)، إلى آخر الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما فقالا: يا رسول الله! إن اليهود تقول: كذا وكذا، فلا نجتمعن؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فأما من أعطى واتقى) (١٧٠/٦)، رقم (٤٩٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٠٤٠/٤)، رقم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه) (٢٧/٦)، رقم (٤٥١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب المحصر، باب قول الله تعالى: (أو صدقة) (١٠/٣)، رقم (١٨١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ووجوب الفدية لحلقه وبيان قدرها (٨٦٠/٣)، رقم (١٢٠١).

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاها، فعرفا أن لم يجد عليهما<sup>(١)</sup>.

٣ - تبيينه لحكم جماع المرأة من ورائها إذا كان في قبلها المذكور في قوله تعالى: ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)) [البقرة: ٢٢٣]، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: (كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)) [البقرة: ٢٢٣]<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثامن: التفسير باستخدام التشويق والتشبيهات البلاغية

والمقصود بالتشويق: جذب انتباه السامع إلى الكلام.

والمقصود بالتشبيهات البلاغية: التشبيهات التي تقرب المعنى إلى ذهن السامع.

#### أولاً: مثال التفسير النبوي باستخدام أسلوب التشويق:

تبيينه للمقصود بالاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم، المذكورة في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)) [الأنفال: ٢٤].

فعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: (كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجب، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي! فقال: ألم يقل الله: ((استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم))؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن! قال: ((الحمد لله رب العالمين))، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: التفسير النبوي باستخدام التشبيهات البلاغية:

تبيينه لسدرة المنتهى المذكورة في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ رَأَوْا نَزْلَةَ أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)) [النجم: ١٣ - ١٦].

ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة المعراج وهو حديث طويل، ذكر صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى، وفيه: (ثم عرج إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل:

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والالتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه (٢٤٦/١)، رقم (٣٠٢).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم) الآية (٢٩/٦)، رقم (٤٥٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب جواز جماعه امراته في قبلها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض للذبح (١٠٥٨/٢)، رقم (١٤٣٥).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب فضل فاتحة الكتاب (٢٣١/٦)، رقم (٥٠٠٦).

ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإن ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعثها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وثيلة... الحديث<sup>(١)</sup>.

ف نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شبه أوراق سدرة المنتهى في الكبر بأذان الفيلة، وشبه ثمرها في الكبر أيضاً بالقلال.

وفي كل منهما نجد: تشبيه غير المشاهد: «أوراق سدرة المنتهى وثمرها»، بالمحسوس المشاهد: «أذان الفيلة وقلال هجر».

ثم أزال صلى الله عليه وسلم توهم أن تكون مثلها في الشكل والمنظر، فقال: (فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعثها من حسنها).

### المطلب التاسع: استخدام الوسائل التعليمية في التفسير

والمقصود بأسلوب التفسير باستخدام الوسائل التعليمية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستخدم وسائل التعليم لإيصال المعاني القرآنية إلى أذهان السامعين، ومن الأمثلة على ذلك:

#### أولاً: التفسير باستخدام أسلوب السؤال:

ومثاله: تفسيره صلى الله عليه وسلم للغيبة المذكورة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [الحجرات: ١٢].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)<sup>(٢)</sup>.

ففي المثال نجد النبي صلى الله عليه وسلم يبتدئ أصحابه بالسؤال عن معنى الغيبة، أي الغيبة المذكورة في سورة الحجرات، وذلك أنه يعلم أنهم قد يتوهمون أن الغيبة إنما هي ذكر الغائب بما يكره مما ليس فيه، يوضح ذلك السؤال الوارد عليه صلى الله عليه وسلم: (أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟)، فإن

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٦٨/٥)، رقم (٣٨٨٧). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول

الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات (١٤٥/١)، رقم (١٦٢).

<sup>(٢)</sup> أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة (٢٠٠١/٤)، رقم (٢٥٨٩).

السؤال يدل بدلالة الالتزام على أن السائل كان يظن أنه إن كان في الغائب ما قيل فيه، فإنه ليس من الغيبة، ولذا أعقبه صلى الله عليه وسلم بقوله: (قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته).

#### ثانياً: التفسير باستخدام أسلوب الرسم:

ومثاله: بيانه صلى الله عليه وسلم لصراط الله المستقيم، وللسبل التي تفرق عنه، والمذكورة في قوله تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذِكُّكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [الأنعام: ١٥٣].

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) [الأنعام: ١٥٣])<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات قال حماد بن زيد: (ثُمَّ وَصَفَ لَنَا ذَلِكَ عَاصِمٌ، ثُمَّ حَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ)<sup>(٢)</sup>. ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لهم السبل المتفرقة، التي تأخذ بالعباد بعيداً عن سبيل الله، بينها بأسلوب من أساليب التعليم، وهو ما يسمى اليوم بأسلوب الرسم، فخط خطأ مستقيماً يمثل سبيل الله، وهو سبيل الاستقامة على الدين، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: (هذه سبل متفرقة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)) [الأنعام: ١٥٣]، قاصداً عليه الصلاة والسلام أن ذلك بيان وتفسير لما ورد في هذه الآية الكريمة.

#### ثالثاً: التفسير بالمبادرة النبوية لبيان المقصود بالآية:

١ - ومثاله بيانه صلى الله عليه وسلم لتبديل بني إسرائيل لما أمروا به، كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَاكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتْرِيذُ الْمُحْسِنِينَ)) [البقرة: ٥٨].

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٨/٧)، رقم (٤١٤٢). والبخاري في مسنده (١٣١/٥)، رقم (١٧١٨)، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في مسنده (١٣١/٥)، رقم (١٧١٨). والمقصود بعاصم شيخ حماد بن زيد: عاصم بن أبي النجود.

فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً<sup>(١)</sup>)) [البقرة : ٥٨]، فَدَخَلُوا يَرْحَضُونَ عَلَى أَسْتَاهِمِ<sup>(٢)</sup>، فَبَدَلُوا وَقَالُوا: حِطَّةً حَبَّةً فِي شَعْرَةٍ<sup>(٣)</sup>(٤).

٢ - ومن أمثلته أيضاً: بيانه صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)) لهود : ١٠٢.

فَعَن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)) لهود : ١٠٢)(٥).

ففي المثال نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر الصحابة رضي الله عنهم، ببيان أن الله تعالى ليملئ للظالم، ثم قرأ مصداقاً لذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ((وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)) لهود : ١٠٢.

قال الحافظ ابن حجر: رحمه الله تعالى: «قوله: (حتى إذا أخذه لم يفلته): بضم أوله من الرباعي، أي: لم يخلصه، أي: إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك، وهذا على تفسير الظلم بالشرك على إطلاقه، وإن فسر بما هو أعم فيحمل كل على ما يليق به، وقيل: معنى (لم يفلته): لم يؤخره، وفيه نظر؛ لأنه يتبادر منه أن الظالم إذا صرف عن منصبه وأهين لا يعود إلى عزه، والمشاهد في بعضهم بخلاف ذلك، فالأولى حملة على ما قدمته. والله أعلم»<sup>(٦)</sup>.

(١) قال ابن قتيبة: وقوله: ((وَقُولُوا حِطَّةً))، رفع على الحكاية، وهي كلمة أمرؤا أن يقولوها في معنى الاستغفار، من حَطَطْتُ: أي حَطُّ عَنَّا ذُنُوبِنَا. انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٠).

(٢) استأهيم: جمع است، أصلها: «سته»، فحذفت الهاء و عوض عنها ألف الوصل في أولها، والاست: الدبر، فالعنى: على أستاهيم: أي على أدبارهم. انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١٠٤٦/٢)، تهذيب اللغة للأزهري (٧٤/٦)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١٦٢/٢)، مادة «سته».

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ((وَقُولُوا حِطَّةً))، قال الحسن: أي احطط عنا خطايانا، وهذا يليق بقراءة من قرأ (حطة) بالنصب، وهي قراءة إبراهيم بن أبي عبله، وقرأ الجمهور بالرفع على أنه خير لمبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة، وقيل: أمرؤا أن يقولوا على هذه الكيفية، فالرفع على الحكاية، وهي في محل نصب بالقول، وإنما منع النصب حركة الحكاية، وقيل: رفعت لتعطي معنى الثبات، كقوله: (سلامً)، واختلف في معنى هذه الكلمة فتيل: هي اسم للهيئة من الحط كالجلسة، وقيل: هي التوبة، كما قال الشاعر:

فاز بالحطة التي صير الله ❖ ❖ ❖ له بها ذنب عبده مغفوراً

وقيل: لا يدري معناها، وإنما تعبدوا بها. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره قال: قيل لهم قولوا مغفرة. انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٠٤/٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وَأَدْخَلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) (٢٣/٦)، رقم (٤٤٧٩). ومسلم في صحيحه، كتاب التفسير (٢٣١٢/٤)، رقم (٣٠١٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (٩٤/٦)، رقم (٤٤٠٩).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٣٥٥/٨).

## الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأسأل الله تعالى أن يختم لي ولأحبائي بالحسنى؛ إنه ذو الفضل الكبير، وأرجو أن يكون التوفيق قد حالفني في بيان الأساليب التفسيرية في الأحاديث النبوية، فلتشمل هذه الخاتمة على نتائج البحث.

## نتائج البحث:

توصل الباحث في هذا البحث لعدة نتائج، منها:

- ١) أن السنة النبوية غنية بالتفسير، فقد ورد فيها كثير من الأحاديث التفسيرية عن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يفسر فيها آيات القرآن الكريم.
- ٢) أهمية الرجوع للسنة النبوية في تفسير القرآن الكريم، ولاخلاف في أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المفسر الأول والمرجع المقدم في بيان معاني كلام الله تعالى، وذلك لأنه المؤيد بالوحي، وهو أعلم الناس بربه: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)) [النجم: ٣ - ٤].
- ٣) أن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على جانب واحد من جوانب التفسير، بل ورد عنه عدة أنواع من التفسير.
- ٤) أن تفاسير أهل السنة والجماعة تسير على خطى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلتزم منهجيته في التعامل مع آيات القرآن العظيم.
- ٥) أن ما ورد تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز العدول عنه إلى قول أحد غيره، وما لم يرد فيه تفسير عنه جاز الاجتهاد في تفسيره لمن تأهل لذلك.
- ٦) أن التعرض لتفسير كتاب الله تعالى خطر عظيم، فلا يجوز أن يقدم عليه إلا من جمع عدة علوم، منها العقلية ومنها النقلية.
- ٧) أنه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة في التفسير، وهي التي يجب الأخذ بها والتمسك بها.
- ٨) يجب توخي الحذر من القول في معاني القرآن بغير علم.
- ٩) أنه لا يجوز الاعتماد على الأحاديث الضعيفة الواردة في تفسير القرآن العظيم.

## التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

- ١) الاهتمام بتفسير كتاب الله تعالى، والربط بينه وبين السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، فإنه شارحة للقرآن وموضحة له.

٢) إرشاد الباحثين لاستيعاب الأساليب النبوية في التفسير، وإيلائها مزيداً من الدراسة والبحث، والاستغناء عن التفسير بالرأي خاصة في هذا العصر الذي تطاول فيه على معاني القرآن العظيم من ليس أهلاً لذلك، بل تسور حصنه كثير من أهل الشبهات والجهالات والضلال.

٣) الاعتناء بدراسة كتب التفسير بالمأثور، ككتاب الإمام ابن جرير الطبري، وكتاب الدر المنثور للسيوطي، وكتاب ابن الجوزي وغيرها.

٤) الاعتناء بجمع تفاسير السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين لكتاب الله تعالى، وبنها في البيئات العلمية، ونشرها بين الناس، والتوضيح لهم بالبراهين العقلية والنقلية بأنها مقدمة على تفاسير الخلف؛ لقربهم من عهد الوحي ومزيد علمهم به، ومزيتهم في ذلك على غيرهم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

#### فهرس المصادر والمراجع الواردة في البحث:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة العكبري، تحقيق: رضا معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل والوليد بن سيف النصر وحمد التويجري، دار الريا للناشر والتوزيع، الرياض، لتاريخ الطبع مختلف لأجزاء الكتاب، وكذلك أرقام الطبعات.
- ٣ - الإبهاج في شرح المنهاج (المسمى: منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤ - الإبتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- ٥ - الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيضي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- ٦ - الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٧ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.
- ٨ - إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كضر بطننا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- ٩ - أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٣. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).
- ١٠ - أرشيف ملتقى أهل الحديث - ٥. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).
- ١١ - أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٢ - الأستاذ أبو الأعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، أليف الدين ترابي بن عالم الدين القرشي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، (١٤٠٢ - ١٤٠٣هـ).
- ١٣ - أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض بن نامي بن عوض السلمي، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٤ - أصول في التفسير، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٥ - ألفية العراقي (المسماة: التبصرة والتذكرة في علوم الحديث)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، قدم لها وراجعها: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير، تحقيق ودراسة: العربي الدائر الفرياطي، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
- ١٦ - البحر المحيط في التفسير، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٧ - البدايات في القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة ٢٧، العددان ١٠٣ و ١٠٤، ١٤١٦ - ١٤١٧هـ/ ١٩٨٦ - ١٩٨٧م.
- ١٨ - البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ١٩ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٢٠ - تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بالمرتضى الزبيدي، حققه مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- ٢١ - التحبير في علم التفسير، السيوطي، تحقيق: الدكتور فتحي عبد القادر، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
- ٢٢ - تحرير علوم الحديث، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٣ - التحرير والتنوير (المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.
- ٢٤ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
- ٢٥ - التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الغرناطي، تحقيق: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٢٦ - التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي.
- ٢٧ - تفسير البغوي (المسمى: معالم التنزيل في تفسير القرآن)، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٢٨ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ٢٩ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٠ - تفسير القرطبي (المسمى: الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٣١ - التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٣٢ - تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، من عام ١٩٧٩ إلى عام ٢٠٠٠م.
- ٣٣ - تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- ٣٤ - توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح بن أحمد بن موهب السمعوني الجزائري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٥ - التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، عالم الكتب، ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٦ - التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٧ - تيسير مصطلح الحديث، بقلم الدكتور محمود الطحان أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت، مركز الهدى للدراسات - الإسكندرية، غرة ذي الحجة ١٤١٥هـ.
- ٣٨ - جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٩ - الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤٠ - الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب، دار السلام - الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٤١ - الخلاصة في أصول الحديث، الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩١هـ.
- ٤٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- ٤٣ - دراسات في الحديث الشريف السند والمتن، الدكتور السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- ٤٤ - دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٥ - درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار، تحقيق: حقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، وحقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمير، دار الفكر - عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- ٤٦ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى. لتاريخ الطبع مختلف لأجزاء الكتاب.
- ٤٨ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٤٩ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا وبيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٥٠ - سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٥١ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٥٢ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- ٥٣ - شرح ألفية السيوطي في الحديث المسمى إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر، الشيخ محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥٤ - شرح ألفية العراقي في علوم الحديث، زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المعروف بابن العيني الحنفي، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٥٥ - شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٥٦ - الشرح الميسر لزاد المستقنع - كتاب الطهارة، أبو عبد الله أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).

- ٥٧ - شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.
- ٥٨ - شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر، تعليق: الشيخ محمد غياث الصباغ، مكتبة الغزالي، دمشق.
- ٥٩ - الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض/السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٠ - الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ٦١ - صحيح البخاري (المسمى: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٦٢ - صحيح مسلم (المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٦٣ - صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).
- ٦٤ - صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).
- ٦٥ - الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، ابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ٦٦ - الطيوريات، من أصول: أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري، انتخاب: صدر الدين أبو طاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهاني، دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي وعباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٦٧ - عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير، عبد الواحد بكر إبراهيم أحمد عابد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٦٨ - علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، د. صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة عشر، ١٩٨٤م.

- ٦٩ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد بدر الدين العيني محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٧١ - فتح المغيب بشرح الفية الحديث للعراقي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ابن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٧٢ - القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٧٣ - القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧٤ - قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، طبعة البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ.
- ٧٥ - الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٦ - لامع الدراري على جامع البخاري، محمد زكريا الكاندهلوي، تحقيق: رشيد أحمد، طبعة كراتشي سنة ١٣٩٥هـ.
- ٧٧ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ٧٨ - مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٧٩ - مجالس في تفسير قوله تعالى: (لقد من الله على المؤمنين)، ابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٨٠ - مجاهد رضي الله عنه ومنهجه في التفسير، جميلة محمد بشير القرزاني، رسالة لنيل درجة الماجستير، ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ.

- ٨١ - مجمل اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨٢ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٨٣ - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٨٤ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٨٥ - المرويات الموقوفة المسندة للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول وبقية العشرة في التفسير من أول القرآن الكريم إلى نهاية سورة طه جمع ودراسة وتخريج، فيصل بن عابد بن عباد اللحياني، رسالة دكتوراه، ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ.
- ٨٦ - المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٨٧ - مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلی، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٨٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٨٩ - مصادر التفسير، الدكتور: مساعد الطيار. خمس حلقات. (كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة).
- ٩٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٩١ - معالم السنن (وهو شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
- ٩٢ - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة.
- ٩٣ - معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ٩٤ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٩٥ - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٩٦ - مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- ٩٧ - المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزلي، مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٩٨ - مقدمة ابن الصلاح (المسمى: معرفة أنواع علوم الحديث)، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر - سوريا ودار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٩٩ - مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٤٩٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٠٠ - المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الدكتور محمد علي الحسن، قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠١ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الثالثة.
- ١٠٢ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- ١٠٣ - مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي المعروف بالحطاب الرعييني المالكي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠٤ - الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للثئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٠٥ - موسوعة علوم القرآن، عبد القادر محمد منصور، دار القلم العربي - حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- ١٠٦ - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٠٧ - نضجات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، دار السلام - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٠٨ - نهج الإمام البخاري في التفسير من خلال كتابه (الصحيح)، سيد أحمد الإمام بن خطري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ.
- ١٠٩ - الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحیی الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب ودار العلوم الانسانية - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١١٠ - الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه، دار الفكر العربي.



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## إقرار العين في الصلاة - دراسة شرعية

د. منى عبدالله محمد آدم

أستاذ الفقه وأصوله المساعد بكلية العلوم والآداب

جامعة الملك خالد - السعودية

braa-61@hotmail.com

### المخلص

# 7

تعد الصلاة من أعظم العبادات وأهمها فهي صلة بين العبد وخالقه ، تُنجز بها الهموم وتُستجلب بها الأرزاق وتُدفع بها الآفات والمصائب الملمات ، ولقد كان من عظيم شأنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر صلى ، وجعلت قرت عينه بصلاته، ولاشك أن المحافظ على الصلاة على وقتها، والذي يتأهب لها ويستعد قبل وقتها ويحرص على عدم فوات جزء منها ، هو أكثر إنتفاعاً بصلاته ، وتظهر آثارها على جوارحه وسلوكه. ويهدف الباحث إلى أن يكون بحثه معيناً للمسلمين وحاتماً لهم على أن يحرصوا بأن تكون صلاتهم كاملة خاشعة قرّة عين لهم ، وذلك من خلال وضع معايير وأسس إذا اتبعها المسلم أنتفع بالصلاة وأصبحت بدورها عوناً له على التحلي بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وأصبح لها أثر في سلوكه وآدابه . وسيقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث : يتحدث أولها عن مفهوم إقرار العين ، وذلك ببيان معنى إقرار العين في اللغة ، ومعنى إقرار العين في الاصطلاح ، مع إيضاح الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وأما المبحث الثاني فيتحدث عن الوسائل المعينة على إقرار العين في الصلاة، وذكر فيه العديد من الوسائل التي تؤدي بدورها في جعل الصلاة قرّة عين المؤمن ، والمبحث الثالث والأخير ذكر فيه نماذج من أحوال السلف مع الصلاة. وينتهي البحث بخاتمة تركز على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات التي ينصح بها ويدعو إليها.

**Abstract:**

The prayer of Oazim worship and most importantly it is a link between a person and his Creator, to thaw out the worries and elicit their livelihood and paid for by the pests and calamities calamities, and it was great that that the Prophet, peace be upon him was if ordered his party prayed and decided to sample his prayers, but no doubt that the conservative prayer at the time, and who are ready have prepared ahead of time and careful not too part thereof, is the most benefited with his prayers, and show their effects on the faculties and Slokh.oahdv researcher to be appointed to the Muslims and urged them to his research on to make reservations to be full links humbled the apple of the eye for them, through the development of standards and the foundations of the Muslim profiteth if followed by prayer and became in turn help His sense of morality and noble values and became an impact on behavior and etiquette. And divide this into three sections, talking first about the concept of adoption of the eye, so a statement the meaning of the adoption of the eye in the language, and the meaning of the adoption of the eye in the term, with the clarification of the link between linguistic meaning and sense, idiomatic, and the second section talks about the particular on the adoption of the eye in prayer means, He said the many ways in which in turn results in making prayer delight insured, and the third and final section in which he stated the conditions of the predecessor models with prayer. And it ends with a conclusion research focuses on the most important findings of the researcher, and recommendations that are recommended by the calls to them.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ضاق صدره ، ونزل به ما أهمه فرغ إلى الصلاة ، لأنها أحب الأشياء إليه وكيف لا والمرء في صلاته يقف بين يدي ربه فيناجيه ، ولقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه حتى في مرضه الذي توفي فيه خرج إلى الصلاة وهو بين اثنين فتقول له عائشة رضي الله عنها مشفقة عليه إنك لا تستطيع أو تشق على نفسك فيقول بأبي هو وأمي " جعلت قرّة عيني في الصلاة" ، لهذا الأمر وغيره مما دعاني للبحث في هذا والموضوع والذي سميته ( إقرار العين في الصلاة).

وبعد:

**أهمية البحث وأسباب اختياره:**

- ١ - السعي إلى جعل الصلاة قرّة عين المؤمن.
- ٢ - إقبال المؤمن على الصلاة محب لها ، معلق قلبه بها .
- ٣ - مجاهدة النفس في أن تكون الصلاة لها أثر على سلوك المؤمن و تنهى عن الفحشاء والمنكر.
- ٤ - الإسهام بهذا البحث لنيل الأجر والثواب من الله ونفع الأمة الإسلامية وإثراء المكتبة الإسلامية.
- ٥ - الرغبة في البحث بهذا العنوان ، والذي يعد هاماً في الواقع العملي ، ومما يترتب عليه سعادة الدارين .

**مشكلة البحث:**

تساهل كثير من المسلمين في أمر الصلاة بين مفرط ومضيع فأصبح همهم صلاة مجزية لا صلاة خاشعة كاملة ، حيث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّيَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، وَتُسْعُهَا، أَوْ ثَمْنُهَا، أَوْ سَبْعُهَا" ورغب الكثير من المسلمين في إيجاد أمور تعينهم على الخشوع في الصلاة ، فأتت فكرة هذا البحث راجي الباحث من الله عز وجل أن يكون عوناً على المسلمين في جعل الصلاة قرّة عين لهم ، وأن تكون صلاتهم كاملة خاشعة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وكما دعاني إلى ذلك حيث أنني لم أجد من كتب في هذا البحث بهذا العنوان ، وذلك بعد التتبع والاستقراء .

<sup>١</sup> أخرجه مسلم في شعب الإيمان (٦١٤٠) ، والإمام أحمد في مسنده وقال اسناده حسن (٣٠٥/١٩) ، والنسائي في السنن الكبرى (١٤٩/٨) ، وابي عوانة في مستخرجه (١٤/٣) ، والطبراني في المعجم الكبير (٤٢٠/٢٠) ، والحاكم في المستدرک (١٧٤/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٤/٧).

أهم ما يتناول هذا البحث بيان أهم الأمور المعينة للمؤمن حتى تكون الصلاة قرّة عينه مع بيان أحوال السلف مع الصلاة لحث المؤمن على العناية بالصلاة تأسياً بالنبي صل الله عليه وسلم والسلف الصالح ، وإبراز المقصد الشرعي من هذا الأمر، مع بيان أقوال الفقهاء والثمار المترتبة على هذا الموضوع.

#### منهجية البحث:

إن المنهج الذي أراه محققاً لأهداف بحثي ومؤدياً إلى تحقيق الثمرة المرجوة منه هو المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي وذلك من خلال تتبع النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف والسيرة النبوية ، ثم عرض آراء الفقهاء وأدلتهم في المسائل التي أتطرق إليها مبيّنة الرأي الصواب المبني على الحجج القوية والأدلة الصحيحة .

#### خطة البحث:

وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وهي على النحو التالي:

المبحث الأول : مفهوم إقرار العين .

أولاً: معنى إقرار العين في اللغة.

ثانياً : معنى إقرار العين في الاصطلاح .

ثالثاً : الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي .

المبحث الثاني الوسائل المعينة على إقرار العين في الصلاة.

المبحث الثالث : نماذج من أحوال السلف مع الصلاة.

الخاتمة:وتشمل النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### مفهوم إقرار العين

أولاً : معنى إقرار العين في اللغة:

قُرَّةُ الْعَيْنِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ هِيَ: مَا تَقَرَّبَ بِهِ: أَي تَبَرَّدَ، نَقِيضُ سُخْنَتِهَا، لِأَنَّهَا تَسْخُنُ عِنْدَ الْبُكَاءِ ، وَهِيَ كَذَلِكَ مَا يَصَادَفُ الْمَرْءَ بِهِ سُرُورًا فَلَا تَطْمَحُ الْعَيْنُ إِلَى مَا سِوَاهُ "هُوَ قُرَّةٌ عَيْنٍ أُمَّه: سُرُورُهَا وَسُكُونُهَا (١) ، وَيَوْمَ الْقَرِّ الْيَوْمَ الَّذِي يَلِي النَّحْرَ لِأَنَّ النَّاسَ يَقْرُونَ فِيهِ بِمَنَى أَوْ فِي مَنَازِلِهِمْ" (القر) الْبَرْدُ وَيُقَالُ (وَقَعَتْ بِقَرٍّ) صَارَتْ الشَّدَّةُ فِي قَرَارِهَا ، (القررة) يُقَالُ لَيْلَةٌ قُرَّةٌ بَارِدَةٌ وَأَصَابَهُمْ قُرَّةٌ بَرْدِي (القررة) مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ وَيُقَالُ هُوَ قُرَّةٌ الْعَيْنِ لِمَا يَرْضَى وَيَسِرُ وَقُلَانٌ فِي قُرَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي رَغْدٍ وَطَيْبٍ (٢) .

ثانياً : معنى إقرار العين في الاصطلاح (عند الفقهاء) :

وأما معنى قرّة العين عند الفقهاء ، فهي كما يقول ابن القيم : "قرّة العين فوق المحبة فإنه ليس كل محبوب تقر به العين وإنما تقر العين بأعلى المحبوبات" (٣) ، فلذلك فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه ، فهذا إذا انصرف منها ، وجد خفة من نفسه ، وأحس بأثقالٍ قد وضعت عنه ، فوجد نشاطاً وراحة وروحاً ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرّة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها ، فالصلاة التي تقر فيها العين هي التي تصعد ولها نور وبرهان ، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول حفظك الله تعالى كما حفظتني ، وأما صلاة المضرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها ، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني ، قال صلى الله عليه وسلم «ما من مؤمن يتم الوضوء إلى أمكانه ثم يقوم إلى الصلاة في وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئاً إلا رفعت له إلى الله عز وجل بيضاء مسفرة يستضيء بنورها ما بين الخافقين حتى ينتهي بها إلى الرحمن عز وجل ، ومن قام إلى الصلاة فلم يكمل وضوءها وأخرها عن وقتها

١ . معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ج٣ ، ص١٧٩٦ ، الناشر: عالم الكتب ، ط١٤٢٩ ، هـ - ٢٠٠٨ م .

٢ . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، ج٢ ، ص ٧٢٥ ، الناشر: دار الدعوة .

٣ . رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٣١ ، المحقق: عبد الله بن محمد المديفر ، الناشر: مطابع الشرق الأوسط - الرياض .

واسترق ركوعها وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لا تجاوز شعر رأسه تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، ضيعك كما ضيعتني» (١)، فمن قررت عينه بصلاته في الدنيا قررت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قررت عينه بالله قررت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، يقول صلى الله عليه وسلم «لَا يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا التَّفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ» (٢)، ومن كانت قررة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه فإن قررة عين العبد نعيمه وطيب حياته به (٣). ولا تقر العين إلا بالمحبة، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً (٤)، وقد بين العلماء أن من مكروهات الصلاة أن يَتَفَكَّرَ العبد في أمر دُنْيَوِيٍّ أَوْ فِي مَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ وهو في صلاته، يُوسِسُ (دُخُولُهُ الصَّلَاةَ بِتَشَاطُرٍ) (٥)، لِأَنَّ اللَّهَ ذَمَّ تَارِكَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى} (٦)، وَالْكَسَلُ، الْفُتُورُ عَنِ الشَّيْءِ، وَالْتَوَانِي فِيهِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الصَّلَاةِ هِيَ الَّتِي تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (٧) وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا وَحَضَرَ قَلْبَهُ (٨).

وإن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وأن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل والآخر ساه غافل.

- ١ . المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ج٣، ص٢٦٣، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- ٢ . سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ج١، ص٢٣٩، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٣ . طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج١، ص٣٢١، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٤هـ.
- ٤ . الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ج١، ص٢٢ تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط٣، ١٩٩٩ م.
- ٥ . نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، ج١، ص٥٤٨، دار الفكر، بيروت ط٤ أخيرة - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م.
- ٦ . سورة النساء آية: (١٤٢).
- ٧ . إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قررة العين بمهمات الدين)، أبو بكر الدميطي، ج١، ص٢١١، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٨ . حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، ج٢، ص١٠، الناشر: (بدون ناشر)، ط١، - ١٣٩٧ هـ.

## ثالثاً: الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

تقدم الحديث عن مفهوم قرة العين في اللغة والاصطلاح، وقد تبين لنا أن هنالك صلة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فقرة العين مشتقة من استقرار العين، وكثيراً ما قرنت في القرآن والسنة بالنعيم، ولذلك فإن من أعظم نعم الله على العبد أن يرزقه استقرار عينه، ولا تستقر العين إلا إذا استقر القلب، وحينها يشعر بالأمن والراحة والطمأنينة، وبما أن الطمأنينة ركن في الصلاة (وهي استقرار الأعضاء)، فلا تكون إلا إذا استقر القلب وأقبل على الله عن سعيِّ بنِ المُسيِّبِ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا عَبَثَ فِي صَلَاتِهِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبٌ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» (١)، فإذا حصل للقلب روح الأُنس، زالت عنه مشقة التكاليف فأصبحت الصلاة قرة عين له وقوة ولذة، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه أبداً ولا يخرج منه لأنه وجد فيه نعيمه وطابت به حياته .

## المبحث الثاني

## الوسائل المعينة على إقرار العين في الصلاة

سعي الكثير من المؤمنين في إيجاد أمور تعينهم على الخشوع في الصلاة وذلك لما علموا أهميتها وأهمية حضور القلب عندها حيث جعل بعض الفقهاء الخشوع في الصلاة ركن من أركانها، والركن إذا فقد بطل الأمر كما نص على ذلك جمهور الفقهاء، وعلى قولهم فإذا افتقدت الصلاة هذا الركن "الخشوع" لا تجزئ وعليه إعادتها (٢) وأما إذا قلنا أن الخشوع ليس بركن، فنقول، ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل بإجماع العلماء (٣)، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، وَتُسْعُهَا، أَوْ ثُمْنُهَا، أَوْ سُبْعُهَا" (٤)، وإليك الوسائل المعينة على جعل الصلاة قرة عين المؤمن :

١ - الاستجابة لنداء رب العالمين: أعظم ما يتقرب به المؤمن لربه صلاته فليكن مستجيباً لندائها فلا يتكاسل ولا يتهاون بل يضر بقلبه أوأب أوأه محب لها، ومن أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الجأبة، وأن تعرف قدر الرُّج في معاملته ثم تعمل لغيره، وأن تعرف قدر غضبه ثم

١ . الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خوستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٨٦.

٢ . انظر : روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ج ١، ص ١٨٤، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣ . حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي، ج ٢، ص ١٠، الناشر: (بدون ناشر) ، ط ١، ١٣٩٧ هـ.

٤ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ج ٣، ص ١٧١، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

تتعرض له ،وَأَن تَذُوقَ أَلْمَ الْوَحْشَةِ فِي مَعْصِيَتِهِ ثُمَّ لَأَ تَطْلُبَ الْأَنْسَ بِطَاعَتِهِ ،وَأَن تَذُوقَ عَصْرَةَ الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوْضِ فِي غَيْرِ حَدِيثِهِ وَالْحَدِيثَ عَنْهُ ثُمَّ لَأَ تَشْتَاقَ إِلَى انْشِرَاحِ الصَّدْرِ بِذِكْرِهِ وَمَنَاجَاتِهِ ، وَأَن تَذُوقَ الْعَذَابَ عِنْدَ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِهِ وَلَا تَهْرَبَ مِنْهُ إِلَى نَعِيمِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ،وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا عِلْمَكَ أَنَّكَ لَا بَدَ لَكَ مِنْهُ وَأَنَّكَ أَحْوَجُ شَيْءٍ إِلَيْهِ وَأَنْتَ عَنْهُ مَعْرُوضٌ وَفِيمَا يَبْعَدُكَ عَنْهُ رَاغِبٌ" (١)، يقول تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (٢) ، يقول شيخ المفسرين " هذا القرآن، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة" (٣)، فالحياة الحقيقية بالصلاة والقرآن وعدم الاستجابة لنداء الرحمن من أسباب دخول النيران، يقول تعالى: { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى } (٤)، يقول شيخ المفسرين في هذه الآية : لا صدق بكتاب الله، ولا صلى لله (وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى) كَذَبَ بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله(٥).

## ٢ - طهارة القلب :

فالقلب إذا طهر لا يكون له هم سوى مرضاة ربه ،والتفكير في الجنة والعفو والرضا و لا يكون ذلك إلا إذا علم المرء من يخاطب، ومن يحاور فإذا عظّم الرب في القلب كبر على العبد أن يأتي الرب ،ويقف بين يديه وقلبه مريض ومدنس وملوث بالمعاصي ،وبأمور الدنيا حتى إذا وقف بين يديه خالقه لا يدري كم صلى ،لأن القلب مشغول عن خالقه ومعلق بالفانية ، والله يحب صاحب القلب السليم خاصة عند المجيء إليه والوقوف بين يديه فمدح رب العزة نبيه إبراهيم عليه السلام فقال { إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } (٦) ،القلب الطاهر السليم يحيا بالصلاة ، يحيا بالذكر ، فالصلاة هي حياة للقلب وحياة للبدن يقول تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٧)

١ . الفوائد ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،ج١، ص٤٧ ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٢ . سورة الأنفال آية: ٢٤ .

٣ . جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري ، ج١٣، ص٤٦٥،المحقق: أحمد محمد شاكر ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٤ . سورة القيامة آية: ٣١ .

٥ . جامع البيان في تأويل القرآن ، لابن جرير الطبري ،ج٢٤، ص٨١ .

٦ . سورة الصافات آية: ٨٤ .

٧ . سورة النحل آية: ٩٧ .

والحياة الطيبة هي حياة المؤمن الطائع لربه يقول الإمام الطبري في تفسير الآية: "مؤمناً بالله عاملاً بطاعته" وقال الحياة الطيبة في الجنة (١)

### ٣ - تحقيق أعلى مراتب الدين في الصلاة:

لا يستطيع المسلم أن يحقق مرتبة الإحسان في صلاته إلا بالخضوع التام والذل للرحمن فلا يذل لشهوته ولا لهواه ولا لمخلوق مثله ولا لأي آلة لهو يجعلها تهيم على قلبه ، فالمهيمن هو الله تعالى وبهذا تتجلى حقيقة الخضوع والتذلل وهو يناجي ربه ويقرأ القرآن الذي قال عنه تعالى ومهيمن عليه ، فنجد أن سر الكتب كلها في القرآن وسر القرآن في فاتحة الكتاب وهي أم الكتاب وسر الفاتحة في قوله: { إياك نعبد وإياك نستعين } (٢)، والمؤمن يناجي الله بإياك نعبد وإياك نستعين في اليوم أكثر من سبعة عشر مرة ، ويكون تحقيق مرتبة الإحسان بدءاً بالأذان والإقامة فنقول فيهما ( أشهد أن لا إله إلا الله ) فأشهد من المشاهدة والمشاهدة هي الإحسان ، الإحسان هو الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فعندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن الإحسان ، والحديث في صحيح مسلم " قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" (٣) " قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى: قُلْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ: كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصِنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامْرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" (٤).

والذي نلاحظه من خلال القراءة أن السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ويدعونه ستة أشهر ليتقبله منهم ، لماذا لأنهم ذاقوا لذة العبادة فإذا أحب المؤمن الصلاة وأحب لقاء ربه أتى الى صلاته مجيء المحب لأن قلبه تعلق بها فيصبح يشتاقي الى أوقاتها يترقبها ، فهذا هو الفرق بين المؤمن والمنافق ، فالمؤمن قال عنه تعالى { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } (٥) ، والمنافق قال عنه : { نَّ الْمُنَافِقِينَ

١ . جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير ، ج ١٧ ، ص ٢٩٣ .

٢ . سورة الفاتحة آية: (٥).

٣ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

، ج ١ ، ص ٣٦ ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٤ . السنن الكبرى ، للنسائي ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .

٥ . سورة المؤمنون آية (١ ، ٢) .

{(١). كان صلى الله عليه وسلم يرتاح في الصلاة ويأنس بها ، ورد في مسند الإمام أحمد قال صل الله عليه وسلم : " يَا بَلَاءُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ "(٢) ، على المؤمن أن يسعى كل السعى لتحقيق الإحسان في صلاته ، فعندما لم يحقق الأعرابي الإحسان في صلاته قال له النبي صل الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل .. حتى قال والذي بعثك بالحق لا احسن غيرها ، والحديث في صحيح البخاري كما جاء عنه أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَارْجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسِنُ غَيْرَهَا، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا"(٣) ، فالمتأمل في هذا الحديث يتضح له جلياً ماذا يحدث للصلاة عند فقدانها للإحسان؛ ويصبح وجودها كعدمها ، إذاً فلا صلاة بلا إحسان.

وبالإحسان في الصلاة يسعد المؤمن في صلاته بل يسعد في دنياه ويسعد في آخرته والله تعالى يقول في كتابه ومن أصدق من الله قيلاً ومن أصدق من الله حديثاً { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } (٤)، فإن المؤمن يبلغ بالإحسان أعلى درجات الرضا وهي رؤية الرحمن الرحيم ، يقول تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٥)، أتدرون ما هي الزيادة التي وعدها الله الذين أحسوا هي الرؤية: رؤية وجهه الكريم بكرة وعشياً ، فبالإحسان يبلغ المرء أعلى الدرجات ويفتح كل

١ . سورة النساء آية(١٤٢).

٢ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ،ج٣٨، ص١٧٨،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١،١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

٣ . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ج١ ، ص١٥٢،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤ . سورة الرحمن آية:(٦٠).

٥ . سورة يونس آية : (٢٦).

الفلاح وبعدمه يخسر كل الخسران ، يقول الماوردي: "الحسنى هي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى" (١).

ويقول ابن قيم في نونيته:

وَأَلْذَى شَيْءٍ لِلْقُلُوبِ فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ ..... مع أمثالها هي بهجة الإيمان

وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِيهِ ..... جنات ما طابت لذى العرفان

أَعْلَى نَعِيمِ رُؤْيَا وَجْهِهِ ..... وخطابه في جنة الحيوان (٢)

قال تعالى { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (٣) ، ويقول عن المسيء الذي يظن أنه محسن : { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } (٤) ، والنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوتنا وقائدنا إلى جنات النعيم قام على قدميه الشريفتين حتى تورمتا وهو يقول أفلا أكون عبداً شكوراً ، لأنه علم أن محاسن الرب كثيرة وفضائله عظيمة ، وكلها يستحق الشكر والإحسان ، وأن الله قد أحسن إلينا فعلينا بالإحسان يقول تعالى { وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (٥) ، المؤمن يصلي صلاة المحسنين ويعلم أن الله يعلم ما في نفسه فيحذره يقول تعالى { وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (٦) { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } (٧) { وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ

١ . تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، ج ٢ ،

ص ٤٣٢ ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .،

٢ . متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، ط ١٤١٧ ، ٢٠١٧ .

٣ . سورة الكهف آية : ( ١٠٣ ، ١٠٤ ) .

٤ سورة فاطر آية: (٨).

٥ . سورة القصص آية : ( ٧٧ ) .

٦ . سورة البقرة آية : ( ٢٣٥ ) .

٧ . سورة المائدة آية: ( ١١٦ ) .

بِالْعِبَادِ } (١) ، ويقول تعالى { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } (٢) ، وكان ابن عمر إذا رأى عثمان رضي الله عنهم أجمعين يقول: هذا من أهل هذه الآية { أمن هو } تأمل هذه الآيات . المؤمن في صلاته يستعيد بالله من الشيطان الرجيم لئيلغ مرتبة الإحسان يقول تعالى { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٣) ، فمن استعاذ بالله عصمه الله من مزائق الشيطان يقول الله تعالى عن يوسف عليه السلام { وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ } (٤) :بالإحسان في الصلاة تنزل على المؤمن الرحمات والبركات وهو يقف بين يديه رب العباد يدعوه خوفاً وطمعاً ، خوفاً من عذابه ومن سخطه وغضبه وطمعاً في عفوه ومغفرته وجنته { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } (٥) ،على المحسن في صلاته انتظار الجواب من الله وهو يقرأ بفاتحة الكتاب ،على المحسن في صلاته استحضر معية الله وهو يقول بين السجدين رب اغفر لي يقول تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } (٦) .

#### ٤ - اللجوء الى الله والوقوف بين يديه عند فعل المعصية:

المؤمن الصادق المصدق يلجأ الى الله ويذكره إذا عصاه وظلم نفسه وأعلى مراتب الذكر الصلاة يقول تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (٧) ،عند الخطأ نلجأ الى الاتصال بالله نضر الى الله الى التوبة وأكد ما يبادر به العبد الى التوبة الصلاة ، الركوع والسجود والقنوت ، قال تعالى عن عبده ونبيه داوود عليه السلام { وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ } (٨) ، يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية " فكلما

١ . سورة آل عمران آية : (٣٠) .

٢ . سورة الزمر آية: (٩) .

٣ . سورة فصلت آية : (٣٦) .

٤ . سورة يوسف آية: (٣٢) .

٥ . سورة الأعراف آية: (٥٦) .

٦ . سورة { النحل آية: (١٢٨) .

٧ . سورة آل عمران آية: (١٣٥) .

٨ . سورة ص آية: (٢٤) .

ازدادوا ذلّةً ازدادوا خشوعاً، فكأنهم عشقوا التكليف، وأحبوا أوامر الله؛ لذلك بالغوا في الذلة والعبودية لله تعالى" (١)، يوبعدها مباشرة أتت المغفرة { فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ } (٢).

#### ٥ - المسارعة والتسارع الى الوقوف بين يدي رب العالمين:

فالمؤمن مسارع للطاعات مقبل على القربات محب للوقوف بين يدي مفرج الكربات ، يقول ابن القيم رحمه الله "للعبد بين يدي الله موقضان موقف بين يديه في الصلاة وموقف بين يديه يوم لقائه فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفّه حقه شدد عليه ذلك الموقف (٣)، قال تعالى: { وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } (٤) قال تعالى عن موسى عليه السلام { وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ } (٥) ، قال الراغب الأصفهاني " قال موسى ذلك على سبيل الاعتذار إبانة أنه قصد فعلاً محموداً، وإن تحرى العجلة فيه، ومن قصد فعلاً محموداً فقد يعذر في وقوع ما يكره منه، والمسارعة في الخير هي أن يتدرج الإنسان في ازدياد المعرفة بفضله، واختياره والسرور بتعاطيه، وتقديمه على الأمور الدنيوية، وأن لا تؤخره عن أول وقت إمكان فعله" (٦)؛ أما الأناة فهي مطلوبة في كل شيء إلا في أمور العبادات لأن العجلة فيها سبب لمرضاة الله تعالى وأكبر معين على الصلاة الخاشعة المسارعة إليها، يسارع المؤمن الى صلاته فلا يشغله أي شاغل مقبلاً لها راعياً راهباً فإذا سمع نداء الرحمن أقبل إلى حيث ينادى بها ولسان حاله يقول لبيك لبيك يقول تعالى عن أنبيائه عليهم السلام : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (٧) ، يقول الرازي " ولما شك أنّ الصلاة من الخيرَات، لقوله عليه السلام: «خَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ»" (٨) ، ويقول صلى الله عليه وسلم : " مَنْ سَرَهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَرَعَ

١ . تفسير الشعراوي - الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ، ج١٩ ، ص ١١٨٣٠ . (الناشر: مطابع أخبار اليوم).

٢ . سورة ص آية : (٢٥)،

٣ . الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

٤ . سورة الإنسان آية: (٣٦-٣٧).

٥ . سورة طه آية (٨٤).

٦ . تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ج٢ ، ص ٨٠٩ ،

(ط بدون ) .

٧ . سورة الأنبياء آية: (٩٠).

٨ . مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، ج٤ ،

ص ١١٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط٣ .

لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَإِنِّي لَأَحْسَبُ مِنْكُمْ أَحَدًا إِلَّا لَهُ مَسْجِدٌ يُصَلِّي فِيهِ فِي بَيْتِهِ، وَلَوْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَتَرَكْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَمْشِي إِلَى الصَّلَاةِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةٌ وَيُرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَيُكْفَرُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّىٰ إِنْ كُنَّا لَنُقَارِبُ بَيْنَ الْخَطِيئَةِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ نِفَاقُهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يَهَادِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يَقَامَ فِي الصَّفِّ (١) ، فبالسارعة الى الوقوف بين يدي رب العالمين بقي المؤمن نفسه من عذاب السموم يقول تعالى { وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانًا عَذَابَ السَّمُومِ } (٢) ، إذا ما سبب الوقاية من عذاب السموم { إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } (٣) ، والدعاء هو الصلاة والصلاة هي الدعاء يقول تعالى { وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم } ٤ . توعد الله الذين لا يسارعون لأداء الصلاة ويأخرنها عن وقتها بالويل { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } (٥) وقال ابن عباس الساهون هم" الذين يؤخرونها عن وقتها" (٦) .

وأفضل الصلاة في أول وقتها ؛ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ» (٧) ، فعلى المؤمن أن يحرص على أداء الصلاة في أول وقتها ولا يشغله عنها أي شاغل ، مع العلم بأن بعض العلماء ومنهم صاحب المحصول يرون الإتيان بالصلاة في آخر الوقت يكون قضاء وليس أداء والبعض اشترط العزم، أي يعزم الفعل إذا أخرها عن أول الوقت (٨) ، إذا يجب عليه أداء الصلاة في أول الوقت وفي جماعة، يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل : سألت ابي عن الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ حُضُورَهَا وَاجِبٌ فَعَظُمَ امْرُؤُهَا جَدًا وَقَالَ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ

١ .المسند الصحيح المختصر ،مسلم بن الحجاج ، ج ١ ، ص ٤٥٣ .

٢ .سورة الطور آية: ( ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .

٣ . سورة الطور آية : (٢٨) .

٤ . سورة التوبة آية : ( ١٠٣ ) .

٥ . سورة الماعون آية : ( ٦ ، ٧) .

٦ . جامع البيان في تأويل القرآن ،محمد بن جرير الطبري ، ج ٢٤ ، ص ٦٣١ .

٧ . المصنف في الأحاديث والآثار ،أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

،المحقق: كمال يوسف الحوت ،الناشر: مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ .

٨ .انظر: المحصول ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ج ٢ ، ص ١٧٤ ،دراسة

وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني ،الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط ٢٠١٤ ، هـ - ١٩٩٧ م .

يشدد في ذلك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك تشديدا كثيرا لقد هممت ان أمر بحزم الحطب فأحرق على قوم لا يشهدون الصلاة (١) .

فالؤمن يدعو الله في صلاته الخاشعة أن يتقبلها منه وذاك هو الإشفاق في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ } (٢)، تقول الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها وعن أبيها: يا رسول الله { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } (٣) "هُوَ الَّذِي يُدْنِبُ الذَّنْبَ وَهُوَ وَجِلٌّ مِنْهُ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ وَجِلٌّ" (٤).

قال علي رضي الله عنها " ما قل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل! يريد قوله { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } فمن تقبل شيء من عمله، فهو من المتقين، ومن كان من المتقين فهو من أهل الجنة، يقول الله: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ } (٦)؛

تقول عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (٧) يقول عقبة بن صهبان قال: دخلت على عائشة فسألته عن قول الله عز وجل: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ... فقالت لي: يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا، وقال مجاهد والحسن وقتادة: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قالوا: هم أصحاب المشأمة، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ هم أصحاب الميمنة ... وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ

١. مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله ، ج١، ص١٠٦.

٢. سورة المؤمنون آية: (٥٧).

٣. سورة المؤمنون آية: (٦٠).

٤. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير ، مرجع سابق، ج١٧، ص٧٠.

٥. سورة المائدة آية: (٢٧).

٦. سورة القمر آية: (٥٤).

٧. سورة فاطر آية: (٣٢).

هم السَّابِقُونَ ... الْمُقَرَّبُونَ من الناس كلهم" (١) وقال أبو مسلم الخولاني رحمه الله : (أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا ، كلا والله ! لنزاحمتهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً) (٢) .  
المؤمن يسارع إلى الصلاة الخاشعة ، ويستعين بها عند الفتن : " فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ " (٣).

٦ - **بالصلاة الخاشعة يبلغ المؤمن بها الى الحب الصادق:** إن أحب ما يتقرب به العبد الى ربه من افترضه عليه من صلاة ثم النوافل وإذا أحب الله العبد أوحى إليه حب الصلاة يقول تعالى : { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ } (٤) وكان من دعاء النبي صل الله عليه وسلم أسألك حبك وحب من يحبك. يقول ابن قيم الجوزية " وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ وَيَأْتِيهَا وَيُحِبُّهَا وَيُؤْتِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ تُوْزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتَحْرُضُهُ عَلَيْهَا، وَتُرْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا. وَلَا يَزَالُ يَأْتِي الْمَعَاصِيَ وَيُحِبُّهَا وَيُؤْتِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتُوْزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا خَالِئًا قَوِيًّا جَنَدَ الطَّاعَةِ بِالْمَدَدِ، فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ، وَهَذَا قَوِيٌّ جَنَدَ الْمَعْصِيَةِ بِالْمَدَدِ فَكَانُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ. " (٥) وإذا أحب الله عبده قربه إليه وجعله في أعلى المنازل في الجنة قال تعالى : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ } في جَنَّاتِ النَّعِيمِ { (٦) .

٧ - **فوائد الدعاء في محراب الصلاة الخاشعة رزق الولد:** من أراد الولد فعليه بالصلاة والدعاء في محرابها يقول تعالى : { هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } (٧)

- ١ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط ١٤٢٢هـ ، ١، ٢٠٠٢ م، ٨ ج، ص ١٠٩.
- ٢ . موقع : الإسلام سؤال وجواب <https://islamqa.info/ar/45207> .
- ٣ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، ج ١٦ ، ص ٤٥٠ .
- ٤ . سورة الأنبياء آية: (٧٣).
- ٥ . الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ج ١ ، ص ٥٦ ، الناشر: دار المعرفة - المغرب ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- ٦ . سورة الواقعة آية: ( ١٠ ، ١١ ، ١٢ ) .
- ٧ . سورة آل عمران آية: ( ٣٨ ) .

{ فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } (١).

ومن أراد الرزق فعليته بالصلاة: عندما رأى زكريا عليه السلام عبادة مريم وقنوتها وصلاتها وعبادتها في المحراب وأن الله يرزقها من غير حساب كما في قوله تعالى: { كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٢) ، فقد سبقت الرجال في صلاتها وقنوتها وخشوعها فقال لها الرب تعالى { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } (٣) ، ولم يقل مع الراكعات وقال : { وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ } (٤) ، ولم يقل من القانتات لأنها سبقت النساء في صلاتها وعبادتها ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَلَمِنْ الرَّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (٥) .

## ٨ - حفظ الصلاة:

إذا حفظ المؤمن صلاته دعت له الصلاة وإذا ضيعها بدنيا دنية دعت عليه ، فقد جاء في مسند أبي داود قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا أَحْسَنَ الرَّجُلُ الصَّلَاةَ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا قَالَتْ الصَّلَاةُ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي فَتَرْفَعُ، وَإِذَا أَسَاءَ الصَّلَاةَ فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا قَالَتْ الصَّلَاةُ: ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي فَتَلْفُ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْخَلْقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ " (٦).

فقد توعد الله تعالى من أضع الصلاة التي هي نور المؤمن ومن لم يستخدم هذا النور توعد بالويل يقول تعالى : { فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } (٧) .

١ . سورة آل عمران آية: ( ٣٩ ) .

٢ . سورة آل عمران آية : ( ٣٧ ) .

٣ . سورة آل عمران آية: ( ٤٣ ) .

٤ . سورة التحريم آية : ( ١٢ ) .

٥ . مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن

التركي، الناشر: دار هجر - مصر ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٦ . مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

٧ . سورة الماعون آية : ( ٤ ، ٥ ) .

## كيف يحفظ المؤمن صلاته :

على المؤمن أن يكون حريصاً على حفظ صلاته ، وأما كيفية حفظ الصلاة فيكون بالأمر الآتية:

**أولاً: بالوضوء الذي هو نور، فهونور في طريق الحق، نور لصاحبه عند الصراط :** يأتون غرا ، فقد جاء: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ التَّوَضُّؤَ، ثُمَّ صَلَّى صَلَاةَ الْمَكْتُوبَةِ يَحْفَظُهَا وَيَعْتَلِمُهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا كَانَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" (١) ، يقول تعالى { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٢) .

**ثانياً: تعظيم الوقوف بين يدي الله:** فإذا عظم المؤمن الوقوف في الدنيا سهل عليه الوقوف في الآخرة ، وعلى المرء أن يعلم أنه مسئول عما كلف به فليكن صادقاً مع ربه، يقول تعالى: { لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا } (٣) ، فكيف بالمكذابين المضيعين للصلاة يقول تعالى { فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ،عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٤) ، فعلى المؤمن أن يعظم صلاته فهي الحياة له فكم من أناس يمشون على الأرض وهم أموات .

**ثالثاً: الطمأنينة والخشوع والسكينة :** فهذه الثلاث يخدم بعضها بعض ، وأما الطمأنينة في ركن ولا تكون الصلاة إلا بها فلذلك قال النبي صل الله عليه وسلم للمسيء " ارجع فصل فإنك لم تصل" (٥).

وأما الخشوع فهو الموصل إلى السكينة، فكثرة حركة الجوارح أمر مخل بالخشوع وإذا كثرت تبطل الصلاة به ، فقد روي عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَعْثُبُ بِالْحَصَا، فَقَالَ: لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ (٦)، يقول الإمام أحمد الطمأنينة ركن من أركان الصلاة بلا نزاع في المذهب. وإذا كانت ركناً فمن لم يأت بها

١ . مسند أبي داود الطيالسي ،أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ،ج٢، ص٣٤٨.

٢ . سورة الحديد آية: (١٢).

٣ . سورة الأحزاب آية: (٨).

٤ . سورة الحجر آية: (٩٢، ٩٣).

٥ . مسند الإمام أحمد بن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ،ج١٥، ص٤٠٠، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .  
٦ السنن الكبرى ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ج٢، ص٤٠٤، المحقق: محمد عبد القادر عطا ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط٤٢٤، ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

فصلاته فاسدة (١)، وهذا خلافاً لإبي حنيفة (٢)، والخشوع في الصلاة والسكون والطمأنينة فيها هذا كله لا يتتى إلا بتنظيف النفس عن الشواغل وتخليتها من أمور الدنيا "التخلية قبل التحلية".

### المبحث الثالث

#### نماذج من أحوال السلف مع الصلاة

حافظ السلف على الصلاة فأتوا خشوعها وركوعها وجميع أركانها ففرت أعينهم بها، فعلموا أهميتها واقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم القائل: "مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَرُكُوعَهَا وَخُشُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ" (٣). وكان آخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة كما قالت أم سلمة رضي الله عنها: كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْجِلُجَهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيصُ بِهَا لِسَانُهُ (٤).

ومن أحوال السلف: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج من بيته ليصلي بالناس صلاة الفجر .. يدخل المسجد .. تقام الصلاة .. يتقدم عمر و يسوي الصفوف .. يكبر وبعد تكبيره يطعن فيتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فيقدمه فيصلي بالناس.

يحمل الفاروق إلى بيته .. فيغشى عليه حتى يسفر الصبح ، فاجتمع الصحابة عند رأسه فأرادوا أن يفرغوه بشيء ليفيق من غشيته . نظروا فتذكروا أن قلب عمر معلق بالصلاة . فقال بعضهم : إنكم لن تفرغوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة . فصاحوا عند رأسه : الصلاة يا أمير المؤمنين ، الصلاة . فانتبه من غشيته وقال

- ١ مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، ج٢، ص٥٠٨، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢ انظر: تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي، ج١، ص١٣٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، ج٣، ص٣١٩، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٤ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مرجع سابق، ج٤٤، ص٨٤.

: الصلاة والله . ثم قال لا بن عباس : أصلى الناس . قال : نعم . قال عمر : لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة . ثم دعا بالماء فتوضأ و صلى وإن جرحه لينزف دماً(١).

كان السلف من شدة حرصهم على الصلاة وحبهم لها يبادرون إليها ويحرصون على تكبيرة الإحرام مع الإمام، روي عنه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم أنه قال " لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله " (٢). وهذا أحد السلف عدي بن حاتم يقول : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء (٣). وأما سعيد بن المسيب فله مع قرّة العين شأن آخر ، كان رضي الله عنه يقول لنفسه: إذا دخل الليل قومي يا مأوي كل شيء والله لأدعنك تزحفين زحف البعير، فكان يصبح وقدماه منتفختان فيقول لنفسه: إذا أمرت ولذا خلقت (٤)، وكان يقول: ما فاتتني فريضة في جماعة منذ أربعين سنة، وما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد أو صلى رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة(٥) ، لماذا فعلوا ذلك كله ؟ لأنهم سمعوا حديث النبي صل الله عليه وسلم فوعوه وعملوا به ، يقول صلى الله عليه وسلم ، والحديث في مسند الإمام أحمد " من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءة من النار ، وبراءة من النفاق " (٦).

ولما علم السلف أن قرّة عينهم في الصلاة وذاقوا ذلك وجربوه ، أطالوا ركوعها وسجودها واطمأنوا فيها ، فقد روي في صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه رأى فتى يصلي فأطل صلواته وأطنب فيها فقال : أيكم يعرف هذا ؟ فقال رجل: أنا أعرفه . فقال ابن عمر : لو كنت أعرفه لأمرته أن يطيل الركوع والسجود فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن العبد إذا قام إلى الصلاة أتى بذنوبه كلها

١. انظر الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ، ج٣، ص٢٦٧، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١٠، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢. المسند الصحيح المختصر ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري ، ج١، ص٣٢٥.
٣. تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ج١٤ ، ص٢٢٩، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
٤. الطبقات الكبرى = لوائح الأئوار في طبقات الأخيار ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي ، ج١ ، ص٢٦ ، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر ، عام النشر: ١٣١٥ هـ.
٥. طبقات الحنابلة ، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد ، ج١، ص١٤١، المحقق: محمد حامد الفقي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، ج٢٠ ، ص٤٠، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

فوضعت على عاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه (١) .

قال ابن وهب : رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب صلى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء (٢) .  
 أما حالهم مع الخشوع في قرة العين فأمر آخر ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يِنَّا قَال: رَكَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمًا رَكْعَةً، فَقَرَأْنَا بِالْبَقْرَةِ وَالْإِنشَاءِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَائِدَةَ، وَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي فِي الْحَجْرِ، وَالْمِنْجَنِيْقُ يُصَبُّ نُوبَهُ، فَمَا يَلْتَفِتُ - يَعْنِي لَمَّا حَاصِرُوهُ، يَرَوِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُتَكَدِّرِ قَالَ: لَوْ رَأَيْتَ ابْنَ الزُّبَيْرِ يُصَلِّي كَأَنَّهُ غُصْنٌ تَصَفِّقُهُ الرِّيحُ، وَحَجَرِ الْمَنْجَنِيْقِ يَقَعُ هَهُنَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ سَجْدَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أُمِّهِ، أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بَيْتَهُ، فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي، فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ عَلَى ابْنِهِ هَاشِمٍ، فَصَاحُوا: الْحَيَّةُ الْحَيَّةُ، ثُمَّ رَمَوْهَا، فَمَا قَطَعَ صَلَاتَهُ (٣) .

وفي سير أعلام النبلاء ، عَنْ أَبِي نُوحٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: وَقَعَ حَرِيْقٌ فِي بَيْتِ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، النَّارُ! فَمَا رَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى طُفِفَتْ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلْهَتْنِي عَنْهَا النَّارُ الأخرى (٤) وكان علي ابن الحسين إذا توضع اصفر وإذا قام إلى الصلاة ارتعد . فقيل له فقال : تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ؟ (٥) وكان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصفير (٦) .  
 وَقَالَ عَاصِمٌ: مَا رَأَيْتُ أَبَا وَائِلٍ مُلْتَمِعًا فِي صَلَاتِهِ وَلَا فِي غَيْرِهَا (٧) .

- ١ . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبّد، التيمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي ، ج ٥ ، ٢٧ . ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢ . سير السلف الصالحين ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، ج ١، ص ١٠٠٥، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد ، الناشر: دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض، ج ١، ص ١٠٠٥ .
- ٣ . سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ج ٤ ، ص ٤٠١ ، الناشر: دار الحديث - القاهرة ، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
- ٤ . سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج ٤ ، ص ٣٩١ .
- ٥ . تهنيد الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزني ، ج ٢٠ ، ص ٣٩٠ ، المحقق: د. بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- ٦ . تاريخ الإسلام ووقايات المشاهير والأعلام ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، ج ٢ ، ص ١٠٥٤ .
- ٧ . سير السلف الصالحين ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، ج ١ ، ص ٨١٢ ، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد ، الناشر: دار الراجية للنشر والتوزيع، الرياض.

وَقَالَ مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ: مَكَثْتُ حَفْصَةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَا تَخْرُجُ مِنْ مُصَلَّاهَا إِلَّا قَائِلَةً أَوْ لِأَجْلِ حَاجَةٍ (١).  
وكانت حَفْصَةَ بنتِ سَبْرِينَ تسرح سراجها من اللَّيْلِ ثُمَّ تقوم وتُصلي في مصلاها فَرُبَّمَا طفئ السراج ويضيء لها الْيَبْتُ حَتَّى تصبح (٢).

وعن عبد الرحمن بن يحيى بن عثمان بن حمزة عن أبيه عن جده قال أرسلتني أسماء بنت أبي بكر إلى السوق وقد افتتحت بسورة الطور فخرجت وقد انتهت إلى " ووقانا عذاب السموم " فذهبت إلى السوق ثم رجعت وهي تكررهما " ووقانا عذاب السموم " وهي تصلي (٣).

لله درهن نساء عرفن عظمة الله فعظمت صلاتهن وقرت بها أعينهن .  
وعن أحمد بن يونس قال سمعت زائدة يقول صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة وخرج الناس ولم يعلم أنني في المسجد وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لآ يراني أحد قال فقام فقراً وقد افتتح حتى بلغ إلى هذه الآية { فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم } فاقمت في المسجد انتظر فراغه فلم يزل يُرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر (٤) .

هكذا كانت صلاتهم وهكذا كان خشوعهم وهذه هي أحوالهم مع قرآءة عين المحبين لله درهم ذاقوا لذتها فقرت بها أعينهم وارتاحت بها أنفسهم .

١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الذهبي ، ج٣ ، ص٣٧ .
٢. طبقات الصوفية ، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري ، أبو عبد الرحمن السلمي ، ج١ ، ص٣٩٧ ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .
- ٣ . تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، ج٦٩ ، ص٢٠ ، المحقق: عمرو بن غرامة العمري ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٤ . أخبار أبي حنيفة وأصحابه ، الحسين بن علي بن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيّمري الحنفي ، ج١ ، ٤٣٦ ، الناشر: عالم الكتب - بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

**الخاتمة:**

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين وبعد فهذه خاتمة جولتي فيما يتعلق ب (قرة عين المحبين) وهذا الأمر من الأمور التي يحتاجها المؤمن بل في أشد الحاجة إليها وخاصة ونحن في زمان كثرت فيه الفتن وتعددت الملهيات وأصبح الناس في حاجة لمن يبين لهم المنهج القويم والطريق المستقيم ويبصرهم بمنهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح وكيف كانت صلاتهم وكيف كان وقوفهم بين يدي ربهم .

وقد خلصت الى نتائج وتوصيات أختصرها في الآتي :

**أولا النتائج:**

١ - لا تكون الصلاة قرة عين المؤمن إلا إذا طهر قلبه من أمراض القلب ، سواء كانت ناتجة عن شبهات أو شهوات.

٢ - أعظم معين على الخشوع في الصلاة التفكير في معاني الآيات وتدبرها .

٣ - إن للصلاة الخاشعة لذة لا يشعر بها إلا من قويت صلته بالله وصدق اتصاله به.

**ثانياً التوصيات:**

١ - على المؤمن أن لا يزهّد في الأجر والثواب فيجتهد ويجاهد نفسه في الصلاة حتى تكون قرة عينه ، ولا يكون ذلك إلا بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة .

٢ - المؤمن يجمع نفسه ويحضر قلبه قبل الدخول في الصلاة.

٣ - الحذر من التهاون في أداء الصلاة في جماعة حيث ينادى بها وتجب المسارعة لأدائها في أول وقتها .

٤ - يستشعر المؤمن عظمة من يقف أمامه ويخضع ويتذلل بين يده وهو الله عز وجل.

**قائمة المصادر والمراجع:****القرآن الكريم.**

- ١ . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبُد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢. أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصِّمَرِي الحنفي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٣. إغاثة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرّة العين بمهمات الدين)، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.
٥. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٦. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٨. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ط١ بدون .
٩. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
١٠. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١١. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
١٦. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر (بدون ناشر)، ط١، ١٣٩٧ هـ.
١٧. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد المديفر، الناشر: مطابع الشرق الأوسط - الرياض.
١٨. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٩. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٢٠. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حقيقه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، يقدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م >
٢٢. سير السلف الصالحين، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١٤١٤هـ - ٢٠١٩٣م.
٢٤. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
٢٥. طبقات الصوفية، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٦. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٧. الطبقات الكبرى = لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشَّعْرَانِي، أبو محمد (المتوفى: ٩٧٣هـ)، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: ١٣١٥هـ.
٢٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط١٣٩٤هـ.
٢٩. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٠. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خوستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٣٢. متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
٣٣. المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٤. مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣٥. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٨. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٠هـ.
٣٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
٤٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة .
٤٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٤٣. موقع: الإسلام سؤال وجواب <https://islamqa.info/ar/45207>.
٤٤. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٤٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

## بناء الفكر في القرآن الكريم وأثره في معالجة الغلو

د. يحيى مقبل صالح الصباحي

استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة صنعاء

كلية التربية والآداب والعلوم - مأرب

yahyam1977@gmail.com

### الملخص

# 8

يسعى البحث لإبراز أثر ودور البناء الفكري السليم في علاج الغلو والوقاية منه، وبنقاش اشكالية علاقة الفكر بالغلو، وكيف يمكن علاجه من خلال الفكر، وقد تناول البحث الموضوع من خلال العناصر الرئيسية التالية:

١- مفهوم بناء الفكر ودلالاته.

٢- المنشأ الفكري للغلو.

٣- أسس بناء الفكر وأثرها في معالجة الغلو.

وخلص البحث إلى أن البناء الفكري : عملية تحصيل وتراكم المعرفة والتفقه فيها، ينتج تصوراً، ينبثق عنه سلوك يؤهله للتفاعل السلبي أو الايجابي مع من حوله .  
وان المنشأ الفكري للغلو نابع من عدة عوامل أهمها :

أ - مصدر التلقي: حيث ثبت من خلال استقراء الواقع، وعبر التاريخ أن الغلو ناتج عن سوء الفهم ، وغياب الرؤية الواضحة في التعامل مع مصدر التلقي، مما أورت مصادر بديلة أضرت بالفرد والمجتمع .

ب - القراءة المتبورة للنصوص أدت إلى غياب مقاصد التشريع، وغايات النص الشرعي في ذهن المستدل والمستنبط، والوقوع في أسر المسائل الجزئية، أنتج فكراً مشوشاً، قاد إلى ظاهرية مفرطة، جردت النصوص من مقاصدها.

لذا تركز عملية بناء الفكر السليم على عدة عوامل، تبنى من خلالها التصورات الذهنية، وترجم إلى سلوك في الحياة اليومية أهمها البيئة الاجتماعية و البيئة التعليمية.

وللمحافظة على بناء الفكر السليم، ضبط القرآن الكريم مصدر التلقي، وأقام المنهج على أساس الفقه وحسن الفهم ، عن طريق الاستدلال العقلي وفتح باب النظر في المآلات، والتزود المستمر بالمعرفة ، بما يتيح سعة الأفق والنضج في التفكير ، والنظرة الكلية، والخروج من التربية التقليدية الهزيلة .

وعليه فإن طريق النجاة من الوقوع في الغلو يتمثل في بناء الفكر السوي من خلال عمق الفقه، واستيعاب النصوص ، وتنسيق قواعد الفهم لها ، وإشاعة طرائق الاستنباط السليم منها، وإدراك مقاصدها، عاصم من الزلل والوقوع في الغلو، وطريق لبناء الفكر المدرك لغايات الشريعة ومقاصد الأحكام ، وفقه تنزيلها على الواقع والتعامل مع المخالف.

## Abstract

The research is seeks to highlight the role of the proper intellectual building in treatment and prevention of extremism, and discusses the problematic relationship between extremism and intellect, and how the extremism can be treated through intellect.

The research has addressed the topic through three key elements:

1. The concept of building intellect and its significance 2- Intellectual origin of extremism 3- The foundations of building intellect.

The research has found that the intellectual building: the collection and accumulation of knowledge and deep understanding of it, produces a vision emerges behavior that qualifies ones for the negative or positive interaction with those around him.

And that the intellectual origin of the extremism stems from several factors, including:

(A) Source of receiving: It has been proven through extrapolation of reality and history that extremism is due to misunderstanding, and the absence of a clear vision in dealing with the source of receiving, which bequeathed alternative sources, hurt the individual and society.

(B) Amputated reading of the texts led to the absence of the Purposes of Legislation, and the purposes of the legitimate text in the mind of inferred and contriver and falling into servitude of partial issues. Resulted in building of muddled thought, led to excessive superficiality, stripped the text of its purposes.

Building proper thought process is based on several factors, from which intellectual perceptions are built, and translated into behavior in the daily life of the most important is the social environment and learning environment.

In order to maintain the proper building of thought, the Koran adjusted receiving source and established a curriculum based on jurisprudence and good understanding, through mental inference and opening consideration in construed, and continuous supply of knowledge, allowing the horizon capacity and maturity in thinking, holism and avoiding conventional and meager breeding.

Accordingly, the path of salvation is in the depth of jurisprudence and to accommodate the texts, and to coordinate the rules of their understanding, and to promote the proper methods of deducting them, and the realization of their purposes, preventative of slippage and falling into extremism. A way to build a thought that perceive the purposes of Legislation and provisions, and the jurisprudence of implementing them on reality and dealing with the contrary.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ،نحمده تعالى ، ونستعينه، ونستهديه ، ونتوكل عليه ونؤمن به، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا نجل له وليا مرشدا ، وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد:

أوكل الله للإنسان مهمة الاستخلاف في الأرض، وحددها سلفاً قبل أن يخلقه قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } فأجابت الملائكة كما حكى الله عنها: { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } فقال سبحانه: { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (١) ، فسفك الدماء والإفساد في الأرض منافع لعملية الاستخلاف.

ولذا نهى سبحانه وتعالى عن الإفساد في الأرض فقال: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } (٢) وذم مدعي الصلاح وهم سائرون في طرق الفساد: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } (٣) فاستقامة الحياة وعمارتها لا تحصل إلا بمحاربة الفساد بكل أنواعه ،لتستقر حياة الناس، وينعموا بالأمن فتؤدي العبادات، وتنتشر قيم الخير والإحسان .

ولتحقيق غاية الاستخلاف، وبناء الحياة كما أرادها الله ، هدى القرآن الكريم الإنسان إلى ما ينفعه، وبين له سبل الخير، وأبان له الواقع الذي يعيشه في دار الابتلاء ، لكي لا يزل ولا يحيد عن هدى الله ومنهجه، فلا يقع في الغلو أو يضطر بما أمر به .

فجاء القرآن الكريم مخاطباً العقل، بانياً للفكر، داعياً إلى التفكير والتأمل ، حاثاً على استيعاب من حوله من المخلوقات، ثم إلى استيعاب نفسه وتقلباتها، والنظر إلى الاختلاف بين البشر، وأنه كائن إلى يوم الدين، ثم التأمل في الحياة، وأن ما فيها من وجوه الاختلاف والصراع، لا يمكن له أن يحسم بصورته النهائية فيها، لأنها دار ابتلاء وامتحان.

وبناء على ما سبق: فإن البحث المقدم يسعى لإيضاح دور البناء الفكري السليم في علاج الغلو والوقاية منه ، من خلال مخطط البحث التالي :

١- سورة البقرة الآية: ٣٠ .

٢- سورة الأعراف الآية: ٥٦.

٣- سورة البقرة الآية: ١١ .

**أولاً: أهداف البحث:**

الهدف العام للبحث: يهدف البحث إلى بيان منهج القرآن في بناء الفكر، ودوره في معالجة الغلو .

**الأهداف الجزئية :**

١ - التعرف على المنشأ الفكري للغلو .

٢ - بيان الأسس التي من خلالها يبني الفكر الإنساني البناء السليم وأثرها في معالجة الغلو والوقاية منه ابتداءً .

ثانياً: مشكلة البحث: يناقش البحث اشكالية علاقة الفكر بالغلو، وكيف يمكن علاجه من خلال الفكر؟ ويحاول الإجابة على السؤال التالي:

ما هو المنشأ الفكري للغلو، وكيف تعامل القرآن الكريم معه، وكيف عالج آثاره ؟

**ثالثاً: الدراسات السابقة:**

كثير هي الدراسات والمقالات التي تتناول موضوع الغلو من جوانب عدة، وكذا المؤتمرات التي عقدت خصوصاً في ظل تزايد ظاهرة العنف والإرهاب، وهو ما أثرى بشكل خاص الحديث عن موضوع الغلو.

لكن ما يميز هذه الدراسة أنها ركزة على جانب بناء الفكر وعلاقته بمعالجة الغلو، مما يضيف إلى البعد الفكري بعد البناء ابتداءً، إذا هو الأساس وهو ما تناوله القرآن الكريم ابتداءً في أول نزوله بكلمة ( اقرأ ) فخطب العقل ببناء المعرفة القائمة على القراءة والتعلم، وفتح آفاق المعرفة في مجالات الحياة المختلفة .

رابعاً: منهجية البحث : اعتمدت الدراسة على المناهج التالية:

**أ - المنهج الاستنباطي:**

وهو المنهج الذي قام على دراسة النصوص، بهدف استنباط منشأ الغلو، واستخراج أسس البناء الفكري

في القرآن الكريم، ومعرفة وسائل تحقيقها مؤيدة بالأدلة.

**ب - المنهج الوصفي التحليلي:**

عن طريق استقراء الآيات الداعية إلى إعمال العقل والفكر، والآيات التي تحدثت عن العلم والمعرفة، ومن

ثم وصف ظاهرة البناء الفكري، وبيان آثارها في محاربة الغلو، وإيجاد الشخصية المتوازنة.

**خامساً : خطة البحث:**

اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيلها كالتالي:

❖ المقدمة: وتشمل أهداف الدراسة، والمشكلة، والمنهجية، والدراسات السابقة .

❖ المبحث الأول: مفهوم بناء الفكر ودلالته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مفهوم البناء .

المطلب الثاني : مفهوم الفكر .

❖ المبحث الثاني : المنشأ الفكري للغلو، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مصدر التلقي وأثره في المنشأ الفكري للغلو .

المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في المنشأ الفكري للغلو .

❖ المبحث الثالث : أسس بناء الفكر وأثرها في معالجة الغلو، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضبط مصدر التلقي وأثره في معالجة الغلو .

المطلب الثاني: التزود المستمر بالمعرفة وأثره في معالجة الغلو .

❖ الخاتمة : وتشمل أهم نتائج البحث والتوصيات .

## المبحث الأول

## مفهوم بناء الفكر ودلالته

ستتناول الدراسة في هذا المبحث مفهوم البناء الفكري ، باعتبار مفهوم كل جزء منه ، ثم باعتبار المركب

الاضافي ، مع بيان دلالات الألفاظ من خلال الآتي:

## المطلب الأول

## مفهوم البناء

## البناء في اللغة:

مصدره الفعل بنى ، وجمعه أبنية وأبنيات، تقول: بنيت البناء أبنيه إذا ضمنت بعضه إلى بعض .  
والبنية بضم الباء وكسرهما (ما بنيتها) وجمعه بُنى وبنى (١) .  
والبنى: نقيض الهدم ، بالبناء: المبني ، والبناء: مدير البناء وصانعه (٢) .  
ومن المجاز: بنى على أهله دخل عليها ..... وقالوا : بنى بأهله : أعرس بها (٣) .  
ومن خلال ما سبق فإن دلالات المعاني اللغوية تضيد الآتي:

- ١ - البناء: ضم الشيء بعضه إلى بعض على صفة يراد لها الدوام .
- ٢ - البناء: يؤدي وظيفة محددة مكتملة كالسكن أو الزواج أو ما إلى هنالك .
- ٣ - البناء: عملية متكاملة أبرز أوصافها الانسجام والتناغم بين عناصره .

## المطلب الثاني

## مفهوم الفكر

الفكر في اللغة: قال ابن فارس: "الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال: تفكّر إذا ردد قلبه معتبراً .  
ورجل فكّير: كثير الفكر". (٤) وقال العلامة الراغب -رحمه الله -: "الفكرة قوة مُطَرِّقة للعلم إلى المعلوم،  
والتفكير جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان... قال بعض الأدباء: الفكر  
مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني؛ وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها" (٥) .

١- ينظر: ابن فارس ، معجم المقاييس في اللغة ص٥٦ ، دار النشر: دار الجليل - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٢- ينظر: ابن منظور، لسان العرب ٨٩/١٤ . دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة.

٣- ينظر: الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، ص٣١ .

٤- ابن فارس: المصدر السابق ٤ / ٤٤٦ وانظر: الصحاح ٢ / ٧٨٣ .

٥- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٨ بيروت، دار المعرفة ط١٩٩٩م.

## الفكر في الاصطلاح:

قال الفيومي: "ويقال: الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الدِّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ؛ يَكُونُ عِلْمًا، أَوْ ظَنًّا" (١) يقول جميل صليبا: "وجملة القول: إن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات، دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس" (٢) .

وعرفه الزنيدي بقوله: "الفكر في المصطلح الفكري -والفلسفي خاصة - هو: الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري" (٣) .  
ودلالات التعاريف السابقة تشمل :

- ١ - مفهوم الفكر يشمل النظر العقلي، وما ينتج عن ذلك النظر من علوم ومعارف.
  - ٢ - الفكر عملية ذهنية مبنية على مدخلات العقل عن طريق الحواس ، وما يتبعه من الظن أو الوهم والتخيل ،ومخرجاتها القول والفعل المرتبط بالسلوك الإنساني في الحياة .
  - ٣ - ثمرة الفكر: التفكير والتفكير والذي يشمل كل أنواع النشاط العقلي أو السلوك المعرفي الذي يتميز بتوظيف الرموز في معالجة الأشياء والأحداث، بدلاً من معالجتها عن طريق النشاط الظاهري المحسوس أو المادي.
  - ٤ - الفكر: من خلاله يبحث عن المعنى سواء أكان هذا المعنى موجوداً، أو يستخلص ويستنبط من أمور لا يبدو فيها ظاهراً ، وإنما بإعمال الفكر والتفكير ليستخلص من متفرقات موجودة .  
مما سبق يمكن أن نعرف بناء الفكر باعتباره مركباً إضافياً بالآتي :
- القاعدة التي تركز عليها تصرفات الإنسان وتعاملاته وأقواله وخطرات نفسه ، فما من فعل يقوم به أو قول يقوله أو فكرة تجول إلا ويكون ذلك نابعا من البناء الفكري لشخصيته ، وهذا البناء قد يضم توجهات فكرية يدين بها أو عقيدة يعتنقها أو علما تعلمه ، أو طرائق تفكير تعودها عقله أو رؤى محددة لشتى مناحي الحياة. فالبناء الفكري : عملية تحصيل وتراكم المعرفة والتفقه فيها، ينتج سلوكاً وخبرة تؤهله للتفاعل السلبي أو الايجابي مع من حوله .

١- أحمد بن محمد الفيومي، الصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٤٧٩، بدون طبعة (دار الفكر بدون تاريخ).

٢- جميل صليبا، المعجم الفلسفي ٢/ ١٥٦ (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م).

٣- د.عبد الرحمن الزنيدي، حقيقة الفكر الإسلامي ص ١٠، الطبعة الثانية (الرياض: دار المسلم ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م) .

إذا هو عملية تسمح للإنسان بتصور العالم المحيط به ، وبالتالي التعامل معه بفاعلية إيجاباً أو سلباً حسب ما تصوره .

إن البناء الفكري يتعلق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، وأداة التأمل والتفكر، الذي هو أساس استخراج المعارف، وطريق بناء الحضارات، وتحقيق الاستخلاف في الأرض، ولذلك كانت المحافظة على العقل، وحمايته من المفسدات، مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تتحقق إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية.

ولذا دعا الإسلام في تشريعاته إلى إدراك الغايات والأهداف لا مجرد الظواهر والصور، وذم النبي صلي الله عليه وسلم قوماً التزموا الظاهر، فوقعوا في الغلو، وجروا الأمة إلى النكبات، فاستحلوا الدماء والأموال فقال: «قَوْمٌ يَبْغَرُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَيْنٌ أَنَا أَدْرِكْتُهُمْ لِأَقْتُلْتُهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١).

### المبحث الثاني

#### المنشأ الفكري للغلو واثره في سلوك الإنسان

الأفكار كالمنتجات لها مواد أولية، تستخرج من خلالها مواد تصنعها، فكل فكر له منشأ ينشأ من خلاله فيؤثر في الإنسان سلباً وإيجاباً ، يحمل الأفكار ابتداءً، ثم يتبناها قولاً وفعلاً ، ويحاول غرسها في غيره . ومن هنا ندرك أهمية منشأ الفكر، وكيف يمكن أن يهيئ التهيئة السليمة التي تنتج فكراً مستقيماً ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ، أدرك هذا المعنى منذ بداية دعواته، فكان يقول لقريش (خلو بيني وبين الناس)(٢)، وكانت قريش تدرك أنها إذا فقدت حاضنة معتقداتها وفكرها ، ووجد منشأ آخر سينهي ما تعتقده لسلامة ما يدعوا إليه الإسلام، وبطلان ما يقومون به.

في هذا المبحث ستتناول الدراسة المنشأ الفكري للغلو من خلال مطلبين :

١- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح مع الفتح، تحقيق: محب الدين الخطيب، كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: «وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله» ٤٣٣/ ٦. الطبعة الثانية، القاهرة: دار الريان للتراث ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .

٢- ينظر : مسند الإمام أحمد رقم الحديث 18431 ج٤ص٣٢٦ من حديث المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم ، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر . والحديث في البخاري رقم: 18431 .

## المطلب الأول

## مصدر التلقي واثره في المنشأ الفكري للغلو

مصدر التلقي: هو الذي يغذي العقل ويصيغ الفكر ويوجه التصور ، ويضبط التصرفات ، إذ إن لكل تصرف خلفية فكرية تُصيغ الأفكار، وتُحدد الأهداف والغايات ، وتُعد الوسائل وفقاً لها . فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بأن تصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها فكره ، وعلى هذا فإن السبب الرئيس للغلو وسلوك سبل العنف والإرهاب انحراف الفكر وضلاله، ينشأ عنه إلتباس الحق بالباطل لدى أصحاب هذا الاتجاه .

فالإنسان حتماً مقود بفكرة صحيحة أو فاسدة، وإذا كان صمام أمان المسلم أن ينطلق من القرآن والسنة ، فإن الغالي يقع خارج هذه المرجعية سواء أدرك ذلك أم لم يدرك ، وفقاً لواقع التصرفات القولية والعملية التي تحدد المرجعية التي ينطلق منها .

فقد ينطلق وفق رؤية من اقتدى بهم ، واقتنع بمنهجهم ، وفي هذه الحالة تحول هؤلاء إلى مرجعية بديلة للقرآن والسنة، وقد ينطلق وفق رؤيته المحدودة ، وخصوصاً إذا كان في بداية طلب العلم أو طلبه من قراءة كتيبات معدودة ، أو وقف على ظاهر النصوص في قراءة مبتورة مقطعة الأوصال ، تقوده إلى فهم مقلوب للنصوص لا ينظر في سياقها العام ، ومآلاتها المختلفة ، ووحدتها الموضوعية ، وعلى هذا يمكن أن يكون مصدر بناء فكره الآتي :

## أولاً: المرجعية البشرية :

الأخبار، الرهبان، المشايخ الزعماء، القادة، الأمراء، أيما كانت المسميات، في النهاية، فالبشر قاصروا الفهم ، واقعون في الخطأ، لديهم أهواء وشهوات تؤثر في اتخاذ المواقف، وتنزيل الأحكام قال تعالى: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَأِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (١).

١ - سورة التوبة الآية : ٣١ .

وقد ورد في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قلت: «يا رسول الله ما عبدوهم، قال: أحلوا لهم الحرام، فأطاعوهم، وحرّموا عليهم الحلال، فأطاعوهم، فتلك عبادتهم إياهم» (١). فقد بلغ الغلو في النصرارى مبلغا، فاتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، واتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فغلووا في اعتقاداتهم وعباداتهم، وشرعوا لهم ما لم يأذن به الله كما قال تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } (٢).

يقول ابن كثير رحمه الله: " فينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصرارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوه في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا" (٣).

ويقول سبحانه وتعالى مبينا سبب ضلال القوم وسبب هذا الغلو: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } (٤). ومعنى الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية. وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما، وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال (٥).

وسدأ باب تقديس البشر مهما أوتوا من التقى والصلاح، والعلم والفقہ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المبالغة في المدح والثناء، أو رفع الإنسان فوق منزلته، إذ لما جاءه وفد بني عامر قالوا له: أنت سيدنا، فقال:

١ - أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، باب ومن سورة التوبة، برقم (٣٠٩٥)، بلفظ قال فيه: "أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ في سورة براءة { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } [سورة التوبة: ٣١]، قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدوهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه)"، والبيهقي في السنن الكبرى، برقم (٢٠١٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٢١٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٢٩٣).

٢- سورة الحديد الآية: ٢٧.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤/٧٨، دار طيبة سنة النشر: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٤- سورة المائدة الآية: ٧٧.

٥- ابن كثير: المصدر السابق، ٨٣/٢.

«السيد الله تبارك وتعالى بقالوا: وأفضلنا فضلا وأعظمتنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان» (١) .

فحسم النبي صلى الله عليه وسلم الأمر، ونهاهم عن المبالغة في المديح، والتعظيم سدا لأبواب الشيطان وتلبيساته.

فتعظيم وتقديس من يقتدى بهم، تصل بالتابع إلى اتباع مطلق يصعب مخالفته، ولقد عد الإمام الشاطبي رحمه الله: التصميم على اتباع العوائد بمن أسباب الاختلاف والفرقة، وهذا هو التقليد المذموم الذي ذم الله عز وجل متبعيه: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ} (٢) ثم قال: {أَوَلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (٣) فنبههم على وجه الدليل الواضح، لكنهم استمسكوا بمجرد تقليد الآباء (٤) .

ويبين عمرو بن العاص رضي الله عنه صورة من صور هذا التقليد المذموم، الذي يصد عن اتباع الحق، ويقود إلى الغلو بعد أن سئل عن سبب إبطائه عن الإسلام، رغم رجاحة عقله فقال له: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم (يعني أباه ومن هم في طبقتهم) وكانوا ممن نوازي حلوهم الجبال، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروا عليه، فلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين، فوقع في قلبي الإسلام (٥) .

وهذا التقليد المذموم والاتباع الأعمى مصدر للغلو، وباب يلج منه الغالي، جر ويلات كثيرة على الفرد نفسه، سلبه عقله، وأضاع شخصيته، وجعله مجرد أداة لتصورات وأفهام الآخرين، وأوجب أنواعا من الفساد على الأمة، فمزق نسيجها الاجتماعي، وخالف بين قلوبها، واستحل الدماء والأموال والأعراض، بعد أن جر إلى التكفير والتضييق والتبديع .

١- أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في كراهية التماذج، رقم: ٤٨٠٦، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٨٠/٣: صحيح، قال في عون المعبود، ١١٢/١٣، إسناده صحيح.

٢- سورة الزخرف الآية: ٢٢.

٣- سورة الزخرف الآية: ٢٤.

٤- الشاطبي: الاعتصام ١٧٩/٢، دار النشر: للمكتبة التجارية الكبرى - مصر .

٥- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٨/٧، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى ١٣٥٦ هـ .

وليس طاعة البشر واتخاذهم منهجا قاصراً على اليهود والنصارى، بل من سلك نفس الطريق وقع في ما وقعوا "وكثير من أتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمره به وإن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال" (١) .

وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس رضي الله عنهما في المتعة فقال له: قال أبو بكر وعمر، فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقولون: قال أبو بكر وعمر، وكذلك ابن عمر لما سأله عنها، فأمر بها فعارضوا بقول عمر، فتبين لهم أن عمر لم يرد ما يقولونه، فألحوا عليه فقال لهم: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يتبع أم أمر عمر، مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن هو فوق ابن عمر وابن عباس ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله، ويبقى كل امام في اتباعه بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في أمته، وهذا تبديل للدين يشبه ما عاب الله به النصارى" (٢).

فالاغترار بالزعامات الدينية والدينيوية لمجرد الشكل والهيئة، وما تملك من صولة وجولة، تقوم عند الجاهل مقام الدليل والبرهان؛ تجعل من حاله تابعا مطيعا. فمرجعية الغالي: بشر اقتنع بمنهجهم في التفكير، واتخذ فهمهم للنصوص دينا يتدين به، وبناء على هذا الفهم والى وعادى وأحب وأبغض، واتخاذ سائر المواقف .

### ثانياً: القراءة المبتورة للنصوص:

الفهم الظاهر لنصوص الكتاب والسنة دون مراعاة سياقها وترابطها، والحكم على الأشياء من أول وهلة، خصوصاً مع قلة الفقه وضعف الإدراك، وعدم الرسوخ في العلم، يؤدي إلى غياب مقاصد التشريع، وغايات النص الشرعي في ذهن المستدل والمستنبط، ذلك إن صحة فهم النصوص الشرعية ضابط لصوابية الاستدلال، ولا يستطيع العالم أن يعرف مراد الله عز وجل، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا حينما

١- ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢- ٩، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢- ابن تيمية: المصدر السابق، ٢- ٢١٥.

يستقيم فهمه لدلائل الكتاب والسنة، وبذلك يصير من الخلف العدول، « ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» (١) .

فعمق الفقه واستيعاب النصوص كلياً وجزئياً ، وتنسيق قواعد الفهم لها بضوابطه وشروطه، وإشاعة طرائق الاستنباط السليم منها، وإدراك مقاصدها، وبيان مراميها، عاصم من الزلل والوقوع في الغلو، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في رسالته إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق"(٢) .

والفهم الرديء إذا انضم إليه القصد السيئ؛ قاد صاحبه إلى مهاوي الردى ، فحمل النصوص ما لم تقله، وحرفها عن مقصدها، فادخل الانحراف والزيغ في التاويل ، بالإعراض عن محكماته وإتباع متشابهاته. ولذلك كان حُسن الفهم عن الله ورسوله، أصل كل استقامة وهداية في الفكر والمنهج والسلوك في تاريخ الأمة، وسوء الفهم عن الله ورسوله، كان سبب كل انحراف وبدعة وضلالة نشأت في الإسلام، ومعظم الفرق الضالة، والطوائف الخارجة، والفئات المبتدعة، والجماعات المنحرفة من فرق الأمة، إنما أهلكها سوء الفهم أو سوء التاويل.

"فصحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله، التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم؛ وطريق الضالين الذين فُسد فُهوْمُهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة"(٣) .

ومن القراءة المبتورة للنصوص: الفصل بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية:

١ - رواه ابن جرير الطبري، وابن عدي في "الكامل" ١/١٥٢، والخطيب في "شرف أصحاب الحديث" ص ٤٠، ط. عالم الكتب بيروت، وابن عبد البر في التمهيد ١/٥٩، وحسنه الحافظ العلائي بقوله: وهذا حديث حسن غريب صحيح، وقواه ابن القيم في "مفتاح دار السعادة"، ١/٩٧٧ لتعدد طرقه.

٢ - ابن القيم: إعلام الموقعين ١/١٣٠. بيروت، دار الكتب العلمية، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. وهذا الأثر في: سنن الدار قطني ٤/٢٠٦-٢٠٧، و"سنن البيهقي الكبرى": ١٠/١١٥..

٣ - ابن القيم: المصدر السابق ١/٨.

ذلك أن الاهتداء بالمقاصد في الاستنباط من النصوص الشرعية ؛ أساس لمن يريد حسن الفهم للنص الشرعي، وأن لا يكتفي بالوقوف عند حرفية وظاهر النصوص، ويجمد على منطوقها ، ولا يتأمل فيما وراء أحكامها من علل، وما تهدف إليه من مقاصد، وما تسعى إلى تحقيقه من مصالح ودرء مفسد . وقد اتفق علماء الأمة ، على أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح العباد، ودفع المفسد عنهم في المعاش والمعاد، يقول الإمام الشاطبي: "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا" (١)، ثم يؤكد ذلك بقوله: "وإذا دلَّ الاستقراء على هذا، وكان في مثل هذه مفيدا للعلم، فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة" (٢).

ولابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، كلمات بليغة عما قرره الإمام الشاطبي، يقول ابن تيمية: "إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسد وتقليلها؛ بحسب الإمكان، ومعرفة خير الخيرين وشر الشرين، حتى يُقدّم عند التزاحم خير الخيرين، ويُدفع شر الشرين" (٣).

وعقد ابن القيم فصلا في "إعلام الموقعين" في "تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد"؛ حيث قال: "هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم في الشريعة، وأوجب من الحرج والمشقة، وتكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل" (٤).

فهذا الكلام ينبغي أن يدركه الغلاة خصوصا من يزعمون أنهم سائرون على منهج السلف ولهم مقلدون ، ولكنهم لم يحملوا عنهم هذه الروح، وهذه البصيرة، التي تنظر إلى الشريعة هذه النظرة النَّسَقِيَّة والشاملة، وترى ذلك أساسا لتغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان والإنسان، ووفقا للعلل والحكم، والمصالح والمقاصد؛ التي راعاها الشارع عند تشريعه للحكم الكلي أو الجزئي (٥).

١ - الشاطبي: الموافقات ، ٩/٢، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز .

٢ - المصدر السابق، ١٣/٢.

٣ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج ٦، ص ١١٨، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سليم.

٤ - ابن القيم: المصدر السابق، ج: ٥٣، ص ١٤.

٥ - ينظر: يوسف القرضاوي، المرجعية العليا للقرآن والسنة، ص ٢٣٥. بتصرف. الناشر: مؤسسة الرسالة تاريخ الطبعة ١٩٩٣ م .

إن معرفة مقاصد التشريع ، وإدراك علل الأحكام تعين على الفهم ، وتبني الفكر المستنير الواعي لما يجري في محيطه، فيدرك غايات الشريعة ومقاصد الأحكام ، ويدرك فقه تنزيلها على الواقع والتعامل مع المخالف ، فيتصور النصوص الشرعية تصورا متكاملًا، تجنبه الوقوع في أسر المسائل الجزئية والنصوص المبتورة، ولعل الغفلة عن هذا الباب : أدت إلى بناء فكر مشوش أنتج تصورات مغلوطه، قاده إلى ظاهرية مضطربة، جردت النصوص من مقاصدها وحكمها وعللها، وجمدت على ألفاظها، وأفسدت تناسقها وتكاملها وترابطها .

ويترتب على هذه المرجعية بهذه الصورة ظهور الآتي:

٥ - اتباع الهوى وانتقائية التعامل مع النصوص الشرعية: قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ } (١) . وإن كان يزعم أنه يحارب الهوى ويتمسك بالنصوص ، ويعيش بها ولها ، ولكنه في حقيقة الأمر يمسك بها ظاهرا وينقضها واقعا ، فيخلط الأصل بالفرع ، وينزل الظني محل القطعي ويقيم الفروع مقام الأصول .

فتنتقى النصوص حسب الهوى والمزاج ، والمصلحة والطبع ، فإذا حمل رأي معين سوق له الأدلة ، وتعامل مع ما يعارضه أو يكمله أو يفسره بالنسخ والتأويل .

٦ - ادعاء التمييز على الغير: فيدعي التمييز في العمل ، قال تعالى مبينا لحالهم : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } (٢) فيزعم أنه يصلح ، وإن سفك الدماء، وهتك الأعراس، ونهب الأموال ، فيبحث عن المسوغات الشرعية ، وفق الانتقائية السابقة ، وفهم من يقتدي بهم .

ويدعي التمييز في الفهم والادراك ، كما قال تعالى عن هذا الصنف: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ } (٣) .

كما يدعي التمييز في العرق ، قال تعالى : { قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } (٤) . فمناهج البشر وفهمهم القاصر قد توصل مجموعه من الناس إلى العلو في الأرض ، وادعاء تمييز العرق أو اللون وإن لم يصرح بها صاحبه ، كمن يدعي أن النسب الفلاني هو الأقرب ، والحق يدور معه حيث دار .

٧ - النظرة الأحادية ومحاولة فرضها على الآخرين: فحصر التصور وانغلاق التفكير، و التترس وراء رأي معين ، أو قول محدود ، أو فهم ما ، يترتب عليه :

١ -سورة الحج الآية: ٨ .

٢ -سورة البقرة الآية: ١١ .

٣ - سورة البقرة الآية: ١٣ .

٤ -سورة الشعراء الآية: ١١١ .

أ - إلزام الغير بما لم يلزمهم الشرع به : كالإزام النفس والأخرين بما لم يلزمهم الله - سبحانه وتعالى - ، مثل تحريم الطيبات، أو إلزام النفس بعبادات لم يوجبها الشرع، أو نقل السنن إلى مصاف الواجبات، وليت الأمر يقف عند نفسه ، بل يحاول جاهداً إلزام غيره باستخدام كافة الوسائل، بما فيها التبديع والتفسيق و التكفير . ومما وصّف به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته حملته منهج الوسطية ، والنظرة الشاملة في الأمر والنهي والمأكل والمشرب، قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١).

ب - عدم الاعتراف بالرأي الآخر، أو بحق الغير في التفكير والنظر المختلف : فيجيز لنفسه الاجتهاد ويحتكر هذا الحق لنفسه ، فيذم المخالف ويبدعه ويفسقه ، وغالبا قد يكون مبتدئا في طلب العلم أو مقلدا ناقلا ليس أكثر، فهذا التعصب المقيت، والغلو الجافي، يقول بلسان حال بل مقاله : من حقي أن أتكلم ومن واجبك أن تتبع ، رأيي ديني يجب أن يتبع ، رأيك وفهمك واجتهادك ضلال وانحراف وفسق وكفر، وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره ، فلا يدع شعرة للالتقاء إلا قطعها، ولا يدا ممدودة إلا كسرها .

### المطلب الثاني

#### العوامل المؤثرة في المنشأ الفكري للغلو

تساهم مجموعة من العوامل في المنشأ الفكري للغلو يكتسبها الفرد في حياته، والتي بدورها تتحول إلى تصورات ذهنية تترجم إلى سلوك في الحياة اليومية.

وإذا كان مصدر التلقي من خلاله يصاغ الفكر، ويوجه التصورات، فهناك عوامل تؤثر في عملية البناء الفكري، وقد تشوه معالمها أو تحسنها، وتساهم في بنائها، ومن هذه العوامل، الأسرة، والأصدقاء، والمدرسة، وكل الأماكن التي يتلقى فيها الإنسان المعرفة، ويكتسب فيها قيمة، أو تترسخ فيه عادة، كلها تساهم في بناء تفكيره وتحديد أنماط سلوكه ، وتوجيه تصرفاته في الحياة سلبا وإيجابا، ولعل أبرز هذه العوامل ما يلي:

**أولا: البيئة الاجتماعية:**

البيئة الاجتماعية تأثيرها في بناء الفكر، وصياغة طرائق التفكير، وتوجيه التصرف لما لها من ملازمة دائمة لحياة الإنسان من مولده إلى مماته، فكلما كانت البيئة سليمة، أنتجت شخصا سويا في الفكر والتصور، والعكس البيئات الملوثة فكريا، أو اخلاقيا أو عقائديا، تنتج فردا منحرف الفكر، منحرف السلوك، وتشمل البيئة الاجتماعية الآتي:

أ - البيت والأسرة: تمارس الأسرة تأثيرا كبيرا على حياة الفرد، وتوجهاته، وخياراته، وقراراته، وبالتالي على تكوينه الفكري والعقائدي، قال صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يمجِّسَانِهِ » (١).

فالفرد الذي يتربى في بيت مضطرب تسوده المشاكل، ويعزز فيه الرأي الواحد، بل ويفرض على الآخرين في كل صغيرة وكبيرة، يؤثر سلبا على تصرفات الأبناء، ويبني فيهم روح التسلط.

فإذا كانت العلاقات تبني داخل البيت في إطار سلسلة مترابطة من علاقات التسلط، والرضوخ، بين الأب والأبناء، الأخوة والأخوات، الكبير والصغير، فإنها تؤثر سلبا في عملية البناء الفكري، والنظر إلى القضايا المختلفة.

فتعمل القيم والتوجهات، وأنماط السلوك السلبية التي يتلقاها الفرد منذ نعومة أظفاره على عرقلة بناء الفكر، واستقلالية الرأي من خلال انعدام روح الحوار، والنقاش الموضوعي، وتقبل الآراء المخالفة، واحترامها في العلاقات الاجتماعية، والسياسية والقضايا الفقهية.

فنجد الفرد يضيق صدره بالحوار والنقاش، ولا يحترم الآراء المخالفة، ولا يتقبل النقد، وتصبح العلاقة: هي علاقة رضوخ، وتقبل لأوامر ونواهي من هم أعلى منه، وعلاقة تسلط وسيطرة على من هم أدنى منه. إن أسلوب التربية في البيت يضع الأسس الأولى لشخصية الإنسان وقيمه، وسلوكياته التي تشكل في ما بعد طرائق تفكيره وتعامله مع القضايا المختلفة، وتنعكس في هذه الثقافة كل علاقات التسلط والرضوخ وأنماط الإذعان والاتكالية والعجز التي يتلقاها الإنسان في البيت.

١ - صحيح البخاري كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه. ٩٤/٢. رقم: ١٣٥٨، وصحيح مسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/٢٠٤٦، رقم: ٢٦٥٨.

ب. الجلساء والأصدقاء: قال تعالى: {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (١) .

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم تأثير الجلساء على سلوك الإنسان بقوله: « إِمَّا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » (٢).

**ثانياً: البيئة التعليمية :** من خلال استقراء الواقع والأحداث التي نعيشها ، نجد أن البيئة التعليمية لها أثرها البارز في غرس القيم ، والدور المحوري في بناء الفكر، ولزيد من التوضيح يمكن أن تشمل الآتي:

أ - المدارس العلمية التي يتلقى منها : فالمدرسة متعددة الأعراف والألوان والأفكار ، التي ينشأ فيها الطالب غير المدرسة التي تضم عرفاً أو فكراً معيناً ، فالعيش في التنوع من البداية يورث قبولاً في مراحل الحياة المختلفة. والعكس فالمدارس المحصورة أصحابها سواء عرفاً أو فكراً أو لونا، ينشأ جيل حاقد أو غالي ضد الفئات المختلفة في المجتمع لشعوره بالضميم أو التميز .

ب - الشيوخ والاساتذة : فتؤثر طبيعة صفاتهم وتعاملهم في بناء الفكر سلبيًا وإيجابيًا ، فالشيخ أو الأستاذ الذي أحاط نفسه بهالة التقديس ، فلا يمكن أن يُناقش، أو يُحاور، أو يُرد عليه ، يتحول مع مرور الزمن في ذهنية الطالب إلى مرجعية لا يمكن أن تخطأ ، فينشأ مقلداً لها متعبداً لأقواله، وأفعاله داما للمخالفين له .

ج - طريقة التلقي : فمن يسمع فقط غير من يناقش ويحاور، وكذا في طريقة التلقي الأسلوب والمنهج، كالتعبئة العاطفية بالحديث المركز عن الجهاد وفضائله ، وعن الشهادة ومآلها ، وعن شيوع المنكرات والمظالم في المجتمعات الإسلامية ، وعن مكائد الأعداء وظلمهم للمسلمين ، وإن كان مبنياً على الأدلة لكن بدون الضوابط الشرعية، وقلّة العلم وغياب التوازن، سيؤدي حتماً إلى إيقاد جذوة الحماسة ، ويدفع نحو البذل والتضحية ، ويعزز قيم الانتقام ، بل ينظر إلى المجتمع من حوله وإن كان أباه وأمه مجتمع منحرف فاسق ضال ، وذلك للبرمجة الفكرية التي تلقاها، والتصور الذي صيغ وفقاً له .

١- سورة الكهف الآية: ٢٨.

٢- أخرجه البخاري، باب المسك (٩٦/٧)، رقم: (٥٥٣٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء (٢٠٢٦/٤)، رقم: (٢٦٢٨)

ومن الأمور المهمة في طريقة التلقي ، المنهج الذي يُدرس ، فمن يدرس وفق نظرية أو منهج واحد، بعكس من يتعرف على النظريات المختلفة، والمناهج المتعددة، ومن هنا ندرك المنهج القرآني في بناء الفكر في عرضه للقضايا العقدية والفكرية، وعرضه لتصورات الآخرين، ومنهجهم فيها، ثم الاستدلال على المنهجية السوية، والطريق المستقيم ، فمعرفة الطرق المختلفة، والطرق المتعددة، تبني الفكر الذي يقبل بالتنوع ويتعايش معه .

### المبحث الثالث

#### أسس بناء الفكر وأثرها في معالجة الغلو

الاستناد إلى مرجعية في الأقوال والأفعال من الأمور البديهية في الحياة ، وأي مشكلة تنشأ بين الناس، فالبحث عن حل لها يرجع إلى مرجعية للحل إما عرفية أو شرعية أو قانونية ، وإذا أردنا أن نناقش قضية بناء الفكر الذي هو أساس بناء الآراء ومرجعيتها وضبطها أو تسيبها، فإننا لا بد أن نرجع إلى المرجعية الصافية القرآن والسنة ،وعند التأمل نجد، أن القرآن الكريم وضع الأسس والقواعد لبناء التفكير الإنساني إخراجاً للمكلف من دائرة الهوى والتقليد ، إلى رحابة التأمل والنظر، ولعلنا نجمل هذه الأسس في المطالبين التاليين :

#### المطلب الأول

##### ضبط مصدر التلقي وأثره في معالجة الغلو

أول انحرافٍ عن المنهج الصافي الوسطي واجهته الأمة ، ظهور الخوارج ، تلك الفئة التي كفرت الصحابة اعتماداً على قراءة انتقائية للقرآن الكريم ، فكفرت علماً رضي الله عنه ، وزعمت أنه لا يحكم بما أنزل الله في كتابه، حتى قام إليهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - يُجادلهم بالحسن ويُناظرهم؛ لعلهم يرجعون، فعاد فريقٌ، وضلّ آخرون(١).

فقد استدلووا على غلوهم بآيات من القرآن الكريم ، بقراءة مبتورة وفهم قاصر، وأخذهم ببعض الآيات دون بعض، وبعض النصوص دون بعضها الآخر ، فالعيب ليس في المصدر الذي انطلقوا منه في استدلالهم بل في ضعف إدراكهم لنصوص الشرع ، وهوى دخل النفوس من باب التدين والغيرة على الشريعة.

١- ينظر: الحاكم : المستدرک علی الصحیحین ، دار النشر: دار الکتب العلمیة - بیروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، (١٥٢ - ١٥٠).

فضعف الفهم، وقصور الإدراك، قد توهم البعض، بأن القرآن الكريم قد يكون سببا للاختلاف والتنازع، والله أنزل القرآن الكريم حكما بين الناس فيما يختلفون فيه { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (١) والحكم لا بد أن تكون حجته ظاهره، ودلالته محكمه ، أما إذا تناقضت أقواله، ولا يمكن الجمع بينها، فكيف يمكن أن يكون حكما .

وهكذا بدلا من أن يحكم القرآن بين الناس فيما اختلفوا فيه، يختلف الناس في فهم القرآن، وينشأ عن ذلك فرقة وخصام ومذاهب واتجاهات، على حين نجد القرآن يأمرنا بالاعتصام بحبل الله، وينهانا عن التفرق قال تعالى: { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } (٢) .

وقد بين لنا القرآن الكريم بأنه { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } (٣) وكونه من عند الله يقتضي عدم وجود الاختلاف فيه { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } (٤) فدل ذلك على أن الاختلاف فيه لا يرجع إليه ، وإنما يرجع إلى فهم الناس ، وخصيائهم التي نشأوا فيها، ويُعدهم عن منهج الاستدلال الذي وجه القرآن الكريم العقول والقلوب إليه، ولضبط مصدر التلقي ، والوصول إلى بناء الفكر السليم يتطلب الآتي:

١ - إدراك التناسب والتناسق بين السابق واللاحق ،وما نزل أولا وما نزل آخر ، ومراعاة أسباب النزول ، ودلالات الآيات في مواضعها المختلفة، وبهذا تظهر الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ، فتظهر تسلسل المعاني وتناسقها ، فالذي قال: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (٥) هو الذي قال: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (٦) وقال: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا } (٧) .

٢ - القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، فلا يحمل على الحيرة أو الشك ، فما أجمل في مكان فسر في آخر، بل دلالات الآيات تخرج من الحيرة والارتباك، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يستدل على الخوارج يوم أن نقموا

١- سورة المائدة الآية : ٤٨ .

٢- سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

٣- سورة فصلت الآية : ٤٢ .

٤- سورة النساء الآية: ٨٢ .

٥- سورة الأنفال الآية: ٣٩ .

٦- سورة البقرة الآية: ٢٥٦ .

٧- سورة الأنفال الآية: ٦١ .

على علي رضي الله عنه بأنه حكم الرجال والله يقول: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} كما ستأتي قصتهم ، ومثل هذا المنهج لا يمكن الوصول من خلاله إلى نتائج حاسمة إلا إذا تعاملنا مع القرآن الكريم على محمل الجد ، بعيداً عن الهوى والتقليد ، والمزاجية والانتقاء ، وهو يتطلب بعبداً في النظر، وعمقاً في الفهم ، وإدراكاً لمقاصد الشريعة وحكمها، بعيداً عن التكلف والتعسف ، وتصحيحاً للأخطاء ، وبالتصرفات المتوارثة، وانطلاقاً إلى بناء فكر نير بنور القرآن الكريم، ومنهجه في غرس منهج الوسطية.

٣ - حسن الفهم والإدراك: مدح الله - سبحانه وتعالى - من يحسنون الفهم بقوله: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} (١) فرغم تعدد الأقوال وتنوعها إلا أنهم يأخذون أحسنها فيسيرون عليها ، فحسن الفهم يأتي من عملية استيعاب النصوص الشرعية ، وإدراك مقاصد التشريع. ومن هنا نجد التحذير من سوء الفهم والوقوع في الهوى قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} (٢) وعن عائشة رضي الله عنها: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ، فَقَالَ : إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ. » (٣).

ومن سوء الفهم ما حصل للخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وقاتلوه، فقد فهموا النصوص الشرعية فهماً خاطئاً ، وأخذوا منها ما يوافق أهوائهم ورغباتهم ويحقق أطماعهم ، ولهذا لما ناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما بين لهم الفهم الصحيح للنصوص، فرجع من رجع منهم، وبقي من لم يرجع على ضلاله، وقصة مناظرته لهم في مستدرك الحاكم (٤) ، وفيها قول ابن عباس رضي الله عنهما: " أتيتكم من عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، لأبليغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريباً، فإن الله يقول: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} (٥).

١- سورة الزمر الآية: ١٨.

٢- سورة آل عمران الآية: ٧.

٣- أخرجه البخاري في كتاب التفسير - باب تفسير سورة آل عمران (٤٢٧٣) ج ٤ / ص ١٦٥٥) ومسلم في كتاب العلم - باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن (٢٦٦٥) ج ٤ / ص ٢٠٥٣).

٤- الحاكم: المصدر السابق (١٥٠\٢ - ١٥٢) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

٥- سورة الزخرف الآية: ٥٨.

قال ابن عباس: وأتيت قوماً لم أر قوماً قط أشدَّ اجتهاداً منهم، مسهمة وجوههم من السَّهر، كأنَّ أيديهم وركبهم تتنى عليهم، فمضى من حضر، فقال بعضهم: لنكلمنَّه ولننظرنَّ ما يقول، قلت: أخبروني ماذا نقتمتم على ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً، قلت: ما هنَّ؟ قالوا: أمَّا إحداهنَّ فإنَّه حكم الرِّجالَ في أمر الله، وقال الله تعالى: { إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ } (١)، وما للرِّجال وما للحكم، فقلت: هذه واحدة، قالوا: وأمَّا الأخرى فإنَّه قاتلَ ولمَّ يسبَّ ولمَّ يغتم، فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حلَّ سبيهم وغنيمتهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم، قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قال: إنَّه مَحَا نفسه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين، قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، فقلت لهم: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ما يُردُّ به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم! فقلت: أمَّا قولكم: حكم الرِّجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد رُدَّ حكمه إلى الرِّجال في ثمن ربع درهم، في أرنب ونحوها من الصيد، فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ } (٢) إلى قوله: { يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ } (٣)، فنشدتكم الله: أحكم الرِّجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمايتهم وصلاح ذات بينهم؟! وأن تعلموا أنَّ الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرِّجال، وفي المرأة وزوجها قال الله عزَّ وجلَّ: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا } (٤)، فجعل الله حكم الرِّجال سنة مأمونة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم! قال: وأمَّا قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغتم، أتسبون أممكم عائشة، ثم تستحلون منها ما يُستحل من غيرها؟! فلئن فعلتم لقد كفرتم، وهي أممكم، ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم؛ فإنَّ الله يقول: { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } (٥)، فأنتم تدورون بين ضلالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة.

فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم! وأمَّا قولكم: مَحَا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم، قد سمعتم أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية كاتب سُهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين: اكتب يا علي: هذا ما اصطاح عليه

١- سورة الأنعام الآية: ٥٧.

٢- سورة المائدة الآية: ٩٥.

٣- سورة المائدة الآية: ٩٥.

٤- سورة النساء الآية: ٣٥.

٥- سورة الأحزاب الآية: ٦.

محمد رسول الله ، فقال المشركون: لا والله! لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إني أعلم أني رسول الله، اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله ، فوالله لرسول الله خير من علي، وما أخرجته من النبوة حين محا نفسه، قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان وقُتل سائرهم على ضلالة .

ولبناء هذه الخاصية في فكر المسلم، أقام القرآن الكريم المنهج على أساس الفقه وحسن الفهم ، عن طريق الاستلال العقلي وفتح باب النظر في المآلات ، وهذا يستدعي من أهل العلم والفقه والمعنيين بالتعليم الاهتمام ببناء منهج التفكير بتوجيه الشباب إلى التأمل والتفكير وحسن الفهم ، وبيان ما يلزم تبيانه ، والرجوع إلى أهل العلم والذكر كما قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (١)، ومما يدل على أن الرجوع إلى أهل العلم خير للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم ما رواه مسلم(٢) عن يزيد الفقير(٣) قال: " كنتُ قد شَغَفَنِي (٤) رأيي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يُحدِّث القومَ . جالسٌ إلى ساريةٍ . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإذا هو قد ذكر الجهتَمِيِّين، قال: فقلتُ له: يا صاحبَ رسول الله! ما هذا الذي تُحدِّثون؟ والله يقول: {إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ} (٥)، و { كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا } (٦)، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلتُ: نعم! قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام، يعني الذي يبعثه فيه؟ قلتُ: نعم! قال: فإنه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج. قال: ثم نعتَ وضعَ الصِّراطِ ومرَّ الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك. قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم(٧)، قال: فيدخلون نهاراً من أنهار الجنة فيغتسلون

١- سورة النحل الآية: ٤٣.

٢- في صحيحه مع شرح النووي ج ١ ص ٣٣٦ . بيروت، دار الفكر ١٩٨٠ م.

٣- هو يزيد بن صهيب، أبو عثمان الكوفي، المعروف بالفقيه ، الطبقة: ٤ ، طبقة تالي الوسطى من التابعين، رتبته عند ابن حجر: ثقة ، ورتبته عند الذهبي: ثقة، حجر ،تقريب التهذيب، دار الرشيد - سوريا الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.

٤- شَغَفَنِي : لَصِقَ بِشَيْءٍ قَلْبِي ، وَهُوَ غَلْفُهُ. النووي: المصدر السابق.

٥- سورة آل عمران الآية: ١٩٢.

٦- سورة السجدة الآية: ٢٠.

٧- بالسنيين المهملتين : الأولى مفتوحة ، والثانية مكسورة ، وهو جمع سمس ، وهو عود أسود، شبههم به في سواده . ينظر: النووي: المصدر السابق . كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ٤١٥/١ .

فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس. فرجعنا، قلنا: وَيَحْكُمُ! أَتَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فرجعنا، فلا. والله! ما خرج منا غير رجل واحد".

فالفكر الذي بُني على الاتجاه الظاهري في فهم النصوص يحملها مالا تحتمل، فتتحرف لديه المفاهيم وتختلط عليه النصوص، فيجانب الحق ويقع فيما نهى الله عنه.

### المطلب الثاني

#### التزود المستمر بالمعرفة وأثره في معالجة الغلو

فالإنسان عدو ما يجهل، خلق وهو لا يعلم شيئاً قال تعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (١)، وعليه كي لا يضل، أن يتزود من المعرفة بصفة مستمرة، كما أمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه بطلب العلم والتزود الدائم بالمعرفة { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } (٢). ولا عجب أن أول آية نزلت استهدفت بناء الفكر وإيجاد بيئة التعلم ونشر المعرفة قال الله تعالى: { قَرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (٣).

هذه الآيات هي أول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والملفت للانتباه أنها تأمره أول ما تأمره بالقراءة، فماذا يعني أن تضم الآيات الخمس الأولى ست عبارات تتعلق بالقراءة والكتابة، والعلم والتعليم؟ إن هذه الآيات تشكل افتتاحية وحي السماء، وهذا يعني أن أهم ما جاء الإسلام لتحقيقه، هو نشر العلم وبناء المعرفة، فهو طريق العبادة ووسيلة الاستخلاف، وبه يتجنب الوقوع في الغلو.

فكلمة { اقرأ } بكل ما فيها من إيحاء إلى طرق أبواب العلم والمعرفة، بفعل الأمر الذي يدل على قيام الأمور به دون الاتكال على الآخرين، ثم أتبع هذه الدعوة إلى القراءة، بدعوة إلى أختها، وهي الكتابة بالقلم، قال تعالى، { الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } تنبيهاً وإشارة إلى بناء الأفكار وإخراجها من عبودية غير الله، وإقامة الحق والعدل في الأرض لن يكون بغير العلم، وعماد العلم القراءة والكتابة.

١ - سورة النحل الآية: ٧٨.

٢ - سورة طه الآية: ١١٤.

٣ - سورة العلق الايات: ١-٦.

وإذا كانت المعرفة باب واسع، فمهما أوتي الإنسان سيظل قاصراً، قال تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} (١) وقال تعالى: {وفوق كل ذي علم عليم} (٢) وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام، عبرة فقد أظهرت غياب الأسباب عن موسى عليه السلام، ردود أفعال تنكر الفعل والفاعل، فلما تبين له، أدرك حكمة الله في خلقه. كثير هم من يتوهم أنه حاز العلم وتمكن من المعرفة من كل جوانبها، ولم يدرك بأنه لم يؤت إلا القليل بل أقل من القليل.

فالتعلم المستمر يُنور الفكر وبينيه، ويُنشأ البيئة الإيجابية للتعامل مع المخالف، ولا يقف المتعلم عند حدود ضيقة، أو سطحية مضرة، بل كل يوم وهو يسبر المعرفة، ويغور في ميادين العلوم المختلفة، ليحني ثمارها فكراً معتدلاً ومنهجاً صائباً.

وللسعي نحو بناء الفكر الوسطي لا بد من الآتي:

١ - البدء بتعلم الأهم فالمهم: فالواجبات قبل غيرها، والأصول قبل الفروع، فلا يصح "تعاطي الفضل إلا بعد العدل، فإن العدل فعل ما يجب والفضل الزيادة على ما يجب، وكيف يصح تصور الزيادة على شيء هو غير حاصل في ذاته؟ ولهذا قيل لا يستطيع الوصول من ضياع الأصول.. فمن شغلَّه الفرض عن الفضل فمعذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور" (٣) فسلوك المتعلم هذا المنهج لا شك أنه سيثمر الآتي:

أ - الفقه بمراتب هذه الأعمال، وبالقطعي منها من الظني، وبالأصل منها من الجزئي، وبالكبير منها من الصغير، والمتفق منها والمختلف.

ب- فهم تنزيل الأحكام والتعامل مع المستجدات من الوقائع والأحداث، من خلال فهم قواعد الترجيح وتقديم الأولويات.

ج - العناية بالمقاصد والغايات: فلا يصرف الاهتمام والجدل إلى الأمور الخلافية التي لم تحسم ولن تحسم، ويترك التعاون على المتفق عليه.

إن اهتمام وسائل التعلم المختلفة ببناء الفكر تدريجياً، من خلال الأهم فالمهم يسد الثغرات الفكرية والمنهجية ويعالج الآفات التربوية والسلوكية التي عانى و ما زال يعاني منها المسلمون في الفكر والسلوك، حيث غلب

١- سورة الإسراء الآية: ٨٥.

٢- سورة يوسف الآية: ٧٦.

٣- الراغب الأصفهاني: الدرر في معارف الشريعة ٨٥/١، تحقيق: د: أبو يزيد العجمي، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٧م.

على كثير من الناس الإغراق في الجزئيات على حساب الكلّيات، والولع بتلك الفرعيات على حساب المعضلات.

٢ - عدم الخوض في التحريم والتحليل إلا بدليل ومعرفة بواقع المكلف : قال تعالى : {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (١) ، وتحريم الحلال على الناس مثل تحليل الحرام إن لم يكن أشد، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} (٢) ، فالخوض في كل مسألة، وإطلاق الأحكام الشرعية، وتوصيف الوقائع يحتاج إلى رسوخ واستيعاب لمجريات الأحوال الزمانية والمكانية والشخصية .

فتوسيع دائرة الفتيا لتشمل مَنْ لم يتأهل لها: يوقع المجتمع في الفوضى الفكرية في مواجهة سيل من الفتاوى والأحكام، فليس كل مَنْ فَتَحَ عَلَيْهِ فِي بَابِ الْخُطَابَةِ أَوْ فِي بَابِ الْمَوَاعِظِ، أَوْ فِي بَابِ مِنَ الْأَبْوَابِ ، يكون مؤهلاً للإفتاء ولاسيما في النوازل، وتدافع الصحابة للفتيا وإحالتهم السائلين بعضهم إلى بعض معروف، مع علمهم وتأهلهم للفتوى، فكيف بمن يقول على الله بغير علم؟! والرسول - عليه الصلاة والسلام - حين سأله جبريل: «متى الساعة؟» قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» (٣) .

بل إن القرآن الكريم يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يجيب عن كل شيء {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (٤) .

٣ - ملازمة أهل العلم الراسخين فيه، فليس كل من كور عمامة، أو أطلق لحيته، أو حفظ متناً أو سنداً، يقتدى به، ويكتفى أثره، ويقلد قوله ، إذ أن الحق محور الدليل وفقهه ، لا الشخص أين كانت منزلته ، والله تعالى يقول: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٥) .

١ - سورة الأعراف: الآية ٣٣.

٢ - سورة يونس: الآية ٥٩.

٣ - مسلم في صحيحه: المصدر السابق ١/ ٣٦ .

٤ - سورة الاسراء الآية: ٨٥.

٥ - سورة النحل: الآية ٤٣.

٤ - ربط التصرف تجاه الاشياء بالمعرفة : فالإنسان معرفته تعتمد على الحواس أو الوهم والخيال، والحواس محدودة القدرة ومن هنا جاء ضبط التصرفات { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (١).

وحذر الناس من الخوض في التحريم والتحليل بمجرد وصف الألسن ، فقال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } (٢) ، فقلة البضاعة العلمية، وعدم الفقه فيما يحمله، يؤدي إلى الغلو؛ الذي ينشأ من عدم القدرة على ربط الجزئيات بالكليات، ورد المتشابه إلى المحكم، وضعف القدرة على التحقيق في الخلاف، ومع ذلك يظن نفسه من أهل العلم والاجتهاد، وهو لم يبلغ تلك الدرجة، فإن العلم بظواهر النصوص الشرعية دون عللها ومقاصدها لا يكفي لإصدار الأحكام، واستباحة دماء الناس، وأعراضهم، وأموالهم ، ووصفهم بالبدعة والفسق، والكفر.

ولذا لا بد من المعرفة الشاملة والمستمرة لبناء الفكر السوي ، فالتعليم: " هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء ، وهو يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب " (٣) .  
ومن هنا ندرك أهمية سعة المعرفة ، والتزود الدائم بها ، والحرص على طلبها في كل وقت ، لنجني ثمارها ونلمس آثارها من خلال مايلي:

١ - سعة الأفق: فينظر إلى القضايا من حوله بإدراك ومسئولية ، فيدرك تبعاتها ومالات الأفعال، لأنه عرف قيمته ، وكلما ازداد معرفة ازداد بعدا في النظر، وعمقا في المقاصد والغايات (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ..... ) (٤).  
فسعة المعرفة لا توقف صاحبها عند ظاهر النص وحروف الألفاظ ، بل ينفذ إلى معانيها ومراميتها قال ابن القيم رحمه الله: " رب شخص يفهم من النص حكما أو حكمين ، ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين " (٥) .

١- سورة الاسراء الآية:٣٦.

٢- سورة النحل الآية: ١١٦.

٣- أبو الحسن الندوي : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص١٦٩ والمقولة لمحمد إقبال رحمه الله جميعا .

٤- سورة آل عمران الآية:٧.

٥-ابن القيم : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ،٦٠/١، بيروت دار الكتب العلمية ط١٩٩٤ .

٢ - النضج في التفكير ، والنظرة الكلية ، وهذا بالتأكيد يجعل الإنسان يعذر المخالف، ويعتذر للمخطئ، ويعطف على المقصر، فلا يختزل المسائل الكبيرة في أطر محدودة ؛ ولا يتعامل مع المسائل الطارئة بنظرة عاطفية أو ردود أفعال ، فلا يخلط في تقدير المصالح والمفاسد ، يدرك ترتيب الأولويات ؛ وتقديم الأهم فالهم ، مستوعب فقه تنزيل الأحكام وبنائها .

٣ - الخروج من التربية التقليدية الجامدة التي تنتشر في كثير من المحاضن التربوية والتعليمية ، وتشكل عقول الناس تشكيلاً يقتل معظم ملكات الإبداع والتفكير، فتكتفي بالنظر إلى ظواهر الأمور المجردة، والتعلق بقشورها القريبة دون النفاذ إلى أعماقها ؛ أو النظر إلى أبعادها ومقاصدها، ويؤدي ذلك إلى الاغترار بالشكل والمنظر على حساب الحقائق والمضامين .

لذلك تزداد حاجتنا كل يوم إلى توسيع مداركنا، واكتساب المعرفة من خلال البحث والنظر، والتأمل والقراءة، لنواكب المتغيرات السريعة في عالمنا ، حتى نتمكن من إيصال رسالة الإسلام الخالدة، ملائمة لكل عصر ومصر ، لا تقف عند حد معين، أو فهم قاصر، أو نظرة جزئية تشوه معالم الإسلام ، وتفتح باب للفتن بين المسلمين وتصد غيرهم عن اتباعه .

النتائج والتوصيات:

وختاماً: نحمد الله أولاً وآخراً، على تيسيره وعونه على إتمام هذا البحث، فهو صاحب الفضل والجود

والكرم، كما تُلخص أهم نتائج البحث وتوصياته فيما يلي:

أولاً: النتائج:

- ١- يتعلق البناء الفكري بالعقل، وسلامة العقل لا تتحقق إلا ببنائه بالعلم والمعرفة، القائمة على الاستنباط والنظر والتأمل، ولذا أقام القرآن الكريم، المنهج على أساس الفقه، وحسن الفهم ، عن طريق الاستدلال العقلي ، وفتح باب النظر في المآلات .
- ٢ - التقليد مصدر للغلو، وباب يلج منه الغالي ، حيث جر ويلات كثيرة على الفرد نفسه ، وجعله مجرد أداة لتصورات وأفهام الآخرين ، وأوجب أنواعاً من الفساد على الأمة ، فمزق نسيجها الاجتماعي، بعد أن أدى إلى التكفير والتفسيق والتبديع .

- ٣ - إن الوقوع في أسر المسائل الجزئية والنصوص المبتورة، أدى إلى بناء فكر غير سوي أنتج تصورات مغلوطة، قادة إلى ظاهرية مفرطة، جردت النصوص من مقاصدها وحكمها وعللها، وجمدت على ألفاظها، وأفسدت تناسقها وتكاملها وترابطها.
- ٤ - للبيئة الاجتماعية تأثيرها في بناء الفكر، وصياغة طرائق التفكير، وتوجيه التصرف لما لها من ملازمة دائمة لحياة الإنسان من مولده إلى مماته ، فكلما كانت البيئة سليمة أنتجت شخصا سويا في الفكر والتصور، والعكس ، البيئات الملوثة فكريا أو أخلاقيا أو عقائديا، تنتج فكرا غير سوي.
- ٥ - أسلوب التربية في البيت يضع الأسس الأولى لشخصية الإنسان وقيمه ، وسلوكياته التي تشكل في ما بعد طرائق تفكيره وتعامله مع القضايا المختلفة.
- ٦ - إن إدراكنا لمنهجية القرآن في بناء الفكر، من خلال عرضه للقضايا العقدية والفكرية المختلفة، ثم الاستدلال على المنهجية السوية، والطريق المستقيم ، يبني الفرد المتزن الذي يقبل بالتنوع والتعايش مع من يختلف معهم .

ثانيا: التوصيات:

في ضوء مضامين البحث ونتائجه يوصي الباحث بما يلي:

- ١ - حث الأسرة على القيام بدورها من خلال تربية الأبناء على ثقافة الحوار وقبول الآخر، وتوجيه الأبناء إلى الرفقة الصالحة ، وتحذيرهم من رفقة السوء ، وكذا تحذيرهم من مخاطر وسائل الاعلام المشبوهة .
- ٢ - تنبيه الآباء والمعلمين إلى خطورة النقد غير المسؤول أمام الأبناء والمتعلمين ، ومحاولة فرض الآراء ، وعدم إتاحة الفرص للنقاش والمراجعة والمحاورة.
- ٣ - يوصي البحث الدعاة وخصوصا الشباب بالتحصيل العلمي النافع ، وبالاطلاع المستمر على ما عند الآخرين، وإجادة ثقافة الحوار ، وتكثيف مواقع الدعوة إلى الإسلام وبيان سماحته، وسطيته ، والدفاع عنه على شبكة الإنترنت وغيرها من الوسائل الحديثة.

- ٤ - أن تهتم وسائل التعلم المختلفة ببناء الفكر تدريجياً ، من خلال الأهم فالمهم ،  
والمساهمة في سد الثغرات الفكرية والمنهجية ، ومعالجة الآفات التربوية ،  
والسلوكية التي عانى وما زال يعاني منها المسلمون في الفكر والسلوك .

والحمد لله رب العالمين

#### المصادر والمراجع

- ١- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ، اقتضاء الصراط المستقیم لمخالفة أصحاب الجحیم ، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ، مجموع الفتاوى ، دار الكتب العلمية، ط ٢.
- ٣- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، منهاج السنة النبوية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سليم.
- ٤- ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر ، تقريب التهذيب، دار الرشيد - سوريا الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٥- ابن حجر؛ أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٦- ابن فارس ، معجم المقاييس في اللغة ، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- ٧- ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣ ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- ٨- ابن القيم : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ، بيروت دار الكتب العلمية ط ١٩٩٤ .
- ٩- ابن منظور، لسان العرب. دار النشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
- ١٠- أبو داود؛ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود ، دار النشر: دار الفكر ، بيروت - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١١- أحمد بن حنبل: المسند تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة الطبعة : الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٢- أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بدون طبعة (دار الفكر بدون تاريخ)

- ١٣- الألباني؛ محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٤- البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ١٥- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م).
- ١٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الصحاح، دار إحياء التراث العربي. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ١٧- الحاكم؛ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ١٨- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار المعرفة ط ١٩٩٩م.
- ١٩- الراغب الأصفهاني: الزريعة في مكارم الشريعة، تحقيق: د:أبو يزيد العجمي، دار السلام، القاهرة ٢٠٠٧م.
- ٢٠- الزبيدي؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- ٢١- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٢- الشاطبي: الاعتصام، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- ٢٣- الشاطبي؛ إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الفقه، الناشر: دار ابن عфан الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان .
- ٢٤- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى ١٣٥٦هـ.
- ٢٥- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٦- المناوي: محمود بن محمد فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط: الأولى ١٣٥٦هـ.
- ٢٧- النووي؛ يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المعرفة؛ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## السياسة القومية للموارد المائية واستراتيجيتها وخططها

د. عثمان تاج الدين عثمان الجزولي، كلية

الهندسة جامعة بيشة المملكة العربية السعودية

معار من جامعة الامام المهدي السودان

osmantag1@yahoo.com

يتناول البحث أهم المواضيع التالية :

- ١ - الترويج لثقافة ترشيد استهلاك الماء
- ٢ - وضع سياسات مائية واضحة والتخطيط السليم لاستغلال موارد الماء ومصادرة
- ٣ - فض النزاعات بين الدول حول مصادر المياه بالحوار والطرق السلمية
- ٤ - إنشاء مراكز لجمع المعلومات عن القطاعات المائية وحصص كل دولة للدول المشتركة في مصدر واحد
- ٥ - التقليل من الآثار البيئية لمصادر المياه . عند معالجة مياه الصرف الصحي وأثرها علي المياه الجوفية وعند كوارث السيول والفيضان
- ٦ - زيادة إنتاج موارد الماء بتحليه مياه البحر والمياه المستخلصة من معالجة الفضلات

الملخص

# 9

## Abstract

1. to promote the culture of rationalization of water consumption
2. setting clear water policies and planning for the proper exploitation of water resources and the confiscation
3. resolving disputes between nations over water sources dialogue and peaceful means
4. the establishment of centers for the collection of information on the water sector and the share of each country participating States into a single source
5. to reduce the environmental impacts of water resources . When sewage treatment and its impact on groundwater and disasters when floods and flood
6. increased production of water resources, desalination of sea water and the water extracted from the waste management

**1. مقدمة :**

في بعض المناطق العربية، والشرق أوسطية لم يواكب شح المياه، أو نضوب معينها، تقليل لاستخدام الماء أو ترشيد استغلاله، حتى عندما يتدفق الماء من مصادر غير متجددة ساعدتها محطات التحلية لاستعباده، رغم ازدياد تكلفه تنمية الماء، وتزكيته، وإصلاحه عند الحاجة والضرورة، كما هو الحال في معظم دول الخليج العربي، عند استخدام الماء للبلديات والصناعة والزراعة. وفي هذا سوء استغلال لهذا المورد الحيوي الهام، الشيء الذي ينتج عنه آثار ضارة وفادحة، لاسيما وللماء أثر جلي في الحياة، وإنتاج الغذاء وصناعته. ومن المعلوم أن معظم مصادر الماء العذب و المتجدد (الماء التقليدي) ، مثل الأنهار ، والبحيرات ، والماء الجوفي ، وقد تم اكتشافه (وربما الاستغلال التام له بنهاية القرن الحالي) في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، لاسيما وتقل الأمطار في هذه المناطق الجافة ويزداد البخر بمعدلات تصل إلى أكثر من عشرة أضعاف التهاطل .

ومن أهم العوامل المؤثرة وربما المصعدة، لمشاكل شح الماء بالمنطقة التالي:

- الجفاف، والتصحر والتدهور البيئي ،
- شح الموارد المائية العذبة بالمنطقة المعني
- سوء اختيار مواقع المدن، أو تعذر وضعها بالقرب من مصادر الماء الطبيعية
- توزيع الماء في البسيط
- محدودية التوسع، وإيجاد مصادر مائية باستخدام التقانة المحلية المتاحة،
- الإفراط في استغلال المصادر والموارد المائية غير المتجددة،

- النمو السكاني (عوامل معدلات النمو، والتكاثر والهجرة، واللجوء و النزوح، و التشرّد) ،
  - الزيادة المطردة في مستوى معيشة الفرد، واستهلاك الماء،
  - النمو التجاري والتنمية وفق استراتيجية وخطط متغيرة،
  - التطور الصناعي والذي نتج عنه مستوى متغير من الاحتياج اعتمادا علي النشاط الصناعي ، والكثافة الصناعية والمزدهرة بالمنطقة ،
  - زيادة الرقعة الزراعية بغرض الاكتفاء الذاتي للغذاء أو من أجل المنافسة . ومن المعلوم أن القطاع الزراعي يتطلب احتياج مائي كبير قد يصل في بعض المناطق إلي عشرة أضعاف كل الاحتياجات والاستخدامات الأخرى ،
  - تدهور نوع الماء الجوي بالتلوث الملحي وغيره وقللة التغذية الجوفية ،
  - تدهور النظم في بيئات صعبة ،
  - زيادة تراكم معدلات الملوحة في التربة والماء الناتجة عن الزراعة المروية ، وبسبب غياب الصرف الجيد مما يهدد إنتاج المحاصيل ،
  - واستخدام الماء العذب للتشجير ، والتحضير ، والزينة ، وري الحدائق العامة ، و المناظر الخلابة ، ونوافير الماء ، والترفيه له أثر مقدر علي الاحتياج المائي .
- عند التفكير في تخطيط نظم الإدارة المائية لا بد من النظر إلي مكافحة التلوث ، و التحكم في الفيضانات ، واستصلاح الأرض بغية إيجاد الحلول العلمية و المقبولة ، و المفاضلة بين المطلوبات المتنافسة للاستخدام الأمثل لموارد المائية .
- إن التخطيط المتزن للموارد المائية مطلب أساسي للنظر المستقبل في نظام ديناميكي لا يتأتى بوجود الإمكانيات المالية ، و الكفاءات الوطنية المؤهلة فقط ، إنما تؤثر عليه عوامل

اقتصادية ، وسياسية و اجتماعية ، وفنية متعلقة بالمنطقة و ظروفها . قد تضم منظومة التخطيط الإستراتيجي الإنمائي مراحل الأعداد ، و التقويم ، و الاعتماد.

## 2. إدارة القطاع المائي :

يمكن تعريف قطاع إدارة الماء بتخصيص مصادر الماء لأفرع جهات مستخدمة لها بأذن أو رخصة ، طبقاً لنظم تتبع من السياسة المائية ، و الإستراتيجية القومية ، و الخطط التنموية المنبثقة عنها و التابعة لجهات الاختصاص الفاعلة. وتخاطب نظم الإدارة المؤسسات الحقيقية ، و القانون ، و اللوائح و الجهات وغيرها من المحاذير القانونية ، و أجهزة التحكم المؤسس التي يحتاج إليها لإحداث التغيير ، وتحقق المرامي و الأهداف

ومن المهم أن تستند تنمية الماء وإدارته علي الطرق المشاركة التي تضم قطاعات المهندسين و قواعدهم، و الجمهور المستهلك ، ومخططي المدن ، و إحصائي التمويل و المصادر المالية ، بالإضافة إلي البيئيين وصناع القرار السياسي (وأن تكون السياسات المائية الموضوعية ، و الإستراتيجية التي بنيت عليها الخطط المفصلة سهلة الفهم و التطبيق ، و مناسبة للتنفيذ بواسطة الإدارة الهندسية المعنية ، و القطاع المائي و الجمهور المستفيد .

ومن ناقلة القول إنه من الأمن ، و الأنسب ، أن نقوم كل منطقة ، أو إقليم علي حدة بوضع نظم إدارية ، و تخطيطية للموارد المائية المتعلقة بها ، وذلك نسبة لاختلافات الطقس ، و المناخ ، و هيدروليكية المنطقة الجابية المحيطة و هيدرولوجيتها ، و العادات ، و التقاليد ، و الأعراف ، و العقائد ، و السلوك ، و النمو السكاني ، و إستراتيجية خطط التنمية ، و التقانة المتاحة ، و العمالة الماهرة المدربة ، و أولويات البحث العلمي و أهدافه. و يحتاج للإدارة الجيدة لموارد الماء ، و مصادرة ، للمشاريع الراهنة و المستقبلية : للزراعة ، و الصناعة ، و تخطيط

المدن ، وتوليد إنتاج الطاقة ، وغيرها من الاحتياجات الضرورية ، ومخططات التنمية المستدامة التي توافق الاحتياجات الحالية دون التفريط في مقدره الأجيال القادمة لمواكبة الاحتياجات الخاصة بها و الاقتصاد الشامل المتوازن ، والتنمية الاجتماعية المتمشية مع الأهداف الإستراتيجية ، والمبنية علي الاستخدام العقلاني الفيصل و الإدارة الجيدة للموارد و المصادر . وفي هذا الإطار تعتبر الأجندة 21 للأمم المتحدة أ أهم البرامج العلمية لتحقيق التنمية المستدامة للمياه والمحافظة علي البيئة وحمايتها تشمل التالي:

- تكامل أوجه تنمية وإدارة الموارد و المصادر المائية ،
- تقويم الموارد و المصادر المائية ،
- اثر التغيرات المناخية ،
- حماية الموارد و المصادر المائية ، وصيانة نوع الماء و البيئة المائية ،
- تنمية إمدادات مياه الشرب ، وترفيه الإصحاح علي المستويين الحضري و الريفي لمواكبة التنمية المستدامة للمياه ، إنتاج الغذاء ،
- طرق التنفيذ و التنسيق، أساليبها .

ومن الأفضل بالنسبة للإدارة الفاعلة الفصل الصارم بين الوحدات التي تتعامل مع الماء بوصفه مصدراً و مورداً ، وبين تلك الوحدات المستخدمة للماء و القائمة علي تنميته.

### 3. الخطة القومية لمصادر الماء و موارده:

تهدف عملية التخطيط المائي للوصول إلي الاستخدام الأمثل للماء لتلبية الاحتياج ولمواكبة التحديات. وينشد التخطيط المائي إيجاد موازنة بين الاحتياجات المائية و المتاح من المصادر و الموارد . ويعتمد تخطيط مصادر و موارد الماء و سبل تنميته علي الاعتراف

بالتداخل الوثيق و الربط بين دورة الماء الهيدرولوجية وغيرها من النظم مثل استخدام الأرض و المحافظة علي التربة وإدارة المنطقة الجابية و استخدام وإمداد الماء الجوي ، والتصريف ، والتحكم في الأحياء و البيئة المائية ، و المجتمع ، و توزيع السكان ، و الموارد الاقتصادية ، و الرفاهية ، و الاجتماعية ، و الصحة العمومية وغيرها من العوامل المؤثرة كما يحتاج في التخطيط المائي إلي معرفة النواحي السياسية و المالية و المنهجية ، و الثقافية ، و مستلزمات التقويم ، و التنسيق بين منظومات و إدارة الماء و التخطيط يحتاج إلي التخطيط الاستراتيجي للتحكم في النظام المركزي ، أو لوضع إطار للإبداع و الحداثة ، أو لمساعدة التغير المؤسس ، أو لتحديد الموارد و المفاضلة مع القوى السياسية ، أو للبحث العلمي المستقبل . التخطيط الاستراتيجي عملية مستمرة و نشاط مشترك لكل الأجهزة الإدارية و التنفيذية بغرض التقويم و المراجعة و وضع و تطوير الخطط الإستراتيجية بعيدة المدى لتحقيق الأهداف .

تهدف الخطة القومية للماء إلي تحقيق المقاصد التالية

- التنمية الكفوة و الاقتصادية التي تفي بمتطلبات الجمهور وزيادة رفاهيته ،
- الحصول علي أكبر قدر من المنافع و الربح ،
- التركيز على تحسين البيئة و تلاقى التلوث ،
- حماية السياسة الغذائية ،
- إنشاء و تنشيط وحدة منظمة لتخطيط الموارد المائية ، و تنميتها ، و تفعيل الاختيار القومي للمشاريع ، و البرامج ، و السياسة التي تعين علي الإتيان بالتنمية القومية ذات الجدوى الاجتماعية ، و الاقتصادية ،

- تحديد المطلوبات ، ووضع البدائل ، وتقويم الأثر والوقوع ، واختيار الطرق الملائمة للعمل ،  
وتفعيل المشاركة والتعاون ، والتنسيق فيما يتعلق بالموارد المائية ،
- تصميم استراتيجيه مائية ، وإدارة لموارد ومصادر الماء ،
  - التنسيق بين برامج الماء والمنظمات ذات الصلة ،
  - تقويم المياه القومية ،
  - استقراء سيناريو إمداد واحتياج الماء في المستقبل ،
  - إجراء الأبحاث المائية الموجهة للإصلاح والتزكية ، والعمل علي تطبيق النتائج المشجعة ،
  - توجيه ودعم برامج تخطيط المياه المحلية والإقليمية السماح بإنشاء مشاريع الماء الفاعلة ،
  - اكتشاف موارد مائية جديدة والحفاظ على القديم منها ،
  - تصميم وتنفيذ نظم فاعلة لتوزيع الماء للجمهور المستهلك ،
  - تقوية الإطار القانوني و المؤسس ليضي بالإدارة الفاعلة لمصادر الماء متمشياً مع أولويات واستراتيجيه التنمية الوطنية طويلة الأجل ،
  - وضع استراتيجيه لحفظ الماء ، و ترشيد استعماله للإيفاء باحتياجات الماء الصالح للشرب ، ورفع كفاءة الزراعة دون زيادة الاستهلاك ، وتحديد التنمية الزراعية المستقبلية ،
  - الاستخدام المستدام ، والمحافظة علي المصادر والموارد المتجددة في المنظومة الوطنية ،
  - التحكم في تنمية الموارد و المصادر غير المتجددة (غير التقليدية ) مثل المياه الجوفية عبر الحفريات ، و الماء الجوي في الملح ، ومياه البحار ، ومياه الصرف المالحه ، و السائل النهائي من محطات معالجة الفضلات السائلة ،

- زيادة الموارد و المصادر، أو ربما تغيير نظم الاستهلاك لتحقيق الكفاية المائية حسب الأولويات ،
- تحديد المنظمات الرئيسية المسئولة عن التخطيط الاستراتيجي والتمويل بالمنطقة ،
- العمل علي تنفيذ الخطة القومية من منظور المحاور السياسية ، و التقانية ، و المالية ، والقانونية ،
- كسب الموافقة السياسية للخطط ،
- وضع وتطوير استراتيجيه متكاملة بعيدة المدى لكل خدمات المياه،
- العمل على ربط المواصفات الخدمية و الموارد المالية بصورة أكثر دقة في خطة الأستراتيجيه المائية ،
- وضع أهداف التشغيل ،
- التركيز علي تخطيط العوائد و المنصرفات ،
- التركيز على التحليل و الدقة فيه ،
- إنتاج خطط تشغيلية متوسطة المدى على مستوى الولايات ،
- إعطاء نوع خدمة مقبول تأخذ في حسابها : التكاليف ، والأثر البيئي ، وتقوم بمعالجة القصور عبر فترة زمنية معقولة ،
- تحقيق الأهداف الزمنية بأقل تكلفة وكفاءة متزنة النمو الاستقلال الأمثل للموارد البشرية و المادية ،
- مواكبة الأهداف المالية و المحدثات المالية المجازة في تناغم مع إدارة المياه لتحقيق غايات متطلبات الأداء للقوى البشرية وتكاليف التشغيل بناء على ميزانية مفصلة لكل نشاط وهدف ،
- البحث العلمي الموجه ،

- تدريب الكفاءات البشرية ، وتطويرها ، تنميتها ، وبناء القدرات ،
  - استشارة المستهلك و استطلاعات الرأي . ،
  - مشاركة القطاع الخاص ،
  - إنتاج نوع جيد من الماء لمقابلة الاحتياجات المتنامية للسكان ، والصناعة ، و الزراعة ، مع ترشيد الاستخدام ،
  - نشر الخدمات الصحية ، والتخلص الأمثل من الفضلات ، في مواكبة مع زيادة الاستهلاك ، والنمو السكاني ، و الزيادة في حجم المدن بسبب الهجرة من الريف ، والتنمية الزراعية و الصناعية ،
  - تحقيق الصرف و السيل بصورة جيدة ، و درء آثار الفيضانات للعمران و الزراعة ،
  - تحقيق نظافة عامة للموارد المائية ،
  - الاستخدام الأمثل للماء في كل الأغراض بما فيها الترفيه و الرياضة و السباحة ،
  - النظر إلي أهمية وضع إستراتيجية الأمن المائي ،
  - الحد من توقعات الفقر المائي ،
4. محاور الخطة القومية للماء

من أهم المحاور الأساسية التي تحدد الخطة الرئيسية و توصيفها لقطاع إدارة الماء التالي

- تحديد الأهداف و المرامي ،
- وضع الافتراضات و الأفكار المطورة لتحقيق الحلول المثلي ،
- تحديد المشاكل و احتمالات تناغم فرص الماء ، و موارد الأرض ذات الأرض ذات الصلة مع أهداف و أولويات المحلية ، و المقاطعة ، أو الولاية ،
- تحديد مدى يناسب أفق التخطيط ( عادة تؤخذ فترة عشر سنوات ) ،

- تحديد مدة التخطيط لتقدير حجم مشاريع المياه ، وإيجاد احتياجات امتداد النظام ( عاده تؤخذ فترة خمسين عاماً ) ،
- تعيين مشاريع وفقاً للخطة القومية الشاملة ،
- تبيان هياكل المؤسسات و الجمعيات ذات الصلة بالماء ، ووضع توصيف لوحداتها
- وضع إستراتيجية إدارة الماء ، وتحديد الحلول ، و التقويم الفعلي ،
- وضع التشريع الأمثل للتحكم في استخدام الماء والمحافظة عليه ،
- تقييد و استقرار و تحليل البيانات و المعلومات ذات الصلة بالموارد و المصدر المائي ،
- تشكيل الخطط البديلة ، و تقويمها ، و مقارنتها ،
- وضع خطة عمل مناسبة ، و العمل على تنفيذها ،
- وضع تصور التشغيل و الإدارة و الصيانة و الترميم .

لابد من مراجعة الإستراتيجية العامة لعكس التغير في المواضيع المؤثرة مع الجهات المسؤولة عن صناعة الماء و إنتاجه لكي يضم إلي البرنامج الرئيس المعلومات الحديثة المتعلقة بنمو المنطقة الخدمية ، و الاحتياجات المائية ، وأنماط التضخم وغيرها من المعايير ذات الصلة . و تتواصل استمرارية تحليل الخطة وتقويمها لإيجاد أفضل و أحسن السبل ذات جدوى الاقتصادية داخل نظام الماء الحالي ، لتنعكس هذه داخل الخطة المائية المالية . ويجب العمل على أن تعنى الخطة المالية بإيجاد أنسب تكامل لمصادر التمويل . أما استنباط أطر التشغيل ، والصيانة ، والإصلاح ، وإعادة التأهيل ، و تكاليف التغيير و الاستبدال فيحوي استنباط الرواتب و المعاشات ، و الإمدادات ، والأجهزة ، و الطاقة ، وقطع الغيار وغيرها من مكونات التكلفة ذات الصلة بقطاع الماء الخدمي . ومن المهم مشاركة الجمهور في عملية التخطيط و العمل بمشورتهم خاصة فيما يتعلق بالمناخ ، وطبيعة المجاري المائية الموسمية ، و أثر نوعية الماء على المستهلكين . كما أن التفكير مع الجمهور يساعد أيضا علي فهم القيم ، و المعتقدات

، و المفاهيم و الموروثات المفيدة لجمع المعلومات المهمة و لاتخاذ القرار المناسب ومن ثم يمكن استنباط التشريع و الأحكام المائية المناسبة لتحقيق المرامي التالية:

- تطوير إدارة الماء بالتعرف عن كذب علي مسئوليات القطاعات و المؤسسات المختلفة ذات الصلة بمشاريع الماء ،
- تنشيط عجلة التخطيط الشامل و المتكامل ،
- ترشيد الاستخدام ، و حماية المصدر و المورد المائي ،
- فض نزاع المصالح الناجم عن المشاركة في نفس مصدر القطاع المائي ،
- إعطاء المؤشرات المهمة لتوجيه السلوك المستقبل بالنسبة للحالات الجديدة ،
- تكامل خطط استصلاح الأرض ، و استخدام الماء ،
- تقويم الخطط الحالية ، و استقراء الخطط المستقبلية لإدارة الماء و استخدامه ،
- استخدام طرق الأنمذجة أطراً للتقويم و الإدارة .

تضم العوامل المؤثرة علي مطلوبات الخدمات و متغيرات الاستثمار التالي:

- المطلوبات الخدمية للمستهلك الجديدة ،
- المطلوبات الخدمية المستقبلية للمستهلك الحالي ،
- قصور الخدمات المبينة من قبل الجمهور المستهلك ،
- التشريع ،
- زيادة مطلوبات الأمن و الحماية ،
- مطلوبات الكفاءة العالية و توفير التكلفة ،
- الاستثمار لمنع تدهور الممتلكات و العقارات ،
- احتياجات المستهلك .

من الأهمية بمكان التكهّن باستقراء الاستهلاك المستقبل والتي تعطي مؤشراً لعجز الإمداد أو طاقة المورد المائي .

### 5. دور الجهات ذات الصلة بالخطّة القومية لموارد ومصادر الماء :

ومن أهم الجهات ذات العلاقة بالخطّة القومية المائية : القطاع الحكومي ، والجهات الطوعية و الصناعية ، و أصحاب الحرف ، وبيوت الخبرة المحلية و العالمية كما مبين في النقاط التالية

#### (أ) دور القطاع الحكومي :

يتركز العمل الحكومي في وضع السياسة المائية ، وتحديد مواضيع لتخطيط موارد الماء ومصادره ، ووضع تصور برامج المشاريع التي تحتاج إلى تمويل كبير ، و تنظيم إدارتها و إنشاء البنى التحتية ، و تجميع معلومات التقانة و التنسيق ، ووضع المعايير الخاصة بأداء المناطق الحرجة ، و تمويل البحث العلمي حسب الإستراتيجية الموضوعة له ، ووضع الإستراتيجية العامة ، ووضع الأحكام التشريعية المناسب .

وينبغي أن تعالج المحليات و الولايات البرامج المائية الخاصة بها ، وأن تضع الخطط اللازمة لإمداد الماء وفض النزاع ، و الاتفاقيات الثنائية مع المناطق المجاورة ، ومعالجة الفضلات ، والتحم في الفيضان ،ومياه الأمطار ، ونوعية ماء الخلجان و السواحل ، والتحكم و المراقبة ، وتقسيم السلطات ، والتنمية ، والتمويل ، ونظام المعلومات ، و الإدارة و التشغيل ، والتنسيق والتكامل بين الوحدات العاملة في قطاع الماء .

**(ب) دور المجتمع والجماعات الطوعية :**

تتحمل جمعيات الحرفيين ، و المهنيين ، و التقانيين ، و الفنيين ، و الجمعيات ذات الصلة بالمياه قدراً من المسؤولية المتعلقة بمصادر الماء وموارده ، وطرق التخطيط . وينبغي عليها المساهمة في تمويل البحث العلمي ، ونشر نتائجه للاستفادة منها في التخطيط ، واستقطاب مشاركة الجمهور لدعم برامج التخطيط الشامل وقبولها ، وتنفيذها ، ونجاحها بالإضافة لتجويد الأداة ، والمراقبة ، وصيانة الوحدات. ثم يمكنها أن تؤثر في إطار التنسيق بين الوحدات المختلفة ووضع إستراتيجية لجمعها في شكل تكتلات مائية ، فمثلاً يمكن انبثاق هيئة طوعية مائية تعمل على : إيجاد سبل تنسيق تعاون بين الجهات الرسمية والشعبية والأهلية والخاصة داخل القطر وعالمياً ، وتبني المشاريع القومية من أجل التنمية المستدامة و المتوازنة و إيجاد الدعم اللازم لها .

**(ج) دور الصناعة والتجارة :**

يمكن أن تساهم الصناعة و التجارة في تحقيق التنمية بتمويل المشاريع البحثية المهمة ، و المشاركة بالتقانة المتاحة لديها ، الإدارة و التشغيل و جلب المواد الخام الجديدة والخبرة ، و إعطاء المعلومات ، والتعاون علي عقد الندوات و حلقات التدريب .

**(د) بيوت الخبرة :** يمكن أن تساعد بيوت الخبرة في البحث العلمي ، و المشاريع البحثية ، ووضع خطط مصادر الماء ، غير أنه من الأفضل أخذ الحيطة والحذر من بيوت الخبرة التي تأتي من مناطق غنية من المياه عند وضع خطط المياه لمناطق الشرق الأوسط الجافة ، أو تلك المناطق التي تشكو شح الماء وقلة موارده .

## 8. مراحل الخطة القومية :

يمكن تقسيم مراحل الخطة القومية إلى مرحلة أولية تسبق التخطيط ، ثم مرحلة التخطيط ، لتليها مرحلة ثانوية أو مرحلة ما بعد التخطيط .

(أ) المرحلة الأولية ( مرحلة ما قبل التخطيط ) : يجب في هذه المرحلة عمل التالي:

- إنشاء مركز معلومات محلي لجمع المعلومات من كل القطاعات العاملة في القطاع المائي عبر مجموعة عمل مختارة ،
- استحداث عدد مناسب من محطات الرصد ، والمراقبة ، والقياس ، والتحكم، والمعايرة ، والصيانة ، وتركيبها لتحقيق أهداف الخطة القومية ،
- تقدير كمية الماء الحالية من الموارد المتاحة ، واستقراء الكمية المطلوبة مستقبلاً في شتي المناحي ،
- معرفة أثر نوعية الماء علي المشاريع المقترحة وبرامجها ،
- وضع أنماذج استقرائية واستنباطية ملائمة للمشاريع المقترحة و المجازة ،
- حصر مناطق تلوث مصادر و الوارد المائية ، و أوجه التلوث فيها ، وسبل التحكم فيه و التخلص منه ،
- تحديد الأولويات و الأهداف التي تحقق تفعيل الخطة القومية وفقاً للإمكانات السياسية ، والاجتماعية ، و الاقتصادية ( المرجو المتاح ) ،
- تحقيق قد جيد من التنسيق و التعاون بين الوحدات العامة في مجال الماء و الإصلاح ،
- بناء الهياكل الإدارية للوحدات المختلفة والمطلوبة ،

- إنشاء وحدة للتنفيذ ، والتطبيق ، والمتابعة تحت رعاية سلطة عليا مسئولة عن التنمية الإقليمية ، والتخطيط و الإدارة .

## (2) مرحلة التخطيط : تهتم هذه المرحلة بالتالي :

- تحقيق الإدارة المائية المستدامة ، وإدارة الاحتياج ،
- التركيز على ترشيد الزراعة المروية ، و التحكم في نظم الزراعة ، و إعادة استخدام ماء الصرف و الفضلات السائلة ، ورفع كفاءة الري ، و التغذية الاصطناعية ، وتطوير نوعية الماء ،
- العمل علي مشاركة الوزارات والجهات ذات الصلة بالقطاع المائي في التخطيط ، ووضع الإستراتيجية ، و الموصفات القياسية وضبط الجودة لنوع الماء ، و إدارة المعلومات ، والحماية الصحية ، و المراقبة والإشراف ، و التحكم في مخاطر الأمراض و أساليب المعالجة والمكافحة وأنماط الاستعذاب و المعالجة ، و إعادة الاستخدام و الدوران ، و التثقيف الصحي ، وتطبيق و تنفيذ القوانين و التشريع و الأحكام الضابطة للتلوث وطرق مكافحته ،
- مشاركة قطاعي النساء و الشباب في برامج وضع الأولويات ، و أساليب ترشيد وحفظ الماء ، والإصحاح الجيد ،
- العمل علي أن تتفاعل الإستراتيجية المائية مع الظروف المتغيرة للإمداد و الاحتياج المائي ،
- وضع أسلوب منظم لإدارة الماء (خاصة عند تقويم المياه الجوفية ) التخلص من التلوث ،

- البدء في برنامج تخطيط جيد للماء والإصحاح ، ووضع تصور لتكامل برامج إمداد الماء والتحكم في الملوثات ،
- وضع خطط حقيقية متكاملة لأحواض الأنهار ( للمناطق النهرية و النيلية ) ، مع إعطاء أولوية للحقوق المكتسبة ، و التنسيق ، ومقاصد المشاركين في منطقة الحوض النهري ،
- احتواء الخطة القومية للقطاع المائي على كل مواضيع مصادر الماء مثل : المعالجة ، التخلص النهائي ، وإعادة الاستخدام ، والأثر الاجتماعي ، والتقويم البيئي ، والتشريع و المعايير ، والاقتصاد و الإستراتيجية السياسية ، والصلة بين المصادر و الموارد الأخرى .

### 3) المرحلة الثانوية ( مرحلة ما بعد التخطيط ) : من أهم مرتكزات هذه المرحلة :

#### (أ) المراقبة والمتابعة والتركية والإصلاح :

- لا بد أن تدفع القطاعات المستفيدة من الماء تكلفة خدمات إنتاجه وتوزيعه من غير الاعتماد علي أي هبات ومنح غير مبررة . ويمكن أن تشجع قاعدة " يدفع الملوث" وتطبيق تعريفه الماء الحقيقية في الترشيد ، والحفظ ، وإعادة الاستخدام ،
- يجب أن عرض الخطة الاقتصادية المعدلة علي الجمهور للمشاركة ، و النقد ، و الإجازة ،
- العمل علي تحديث شبكات القطاع المائي ومدتها لتغذية مناطق أخرى طبقاً لخطة تنمية الموارد المائية بالتنسيق مع الخطة القومية الشاملة ،
- البدء في تنفيذ برامج المراقبة والتحكم في نوع الماء ،

- التركيز ( في عمليات المتابعة ) على الصيانة ، والترميم ، والاستبدال ، وإعادة التأهيل ، وتنفيذ القوانين والتشريعات و الأحكام المائية ،
- إنشاء مخابر محلية تحت مظلة المخبر القومي المركزي للماء ،
- التخطيط المتأني لتأهيل وتدريب الوحدات و الأفراد و الاحتياجات اللازمة لتحقيق فاعلية برامج المتابعة وأخذ القرار .

#### (ب) التدريب :

التركيز على تنمية القوة العاملة و تأهيلها ، وترفيح البنية الأساسية من خلال وحدات التدريب ، ومراكز البحث العلمي ، وإدارة المشاريع ، وبناء أطر قومية لأخصائي القطاع المائي لإجراء البحوث ، و إدارة النشاط و مراقبته بصورة مستمرة لمدى طويل ، وربما استدعى الحال فتح مركز قومي للتدريب .

#### (ج) البحث العلمي :

- يحتاج البحث العلمي إلى قاعدة بحث ، ومعلومات وبيانات لدعم خطة القطاع المائي وعملياتها ،
- وضع خطة قومية للبحث العلمي ، ربما بتحديد رؤوس المواضيع البحثية وتقسيمها على المؤسسات التعليم العالي والمركز البحثية، والوحدات ذات الصلة و المنظمات ، لتحقيق الموازنة المثلى بين البحث الإداري ، والصحي والبيئي و الاقتصادي، والاجتماعي، والفني، والتقاني، والقانوني، والسياسي ،
- العمل على تفعيل مراكز البحوث ، ووضع اتفاقيات توأمة و مواءمة مع المؤسسات التعليمية ذات الصلة ،

- استقطاب رؤوس الأموال من القطاع الرسمي و الشعبي و الخاص للإنفاق على احتياجات البحث العلمي ( من معامل ، ومكتبة ، ومعدات ، ومواد مستهلكة ، وندوات ، ونشر ، وترجمة ، ..... الخ .
- (د) القوانين و المواصفات و المقاييس

تفعيل هيئة المواصفات و المقاييس و تأهيلها ، و التوجيه بأن تضم هياكلها وحدات رئيسة (قومية أو إقليمية ) ، و وحدات ثانوية تتعلق بنواحي الإدارة العادية ، و وحدات خدمية تدار بمشاركة الجمهور المستهلك ،

- تنمية القانون المائي الملائم و تطويره لكل من : الأولويات المقترحة ، و المستجدات المنظورة و المستترة ، و إدارة البرامج المائية ، و فض النزاعات و الطرف الثالث ، و المحداث العارضة .

#### (هـ) الخصخصة:

- التفكير في إمكانية تحويل نظم القطاع المائي من القطاع الحكومي إلى وحدات و شركات للقطاع الخاص و أصحاب العمل (خصخصة القطاع المائي) ،
- الشروع في إعطاء فرصة لقطاع الحرفيين و القطاع الخاص لرصد التلوث الصناعي ، و الزراعي ، و التجاري و مراقبته للكشف و مكافحته (خصخصة مكافحة التلوث).

#### (و) المشاركة الشعبية :

- استنباط طرق ملائمة لتفعيل التوعية الشعبية ، ورفع الحس البيئي ، والمشاركة الجماهيرية ، والتعليم الشعبي ، والتدريب ، وجمع المعلومات ونظمها ، والصيانة والتشغيل للتنمية والإدارة المتكاملة للموارد المائية ،
  - التركيز على توعية صناع القرار ورفع حسهم البيئي والمائي ، وإيجاد سبل ملائمة للحصول على موافقة المجازة وابتداع سبل تنفيذها ،
  - إعطاء فرص أفضل للجمعيات الطوعية (الجمعيات غير الحكومية ، والسياسية ، والعلمية ، والحرفية ، واتحاد العمل والصناعة ) للمشاركة الفاعلة والمتكاملة .
  - عند البحث عن سبل تمويل المشروع ينبغي الأخذ في الحسبان الأولويات المجازة حسب خطط التنمية الإستراتيجية في المنطقة ،
  - أهداف المشروع ،
  - أثر المشروع على اقتصاديات المنطقة ،
  - الأثر البيئي المترتب على المشروع ،
  - إدارة الحوض المائي ،
  - رصد البيانات والمعلومات المتعلقة بالمشروع في مناحي الجيولوجيا والهيدرولوجيا ونوع الماء و البيئة والحياة السائدة ،
  - الاستغلال الأمثل للموارد في الإطار القومي ،
  - رأي الجمهور .
- تمر عملية تقويم appraisal المشروع بمراحل معينة قبل أخذ القرار للاستمرار فيه وتنفيذه ، وتضم هذه المراحل التالية
- دراسات تحديد النظم المحتملة ،
  - جدوى لمقارنة أي نظم بديلة ،

- دراسات جدوى للتأكد من جدوى اختيار مشاريع معينة .  
وينبغي أن تتم هذه الدراسات استناداً على إعادة تقييم الأهداف ، و التحليل الهيدرولوجي ، وتمثل النظام و أنمدجته ، وتقييم الأثر البيئي ، و الدراسات الهندسية وتقديرات التكلفة ، والتحليل الاقتصادي و التمويلي ، وتحديد خيارات الأولويات ، تقرير الأثر البيئي report Environmental assessment .  
وينبغي التركيز على تقييم الأثر البيئي للمشروع والذي قد يكون مؤقتاً أو دائماً ، موجباً أو سالباً طبقاً للعوامل المؤثرة .  
ومن أنواع الأثر البيئي المتوقع
- الأثر الاجتماعي Social impact : للأفراد أو المجتمع ككل ، وذلك علي المساكن و المجمعات ومناطق العمل و النشاطات التي يتوقع أن تتأثر بيئياً بالمشروع بصورة دائمة أو مؤقتة ، ومدى الأثر وحجمه و المقترحات التي تفعيل المخاطر السيئة الناجمة . وينبغي إجراء تقييم الأثر الاجتماعي بالتنسيق مع السلطة المحلية والجهات ذات الصلة والمنظمات المختصة .
- الأثر علي الاقتصاد المحلي economy Impact on Local : فيما يتعلق بالأثر الطارئ على الأهداف الرئيسة للنظام ، ومن أمثلة ذلك الضرر على الزراعة وخصوبة التربة ، وقيمة الأرض ، و العمالة .
- الأثر البيئي Ecological impact وذلك بتغيير نوع الماء بالورد ، أو تغيير انسياب الماء به ، أو التغيير في البيئة المائية ، و التغيير في مصايد الأسماك ، و الأثر على الطيور المائية وغيرها من الأحياء ، والأثر الصحي على السكان المحيطين بمنطقة المشروع ، و الحفاظ على البيئة المحلية .

- الأثر الجيومورفولوجي Geomorphological impact مما يؤدي إلى التحات والنحر والترسيب أو الزلازل والانزلاقات الأرضية والفيضانات .
- الأثر الاستساغي Aesthetic impact قد يتدخل المشروع مع تجميل المنطقة وتطويرها ، وقد يؤثر على المباني الأثرية و التاريخية ، أو قد يؤدي إلى احتمالات تصميم حديث . ويجب الأخذ في الحسبان تقويم الأثر على البيئة المحيطة ، و الأشجار و الغابات ، والطبغرافية ، وتأصيل المنطقة وتاريخها ، و الأثر على المناظر البيئية الأصيلة .

#### من أهم المؤثرات التي تعيق التخطيط الإستراتيجي الجيد

- الزيادة المتسارعة في السكان بسبب الهجرة إلى المدن والنزوح من الريف أو غيره من الأسباب الجوهرية ،
- عدم وضوح الأولويات والأهداف ربما لغياب التخطيط الاستراتيجي الشامل ،
- تلوث الموارد المائية ،
- غياب البنى التحتية المؤثرة على الخطط المائية ،
- صدور القرارات السياسية غير المدروسة من أجل الترضيات السياسية أو النواحي الأمنية ،
- القبول الجماهيري للمشروع ،
- عدم وجود البيانات و المعلومات المهمة مثل : تعداد السكان و الزيادة المتوقعة لفترة التصميم ، الاحتياجات المائية ، طاقة الموارد المائية بالمنطقة ، نظم المراقبة و المحاسبة ، تعريف الخدمة ، الخراط الطبغرافية و الهندسية ، مستوى الخدمة المطلوبة ، المقارنة الاقتصادية بين البدائل المتاحة ، العمالة ، الطاقة ، التقانة المستدامة الموجودة ،

والتدريب للكفاءات المؤهلة ، القدرة على الدفع الإستراتيجية لتغير الخطط حسب الظروف ، إدارة المشروع .

- أهمية تغير البني التحتية التي انتهى عمرها التصميمي منذ أمد بعيد ، و كيفية تحقيق حدة التغير بأقل الأضرار البيئية و بأرخص السبل المناسبة .

## 7. توصيات عامة :

- (1) التركيز على الأمن الغذائي أكثر من الاكتفاء الذاتي للغذاء ،
- (2) تحضير خطة رئيسة للأمن المائي التي تحدد السبل المثلى لإدارة الموارد و المصادر المائية ، وتعمل على تكامل الخطط والبرامج المحلية و الإقليمية بالتركيز على دراسة الجدوى الاقتصادية ، والبيئية ، و الفنية ، والمالية و الاجتماعية ، و السياسة ( و الإدارة المائية المتكاملة ) .
- (3) إنشاء مجلس قومي جامع لمصادر الماء ليتولى أمر المياه الجوفية و المياه السطحية ، ومياه الساحل و الخلجان ، والتلوث المائي ، ومشاكل الملوحة ، وإدارة مياه البحار ، وتنمية الأنهار وغيرها من المصادر و الموارد المائية ، وتفعيل الأنشطة الإدارية .
- (4) دعم و تشجيع أهل الخبرة في الخدمة المدينة ذات الصلة بالقطاع المائي لنشر ، وتدوين ، وتوثيق خبراتهم للاستفادة العامة .
- (5) تشجيع المشاركة في الجمعيات ، و الجهات التخصصية و الحرفية داخل البلد وفي بلدان أخرى ربما بتكوين بؤر للجمعيات العالمية المشابهة .

(6) العمل على تزواج إنتاج الماء بالطاقة النظيفة بما فيها الطاقة النووية ، و الشمسية ، والهيدروولوكية ، الرياح .

(7) الاستخدام الاستراتيجي لمصادر الماء غير التقليدية لتزكية و الإصلاح (التنمية ) بما فيها الماء الأجاج وماء البحار ، و المياه المستخلصة من معالجة الفضلات السائلة ، وعائد دفع الري .

(8) التخطيط لمصادر الماء من أجل السلام بالمنطقة ( سلام الماء ) .

(9) وضع اتفاقيات ملائمة ومبنية على المفاوضات لمياه الأنهار ، والماء الجوي المشترك بين الدول و الإدارة المثلى لهذا المورد و تنميتها و تنسيقها . ورغم التغيرات السياسية في منطقة الشرق الأوسط غير أن هناك بعض جهود التنسيق والتعاون حول تنمية الأنهار (متعددة القوميات ) مثل : أنهار النيل ، والفرات ، و الأردن ، مما نبع عنه اتفاقيات مثل اتفاقية مياه النيل بين السودان ومصر لعام 1959م والتي تحم توزيع مياه النيل وتنظم الخلافات عن طريق التفاهم والحوار والتفاوض ، واتفاقية سوريا والعراق حول تشغيل سد طبقة لعام 1975م واتفاقية تركيا و سوريا حول تشغيل سد اتاتورك لعام 1987م .

(10) وضع سياسة وخطط للتدريب ، وبناء القدرات ، و التنمية البشرية من خلال العمل وفق أهداف محددة ، وتفعيل الاستفادة من العون العالمي في هذا الإطار .

(11) المحافظة على المياه الجوفية غير المتجددة من الحفريات ، وعدم استخدام هذا الاحتياطي الاستراتيجي إلا في حالات الطوارئ ، والاستخدام قصير المدى لأغراض معينة .

(12) ابتكار أساليب جيدة جمع المعلومات و البيانات ، والإدارة المائية و الاستفادة من التقدم العلمي المطرد في المعلوماتية ، والحاسوب ، والأنتمجة الرياضية ، والاستشعار عن بعد ، وتحليل النظم .

(13) التركيز على ترشيد استخدام الماء ، و المحافظة عليه ، و الإدارة المستدامة لموارد الماء بغرض التنمية الاقتصادية في المنطقة و إعادة توزيع أولويات الاستخدام المائي .

(14) العمل على أن تحوي الخطة الإستراتيجية للماء مؤثرات التقانة ، و السياسة ، والآثار البيئية .

(15) العمل على وضع خطة قومية للبحث العلمي المتعلق بالماء ، والتكامل بين الموارد المائية ، واستخدام الأرض ، ومشاركة الجهات المنتفعة بالماء ربما عبر المجلس القومي لمصادر ، الماء أو اتحاد مجالس البحث العلمي العربية أو أي كيان فاعل .

(16) التفكير في كيفية استخدام الموارد المائية للدخول للعولمة و المعلوماتية .

(17) وضع إستراتيجية للإنذار المبكر للفيضانات ، والجفاف ، و الكوارث (الابتلاء) المائية وطرق مكافحتها ، في إطار الإدارة المتكاملة للموارد المائية .

8. المراجع و المصادر

(1)Murakami, M. Managing water for peace in the Middle East : Alternative strategies United Nations University press Tokyo, 1995.

(2) Abdel – Magid , I . M ., Effective water policies strategies for national water authorities, The Arabian J. for Science and Engng ., Vol .22, NO . IC, June 1997 ,199-212.

(3) عصام محمد عبد الماجد الطاهر محمد الدريدي ، الماء ، آفاق للطباعة و النشر ، الخرطوم ، ١٩٩٩ .

(4) Shatanawi, M.R., and Al-Jayousi . o., Evaluating market – oriented policies in Jordan : A comparative study , J. water International , 1995 , Vol. 20(2) , pp .88- 97.

(5) Al-Ibrahim , A. A., Water use in Saudi Arabia : problems and policy implications, J. Water Resources Planning and Management , ASCE, 1990 ,Vol.116 (3), pp.375-388.

(6) Wakil, M., Analysis of future Water needs for different sectors in Syria, J . Water International, March 1993, Vol. 18(1), pp.18-22.

(7) Akkad, A.A., Conservation in the Arabian Gulf countries, J . AWWA, 1990,182(5).pp40-50.

(8) Mohorjy A. M. and Grigg , N. S., water resources management system for Saudi Arabia , J . Water Resources Planning and Management , ASCE , March/ April 1995 , Vol .121(2),pp.205-215.

(9) Shahin , M., Review and assessment of water resources in the Arab region, water International J., 14 .pp .206 -19 .

(10) Sudan National water Policy , draft document , November 1999, Workshop on Sudan national water policy (SNWP), ElZubeir

Conference Hall , Khartoum , 17 – 18 January 2000 , Organized by the Ministry of Irrigation and water Resources , United Nations Food and Agriculture Organization and United Nations Development program (UNDP).

(11) Ministry of Regional Municipalities and Environment, National conservation strategy: Environmental protection and natural resources conservation for sustainable development, Vol. I: Synthesis and Policy Framework, MoRME, Muscat 1992.

(12) Ibnouf , M.A. O. and Abdel Magid , I. M., "Oman water resources : Management, problems and policy alternatives " , A Paper Presented at the Second Gulf water Conference , "Water in the Gulf Region Toward Integrated Management " , Bahrain , held during the period 5- 9<sup>th</sup> November 1994, sponsored by the Water Sciences and Tevhnology Association, Manama , Bahrain proceedings Vol. I and 2, pp. 19 -31 (English) Vol .2. pp.21 -33 (Arabic), published by the water Sciences and Technology Association , Bahrain.

(13) Haimes, Y.Y.,Sustaaainable development :A Holistic approach to natural resource management, water International,1992 Vol.17(4) .pp187-192



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## القول الحسن في القرآن الكريم - دراسة تفسيرية موضوعية

د/ محمد أحمد مصلح الوعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد - جامعة إب

Aljmalymhmd@gmail.com

الملخص

يحتوي البحث على تعريف القول الحسن و مرادفاته .  
 وبيان مكانته وضوابطه ، ونماذج للقول الحسن في خطاب المولى  
 ( سبحانه وتعالى ) لعباده ، وفي خطاب الأنبياء ( عليهم السلام )  
 ، وفي حسن القول مع المخالفين .  
 كما يحتوي على ذكر بعض ثمار القول الحسن في تحقيق  
 الأخوة ونبذ الفرقة ، والاستجابة ، وهزيمة الشيطان وجنده،  
 ومحبة الله للمحسنين والثواب المترتب على إحسانهم في الدنيا  
 والآخرة .  
 مع بيان أهم نتائج البحث وتوصياته.

10

**المقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه أجمعين:  
أما بعد: فإن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته ، والعبادة في الإسلام هي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود ، وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق ، كما أنها ذات آثار عميقة في التعامل مع خلق الله ، وتستوي في ذلك أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وسائر الأعمال التي يبتغي بها الإنسان وجه الله ويتحرى شرعه ، ومناطق التعامل ومداره بين العباد قائم على القول الحسن فإن وجد استقامت حياتهم وحسنت تعاملاتهم وحصل المقصود الذي لأجله شرع الله الشرائع .

هذا ما سأبينه في هذا البحث الموسوم بعنوان : (القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية)

**أهداف البحث :**

- ١ - تعويد اللسان على حسن القول وطيب الكلام.
- ٢ - ضبط الانفعالات النفسية تجاه المواقف والأحداث.
- ٣ - التسابق نحو توسيع دائرة المحبة والوثام بين أفراد المجتمع.
- ٤ - تسليح الدعاة إلى الله تعالى بحسن القول مع تعدد وسائل الاتصال.

**مشكلة البحث :**

تمثلت مشكلة البحث في بيان ضرر سيادة ظاهرة الغلظة والجفاء والفحش في القول على مستوى الأفراد والجماعات مع أن دعوة الإسلام قائمة على اليسر ودفع المشقة بكل صورها ، وانحسار مفهوم التعبد على الظواهر الشكلية دون التعمق في مفهوم التقوى ومراقبة الله في القول والعمل .

**الدراسات السابقة :**

وقف الباحث على بعض المقالات والدراسات التي تحدثت عن القول الحسن عموماً منها : دراسة الدكتور/ سلمان حسين موسى الزين ٢٠١٤م ، الدلالات التربوية للقول الحسن في ضوء الكتاب والسنة ، دراسة تحليلية ، اعتمد في الغالب على استنباط الدلالات من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، دراسة تربوية .  
أما موضوع الدراسة موضوع البحث (القول الحسن في القرآن الكريم) فهي دراسة تفسيرية موضوعية تختلف من حيث المحتوى والأسلوب والمنهج ، ومع ذلك فالموضوع بحاجة إلى طرقه بأساليب وصور متعددة لأهميته البالغة في الحياة العملية .

**منهج البحث :**

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي لآيات القرآن الكريم ثم اعتمدت على المنهج التحليلي الوصفي لنماذج القول الحسن وما هيته ، وثماره التي اشتمل عليها البحث .

**خطة البحث :**

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

المبحث التمهيدي الأول :

المطلب الأول : التعريف والمرادفات .

المطلب الثاني : مكانة القول الحسن .

المطلب الثالث : ضوابط القول الحسن .

المبحث الثاني : نماذج للقول الحسن في القرآن الكريم :

المطلب الأول : القول الحسن في خطاب المولى تعالى لعباده .

المطلب الثاني : القول الحسن في خطاب الأنبياء عليهم السلام .

المطلب الثالث : القول الحسن مع المخالفين .

المبحث الثالث : ثمار القول الحسن :

المطلب الأول : تحقيق الأخوة ونبذ الفرقة .

المطلب الثاني : الاستجابة وسرعة الانقياد .

المطلب الثالث : هزيمة الشيطان وجنده .

المطلب الرابع : محبة الله للمحسنين وجزيل مثوبتهم .

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج .

## المطلب التمهيدي (الأول)

## التعريف والمرادفات

## أولاً: التعريف :

يطلق القول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنى (واحد) لكن القول اشتهر في المفيد بخلاف اللفظ، واشتهر الكلام في المركب من جزئين فصاعداً، ولفظ القول يقع على الكلام التام وعلى الكلمة الواحدة على سبيل الحقيقة.<sup>(١)</sup>

ويتبين من هذا أن القول لا يكون حسناً إلا إذا كان مفيداً يراد به اليقين لا الظن. والإحسان : ضد الإساءة يقال رجل محسنٌ ومِحسانٌ ، والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله تعالى : ((وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ أَلْسِنَةً)) {الرعد: ٢٢} أي يدفعون من أساء إليهم بقول أو فعل بالإحسان إليه.<sup>(٣)</sup>

والقول الحسن كما يرى الباحث : هو القول الذي يستحسنه ذوا العقول الراجحة والفضرة السليمة ، ويتحقق به صلاح القلوب وسلامة الصدور وطيب النفوس.

## ثانياً: مرادفات القول الحسن :

١ - القول اللين : الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتنان بأن يظهر المتكلم للمخاطب أنه له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين.

واللين ، حقيقة من صفات الأجسام ، وهو رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليه.

و ضد اللين الخشونة ، ويستعار اللين لسهولة المعاملة والصفح ، واللين من شعار الدعوة إلى الحق<sup>(٤)</sup> يقول تعالى آمراً موسى وهارون عندما أرسلوا إلى فرعون : ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) {طه: ٤٤}

(١) الكلبيات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، ١٨/٤ .

(٢) لسان العرب ، مادة (حسن) ج ١٣/١١٧ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ، ج ١٣/٣٧٥ ، تفسير السعدي ص ٤١٧ .

(٤) تفسير ابن عاشور ، ٢٢٥/١٦ .

٢ - الكلم الطيب: الطيب خلاف الخبث ، والطيب من كل شيء أفضله والطيبات من الكلام أفضله وأحسنه. <sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى: ((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)) {فاطر: ١٠} من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل ، وكل كلام حسن طيب فيرفع إلى الله ويعرض عليه ، ويشني الله على صاحبه بين المألأ الأعلى. <sup>(٢)</sup>

وقد فسر القول الطيب بالقول الحسن في قوله تعالى: ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة: ٨٣} أي قولوا لهم القول الطيب وجاوبوهم بأحسن ما يحبون. <sup>(٣)</sup>

٣ - الأدب : المتأمل في تعريف أهل العلم لعلم الأدب والمتضمن لقواعد علم اللغة من نحو وبلاغة..... يجدهم يعرفونه بما ينطبق على القول الحسن.

قال ابن القيم : هو الكلام الجميل الذي يترك في نفس سامعه أو قارئه أثراً قوياً يحمل على استعادته والاستزادة منه والميل إلى محاكاته. <sup>(٤)</sup>

٤ - النصيحة: قال ابن الأثير: (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له. <sup>(٥)</sup>

وهي طريقة الأنبياء ووسيلتهم في الدعوة قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ((أَبْلَغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ)) {الأعراف: ٦٢} أي وأتحرى ما فيه صلاحكم قولاً وفعلاً، وقيل: (أبلغكم أوامر الله ونواهيه، وأرغبكم في قبولها ، وأحذركم عقابه إن عصيتموه). <sup>(٦)</sup>

وقال تعالى عن هود عليه السلام وهو يدعو قومه: ((أَبْلَغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)) {الأعراف: ٦٨} .

<sup>(١)</sup> لسان العرب ،ج ١، ص ٥٦٤- ٥٦٦ بتصرف.

<sup>(٢)</sup> تفسير السعدي ، ص ٦٨٥.

<sup>(٣)</sup> تفسير الألويسي ، ١/ ٤١٩.

<sup>(٤)</sup> تهذيب مدارج السالكين ، لعبدالله بن علي، ص ٤٤٨.

<sup>(٥)</sup> لسان العرب ، مادة (ينصح) ٦١٦/٣.

<sup>(٦)</sup> تفسير الألويسي ، ٨/ ١٢٥.

## المطلب الثاني

## مكانة القول الحسن

القول الحسن هو خطاب القرآن لبناء حضارة راقية تقوم على مبدأ التكافل والتعاون والبر .

ويشمل مجالات الحياة كلها ،عقيدة ،وعبادة ،وأخلاقاً ، ومعاملات ، نظاماً وأحكاماً ، قوانين وتشريعات ، قيماً ومثلاً ، عادات وتقاليد ، أعرافاً وموازين .

والقارئ للقرآن الكريم يجد أنه قد ورد فيما يقرب من نصف القرآن الإشارة إلى القول الحسن أو الفعل الحسن والجزاء الحسن .

ومما ورد في بيان مكانة القول الحسن والحث عليه قوله تعالى: ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة: ٨٣} أي قولاً حسناً وسماه به للمبالغة .

يقول الفخر الرازي: ( قال أهل التحقيق : كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية ، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفساق ، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون : ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) {طه: ٤٤} أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى .

وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر ، قال تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) {النحل: ١٢٥} وقال: ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)) {فصلت: ٣٤} .

وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه .

فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة: ٨٣} <sup>(١)</sup>

ولأن القول الحسن القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به .أما الإحسان الفعلي قد يتعذر فعله كما في قوله تعالى: ((وَأَمَّا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ أْبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا)) {الإسراء: ٢٨}

<sup>(١)</sup> التفسير الكبير : المجلد ١، ج ٣، ٥٨٩ .

فتبين هذه الآية أن العاطي إذا لم يجد ما يعطي المحتاجين فلا أقل من ردهم بالقول الجميل ((فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا)) قل لهم قولاً ليناً تطيب به نفوسهم وعدهم وعداً جميلاً.<sup>(١)</sup>

والقول الحسن داع لكل خلق جميل ، وعمل صالح ، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره .

ولذا يجب ترويض اللسان على معاني الخير والنصح وتجنب سفاسف الأمور.

أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله؟ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (( ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم))<sup>(٢)</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، لا يلقي لها بالاً ، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم))<sup>(٣)</sup>

وكان أبو بكر رضي الله عنه يضع حصاة في فيه ، يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد)<sup>(٤)</sup>

وقال الشاعر:

عود لسانك قلة اللفظ      واحفظ كلامك أيما حفظ  
إياك أن تعظ الرجال وقد      أصيحت محتاجاً إلى الوعظ<sup>(٥)</sup>

(١) آيسر التفاسير ، لأبي بكر الجزائري ، ج ١/١٤٠ .

(٢) سنن الترمذي ، أبواب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، ١٢/٥ ، رقم (٢٦١٩) ، بوضحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١١٢٢) وفي صحيح الجامع رقم (٢٠٥) .

(٣) أخرجه البخاري ، باب حفظ اللسان ، ٢٠٣٢/٤ ، رقم (٦٤٧٨) .

(٤) إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ١٢٠/٣ .

(٥) أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، ص ٨٥ .

## المطلب الثالث

## ضوابط القول الحسن

١ - أن يكون بعيداً عن التكلف ، يقول تعالى: (( قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ )) {ص:٨٦}

والتكلف هو: التصنع في القول وهو ضد التيسير والتبشير الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عندما أرسلهما إلى اليمن فقال لهما: ((بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا))<sup>(١)</sup>

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( هلك المنتطعون )) قالها ثلاثاً. قال النووي: (المنتطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.<sup>(٢)</sup>

قال الخطابي: المتعمق في الشيء ، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام ، الداخلين فيما لا يعينهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.<sup>(٣)</sup>

جاء في البيان والتبيين: ( إذا أردت أن يكون كلامك مقبولاً قصداً خفيفاً على اللسان سهلاً فابتعد عن التوعر<sup>(٤)</sup> فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك .

تأمل قول ابن السماك الزاهد وقد قال له أخ في الله : الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب فقال له: بل الميعاد بيني وبينك غداً نتخافر<sup>(٥)</sup> .

٢ - أن يقترن القول بالعمل مصداقاً لقوله تعالى: (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣) )) {الصف:٣،٢}

فهذه الآيات تبين أنه لا يكون للقول أثر دون أن يترجم إلى واقع عملي ، لأن البشر مفسطورون على متابعة الخير إذا رأوه معروضاً أمامهم في قدوة عملية تلتزمه قولاً وتطبيقه سلوكاً .

(١) رواه البخاري ، الفتح ، ٤٣١٨/٨ ، ومسلم رقم (١٧٣٣)

(٢) رواه مسلم ، كتاب العلم ، ٢٠٥٥/٤ ، رقم (٢٦٧٠)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ٢٢٠/١٦ .

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد عبدالوهاب ، ص٣١٨ .

(٥) التوعر : الجفاء والغلظة . لسان العرب ، ٦٢٠/٤ .

(٦) الرائد ، دروس في التربية والدعوة ، لمازن عبدالكريم الفريح ١ / ٦٧

ولنا المثل الأعلى في النبي صلى الله عليه وسلم فعندما نهى عن الربا لم يكتف بالقول بل قرن نهيه بالفعل والتطبيق على نفسه وأهل بيته فقال: (( وأول ربا أضعه ربا عمي العباس ، وأول دم أضعه دمنا دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ))<sup>(١)</sup> وقال حين شفع في حد السرقة: (( وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ))<sup>(٢)</sup>

وقال الحكماء : أفضل العلم وقوف العالم عند علمه ، وكل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله ، فقل سديداً ، وافعل حميداً )<sup>(٣)</sup>

ولله در ابن القيم حيث قال : (إن الناس قد أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه)<sup>(٤)</sup>

٣ - أن يراعي المخاطبين حسب ما يقتضيه المقام . فالتأمل في خطاب القرآن الكريم يجد أنه يخاطب المشركين غير خطاب أهل الكتاب ، ونرى خطاب الله تعالى للمسلمين يختلف من مرحلة إلى أخرى . ففي مكة كانت كل نداءات القرآن ب(يا أيها الناس) ، (يا بني آدم) ، (يا أيها الإنسان) أما في المدينة المنورة بعد أن أصبح للمسلمين دولة وياتت لهم جماعة فناداهم بنداء جديد ب(يا أيها الذين آمنوا) .

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي في قوله المخاطبين ، والأدلة على ذلك كثيرة فقد جاء رجل وقال له : يا رسول الله أوصني فقال : (( لا تغضب )) وجاءه رجل آخر فطلب منه نفس الطلب فقال: (( قل آمنت بالله ثم استقم ))<sup>(٥)</sup>

فهو هنا راعى تغير الشخص في خطابه ، إذ رأى حاجة الأول لأن يسكن من غضبه ويحد منه ، ورأى في الآخر حاجة لأن يعمق إيمانه بالله ويستقيم على طريق الهداية .

إن الداعي في قوله يحسن به أن يكون كالتاجر الذي يعرض تجارته ، يختار الوقت والزمن الملائمين ويخاطب العقول بما يلامس أوتارها ويحرك كوامنها .

يعرف من يخاطبهم وكيف يخاطبهم ؟ وماذا يقدم معهم ؟ وماذا يؤخر ؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وألوية قبل غيرها ؟ وما الأفكار التي يطرحها ويبدأ بها ؟

(١) - مسند أحمد ، ٧٣/٥ .

(٢) - رواه البخاري ، باب كراهية الشفاعة في الحدود إذا رفع إلى السلطان ، ١٦٠/٨ ، رقم ٦٧٨٨ .

(٣) - المستطرف في كل فن مستطرف ، لبهاء الدين محمد بن أحمد الأشبهبي ، ص ٣٠ - ٣٤ .

(٤) - بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، ص ١٩٢ .

(٥) - مسند أحمد ، ١٤١/٢٤ ، رقم ١٥٤١٦ .

## المبحث الثاني

## نماذج للقول الحسن في القرآن الكريم

القرآن الكريم بما حواه أحسن الكلام وأبلغه فهو قول من أحاط بكل شيء علماً ، وهو كتاب هداية وإرشاد ، ونستعرض في هذا المبحث بعض نماذج القول الحسن في القرآن الكريم في مطالب ثلاثة :

**المطلب الأول : القول الحسن في خطاب المولى تعالى لعباده.**

المتأمل في خطاب الله عز وجل لعباده وهو صاحب الكبرياء والجبروت والعظمة \_ يجده شمل الحسن والجمال كله .

قال جل وعلا : (( اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا )) {الزمر: ٢٣}

يقول الألويسي : ((الله نزل أحسن الحديث)) هو القرآن الكريم ، وكونه حديثاً بمعنى كونه كلاماً محدثاً به ، وهو حسن في لفظه وأسلوبه ومنزه عن النقص.<sup>(١)</sup>

ويجب التأسّي بمنهج القرآن الكريم في حسن الخطاب حتى مع ألد الأعداء \_ وليس ألد من الشيطان عداوة \_ فماذا فعل رب العزة والجلال ؟ حاوره وأجابه إلى طلبه حينما طلب الإمهال فأمهله يفعل ما يشاء ، بعد أن حذره من سوء العاقبة وسوء المآل .

وحينما أرسل رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون وهو الجبار المتأله ... أرسله بآيات وكرامات ومعجزات ودعوة بالحسنى وقال لموسى وأخيه هارون: (( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى )) {طه: ٤٤} .

وأرشد المولى سبحانه وتعالى عباده بأن يقولوا القول الحسن في محاوراتهم ومناظراتهم مع مخالفيهم حتى وإن كانوا على حق وغيرهم على خلافه وبيان الحجة بأجمل الأساليب يقول تعالى: (( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مَنْ أَسْمَوْتِ وَأَلْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ )) (٢٤) قُلْ لَنَأْسَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ )) {سبأ: ٢٤- ٢٦}

ففي هذه الآيات إرشاد من الله عز وجل إلى أسلوب المناظرة الحكيمة وأثر القول الحسن ، لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا القول خطأ ، أو أنت مخطئ فإن ذلك يغضبه فيفوت الغرض .

(١) تفسير الألويسي ٢٣/٣٣٩ .

وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينما على الخطأ ليحترز فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصاً في المنزلة ، ولا تنازل عن الحق ولا شك فيه ، ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج ووصف الحال أوضح من لسان المقال.<sup>(١)</sup>

ومن نماذج القول الحسن في خطاب المولى سبحانه وتعالى \_ وفيه إرشاد للأمة \_ العدول عن الألفاظ التي لا يستحب ذكرها مباشرة إلى الكناية عنها ، ومن ذلك قوله تعالى: (( أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ أَلْصِيَّامِ أَلرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِرُوهُنَّ...الآية)) {البقرة: ١٨٧} فقد كنى بالرفث والمباشرة عن الجماع.

وقوله تعالى: (( نِسَاءُكُمْ حَرَّتُمْ لَكُمْ فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْتُمْ لَيْسْتُمْ )) {البقرة: ٢٢٣} فعبر عن الإتيان بالحرث لأنها مناسبة وإخصاب وتوالد ونماء ، ومادام حرثاً فأتوه بالطريقة التي تشاؤون ، ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث.<sup>(٢)</sup>

والمأمل في ذلك يلمس سمو الألفاظ وجمال التعبير وإرشاد للإنسان في اختيار أحسن القول وأعف الكلمات وأسماها والترفع عن سفاسفها وأدناها .

## المطلب الثاني

### القول الحسن في خطاب الأنبياء عليهم السلام .

عرض القرآن الكريم منهج الرسل في الدعوة القائم على حسن الخطاب ومن يستعرض ذلك الخطاب يجده مقرون بالأدب قائم به سواء مع ربهم (جل وعلا) أو مع أقومهم .

وقد ذكر بن القيم أمثلة على حسن خطاب الأنبياء مع ربهم منها :

# قول الخليل إبراهيم عليه السلام: (( أَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَأَلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ )) {الشعراء: ٧٨- ٨٠} ولم يقل: (( وإذا أمرضني)) حفاظاً للأدب مع الله .

<sup>(١)</sup> ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ٢٥/٢٥٠. تفسير السعدي: ص ٦٨٠. تفسير البغوي، ٦/ ٣٩٩

<sup>(٢)</sup> ينظر: الكشاف، للزمخشري، ١/ ٢٦٥. تفسير الألويسي ٥٠/٢٧٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/ ٢٤٢ .

# وعيسى عليه السلام قال لربه: (( إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ )) ولم يقل: (( لم أقله ))، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب، ثم أحال الأمر على علمه سبحانه وتعالى بالحال وسره فقال: (( تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي )) ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه، فقال: (( وَكَلَّا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ )) ثم أثنى على ربه ووصفه بتفردة بعلم الغيوب بأكملها، فقال: (( إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ )) {المائدة: ١١٦}

# وموسى عليه السلام في دعائه لربه وإظهار حاجته وهو في طريقه إلى مدين كان في غاية اللطف: (( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ )) {القصص: ٢٤} ولم يقل: (أطعمني)

# وقول آدم عليه السلام: (( رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ )) {الأعراف: ٢٣} ولم يقل: (رب قد قدرت علي وقضيت علي)

# وقول أيوب عليه السلام: (( أَنَّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ )) {الأنبياء: ٨٣} ولم يقل: (فعافني واشفني).<sup>(١)</sup>

تلك نماذج من خطاب الأنبياء مع ربهم، أما خطاب الأنبياء مع أقاربهم وأقوامهم ما يلي:

# قول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته: (( هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ )) {يوسف: ١٠٠} ولم يقل: (أخرجني من الجب) حفظاً للأدب مع إخوته، أن لا يخلجهم بما جرى في الجب.

وقال: (( وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ )) ولم يقل: (رفع عنكم جهد الجوع والحاجة) أدباً معهم، وأضاف ما جرى إلى السبب ولم يضيفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه فقال: (( مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرْغَبَ أَشْشَيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي )) فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقه.<sup>(٢)</sup>

وفي موقف هود وصالح عليهما السلام نموذج للخطاب اللين وإقامة الحجة على قومهما بأجمل الأساليب. وكان الشعبان يقطنان الجزيرة العربية، فقوم هود في الجنوب بالأحقاف بين اليمن وعمان وقوم صالح في الشمال بمدائن الحجر بين تبوك والمدينة.<sup>(٣)</sup>

وقد ذكرت دعوتهما في عدد من سور القرآن وما لاقياه من قومهما من الإعراض والاستكبار، وكيف قابلا قومهما بالقول الطيب والخطاب الجميل وعدم مقابلة الشر بمثله، فعندما رموا هوداً بالسفسه رد قائلاً: (( قَالَ

(١) تهذيب مدارج السالكين، عبد الله بن علي، ص: ٣٩٨.

(٢) تهذيب مدارج السالكين، عبد الله بن علي، ص: ٣٩٨.

(٣) البداية والنهاية، لابن كثير، ١/ ١١٣ - ١٢٣.

يَقُومُ لَيْسَ بِى سَفَاهَةً وَلَكِنِّى رَسُوْلٌ مِّنْ رَبِّ اَلْعٰلَمِيْنَ (٦٧) اُبَلِّغُكُمْ رِسٰلَتِ رَبِّيْ وَاَنَا لَكُمْ نٰصِيْحٌ اٰمِيْنٌ  
{الأعراف: ٦٧- ٦٨}.

يقول سيد قطب: (لقد نفى عن نفسه السفاهة في بساطة وصدق كما نفى عن نفسه الضلالة وقد كشف لهم كما كشف نوح من قبل عن مصدر رسالته وهدفها، وعن نصحه لهم فيها وأمانته في تبليغها وقد قال لهم ذلك في مودة الناصح وفي صدق الأمين)<sup>(١)</sup>

وكان رد نبي الله صالح عليه السلام على قومه كذلك: ((قَالَ يَقُومُ اَرءَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّيْ وَاَتٰىنِيْ مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِيْ مِنَ اَللّٰهِ اِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيْدُوْنِيْ غَيْرَ تَخْسِيْرٍ)) {هود: ٦٣} كما أعرض عنهم وتجاوز عندما قالوا له: ((اِنَّمَا اَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِيْنَ)) {الشعراء: ١٥٣}

قال الزمخشري في تفسيره: (وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم ، مع علمهم أن خصومهم أضل الناس وأسفهم في إجابة الأنبياء ، هذا أدب حسن وخلق عظيم ، وحكاية الله عز وجل عن ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم)<sup>(٢)</sup>

(١) في ظلال القرآن، ٣/ ٢٤٢.

(٢) الكشف، ٢/ ١١٩.

## المطلب الثالث

## القول الحسن مع المخالفين

حدد الله هوية الأمة المسلمة أنها أمة عقيدة ودعوة وأن علاقاتها بغيرها من الأمم على اختلاف ألوانها ، ولغاتها وأديانها ليست في حقيقتها علاقة سلم ولا حرب ، ولا دفاع ولا هجوم وإنما هي علاقة دعوة.

قال تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بَيِّنَاتٍ هِيَ أَحْسَنُ)) {النحل: ١٢٥} ففي هذه الآية الأمر بالدعوة إلى الإسلام والمجادلة بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فضاضة ولا تعنيف.<sup>(١)</sup>

وجاء عند السعدي: (أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم ، المشتغل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده)<sup>(٢)</sup>

قال تعالى: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بَيِّنَاتٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِأَلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) {العنكبوت: ٤٦} ففي هذه الآية الحث على القول الحسن مع المخالفين من أهل الكتاب ومجادلتهم بالطريقة الحسنة من الرفق واللين ، فالخشونة في الكلام تضر ولا تنفع .

ومن صور الحسنى : التذكير بنقاط الاتفاق كما قال تعالى: ((وَقُولُوا ءَامَنَّا بِأَلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) أي وقولوا في مناظراتكم لهم : نحن مؤمنون بالقرآن ومؤمنون بالتوراة و الإنجيل ، وإلهانا وإلهكم واحد ، فينبغي أن يكون بين أهل الأديان التفاهم لا الخصام والقتال ، وهذا يشمل من لم يكابر منهم ويظهر عداوته.<sup>(٣)</sup>

ومن صور القول الحسن مع المخالفين عدم اكراههم على اعتناق الإسلام قال تعالى: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)) {البقرة: ٢٥٦}

(١) ينظر تفسير البغوي ، ص ٧٢٣. تفسير الألوسي ، ٦٥٨/١٤ .

(٢) تفسير السعدي ، ص ٤٥٢ .

(٣) ينظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، ٢٠٦/٢ . التفسير الميسر ، للصابوني ، ص ٩٩١ .

يقول القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : كان المسلمون يعرضون الإسلام على غير المسلمين دون إكراه ، ولا إزمام ، بل كان ذلك من أجل الإعذار إلى الله في إبلاغ الحق ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعجوز نصرانية : أسلمي أيتها العجوز تسلمي ، إن الله بعث محمداً بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت إلي أقرب ، فقال عمر : اللهم اشهد وتلا قوله تعالى : ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ))<sup>(١)</sup>

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحاور المخالفين بلبين الجانب والهدوء التام ، فهذا عتبة بن ربيعة ، والذي كان سيداً من سادات قومه ، طلب من قومه أن يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرض عليه أموراً فأذنوا له ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس ، وبدأ بالحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((قل يا أبا الوليد)) والتفت إليه بهدوء تام ، حتى انتهى من كلامه ، ثم قال : ((أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم.<sup>(٢)</sup>

(فهذه أخلاقه مع خصومه وأعدائه ، ومنه نتعلم كيف نواجه الخصم بهدوء تام ، وقوة تحكم في المشاعر والأحاسيس ، وقسمات الوجه وتعبيراته ، وعدم الإنفعال والغضب بل علمنا كيف نحاور خصومنا بهدوء ، ونستمع إليهم بإنصات حتى إذا انتهوا من كلامهم نبدأ بتوضيح فكرتنا)<sup>(٣)</sup>

جاء في كتاب حضارة العرب: (إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى ، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم ، تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية)<sup>(٤)</sup>

وقال الدكتور نظمي لوقا: (ما أرى شريعة أدعى للإنصاف ولا أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا )) {المائدة:٨})<sup>(٥)</sup>

(( إن الدعوة إلى الله تحتاج أشد الاحتياج إلى التلطف ماذا علينا لو أخذنا نوسع دائرة الذين يعملون للإسلام ، ويعكفون على قيمه وتراثه وتاريخه، وماذا علينا لو قلنا ببساطة الحق دون أن يخرجنا الحماس عن وعينا ولا أن يوقعنا في مصايد ينصبها لنا خصومنا ))<sup>(٦)</sup>.

<sup>(١)</sup> تفسير القرطبي ، ٢٨/٣ .

<sup>(٢)</sup> السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٣٠٥/١ .

<sup>(٣)</sup> العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية ، د/ علي محمد الصلابي ، ص ٥٩ .

<sup>(٤)</sup> حضارة العرب ، لفوستافلوبون ، ص ١٢٨ ، ترجمة : عادل زعيتر .

<sup>(٥)</sup> محمد الرسالة والرسول ، نظمي لوقا ، ص ٢٦ .

<sup>(٦)</sup> محاضرات الشيخ محمد الغزالي في اصلاح الفرد والمجتمع ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

## المبحث الثالث

## ثمار القول الحسن

للقول الحسن ثماره المتعددة في العاجلة والأجلة، ويحتوي هذا المبحث على ذكر بعض تلك الثمار.

## المطلب الأول: تحقيق الأخوة ونبذ الفرقة :

من مقاصد الإسلام التي يحرص عليها ويدعو المسلمون إليها وحدتهم وأخوتهم الإيمانية ، ولهذا يحذر من كل ما من شأنه إحداث الفرقة والعداوة فيما بينهم ، كالتخاطب بالكلام الخشن المؤذي الذي قد يؤدي إلى الخصومة والعداوة ، ويأمرهم بدلا من ذلك بالتخاطب بالكلام الحسن والكلمة الطيبة ، ولا يكتفي الإسلام بذلك بل يأمر بالدفع بالتي هي أحسن عند حدوث ما قد يؤدي إلى الفرقة ، فيأمر بالعضو عن المسيء والصفح عنه ومقابلة اساءته بالإحسان إليه .

يقول المولى عز وجل: (( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )) {الأعراف: ١٩٩}

العضو في اللغة : الفضل وما يأتي من الناس من غير كلفة ، ويدخل في مفهوم: ((خُذِ الْعَفْوَ)) المساهلة والمسامحة في الحقوق الشخصية للإنسان ، فلا ينبغي أن يتشدد صاحبها في استيفائها ، ويدخل أيضاً في مفهوم: ((خذ العفو)) دعوة الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ((وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)) أي بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ومنها معاملة الناس بالحسنى والرفق ، وقوله تعالى: ((وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) لما كان الناصح لغيره كالمعرض لعداوتهم ، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء لهذا الناصح الأمين فعليه في هذه الحالة الإعراض عنهم ، فلا يقابلهم بالمثل بل يحلم عنهم ، ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم ، وهذا الأسلوب من المعاملة هو الأسلوب النافع الذي يؤمل أن يكفهم عما هم فيه من التمرد والإيذاء لناصرهم<sup>(٢)</sup>

ويقول تبارك وتعالى: (( وَكَانَتْ سَوِيًّا أَنْحَسَتْهُ وَلَا أَسِيَّةً أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلْدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدُوٌّ كَأَنَّهُ وَوَيْ حَمِيمٍ (٣٤) وَمَا لِيَقِيَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا لِيَقِيَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا )) {فصلت: ٣٤}

(١) تفسير الرازي، ٩٥/١٥ - ٩٦.

(٢) ينظر: تفسير الرازي، ٩٦/١٥ . تفسير القاسمي، ٢٢٥/٧.

قال ابن جرير الطبري: ((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)) ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته ، وقوله: (( ادفع بالتي هي أحسن)) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم \_ والأمر له ولأتباعه \_ ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك ويعضوك عن أساء إليك إساءة المسيء ، وبصبرك عليهم من ما تجد ويلقائك من قبلهم ، (( فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) يقول تعالى ذكره افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه ، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفته إياك ، وبره لك من بني أعمامك ، قريب النسب بك ، والحميم : هو القريب.<sup>(١)</sup>

((وما يلقاها إلا الذين صبروا)) على كظم الغيظ واحتمال المكروه ، ((وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)) في الخير والثواب.<sup>(٢)</sup>

## المطلب الثاني

### الاستجابة وسرعة الانقياد

لابد للمربي الذي يريد إقبال الناس على قبول دعوة الحق أن يهتج طريق اللطف في القول وأن يختار أحسن الكلمات والعبارات.

إن أسلوب التحدي ولو بالحجة الدامغة ، يبغض صاحبه للآخرين فيجب التلطف لأن كسب القلوب أولى من المواقف.<sup>(٣)</sup>

ولما للقول الحسن من تأثير واستجابة يقول السعدي: (فهو السبب الوحيد المثمر للثمرات الجليلة للدعوة إلى سبيله يقول تعالى: ((أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ)) {النحل: ١٢٥} فالحكمة وضع الدعوة في موضعها ، ورعاية كل أحد بحسب ما يليق بحاله ويناسبه ويكون أقرب لحصول المقصود منه و((الموعظة الحسنة)) البالغة في الحسن مبلغاً يصير لها من التأثير وسرعة

(١) تفسير الطبري ، ١١/١١١ .

(٢) تفسير البغوي، ص ١١٥٢ .

(٣) كيف ندعو الناس ، عبد البديع صقر، ص ١١ .

الانقياد ما يناسب مقتضى الحال و((والمجادلة بالتي هي أحسن)) بالعبارات الواضحة والبراهين البيئية التي تحقق الحق و تبطل الباطل ، مع الرفق واللين وعدم المغاضبة والمشاتمة<sup>(١)</sup>

ولننظر في ثناء الله عز وجل فيما قصه عن مؤمن آل ياسين حين أراد دعوة قومه إلى عبادة الله عز وجل يقول تعالى: (( وَمَا لِيَ لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ )) {يس:٢٢} فإنه أراد تقرير المخاطبين ، إذ أعرضوا عن عبادة خالقهم ، وعكفوا على عبادة ما لا يغني عنهم شيئاً ، فأورد الكلام في صورة الإنكار على نفسه ، تلطفاً في الخطاب وإظهاراً للخلوص في النصيحة حيث اختار لهم ما يختار لنفسه.<sup>(٢)</sup>

إن استعمال الألفاظ الرقيقة تساعد على إقبال من تدعوه وتحديثه وإصغائه لما تقول .

روى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنى ، فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((قربوه ، ادن مني )) فدنا حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((أتحبه لأمك ؟ )) قال : لا جعلني الله فداك ، قال: ((كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ ))

قال: لا جعلني الله فداك ، قال: ((كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، قال: أتحبه لأختك ؟ )) قال : لا جعلني الله فداك ، قال: ((كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم)) وزاد ابن عوف حتى ذكر العممة والخالة وهو يقول : لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول : ((كذلك الناس لا يحبونه)) حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : ((اللهم طهر قلبه ، واغمر ذنبه ، وحصن فرجه )) فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.<sup>(٣)</sup>

والمأمل في ذلك المهدي النبوي يجد أثر الموعظة الحسنة كيف تصيب شغاف القلوب فتحدث القناعة وسرعة التأثير والاستجابة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد تقويم خطأ ما قد يكون من شخص أو أشخاص فإنه لا يواجههم به مباشرة وإنما يقول : ((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا))<sup>(٤)</sup>

(١) تفسير السعدي ، ص ٤٥٢ .

(٢) سوء الخلق ، مظاهره ، اسبابه ، علاجه ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ص ١١٦ .

(٣) مسند أحمد ، ٢٥٦/٥ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، ٣٥٤/٣ ، رقم (٥٠٦٣) . ورواه مسلم ، ١٠٢٠/٢ .

إن الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر ولا بالتأنيب في غير موجب، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو عن حسن نية، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ<sup>(١)</sup>

إن اختيار أحسن الألفاظ قد يحول الخصم إلى صديق، والرافض إلى موافق، والمحتار إلى مطمئن<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثالث

#### هزيمة الشيطان وجنده

يحرص الشيطان على إيقاد الفتن وإذكاء العداوة بين بني آدم عموماً وبين المسلم وأخيه المسلم خصوصاً، وسلاحه السيء من القول لذا أمر المولى عز وجل بتحري أحسن الأقوال وتجنب سيئها، يقول تعالى: ((وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا)) {الأسراء: ٥٣}

ورد في سبب نزول هذه الآية: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من العرب فأمره الله بالعضو.

وقال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنْزَلَ اللهُ تعالى الآية.<sup>(٣)</sup>

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...)) يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الضلال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم، وعداوته ظاهرة بينة.<sup>(٤)</sup>

(١) في ظلال القرآن، ٢٢٠٢/٤.

(٢) فن التعامل مع الناس، ديل كارينجي، ص ٢٧، ترجمه إلى العربية: سالم أحمد ذبيان.

(٣) أسباب النزول، لأبي الحسن علي الواحدي، ص ٢٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ٣١٩/٤.

((إن الشيطان ينزغ بينهم)) أي يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم وديناهم ، فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها ، وأن يلينوا فيما بينهم ، لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم فإنه عدوهم الحقيقي (ليكونوا من أصحاب السعير) الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعوهم إلى ذلك.<sup>(١)</sup>

ويقول تعالى: ((وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) {الأعراف: ٢٠٠}

يقول القاسمي في تفسيره : ومعنى الآية: (إما يصيبنك من الشيطان وسوسة تثير غضبك على جهل الجاهلين وإساءتهم ، وتحملك على خلاف ما أمرك به الشرع من العفو عنهم مع الاستمرار على أمرهم بالمعروف (فاستعذ بالله) أي استجر به و ادعه لدفع الشيطان عنك ، إنه سميع لدعائك عليم باستعاذتك )<sup>(٢)</sup> ولأثر الوقوف على المنهج القرآني في قمع النفس الأمارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها أسوق هذا النموذج الذي أورده ابن كثير فقال : خرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه يوماً من المسجد فسبه رجل ، فانتدب الناس إليه فقال: (دعوه ، ثم أقبل عليه ، فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى إليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء )<sup>(٣)</sup>

#### المطلب الرابع

##### محبة الله للمحسنين وجزيل مثويتهم.

أخبر المولى سبحانه وتعالى بمحبته للمحسنين في القول والعمل وجازاهم على ذلك بالخير في الدنيا ورفعته المقام في الآخرة.

يقول تبارك وتعالى : ((وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ)) {النحل: ٣٠}

((للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)) مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> تفسير السعدي ، ص ٤٦٠.

<sup>(٢)</sup> تفسير القاسمي ، ٢٦٦/٧ - ٢٢٧.

<sup>(٣)</sup> البداية والنهاية ، ١٠٥/٩.

<sup>(٤)</sup> الكشاف ، ٥٦٤/٢.

ذكر السعدي في تفسيره لهذه الآية: (لما ذكر الله قيل المكذبين بما انزل الله ، ذكر ما قاله المتقون ، وأنهم اعترفوا و أقروا بأن ما انزله الله نعمة عظيمة وخير عظيم امتن الله به على العباد ، فقبلوا تلك النعمة ، وتلقوها بالقبول والانقياد ، وشكروا الله عليها ، ((للذين احسنوا)) في عبادة الله تعالى ، وأحسنوا إلى عباد الله فلهم ((في هذه الدنيا حسنة)) رزق واسع وعيشة هنية ، وطمأنينة قلب و أمن و سرور ، ((ولدار الآخرة خير)) من هذه الدار ، وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات ، فإن هذه نعيمها قليل محشو بالأفات متقطع ، بخلاف نعيم الآخرة ، ولهذا قال: ((ولنعم دار المتقين)) الذي يعطيهم الله فيها كل ما تمنته أنفسهم ، وتعلقت به إرادتهم ، وذلك جزاء اتقائهم لسخط الله وعذابه ، بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات المتعلقة بالقلب والبدن واللسان ، من حقه وحق عباده وترك ما نهاهم الله عنه)<sup>(١)</sup>

ولننظر إل ثمرة القول الحسن فيما اعطى الله تبارك وتعالى عباده الريانيين من المحبة والثواب العظيم في الدنيا والآخرة: يقول تعالى: ((وَكَايِّنَ مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَىٰ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ )) {آل عمران: ١٤٦- ١٤٨}

يقول صاحب الظلال: (إنهم لم يطلبوا نعمة ولا ثراء ، بل لم يطلبوا ثواباً ولا جزاء .. لم يطلبوا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة ، لقد كانوا أكثر أديباً مع الله ، وهم يتوجهون إليه بينما يقاتلون في سبيله فلم يطلبوا منه سبحانه إلا غفران الذنوب ، وتثبيت الأقدام .. والنصر على الكفار ، فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكفار .. إنه الأدب اللائق بالمؤمنين في حق الله الكريم ، وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً ، أعطاهم الله من عنده كل شيء ، أعطاهم من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة ، أعطاهم كذلك ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه)<sup>(٢)</sup>

جاء في الحديث الذي رواه أحمد قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنهما من ظاهرها ... فقال أبو موسى لمن هي يا رسول الله ؟ قال لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائماً والناس نيام))<sup>(٣)</sup>

(١) - تفسير السعدي ، ص٤٣٩ .

(٢) - في ظلال القرآن ، ٤٨٩/١ .

(٣) - مسند أحمد ، ١٨٦/١١ ، رقم ٦٦١٥ .

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه أجمعين أما بعد :  
فهذه خلاصة البحث وأهم النتائج :

- القول الحسن هو خطاب القرآن لبناء حضارة راقية تقوم على مبدأ التكافل والتعاون .
- لا شيء يغرس الحب في القلوب كالإحسان ، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها .
- القول الحسن القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به.
- للقول الحسن ضوابط منها : البعد عن التكلف ، مع اقتران القول بالعمل ، مراعاة أحوال المخاطبين .
- يجب التأسّي بمنهج القرآن الكريم في حسن الخطاب حتى مع ألد الأعداء .
- ليس هناك تعارض بين الإحسان بالقول إلى جميع الناس ، وبين الأمر بإغلاظ القول للمنافقين وحرب الكافرين المحاربين ، فالقول الحسن الذي أقصده في هذا المقام هو المداراة التي لا تؤدي إلى نقصان دين أو مروءة.
- للقول الحسن ثمار منها : تحقيق الأخوة ، الاستجابة ، هزيمة الشيطان وجنده ، محبة الله للمحسنين وجزيل مثوبتهم.

## قائمة المصادر والمراجع

- ❖ - القرآن الكريم.
- ❖ ❖ - كتب التفسير وعلوم القرآن:
- ١ - أسباب النزول ، لأبي الحسن علي الواحدي ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- ٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م.
- ٣ - أيسر التفاسير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- ٤ - تفسير الألوسي : روح المعاني ، لأبي الفضل محمد الألوسي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- ٥ - تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- ٦ - تفسير الرازي : التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧م.
- ٧ - تفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م

- ٨ - تفسير الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م.
- ٩ - تفسير القاسمي ، محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨م.
- ١٠ - تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ١٩٦١م.
- ١١ - تفسير ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٠م.
- ١٢ - تفسير الكشاف ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠١م.
- ١٣ - التفسير الواضح الميسر ، لمحمد بن علي الصابوني ، الأفق للطباعة والنشر ، بيروت ، طه ، ٢٠٠٣م.
- ١٤ - تفسير ابن عاشور : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، بدون ط.
- ❖ ❖ كتب الحديث :
- ١٥ - سلسلة الاحاديث الصحيحة ، لأبي عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٦ - سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، مكتبة البايع الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٨م.
- ١٧ - صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله بن اسماعيل البخاري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧.
- ١٨ - صحيح الجامع ، لأبي عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامي ، بيروت ، بدون ط .
- ١٩ - صحيح مسلم بشرح النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف ، ط٢ ، ١٩٧٢ .
- ٢٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، دار احياء التراث ، بيروت ، بدون ط.
- ٢١ - مسند أحمد ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، المكتبة الإسلامي + دار.... ، بيروت ، بدون ط .
- ❖ ❖ كتب متنوعة :

- ٢٢ - أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي ، دار مكتبة الحياة ، بدون ط ، ١٩٨٦م .
- ٢٣ - البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- ٢٤ - بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م .
- ٢٥ - تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، تهذيب عبدالمنعم صالح العلي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- ٢٦ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٧هـ .
- ٢٧ - حضارة العرب ، لفوستافلوبون ، ترجمة عادل زعبيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- ٢٨ - الرائد : دروس في التربية والدعوة ، لمازن عبدالكريم الفريح ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .
- ٢٩ - سوء الخلق ، مظاهره ، أسبابه ، علاجه ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ، وزارة الشؤون الإسلامية ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
- ٣٠ - السيرة النبوية ، لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون ط .
- ٣١ - العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وانسانية ، د/ علي محمد الصلابي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١٤م .
- ٣٢ - فن التعامل مع الناس ، لدليل كارينجي ، ترجمه إلى العربية سالم أحمد ذيبان ، الجيل الجديد ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- ٣٣ - الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م .
- ٣٤ - الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م .
- ٣٥ - كيف ندعو الناس ، عبدالبدیع صقر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٦ .
- ٣٦ - لسان العرب ، لابن منظور الأفرريقي ، دار صادر ، بيروت ، بدون ط .
- ٣٧ - محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع ، دار البشير للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون ط .

- ٣٨ - محمد الرسالة والرسول ، نظمي لوقا ، دارالكتب الحديثة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٩م .
- ٣٩ - المستطرف في كل فن مستطرف ، لبهاء الدين محمد بن أحمد الأشبهي ، دارالفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .



# جامعة الناصر

## AL-NASSER UNIVERSITY

## مسافة $\rho$ - هاوسدورف وتقارب المجموع فوق/تحت - البياني

أ.موضي لفته مطر الجشعمي

مدرس مساعد في وزارة التربية العراقية - المديرية العامة لتربية ذي قار - العراق

modhi.aljashaam@yahoo.com

الهدف من هذا البحث هو دراسة الدوال الحدية العليا  $M$  والدوال الحدية الدنيا  $m$  وتعريف دورها الهام في دراسة مسائل النقاط السرجية بالنسبة لمسافة  $\rho$  - هاوسدورف , حيث يتم تحويل المسألة ذات المتحولين إلى مسألتين كل منهما بمتحول واحد .

**كلمات مفتاحية:** فوق/تحت - البياني، دوال محدبة - مقعرة ، نقاط سرجية ، دوال حدية عليا ودنيا، مسافة  $\rho$  - هاوسدورف .

### ABSTRACT □ □

The objective of this research is to study upper marginal functions and lower marginal functions and definition its important role in the study problems of saddle points by using  $\rho$  - Hausdorff distance , Where it is converted the problem of two transformer to two problem every one of them of one transformer .

**Key words:** epi/hypo graph , convex-concave functions ,saddle points, upper and lower marginal functions ,  $\rho$  - Hausdorff distance .

Assistant Lecturer at the Iraqi Ministry of Education-  
❖ Directorate General of Education Thi-Qar.

الملخص

# 11

## 1 - مقدمة :

يلعب التحليل فوق البياني أهمية كبيرة في دراسة مسائل القيم الدنيا  
(minimization problems)

لدوال بمتحول واحد وكما يلعب التحليل تحت البياني أهمية في دراسة مسائل القيم العليا  
(maximization problems)

ومن ثم ظهر التحليل فوق / تحت - البياني ليشمل كلا التحليلين السابقين ويعالج مسائل القيم الدنيا  
/العليا (minimization - maximization problems) أو مايسمى مسائل النقاط  
السرجية (saddle points) لدوال بمتحولين مما أدى إلى خلق مفاهيم جديدة مثل : التقارب فوق /  
تحت البياني ، التفاضل فوق /تحت البياني ، التكامل فوق /تحت البياني ، الجمع فوق /تحت البياني ،  
الضرب فوق /تحت البيانية ..... الخ .

وقد تبنى هذه المفاهيم العديد من الباحثين في دراستهم لمسائل النقاط السرجية وكانت معظم هذه  
الدراسات ذات طبيعة تبولوجية  
[ 3 ] , [ 4 ] , [ 5 ] , [ 6 ] , [ 7 ] .

## 2 - تعاريف ومفاهيم أساسية :

في البداية لابد من عرض بعض تعاريف ومفاهيم التحليل فوق البياني (Analyse epi-graphique) [ 1 ] , [ 8 ] .

ليكن  $X$  و  $Y$  فضاءين منظمين و لتكن  $f : X \rightarrow \bar{R}$  دالة معرفة على  $X$  وتأخذ قيمها في  $\bar{R}$  .  
- نقول عن  $C \subseteq X$  أنها مجموعة محدبة إذا تحقق الشرط التالي :

$$\forall x, y \in C , \forall a \in [0,1] ; ax + (1-a)y \in C$$

- نقول عن  $f$  أنها دالة محدبة إذا تحقق الشرط التالي :

$$\forall x, y \in C , \forall a \in [0,1] ; f(ax + (1-a)y) \leq af(x) + (1-a)f(y)$$

- نعرّف فوق البيان (epi-graph) للدالة  $f$  ويرمز له بـ  $epi f$  بالعلاقة :

$$epi f = \{ (x, a) \in X \times R / f(x) \leq a \}$$

- يبرهن أن الدالة  $f$  محدبة إذا وفقط إذا كانت  $epi f$  مجموعة محدبة في  $X \times R$  ونقول إن  $f$   
مقعرة إذا كانت  $(-f)$  محدبة .

- يبرهن أن  $f$  دالة نصف مستمرة من الأدنى إذا وفقط إذا كانت  $epi f$  مجموعة مغلقة .

- نقول إن  $f$  دالة خاصة (proper) إذا وفقط إذا كانت  $epi f$  مجموعة غير خالية أو إذا كان المجال الفعلي :

$$dom f = \{ x \in X / f(x) < +\infty \} \neq \emptyset$$

- نعرّف الدالة المرافقة  $f^* : X^* \rightarrow \bar{R}$  للدالة  $f$  بالعلاقة :

$$f^*(x^*) = \sup \{ \langle x, x^* \rangle - f(x); x \in X \}$$

ونشير إلى أن الدالة  $f^*$  تكون محدبة سواء كانت  $f$  محدبة أم لم تكن .

- نرمز بـ  $\Gamma(X)$  لمجموعة الدوال المحدبة نصف المستمرة من الأدنى والخاصة المعرفة على  $X$  وتأخذ

قيمها في  $\bar{R}$ .

- نعرف المجموع فوق البياني (epi-sum) للدالتين  $f, g$  ويرمز له بالرمز  $f \overset{e}{+} g$  بالشكل التالي :

$$(f \overset{e}{+} g)(x) = \inf_{u \in X} \{ f(u) + g(x - u) \} \quad \forall x \in X \quad (1)$$

- نعرف الضرب فوق البياني (epi-multiplication) للدالة  $f$  بالعدد  $\lambda > 0$  ويرمز له

بالرمز  $\lambda \overset{e}{*} f$  بالشكل التالي :

$$(\lambda \overset{e}{*} f)(x) = \lambda f(\lambda^{-1}x) \quad \forall x \in X \quad (2)$$

ويبرهن هندسياً [ 13 ] إن :

$$epi_s(\lambda \overset{e}{*} f) = \lambda epi_s f \quad \text{و} \quad epi_s(f \overset{e}{+} g) = epi_s f \overset{e}{+} epi_s g$$

حيث :  $epi_s$  يدعى فوق البيان التام للدالة  $f$  ويعرف بالعلاقة :

$$epi_s f = \{ (x, a) \in X \times R / f(x) < a \}$$

وبنفس الطريقة يتم تعريف المجموع تحت البياني (hypo-sum)  $f \overset{h}{+} g$  للدالتين  $f, g$  بالعلاقة :

$$(f \overset{h}{+} g)(x) = \sup_{u \in X} \{ f(u) + g(x - u) \} \quad \forall x \in X \quad (3)$$

وكذلك الضرب تحت البياني (hypo-multiplication) للدالة  $g$  بالعدد  $\mu > 0$  ويرمز له بالرمز  $\mu^* g$  بالشكل التالي :

$$(\mu^* g)(x) = \mu g(\mu^{-1}x) \quad \forall x \in X$$

ويبرهن هندسياً أيضاً أن :

$$hypo_s(\mu^* g) = \mu hypo_s g \quad \text{و} \quad hypo_s(f + g) = hypo_s f + hypo_s g$$

حيث :  $hypo_s g$  يدعى تحت البيان التام للدالة  $g$  ويعرف بالعلاقة :

$$hypo_s g = \{ (x, \beta) \in X \times R / g(x) > \beta \}$$

- نقول عن الدالة  $f : X \rightarrow \bar{R}$  إنها قسرية (coercive) إذا كان :

$$\lim_{\|x\| \rightarrow +\infty} f(x) = +\infty \quad (4)$$

نعرض الآن بعض التعاريف والمفاهيم الأساسية المتعلقة بدوال ذات متحولين [ 11 ] , [ 8 ] .

- يقال عن الدالة  $L : X \times Y \rightarrow \bar{R}$  إنها محدبة - مقعرة (convex-concave) إذا كانت محدبة بالنسبة للمتحول الأول ومقعرة بالنسبة للمتحول الثاني .

- تعرف الدالة الحدية العليا  $M$  (upper marginal function) للدالة  $L$  بالعلاقة التالية :

$$M(x) = \sup_{y \in Y} L(x, y) \quad ; \quad M : X \rightarrow \bar{R} \quad (5)$$

- تعرف الدالة الحدية الدنيا  $m$  (lower marginal function) للدالة  $L$  بالعلاقة التالية :

$$m(y) = \inf_{x \in X} L(x, y) \quad ; \quad m : Y \rightarrow \bar{R} \quad (6)$$

من الجدير بالذكر إذا كانت الدالة  $L$  دالة محدبة - مقعرة عندئذ تكون  $M$  دالة محدبة و  $m$  دالة مقعرة .

- يعرف المجموع فوق/تحت - البياني (epi/hypo - sum) للدالتين  $L, K$  ويرمز له بالرمز

$$L + K \quad \text{بالعلاقة التالية :} \quad e|h$$

$$(L + K)(x, y) = \inf_{u \in X} \sup_{v \in Y} \{ L(u, v) + K(x - u, y - v) \} \quad (7)$$

- يعرف الضرب فوق/تحت - البياني  $(epi/hypo - multiplication)$  للدالة  $L$

بالعدد  $\lambda > 0$  ويرمز له بالرمز  $\lambda * L_{eh}$  بالعلاقة :

$$\left( \lambda * L_{eh} \right) (x, y) = \lambda L \left( \lambda^{-1} x, \lambda^{-1} y \right) \quad (8)$$

### 3 - مسافة $\rho$ - هاوسدورف :

لتكن  $d$  دالة المسافة المولدة بالانظيم  $\|\cdot\|$  المعرف على  $X$ . من أجل كل مجموعة جزئية  $C$  في  $X$  نعرف المسافة بين العنصر  $x$  وبين المجموعة  $C$  بالعلاقة :

$$d(x, C) := \inf \{ \|x - y\|, y \in C \} \quad ( \text{إذا كانت } C = \phi, \text{ تكون } d(x, C) = \infty )$$

من أجل كل  $\rho \geq 0$ ، نرمز بـ  $\rho B$  للكورة المغلقة في  $X$  التي مركزها الصفر ونصف قطرها  $\rho$ ، ولكل  $C$  في  $X$  نعرف :

$$C_\rho := C \cap \rho B$$

من أجل أي مجموعتين  $C$  و  $D$  في  $X$ ، نعرف مدى تجاوز هاوسدورف  $(Lexce Hausdorff)$   $C$  على  $D$  بالعلاقة :

$$e(C, D) := \sup \{ d(x, D); x \in C \} \quad ( \text{باعتبار } e = 0 \text{ إذا كانت } C = \phi )$$

- تعرف  $\rho$  - مسافة هاوسدورف بين المجموعتين  $C$  و  $D$  بالعلاقة :

$$haus_\rho(D, C) = \sup \{ e(C_\rho, D), e(D_\rho, C) \} \quad (9)$$

- نقول عن متتالية من المجموعات  $(D_n)_{n \in \mathbb{N}}$  إنها متقاربة نحو المجموعة  $D$  في  $X$  بالنسبة لمسافة

$$\lim_{n \rightarrow \infty} haus_\rho(D_n, D) = 0, \quad \forall \rho \geq 0$$

$\rho$  - هاوسدورف إذا فقط إذا كان :

• (مسافة  $\rho$  - هاوسدورف على  $\bar{R}^X$ ) :

نعرف مسافة  $\rho$  - هاوسدورف بين الدالتين  $f$  و  $g$  من  $\bar{R}^X$  بالعلاقة :

$$h_\rho(f, g) := haus_\rho(epif, epig); \quad \forall \rho \geq 0 \quad (10)$$

حيث  $epif$ ،  $epig$  مجموعتان جزئيتان في  $X \times R$  ويعرف  $\rho B$  في  $X \times R$  بالعلاقة :

$$\rho B_{X \times R} = \{ (x, \alpha) \in X \times R : \|x\| \leq \rho; |\alpha| \leq \rho \}$$

- نقول عن متتالية من الدوال  $(f_n)_{n \in \mathbb{N}}$  أنها متقاربة نحو الدالة  $f$  في  $\bar{R}^X$  بالنسبة لمسافة  $\rho$  -

$$\lim_{n \rightarrow \infty} h_\rho(f_n, f) = 0 ; \forall \rho \geq 0$$

هاوسدورف إذا وفقط إذا كان :

سمي هذا المفهوم بمسافة  $\rho$  - فوق البياني وتبناه العديد من الرياضيين في دراسات مختلفة ونذكر منهم [14, 15, 16, 17] .

### مبرهنة 3.1 [15] :

لتكن  $f_i \in \Gamma(X)$  و  $(i = 1, 2)$  عندئذ من أجل كل  $\rho \geq 0$  لدينا :

$$\beta(\rho)h_\rho(f_1, f_2) \leq h_\rho(f_1^*, f_2^*) \leq \alpha(\rho)h_\rho(f_1, f_2)$$

حيث كل من  $\alpha(\rho)$  و  $\beta(\rho)$  ثابت يتعلق بـ  $\rho$  .

والمبرهنة صحيحة من أجل دوال مقعرة ونصف مستمرة من الأعلى وخاصة باعتبار إنه إذا كانت  $f_i$  دالة مقعرة فإن  $(-f_i)$  تكون دالة محدبة .

(مسافة  $\rho$  - هاوسدورف على  $\bar{R}^{X \times Y}$ ) :

لم يُعرف المفهوم فوق / تحت - البيان تعريفاً هندسياً دقيقاً مقارنةً بمفهومي فوق البيان وتحت البيان ، مما أدى إلى ظهور صعوبات بالتطبيق المباشر لمسافة  $\rho$  - هاوسدورف على الدوال ذات المتحولين ( محدبة - مقعرة ) . ولقد كان لاستخدام الدوال الحدية العليا والدنيا في حل بعض مسائل النقاط السرجية أهمية في إعطاء تعريف آخر لمسافة  $\rho$  - هاوسدورف  $H_\rho$  على صفوف ليست بالضرورة محدبة - مقعرة بالعلاقة الآتية :

$$H_\rho(L, K) = h_\rho(M_1, M_2) + h_\rho(m_1, m_2) \quad (11)$$

حيث  $(m_2, m_1)M_2, M_1$  هي الدوال الحدية العليا (الدنيا) لكل من  $L$  و  $K$  على الترتيب .

نقول عن أية متتالية من الدوال  $(L_n)_{n \in \mathbb{N}}$  إنها متقاربة نحو الدالة  $L$  في  $\bar{R}^{X \times Y}$  بالنسبة لمسافة  $\rho$  - هاوسدورف إذا كانت:

$$\lim_{n \rightarrow \infty} H_\rho(L_n, L) = 0 ; \forall \rho \geq 0$$

### مبرهنة 3.2 :

لتكن  $L_i : X \times Y \longrightarrow \bar{R}$  ;  $i = 1, 2, 3$  ثلاث من الدوال المحدبة - المقعرة . عندئذ  $H_\rho$  في (11)

تحقق الخواص الآتية:

$$H_\rho(L_1, L_2) \geq 0 \quad H_\rho \text{ موجبة : (1)}$$

$$H_\rho(L_1, L_2) = H_\rho(L_2, L_1) \quad H_\rho \text{ متناظرة : (2)}$$

$$H_\rho \text{ متباينة المثلث : لكل } \rho \geq \max\{d(0, \text{epi} M_i); d(0, \text{epi} -m_i); i = 1, 2, 3\} \text{ يكون : (3)}$$

$$H_\rho(L_1, L_3) \leq H_{3\rho}(L_1, L_2) + H_{3\rho}(L_2, L_3)$$

حيث  $M_i$  و  $m_i$  هي الدوال المحدبة العليا والدنيا للدوال  $L_i$  ( $i = 1, 2, 3$ )

$$L_1 \Leftrightarrow H_\rho(L_1, L_2) = 0 \quad ; \quad \forall \rho \geq 0 \quad (4) \text{ يكافئ } L_2$$

البرهان: إن برهان الخواص 1، 2، 4، ينتج مباشرة من التعريف (11)، أما الخاصية 3) تنتج مباشرة بتطبيق المبرهنة (2.1) في [13] على الطرف الأيسر من تعريف  $H_\rho$ .

4 - ايجاد الدوال المحدبة العليا والدنيا للمجموع وللضرب فوق /تحت البياني :

$$\text{"inf sup = sup inf"}$$

في [9, 18] .

ندكر أولاً بنظرية

مبرهنة 4.1 [9]:

لتكن  $L : X \times Y \rightarrow \bar{R}$  دالة محدبة - مقعرة تحقق الشروط التالية :

$$(i) \text{ من أجل كل } y \in Y \text{ يكون } L(., y) \in \Gamma(X)$$

$$(ii) \text{ يوجد } y_0 \in Y \text{ بحيث } L(., y_0) \text{ دالة قسرية.}$$

$$(iii) \text{ يوجد } y_1 \in Y \text{ بحيث } L(., y_1) \text{ دالة خاصة.}$$

$$\inf_{x \in X} \sup_{y \in Y} L(x, y) = \sup_{y \in Y} \inf_{x \in X} L(x, y)$$

عندئذ :

مبرهنة 4.2 :

لتكن  $L, K : X \times Y \rightarrow \overline{R}$  دالتين محدبتين - مقعرتين ولنفرض أنه:

(i) من أجل كل  $y \in Y$  يكون  $L(\cdot, y) \in \Gamma(X)$  و  $K(\cdot, y) \in \Gamma(X)$ .

(ii) يوجد  $y_1 \in Y$  بحيث  $L(\cdot, y_1)$  دالة قسرية.

(iii) يوجد  $y_2 \in Y$  بحيث  $K(\cdot, y_2)$  دالة خاصة.

$$M_{e/h} = M_1 + M_2$$

عندئذ :

حيث  $M_{e/h}, M_2, M_1$  هي الدوال الحديدية العليا للدوال  $L + K, K, L$  على الترتيب .

إضافة لذلك ؛ إذا كانت  $K(\cdot, y_2)$  دالة قسرية على  $X$  من أجل  $y_2 \in Y$  فإن :

$$m_{e/h} = m_1 + m_2$$

حيث :  $m_{e/h}, m_2, m_1$  هي الدوال الحديدية الدنيا للدوال  $L + K, K, L$  على الترتيب .

**البرهان :**

حسب تعريف الدالة الحديدية العليا في العلاقة (5) يكون :

$$\begin{aligned} M_{e/h}(x) &= \sup_{y \in Y} \{(L + K)(x, y)\} \\ &= \sup_{y \in Y} \inf_{u \in X} \sup_{v \in Y} \{(L(u, v) + K(x - u, y - v))\} \\ &= \sup_{y \in Y} \inf_{u \in X} \psi(u, y) \end{aligned}$$

حيث :

$$\psi(u, y) = \sup_{v \in Y} \{(L(u, v) + K(x - u, y - v))\}$$

اعتمادا على الفرض وعلى خواص الدوال الحديدية المغلقة ، نلاحظ أن  $\psi(\cdot, y) \in \Gamma(X)$  من أجل

كل  $y \in Y$  من جهة أخرى لدينا :

$$\psi(u, y) \geq L(u, v) + K(x - u, y - v)$$

بأخذ  $y_1 = v$  و  $y_1 + y_2 = y$  نحصل على :

$$\psi(u, y_1 + y_2) \geq L(u, y_1) + K(x - u, y_2)$$

بما أن  $K$  دالة خاصة حسب الفرض (3) فإنها لا تطابق  $+\infty$  ولا تأخذ نهائياً القيمة  $-\infty$ ، وبما أن

$L$  دالة قسرية على  $X$  حسب الفرض (2) فإنه حسب تعريف الدالة القسرية نستنتج أن :

$$\lim_{\|u\| \rightarrow \infty} \psi(u, y_1 + y_2) \geq +\infty$$

أي أن :

$$\lim_{\|u\| \rightarrow \infty} \psi(u, y_1 + y_2) = +\infty$$

وهذا يؤكد قسرية الدالة  $\psi(\cdot, y_1 + y_2)$ .

ونلاحظ من جهة أخرى أن :  $\psi(\cdot, y_1 + y_2)$  لا تطابق  $+\infty$  ولا تأخذ نهائياً القيمة

$-\infty$  إذا هي دالة خاصة وبالتالي بتطبيق المبرهنة 4.1 نحصل على :

$$\begin{aligned} M_{e/h}(x) &= \inf_{u \in X} \sup_{y \in Y} \sup_{v \in Y} \{ (L(u, v) + K(x - u, y - v)) \} \\ &= \inf_{u \in X} \sup_{v \in Y} \{ (L(u, v) + \sup_{z \in Y} K(x - u, z)) \} \\ &= \inf_{u \in X} \sup_{v \in Y} \{ (L(u, v) + M_2(x - u)) \} \\ &= \inf_{u \in X} \{ (M_1(u) + M_2(x - u)) \} \\ &= (M_1 + M_2)(x) \end{aligned}$$

أخيرا يبرهن الجزء الثاني بنفس الطريقة السابقة باستخدام تعريف الدالة الحدية الدنيا وتطبيق المبرهنة

$$4.1 \quad m_{e/h}^\lambda(y) = (m_1 + m_2)(y) \quad \text{فنحصل على:}$$

### مبرهنة 4.3 :

من أجل كل دالة  $L : X \times Y \rightarrow \bar{R}$  محدبة - مقعرة ومن أجل كل  $\lambda > 0$  لدينا :

$$M_{e/h}^\lambda = \lambda * M^L$$

$$m_{e/h}^\lambda = \lambda * m^L$$

حيث  $(m_{e/h}^\lambda, m^L) M_{e/h}^\lambda, M^L$  هي الدوال الحدية العليا (الدوال الحدية الدنيا) على الترتيب

$$\lambda * L, L \quad \text{لكل من الدوال}$$

### البرهان :

بالاعتماد على تعريف الدالة الحدية العليا في العلاقة (5) يكون :

$$\begin{aligned} M_{e/h}^\lambda(x) &= \sup_{y \in Y} \{(\lambda * M^L)(x, y)\} \\ &= \sup_{y \in Y} \{(\lambda L)(\lambda^{-1}x, \lambda^{-1}y)\} \\ &= \lambda M^L(\lambda^{-1}x) \\ &= \lambda * M^L(x) \end{aligned}$$

$$m_{e/h}^\lambda = \lambda * m^L$$

بطريقة مشابهة .

نبرهن صحة العلاقة

### 5 - تقارب المجموع فوق/تحت البياني :

مبرهنة 5.1 [13] :

ليكن  $X$  فضاءاً منظماً ولتكن  $f_i, g_i ; i=1,2$  دوالاً معرفة على  $X$  وتأخذ قيمها في  $\bar{R}$  ، محدودة من الأسفل بالعدد  $\beta \in R$  وتحقق الشرط الآتي : من أجل كل  $\rho \geq 0$  و  $\theta \geq 0$  يوجد  $\gamma = \gamma(\rho, \theta)$  بحيث يكون :

$$\left\{ f_i(u) + g_i(v) \leq \theta, \|u + v\| \leq \rho; i=1, 2 \right\} \Rightarrow (\|u\| \leq \gamma; \|v\| \leq \gamma)$$

عندئذ :

$$h_\rho(f_1 + g_1, f_2 + g_2) \leq h_{\rho_1}(f_1, f_2) + h_{\rho_1}(g_1, g_2)$$

$$\rho_1 = \rho_1(\rho, \theta) \text{ : حيث :}$$

### مبرهنة 5.2 :

ليكن  $\{K_n, K : X \times Y \longrightarrow \bar{R} ; n \in N\}$  و  $\{L_n, L : X \times Y \longrightarrow \bar{R} ; n \in N\}$

متتاليتين من الدوال المحدبة - المقعرة بحيث تكون :

(1) كل من مجموعتي الدوال  $\{L_n, K_n ; n \in N\}$  و  $\{L, K\}$  محققة لشروط المبرهنة 3.2 .

(2) الدوال الحدية العليا  $M_n^K, M^K, M_n^{L_n}, M^L$  (على الترتيب الدوال الحدية الدنيا

$$m_n^K, m^K, m_n^{L_n}, m^L$$

محدودة من الأسفل بالعدد  $\beta \in R$  (على الترتيب محدودة من الأعلى بالعدد  $\alpha \in R$ )

$$(3) \text{ دوالاً قسرية } -m_n^{L_n}, -m^L$$

ولنفرض أنه :

$$\lim_{n \rightarrow \infty} H_\rho(K_n, K) = 0, \lim_{n \rightarrow \infty} H_\rho(L_n, L) = 0 ; \forall \rho \geq 0 \quad (12)$$

عندئذ :

$$\lim_{n \rightarrow \infty} H \rho(L_n + K_n, K + L) = 0 ; \forall \rho \geq 0 \quad (13)$$

**البرهان :**

قبل البدء بالبرهان نعرض التمهيدية الآتية :

**تمهيدية 5.3 :**

لتكن  $\left\{ f_n, f : X \rightarrow \bar{R} ; n \in N \right\}$  متتالية من الدوال المحدودة من الأسفل بالعدد  $\beta \in R$

ولنفرض إن إحداها قسرية ولتكن الدالة  $f$  . عندئذ من أجل كل  $\rho > 0$  و  $\varepsilon > 0$  يوجد  $\gamma := \gamma(\varepsilon, \rho)$  بحيث يتحقق الشرط التالي :

$$(f_n(x) + f(y) \leq \varepsilon, \|x + y\| \leq \rho) \Rightarrow \|x\| \leq \gamma, \|y\| \leq \gamma .$$

**البرهان :**

ليكن  $\rho > 0$  و  $\varepsilon > 0$  بحيث يكون  $f_n(x) + f(y) \leq \varepsilon, \|x + y\| \leq \rho$  . بما أن  $f$  دالة قسرية إذاً

يوجد عدد موجب تماماً  $k$  بحيث يكون  $f(y) \geq k(\|y\|)$  . ومنه من أجل كل  $n \in N$  يكون

$f_n(x) \leq \varepsilon - k(\|y\|)$  . ولما كانت  $f_n$  محدودة من الأسفل بالعدد  $\beta \in R$  ، فإن  $\beta \leq f_n(x)$  ،

$$\beta \leq f_n(x) \leq \varepsilon - k(\|y\|)$$

وبالتالي

$$\|y\| \leq k^{-1}(\varepsilon - \beta)$$

ومنه نستنتج أن :

$$\|x\| = \|x + y - y\| \leq \rho + k^{-1}(\varepsilon - \beta)$$

$$\gamma = \gamma(\varepsilon, \rho) = \rho + k^{-1}(\varepsilon - \beta)$$

■ نحصل على المطلوب .

بالعودة إلى برهان المبرهنة 5.2 : من أجل كل  $\rho \geq 0$  وحسب تعريف  $H_\rho$  يكون لدينا :

$$H_\rho(L_n + K_n, L + K) = h_\rho(M_n, M) + h_\rho(m_n, m) \quad (14)$$

حيث  $(m_n, m)M_n, M$  هي الدوال الحديدية العليا (الدوال الحديدية الدنيا) على الترتيب لكل من  $L_n, K_n, K_e, L_e$  واعتماداً على المبرهنة 4.2 نستطيع أن نكتب :

$$M_n = M_n^{L_n} + M_n^{K_n} \quad , \quad M = M_e^L + M_e^K$$

$$m_n = m_n^{L_n} + m_n^{K_n} \quad , \quad m = m_e^L + m_e^K$$

ومنه :

$$h_\rho(M_n, M) = h_\rho(M_n^{L_n} + M_n^{K_n}, M_e^L + M_e^K) \quad (15)$$

$$h_\rho(m_n, m) = h_\rho(m_n^{L_n} + m_n^{K_n}, m_e^L + m_e^K) \quad (16)$$

حسب الفرض (1) تكون الدوال  $\{L_n, L; n \in N\}$  قسرية على  $X$  وبالتالي الدوال الحديدية العليا الموافقة لها  $M_n^{L_n}, M_e^L$  هي أيضاً قسرية على  $X$ ، وباستخدام الفرض (2) و (3) وحسب التمهيدية السابقة تكون شروط المبرهنة 5.1 محققة ويتطبيق هذه المبرهنة على العلاقتين (15) و (16) وبالاستفادة من العلاقة (3) نحصل على :

$$h_\rho(M_n, M) \leq h_{\rho_1}(M_n^{L_n}, M_e^L) + h_{\rho_1}(M_n^{K_n}, M_e^K) \quad (17)$$

$$h_\rho(m_n, m) \leq h_{\rho_2}(m_n^{L_n}, m_e^L) + h_{\rho_2}(m_n^{K_n}, m_e^K) \quad (18)$$

بتعويض (17) و (18) في (14) نحصل على :

$$\begin{aligned} K_n, L_e, K_e &\leq \left[ h_{\rho_1}(M_n^{L_n}, M_e^L) + h_{\rho_1}(M_n^{K_n}, M_e^K) \right] + \left[ h_{\rho_2}(m_n^{L_n}, m_e^L) + h_{\rho_2}(m_n^{K_n}, m_e^K) \right] \\ &= \left[ h_{\rho_1}(M_n^{L_n}, M_e^L) + h_{\rho_2}(m_n^{L_n}, m_e^L) \right] + \left[ h_{\rho_1}(M_n^{K_n}, M_e^K) + h_{\rho_2}(m_n^{K_n}, m_e^K) \right] \\ &\leq H_\gamma(L_n, L) + H_\gamma(K_n, K) \end{aligned} \quad (19)$$

حيث :  $\rho_1 = \rho_1(\rho, \beta)$  ,  $\rho_2 = \rho_2(\rho, \alpha)$  و  $\gamma = \max(\rho_1, \rho_2)$  وبأخذ نهاية طرقي المتراجحة (19) عندما  $n \rightarrow \infty$

وباستخدام الفرض (12) نحصل على المطلوب . ■

#### مبرهنة 5.4 :

لتكن  $\{L_n, L : X \times Y \longrightarrow \bar{R} ; n \in N\}$  متتالية من الدوال المحدبة - المقعرة بحيث تكون الدوال المحدبة العليا  $M_n^L, M^L$  (على الترتيب الدوال المحدبة الدنيا  $m_n^L, m^L$ ) محدودة من الأسفل بالعدد  $\beta \in R$  (على الترتيب محدودة من الأعلى بالعدد  $\alpha \in R$ ) ، ولنفرض أنه من أجل كل  $\rho \geq 0$  :

$$\lim_{n \rightarrow \infty} H_\rho(L_n, L) = 0$$

عندئذ :

$$\lim_{n \rightarrow \infty} H_\rho(\lambda *_{e/h} L_n, \lambda *_{e/h} L) = 0 ; \forall \rho \geq 0 , \lambda > 0 \quad (20)$$

#### البرهان

حسب تعريف  $H_\rho$  يكون لدينا :

$$H_\rho(\lambda *_{e/h} L_n, \lambda *_{e/h} L) = h_\rho(M_n^\lambda, M^\lambda) + h_\rho(m_n^\lambda, m^\lambda) \quad (21)$$

حيث :  $(m_n^\lambda, m^\lambda) M_n^\lambda, M^\lambda$  هي الدوال المحدبة العليا (الدوال المحدبة الدنيا) على الترتيب لكل

$$\lambda *_{e/h} L_n, \lambda *_{e/h} L$$

واعتمادا على المبرهنة 4.3 نستطيع أن نكتب :

$$M_n^\lambda = \lambda *_{e/h} M_n^L, \quad M^\lambda = \lambda *_{e/h} M^L$$

$$m_n^\lambda = \lambda *_{e/h} m_n^L, \quad m^\lambda = \lambda *_{e/h} m^L$$

وبالتعويض في العلاقة (21) نحصل على :

$$H_{\rho}(\lambda_{e/h}^* L_n, \lambda_{e/h}^* L) = h_{\rho}(\lambda_e^* M_n^{L_n}, \lambda_e^* M^L) + h_{\rho}(\lambda_{e/h}^* m_n^{L_n}, \lambda_{e/h}^* m^L)$$

بتطبيق المبرهنة 6.9 في [13] نستنتج أن :

$$\begin{aligned} H_{\rho}(\lambda_{e/h}^* L_n, \lambda_{e/h}^* L) &\leq h_{\rho^-}(M_n^{L_n}, M^L) + h_{\rho^-}(m_n^{L_n}, m^L) \\ &= H_{\rho^-}(L_n, L) \end{aligned} \quad (22)$$

حيث  $\rho \sim \rho^-(\rho, \lambda)$  ، بأخذ نهاية طرقي المتراجحة (22) عندما  $n \rightarrow \infty$  وباستخدام الفرض نحصل

على (20) . ■

### References

- [1] ATTOUCH, H. : Variational convergence for functions and operators, Pitman, London, 1984.
- [2] ATTOUCH, H. : Viscosity solutions of minimizations problems , SIAM , J Optim. 6(3) ,551-561 ,(1996) .
- [3] ATTOUCH, H; WETS,R.: Convergence Theory of saddle functions, Trans. Amaer. Math.Soc. 280, n (1), 1983, 1-14.
- [4] ATTOUCH, H; AZE, D. ; WETS,R.: Convergence of convex-concave saddle functions, Ann. H.Poincare, Analyse non linéaire, 5, 1988, 532-572.
- [5] K .Mouallif: . convergence Variationelle et méthodes perturbées pour les probléms  $d'$  optimization et point-selles, "Thése", universitéde liege,(1989).
- [6] R. ROCKAFELLAR : Generalized second derivatives of convex functions and saddle functions preprint.
- [7] M.SOUHEYCATT: Analyse epi/hypo-graphique J. convex Analysis, vol. II ,(13),1-55,(1991).

- ROCKAFELLAR, R. : convex Analysis . Princeton University Press, Princeton [8]  
N. J, 1970.
- [9] MOREAU, J.J. Théorème "inf-sup" C.R.A.S.T. 285, 1964 , 2720-2722
- [10] K. Torralba: convergence epigraphique et changements  $d'$  echelle en analyse varationelle et optimization . "Thèse", Université de Montpellier II, (1996) .
- [11] M. SOUEYCATT : Epi-convergence et convergence des sections. Application à la stabilité des  $\varepsilon$  -points-selles. A. V. A. M. C. vol. II, 1987.
- [12] ATTOUCH, H; WETS,R.: Epigraphic analysais, analyse non linéaire, Gauthiers-Villars, paris, (1989), 74-99.
- [13] ATTOUCH, H; WETS,R. : Quantitative stability of variational systems : the epi-graphical distance Tran . Amer . Soc. 328 (2) , 695-729 , (1991) .
- [14] D.Azé and J.B.Penot : Operations on convergentc families of sets and functions. A.V.A. M.C. 1987,Vol. I, (1987) .
- [15] BEER, G.: Conjugate convex function , and the epi-distance topology, Proc. Amer. Soc. 108, 1991, 117-126.
- [16] BEER, G.; Lucchetti , R: Coninuity results for the epi-distance topology with applications to convex optimization problems, (preprint) .
- [17] H . Riahi: Stability results for optimization problems relativey to epigraphic distance Applications to non linear programming .A.V.M.A.C.vol. II, (1987) .
- [18] J.Aubin , P.Ekland :Applied nonlinear analysais. J.Wiley intersciences ,New York , (1984).

## رموز الحضارة اليمنية في شعر عبد الله البردوني

د. علي يوسف عثمان عاتي

أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية التربية سيئون جامعة حضرموت

Aliyousef2009@gmail.com

### الملخص

تمتد الحضارة اليمنية إلى أبعد مكان في أعماق التاريخ في التقدم والرقى الحضاري فهي مهد العروبة، ومنها تكون النسيج الاجتماعي في كثير من الشعوب والقبائل التي هاجرت على إثر انهيار سد مأرب العظيم ولعل خير شاهد على تلك الحضارات التي بقيت آثارها شامخة على مرّ العصور كعرش بلقيس وسد مأرب ومدينة صنعاء كل ذلك دفع الشعراء للإبحار في فضاء التراث الحضاري كل حسب موهبته ومقدرته على محاكاة تلك الآثار.

والمأمل في الشعر اليمني يجد أن الشعراء المعاصرين قد غاصوا في التراث البشري قديمه وحديثه وابتعثوا من أعماقه رموز الحضارة والأحداث والشخصيات لتكون وعاء رمزياً يحمل رؤاهم وأفكارهم وتطلعاتهم كما اتجهوا إلى الطبيعة الكونية واستلهموا من تلك العناصر أدوات رمزية في فضاء الدلالة الفسيح ليخلقوا لأنفسهم منها أحاسيسهم وانفعالاتهم ونظرتهم للعالم من حولهم بكل ما فيه من شحنات مؤثرة.

ويكشف هذا البحث عن ظاهرة الرموز الحضارية اليمنية في شعر عبد الله البردوني وما سجلته من حضور بارز في شعره فتجلت تلك الرموز وهي تشارك الشاعر عمق ما يحمله من مأساة أو تفتح له براءة أمل في المستقبل المنشود كما يكشف عن بعض جوانب الإبداع عند البردوني ومدى التوظيف الرمزي للحضارة اليمنية

# 12

## Yemeni Civilization Elements in Abdullah Al-Baradoni's Poetry

### Summary

Yemeni civilization goes deep in the history of civilization development; it's Arabs cradle and from it formed the social fabric of many nations, tribes that migrated after the collapse of Great Ma'reb's Dam. The best witness for those civilizations whose runes resist for ages such as Balqis Throne, Ma'reb Dam, Sana'a City. All that has pushed poets to dive into the civilization heritage according to each one's talent and capacity to simulate those ruins

One meditating in the Yemeni Poetry, finds that contemporary poets have dived in the human heritage old/modern and came up with symbols of civilization; actions and characters were symbolic container for their visions, thoughts and aspiration. Through these elements, they've obtained, symbolic tools in the symbolism horizon to create their feelings, reactions and look at the surrounding world with its all effecting powers.

This research explores the Yemeni Civilization Symbols phenomena in Abdullah Al-Baradoni's poetry and their remarkable presence; they've been clearly shown when they share him the depth of tragedy or open a hope window in the hoped future. It reveals some innovation sides of Al-Baradoni and the extent of Yemeni Civilization symbolism.

Allah's behind the intent

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه الكريم (الرَّحْمَنُ ❖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ) (١) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إنَّ المتأمل في الحضارة اليمنية يجد أنها تمتد إلى أبعد مكان في أعماق التاريخ في التقدم والرقي الحضاري فهي مهد العروبة، ومنها تكوّن النسيج الاجتماعي في كثير من الشعوب والقبائل التي هاجرت على إثر انهيار سد مأرب العظيم ولعل خير شاهد على تلك الحضارات التي بقيت آثارها شامخة على مرّ العصور كعرش بلقيس وسد مأرب و مدينة صنعاء ومسجد الجند وحصن بينون بمدينة ذمار ناهيك عن معالم الطبيعة من جبل شمسان وتلال بنا ووديانها... كل ذلك دفع الشعراء للإبحار في فضاء التراث الحضاري كل حسب موهبته ومقدرته على محاكاة تلك الآثار.

وإذا ما تجاوزنا فواصل التاريخ الزمنية منذ العصر الجاهلي ومرورا بصدر الإسلام والدولة الأموية فالعباسية والأيوبيّة فالعثمانية والدولة الرسولية التي قامت في تعز والدولة الصليحية في جبلة... لنصل إلى عهد الإمامة في أسرة آل حميد الدين - التي حملت طيلة فترة حكمها لليمن ما حملته من معاول الهدم في نشر الجهل وإغلاق الذهنية الثقافية في أوساط الشعب بل حجبتها عن الاتصال بالعالم الخارجي بغية المحافظة على مصالحها، وإن وجد شيء من مجلات أو كتب أو دعوات هنا أو هناك وصمها الإمام بأنها دين جديد ما أنزل الله به من سلطان.

يقول الدكتور عزالدين إسماعيل "صحيح أن الإمامة قد حاولت أن تعزل المثقفين والأدباء هناك عن العالم الخارجي كله لا عن العالم العربي فحسب وأنها نجحت في هذه السياسة إلى حد كبير.. وحاولت منع ما سمته (الكتب العصرية) بدعوى أنها لا تعلم إلا الكفر والإلحاد" ٢ .

فالعالم العربي قد انفتح على كل شيء جديد عبر التبادل الثقائي والحضاري بين الشعوب في حين ظلت اليمن في تلك الفترة منزوية على نفسها بحكم نظام الإمام، ولا نبالغ إذا قلنا بأنها كانت رهينة التسلط والظلم وأخذ الرهائن من أبناء المشايخ والذوات والسجون في سبيل الحفاظ على مصالحها الضيقة.

في حين وجد آنذاك من أبناء الشعب اليمني من يرفض الظلم والضميم فقد وُلدت منذ الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي توجهات عدة من المثقفين والمناضلين الذين تحملوا العناء والتعب وضحوا بوقتهم وبأنفسهم من أجل التحرر من عهد الإمامين ليعود اليمن إلى الحرية المنشودة .

(١) سورة الرحمن/٣-١

٢ - د. عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر في اليمن "الرؤية والفن"، دار العودة بيروت ١٩٨٦م، ص ١١١.

وكان من أبرز الأحرار الذين ظهروا آنذاك زيد الموشكي ومحمد محمود الزبيري وعبدالله العزب ومطهر الإيراني وشاعرنا عبد الله البردوني وصفتّ طويل من المثقفين الذين اثروا الثقافة الوطنية في وجدان الناس فكانت قصائدهم وأشعارهم تلهب مشاعر الشعب المغلوب على أمره فأشعلت فيهم جذوة اصطلى بناورها العهد الامامي البغيض فولّى دون رجعة.

أهمية البحث : تكمن أهمية هذا البحث كونه يسلط الضوء على ظاهرة الرموز الحضارية اليمنية في شعر عبد الله البردوني فنجد أنها قد سجلت حضورا بارزا في شعره فتجلت لنا تلك الرموز ، وهي تشارك الشاعر عمق ما يحمله من مأساة لاسيما والشاعر عاش في عهد الإمامة - أسرة آل حميد الدين - التي حملت طيلة فترة حكمها لليمن ما حملته من معاول الهدم في نشر الجهل وإغلاق الذهنية الثقافية في أوساط الشعب ووصم كل جديد بأنه دين جديد ما أنزل الله به من سلطان

كما أن هذا البحث يكشف عن بعض جوانب الإبداع في النص الأدبي في قصائد البردوني من الحوار الدراماتيكي القائم بين ذاتين وسمهما الشاعر في إحدى قصائده بـ " غريبان وكانا هما البلد " وهاتان الذاتان تتحدان في الأفكار والرؤى وإن اختلفتا نسبيا في الجسد وفي التشكل في الأعماق وهو الرمز الذي نلمسه في ثنايا النص الذي يشكل مرجعا للوصول إلى الدلالة الرمزية الكلية في العنوان.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي حتى يعكس بما يتناسب وطبيعة البحث. أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هي: الأعمال الشعرية للشاعر عبدالله البردوني وبعض المراجع التي تتعلق بالموضوع.

البردوني في سطور: لست هنا لأعرف بالشاعر وإن كان لزاما علينا أن نعطي عنه نبذة مبسطة وسريعة فهو(عبد الله صالح حسن البردوني؛ شاعر وناقد أدبي ومؤرخ) شاعر يميني(أعمى) كفيف البصر مثقب الوجه والجسد من آثار الجُدري ..تراه وكأن لا عينين في محاجرهما.. إذا رأيته حسبت أنه رجع إليك من القرون الغابرة بل يخيل لك وكأنه جمع تحت جيبته بشار بن برد والأعشى والمعري وطه حسين وربما بدا لنا وكأنه صورة من أساطير فيكتور هيغو في البؤساء .

يقول الدكتور المقالح: ( وأيام البردوني هي أيام اليمن في بلد ضرير كل ما فيه أعمى أو يدعو إلى العمى ولد عبد الله البردوني في قرية"البردون " -سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م بمحافظة ذمار - وعندما كان طفلا جاء موسم الجدري....بعد أن ترك بصماته على بعض الوجوه،وبعض الوجوه انتزع منها أعلى ما فيها العينين.وكانت عينا الطفل عبد الله من نصيب ذلك الموسم المتوحش)٢ وقد توي في يوم الاثنين ٣٠ أغسطس ١٩٩٩م بعد أن خلد اسمه كواحد من شعراء العربية في القرن العشرين.وقد شغل العديد من المناصب الحكومية منها:كان

١ - حوار اجري معه في قناة اليمن (فيديو)

٢ -د.عبد العزيز المقالح، شعراء من اليمن، دار العودة ،بيروت، بدون تحديد رقم الطبعة ١٩٨٣م، ص١٧

رئيساً للجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج في إذاعة صنعاء ثم كان مشرفاً ثقافياً لعدة صحف ومجلات، له العديد من المقالات والنشرات الدورية في الصحف.

أما دواوينه ومؤلفاته: فله اثنا عشر ديواناً مطبوعاً جمعت مؤخرًا في مجلدين وثمان دراسات أدبية ١ كما أنه نال العديد من الجوائز منها: جائزة أبو تمام بالموصل عام ١٩٧١م. - جائزة الأمم المتحدة (اليونسكو) وأصدرت عملة فضيه عليها صورته عام ١٩٨٢م. - جائزة شوقي بالقاهرة عام ١٩٨١م. - كما كتبت عنه العديد من الدراسات ورسائل الماجستير<sup>٢</sup>

مفهوم الرمز: يكاد يكون المدلول اللغوي لكلمة الرمز يحمل معنى واحداً في سائر ومختلف قواميس اللغة العربية فقد ورد لفظ الرمز في لسان العرب "الرمز: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنما هو إشارة بالشففتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشففتين والضم والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين"<sup>٣</sup>، وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام (قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا)<sup>٤</sup>، ويقال للجارية الغمازة بعينها: رمازة أي: ترمز بضيها وتغمز بعينها<sup>٥</sup>).

ومن خلال ما سبق فالرمز يعني لغة الإشارة أو الإيحاء، وهو لن يكون غير ذلك لأن البشر لم يصطلحوا على تلك الرموز إلا لوجود رابطة أو قرينة معنوية بين الدلالة والمدلول. وفي المعجم الأدبي الرمزية تعني "الإشارة بكلمة تدل على محسوس أو غير محسوس إلى معنى غير محدد بدقة ومختلف حسب خيال الأديب، وقد يتفاوت القراء في فهمه وإدراك مداه بمقدار ثقافتهم ورهافة حسهم فيتبين بعضهم جانباً منه وآخرين جانباً ثانياً، أو قد يبرز للعيان فيهتدي إليه المثقف بيسر"<sup>٦</sup> .

وقد تعدد جوانب الرمز ولم يقتصر دوره واستخداماته على الجوانب العقائدية، وإنما توغلت وامتدت استخداماته في شتى جوانب الحياة والمعرفة ما بين الأمور السياسية وفي الفنون والعمارة وفي السحر والأساطير والحياة واللغة والأدب وغيرها من جوانب الحياة. بمعنى آخر أن الرمز يقوم على انفعال نفسي معبر فقد يكون إيماني وروحاني وقد تدخل فيه أيضاً الأعراف والتقاليد والمعتقدات وغيرها.

١ - أبرز الدراسات: ١- رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه ٢- قضايا أدبية ٣- فنون الأدب الشعبي في اليمن ٤- اليمن الجمهوري ٥- الثقافة الشعبية تجارب وأقوال بمنية ٦- الثقافة والثورة ٧- من أول قصيدة إلى آخر طلقة (دراسة في شعر الزبيري وحياته) ٨- أشنات  
٢ - عبدالله البردوني، الأعمال الشعرية، المجلد الأول إصدار الهيئة العامة للكتاب اليمن صنعاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٢٣-٢٩ بتصرف  
٣ - ابن منظور، لسان العرب مج ٣ باب الراء مادة (رمز) دار المعارف مصر د.ت. ص ١٧٢٧.  
٤ - سورة آل عمران آية  
٥ - ابن منظور، لسان العرب مادة (رمز) ص ١٧٢٧.  
٦ - جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت. لبنان، ط ١٩٧٩، ص ١٢٤.

إن الرمزية بشكل دقيق في الأدب هي طريقة أدبية تمتاز بكثرة مؤلفات ذات معنيين، أعني بذلك أن رمزيها تعتمد على القصة الأسطورية أو المجاز أو الاستعارة وبصفة عامة كانت حقيقتها تتميز برد فعل على حقة سابقة كان الشعراء فيها مهتمين بإصابة المعنى وتدقيقه مع مراعاة الواقع<sup>١</sup> واعتقد هنا أن أي تأصيل للرمز الشعري يجب أن يكون مستقلاً في إطار "الإيحاء"<sup>(٢)</sup>. لأن ما يميّز الرمز الشعري عن أنماط الترميز الأخرى أنه لغة إيحاء، ويستمد قيمته الرمزية من حركته في سياق شعري يوحي به ولا يصّرح مباشرة. فالإيحاء جوهر الرمز الشعري، وهو المبدأ الأساس الذي استقام عليه مجد الرمزية، والهدف السامي للشعر الرمزي<sup>(٣)</sup>.

إذن فالإيحاء يعني نظاماً من المعرفة والتعبير معاً، فالكلمة تكون رمزاً توحي بأكثر من دلالتها على المعنى، أي أن الكلمة في هذا النظام تتجاوز وظيفتها الإشارية في النظام الدلالي (العام) لتدخل في نظام رمزي مختلف هو فن الإيحاء أو "الإيحائية". ويعتمد الإيحاء على إعادة بناء لون من الانطباع الدلالي ولا يتمثل عبر التعبير المفصل عن الأفكار وشرح نظامها المنطقي<sup>(٤)</sup>.

ومن يقرأ في النصوص الشعرية الحديثة في الشعر اليمني يلمس ذلك فيجد أن الشعراء وخاصة جيل التأسيس قد جعلوا من التراث الإنساني في مراحل المختلفة مطية لبعث رموز الحضارة والأحداث والشخصيات ومحاكاتهم بل الاستتار خلفها للتعبير عن مدى المعاناة أو التحسر على تلك الأيام الماضية. كما أن المطلع على الشعر اليمني المعاصر يلحظ أيضاً أن تقنية الرمز بصورة عامة ظلت تتطور على المستويين الدلالي والبنائي باستمرار، بل ارتبط تطور الرمز في القصيدة المعاصرة بتطور التجربة الشعرية وتحولاتها ويتطور وعي الشاعر ورؤيته إلى الكون والحياة. ولذا نرى أن ( الشعر الرمزي يهدف إلى توليد لغة جديدة حية تتفجر ظلماً ولوناً وإيحاءً) ه

ظاهرة الرموز: إن ظاهرة الرموز الحضارية اليمنية في شعر عبدالله البردوني متعددة ويمكن أن نقسم تلك الرموز إلى الآتي: الرموز المكانية والزمانية - والشخص - ومعالم الطبيعة، فالمكانية (كعرش بلقيس

١ - هدى فاطمة الزهراء، جماليات الرمز في الشعر الصوفي، رسالة ماجستير جامعة أبي بكر بلقايد-الجزائر ٢٠٠٦م، ص٦٢

٢ - الإيحاء، من الإيحائية (suggestiveness) وترجم بـ( قوة الإيحاء)، والإيحاء نقض التصريح والمباشرة. ونشأ هذا المصطلح في إطار المسرح وربما كان منشؤه هو مسرح الصمت (theatre of silence)، ويرتبط مصطلح الإيحائية بمصطلح النص الدفين أو النص الباطن (sub-text)، وهو النص الموحى به وليس النص المصرح به مباشرة. ينظر: عناني، ص١٠٩.

٣ - درويش الجندي، الرمزية والأدب العربي الحديث، دار نفضة مصر، د.ت، ص١٠٨. ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال أن تسمية المذهب "الرمزي" كانت خاطئة، والأولى أن يسمى "المذهب الإيحائي" لأنه مذهب يبحث في فن الإيحاء. وينظر: هلال، الأدب المقارن، الطبعة الثالثة، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢م، ص١٠ هامش.

٤ - صلاح فضل، شفرات النص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ص٥٣.

٥ - سعد أحمد الحاروي، دور الكلمة في العمل الأدبي، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١١٢.

ومعبد الشمس) ١ و(سد مأرب) ٢ ومدينة (صنعاء) بمعمارها الفني و(مسجد الجند) ٣ و(زبيد) ٤ وحصن (بينون) ٥ أو رموز الشخوص (الأشخاص) كـ " سيف بن ذي يزن - الملكة بلقيس - وضاح اليمن - الملكة أروى ... ناهيك عن رموز معالم الطبيعة من (جبل شمسان) و(تلال بنا) ووديانها كل تلك الرموز نجد أنها قد سجلت حضورا ملحوظا وبارزا في شعر عبد الله البردوني فبدت لنا هذه الرموز وهي تشارك الشاعر عمق ما يحمله من مأساة لا سيما والشاعر قد عاش وسجن في عهد الإمامة - أسرة آل حميد الدين - فصور تلك المأساة في إحدى قصائده بقوله وهو يشير إلى السجن والعمى والتقيد:

**هدني السجن وأدمى القيد ساقي ♦ فتعاييت بجرحي ووثاقي  
وأضعت الخطو في شوك الدجى ♦ والعمى والقيد والجرح رفاقي  
في سبيل الفجر ما لاقيت في ♦ رحلة التيه وما سوف الأقي  
سوف يفنى كل قيد وقوى ♦ كل سفاح وعطر الجرح باقي**

هذه الكلمات الثلاث اختزلت الرمز المكاني والنفسي فسجلت معنى الأسى (السجن - العمى - القيد) فالسجن هو الرمز المكاني لما حل به من الظلمة والظلام والظلم. وفوق هذا وذاك هو حبيس العمى فالحاكم والقيد والعمى جعلت منه شخصا يبحث عن طريق الفجر هذا المعادل الزماني "في سبيل الفجر ما لاقيت في رحلة التيه" هذه الحياة التي أضع فيها الخطو نتيجة حتمية فما هي إلا بمثابة شوك أصابه في ساعة الدجى والظلام لكن الأمل دائما يحدو الشاعر ويستشرف المستقبل في قوله :

**سوف يفنى كل قيد وقوى ♦ كل سفاح وعطر الجرح باقي**

والجميل لدى الشاعر وإن بدأ بالروح التشاؤمية "هدني السجن..." لكنه في مجمل قصائده يختم بالروح التفاؤلية التي ينشدها في كل وقت وحين ويتحول الجرح النازف الدامي إلى رائحة عطرية زكية تكشف السعادة والأمل المنشود بزوال وفناء كل أسباب التعب والعناء والأسى.

في حين نجد أن الشعر المعاصر ظهرت فيه أهم سمة مميزة وهي استخدام الأسطورة كرمز يسمح للشاعر أن يُجسم من خلالها وجهة نظره شاملة في الحقيقة الواقعة "٦ وذلك لأن الرمز باستطاعته اختزال العالم

١ - يقعان في محافظة مأرب

٢ - سد مأرب يقع في محافظة مأرب

٣ - يقع في مدينة تعز وقد بين في زمن معاذ بن جبل الصحابي الجليل -رضي الله عنه-

٤ - تقع في مدينة الحديدة مشهورة بمدينة العلم والعلماء

٥ - حصن من المرمر: بناه الملك أسعد الكامل يقع في منطقة ثوبان-الحددا بمدينة ذمار وليس له شهرة بين الآثار على غرابة لصعوبة الوصول إليه

٦ - مجموعة من المؤلفين: د. أحمد نعيم الكراعين وآخرون نصوص ودراسات أدبية ص ٢٢٧

كلّه في فضاءه اللا محدود لتصبح لغة الشعر " هي لغة الإشارة في حين أن اللغة العادية هي لغة الإيضاح ، فالشعر بمعنى آخر ما جعل اللغة تقول ما لم تتعلم أن تقوله.

التوظيف الإبداعي للرمز عند البردوني: إن توظيف الرمز في القصيدة الحديثة سمة مشتركة بين غالبية الشعراء على مستويات متفاوتة من حيث الرمز البسيط إلى الرمز العميق إلى الرمز الأعمق علماً أن الرمز أو الترميز في الأدب بعامة سمة أسلوبية وأحد عناصر النص الأدبي الجوهرية منذ القدم إلا أننا نراه قد تنوع وتعمق وسيطر على لغة القصيدة الحديثة وتراكبها وصورها وبنياتها المختلفة.

و قد تعامل الشعراء مع الرمز بأسلوب لطيف وتوظيفه بصورة أو أخرى في طرائق متعددة ومذاهب أشتات ومناهج متنوعة ، ومناحي متعددة كل حسب طاقته الإبداعية ومقدرته الفنية ، وعبقريته في استخدام اللغة الشعرية فمنهم من ارتقى بتوشيته للعمل الأدبي الإبداعي بالرمز مما جعله يرتقي درجاتاً عُلّا في الموسيقى الشعرية ، إذ يصبح الرمز قلباً نابضاً وأحاسيس مجنحة وروحاً محلقة ، ومنهم من استخدمه آلياً ، فأصبح بذلك النص الأدبي قبراً ينام فيه هذا الرمز الأسطوري أو ذاك ، فينخفض بذلك العمل الشعري إلى درجة الصفر على حد تعبير رولان بارت ، من هنا كان ( أخطر شيء على الشعر هو استخدام الرمز فيه بطريقة آلية )<sup>١</sup>

وقد وضع النقاد ( معايير نقدية لقياس الرمز في النص الشعري من ناحية الطول والعمق، وهي تعتمد في جُمَلتها على درجتي الانتشار والكثافة ومداهما، إذ يمكن للرمز أن يستغرق القصيدة بأكملها ، ويمكن أن لا يمتد بهذا الشكل بل يظل محصوراً في نطاق محدود من القصيدة ، الأمر الذي يؤثر في عملية التشكيل الرمزي ويحدد مداها نوعياً )<sup>٢</sup> .

ونحن هنا سنقف عند الشاعر عبد الله البردوني كونه يمثل أحد الشعراء المعاصرين في اليمن الذين أسهموا إسهاماً بارزاً في مجال الرمز بل ومشاركته الظاهرة فهو يجنح في كثير من عناوين الدواوين من أرض بلقيس ، مدينة الغد، وجوَاب العصور، والسفر إلى الأيام الخضر... إلخ. كلها كما نلاحظ لها دلالة إيحائية كذلك نجده في عناوين قصائده كما في " السفر إلى الأيام الخضر، وأغنية من خشب ، ألوان من الصمت و جوَاب العصور ، وزيد الوصابي.... فالرمزية ، والدلالة الإيحائية واضحة جداً.

وقد مكنت البردوني عبقريته الفذة ، وقدرته الابتكارية العظيمة ، إلى جانب توظيفه الرمز القديم واستدعاء الأسطورة القديمة المستوحاة من التاريخ العربي كأبي تمام و وضاح اليمن ، وأبن المرفغ الحميري أو

١- د. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ٢٥٧

٢- صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م، ص ١١٣

من التراث الشعبي من كل ما سبق وغيرها من القصائد التي تفيض بهذا الأسلوب الإيحائي الجميل استطاع الشاعر أن يخلق لنصوصه رموزاً لها دلالتها وقدرتها على بعث الروح في النص الشعري ، وبقدرة فائقة نجد الشاعر (يرتفع بالواقعية الفردية المعاصرة إلى مستوى الواقعة الإنسانية العامة ذات الطابع الأسطوري) ١ .

ولعل التفات الشعراء إلى التراث الإنساني وتوظيف عناصره في بنية القصيدة الشعرية كان من أهم حلقات التطور التي ميّزت القصيدة المعاصرة عن القصيدة التقليدية والسمو بها إلى رتب عليا في الدلالة والبناء، حيثُ (أصبح التراث يشكل ركناً من أركان الحدائث وطريقاً من طرق ابتكارها) ٢

ولعل ما قدمه لنا البردوني من رموز الحضارة اليمينية في أعماله الشعرية كان هدفه أن " يوقظ الذاكرة على تاريخ يميني عريق في المقاومة وصنع الحضارة، أو على تراث من المثل والعادات والتقاليد، وبذلك يصل التعبير إلى مدلوله الأعمق إذ يقول تجذر الإنسان في أرضه وتاريخه، ويقول أيضاً شوقه المستقل رغبة في صنع وجوده الكريم وصولاً إلى فرحه العادل بالحياة" (٣) .

لكن الشاعر البردوني هنا تمكن من هدم هذه المقولة وأثبت أن الشكل القديم والإطار القديم للقصيدة العربية بمقدوره أن يستوعب كل أشكال التجديد وعناصره التي منها ولا شك الرمز والأسطورة. وقد أكد الدكتور المقالح ما أشرنا إليه في تقديمه لكتاب البردوني " رحلة في الشعر اليميني " حيث يقول : "البردوني في طليعة مدرسته كان ابتداعياً مجدداً في اللفظة وفي الصورة وفي الموضوع أيضاً" ٤ .

١ - الرمز المكاني: (اليمن) من صنع الحضارة : وهنا نعرض بعض أسماء الأماكن التي برزت فيها الرموز الحضارية التي بقيت خالدة على مرّ العصور شامخة برغم عوامل الزمن المتعاقبة عليها. يقول البردوني في قصيدة "من أرض بلقيس" وهي عنوان ديوانه، وقد اختزل فيه مضمون الحضارة اليمينية المتمثلة في اليمن السعيدة والإشارة إلى بلقيس:

**من أرض (بلقيس) هـ هذا اللحن والوتر ♦ من جَوْها هذه الأنسام والسحر**

**من (السعيدة) هذي الأغنيات ومن ♦ ظلّالها هذه الأطياف والصّور**

١- د. عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ٢١٤

٢ - محمد رضا مبارك، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣م، ص ٢٠٤.

٣ - جيني العيد، شعر المقالح، مرجعيته وشعريته، ضمن كتاب النص المفتوح، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٥٥.

٤ - عبد الله البردوني، رحلة في الشعر اليميني قديمه وحديثه، دار الفكر بدمشق، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م ص ١١

٥ - بلقيس بكسر الباء والقاف ملكة سبأ وزوج سليمان - عليه السلام - وأرض بلقيس كناية عن اليمن.

٦ السعيدة كناية عن اليمن ، وهي تسمى من القدم بالعربية السعيدة.

من خاطر(اليمن)الخضرا ومهجتها ♦ هذي الأغاريدُ والأصداءُ والفكرُ  
يا أميَ اليمن الخضرا وفاتنتي ♦ منك الفتون ومني العشق والسهرُ  
من هذه الأرض حيث الضوء يلثمها ♦ وحيث تعتنقُ الأنسام والشجرُ  
ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنهما ♦ من أرض بلقيسَ هذا اللحن والوترُ

فلنحظ منذ الوهلة الأولى في النص العبارات التالية " من أرض بلقيس - من السعيدة - من خاطر اليمن - يا أميَ اليمن - من أرض بلقيس" في حين لو حصرنا الضمائر التي تدل على الأسماء المذكورة لوجدنا أنها تمثل دلالة رمزية للوطن الذي يعيش فيه هذا المواطن كما توحى لنا بالتاريخ الذي ينبعث منه الضوء وتأتي منه الأنسام وشدو الألحان وعزف الأوتار بما يبعث في النفس الأمل والفرح والسرور لاسيما والشاعر يعيش في ظل عهد الإمامة.

ولا أدري أهو هروب من الحاضر أم أن الأمر مقارنة بين الماضي والحاضر؟، وإن كنت أعتقد أن الشاعر هنا في محل تنازع بين ذاتين الأولى تتحدث عن الماضي المشرق وبين الذات المعذبة في العهد الحاضر وما تحمله من معاني التعب والألم وسوء الطالع. وفي نص من ديوان (في طريق الفجر) نجد حشدا هائلا من الكلمات وهي تشير إلى الحضارة بل ويصرح بذكرها حيث يقول في قصيدة " زحف العروبة" قيلت سنة ١٩٥٨م في حكم الإمام:

أتري ديار العرب كيف تضافرت ♦ فكأن (صنعا) ٢ في دمشقَ روابي  
وكان(مصر) و(سوريا) في(مأرب) ٣ ♦ علمٌ وفي(صنعا) أعزُّ قباب  
فها هنا اليمن الخصبُ مقابِرٌ ♦ ودمٌ مباحٌ واحتشادُ ذئاب  
ذكره بالماضي عسى يبني على ♦ أضوائه مجدا أعزُّ جناب  
ذكره بالتاريخ واذكر أنه ♦ شعبُ الحضارة مشرقُ الأحساب  
صنع الحضارة والعوالمُ نومٌ ♦ والدهر طفلٌ في مهود تراب  
وهدى السبيل على الحضارة والدُّنا ♦ في التيه لم تحلم بلمح شهاب

١ - عبدالله البردوني، ديوان من أرض بلقيس المجلد الأول، ص ٥٧-٥٨

٢ - مدينة صنعا عاصمة اليمن تكرر ذكرها في أكثر من موطن في هذا القصيدة

٣ مدينة مأرب كانت بما مملكة بلقيس وهي تقع شرق صنعا إحدى محافظات الجمهورية اليمنية وبها سد مأرب العظيم.

**صمت الشعوب على الطغاة وعنهم ♦ صمت الصواعق في بطون سحاب**

**قل للإمام وإن تحفز سيفه: ♦ أعوانك الأخيارُ شرُّ ذئاب**

**وغدا سيحترقون في وهج السنَى ♦ وكأنهم كانوا خداع سراب**

**وتفيق(صنعا) الجديد على الهدى ♦ والوحدة الكبرى على الأبواب**

إن الرؤية الواقعية لدى الشاعر هنا تبصره بالواقع بوصفه حركة مضطربة تموج بالجدل حيث تشارك عناصر وروافد كثيرة متجانسة في صنعه فهو إذاً لا يقف عند تسجيل ظاهرة مجردة بل يجد نفسه يغمس في الأعماق كي يستكنه حقيقة ممتدة من الماضي إلى المستقبل من خلال الرمز التاريخي "صنعا - مأرب - اليمن" المشبع بالمغزى والدلالة ومن عمليات الترابط المعنوي بين الأبنية والتراكيب وغيرها من الوسائل التي تساعد على الأداء الفني الرائع إن الشاعر يضع رجلاً في الماضي والأخرى في الحاضر والنظرة التفاضلية للمستقبل من خلال عبارة "وتفيق(صنعا) الجديد".

وربما رؤية الشاعر لحركة التاريخ وحتميته هي ما مكنه من فهم طبيعة ما حدث في الواقع اليمني المعاصر فلم تكن اليمن وحدها هي التي ضاعت زمناً طويلاً وراء الزمن وانحرفت عن مسار التاريخ والحضارة وإنما هناك غيرها. إنه يرسم معاناة ومأساة شعب صمت طويلاً لكن هذا الصمت هو أشبه بالصواعق التي تختفي حيناً خلف السحاب ثم تزمجر وتثور على الطاغى والطغاة فتحرقهم بوهجها لتجمع الشعب في وحدة كبرى.

إن التأمل في لغة الخطاب هنا يكشف لنا أن استخدام الكلمات التالية "فكان (صنعا) - وكان(مصر) و(سوريا) -اليمن الخصبُ مقابرٌ - صمت الشعوب - ذكره بالماضي - ذكره بالتاريخ - شعب الحضارة - صنع الحضارة - وتفيق(صنعا) -" يشي بالقلق الداخلي والحركة التي تنم عن حيرة تبحث عن هداية، وشك ينقب عن يقين"٢.

إن الشاعر البردوني يوظف الرموز المستمدة من التاريخ الثقافى والحضاري لليمن، في محاولة منه لخلق وشائج وصلات بين تلك الرموز الضاربة جذورها في أعماق التاريخ اليمني وبين لحظة الحاضر للشاعر وجيله أو الأجيال القادمة فاتحاً آفاقاً واسعة أمام النص الشعري فيأتي الرمز عبارة عن ومضة إلماحية في النص، هذه الومضة عميقة الدلالة، غنية الإيحاء، تحقق العلاقة بين الخاص والعام، الحاضر والماضي .

١- عبدالله البردوني، الأعمال الشعرية، المجلد الأول ص٥٣-٥٧

٢- عبد الله حسين البار مقال بعنوان بناء القصيدة في شعر عبد الله البردوني - عبر الانترنت

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن البردوني التزم منهجا واحدا هو منهج البناء التقليدي وهو منح تراكمي وهو ما يجعلك قراءة البيت الشعري المفرد مستقلا عن القصيدة التي ورد فيها كما تجعل من المستطاع كذلك القفز من بيت إلى بيت لاحق له أو سابق عليه بخلاف المنهج البنائي الجديد والتطوري الذي لا يسمح لك بهذا.

٢ - الرمز في (الأشخاص) أو الشخصيات: وإذا كان البردوني فيما مضى من النصوص ذكر الآثار الحضارية مباشرة وحدد أسمائها فهو أيضاً قد يشير بطريق غير مباشر للحضارة مستخدماً الشخصيات رموزاً دالة على تلك الحضارة فيقول في قصيدة الغزو من الداخل:

**يمانيون يا (أروى) ١ ♦ ♦ ويا (سيف بن ذي يزن) ٢**

**ولكننا برغمكما ♦ بلا يمن بلا يمن**

فالشاعر يرى أن أجداده القدماء قد صنعوا الحضارة والأمجاد على أرضهم العvisية التي يقارنها اليوم وقد غدت غريبة ضنية من دون وعاء ولا غطاء على أيدي الأحفاد. وهذا ما أراد الإشارة إليه هنا فهو يشير إلى الملكة (أروى) التي حكمت الدولة الصليحية وكذا يشير إلى (سيف بن ذي يزن) فهو الذي يبحث عنه الشاعر في بقاع الأرض كمعادل موضوعي للمنقذ كونه ينشد تخليص الوطن من الطغاة.

وفي قصيدة (أبو تمام وعروبة اليوم) يعلن صراحة أن صنعاء تلك الجميلة في حُسْنها لاقت المرض وسوء الطالع لمن يصبو إلى هذه المعشوقة فكان مصيرها كمصير وضاح اليمن الذي ألقى في البئر بلا ثمن ودون أن ينال مراده.

**ماذا أحدث عن "صنعاء" يا أبتى ♦ مليحة عاشقاها: السل والجرب**

**ماتت بصندوق "وضاح" بلا ثمن ♦ ولم يمت في حشاها العشق والطرب.**

١ - الملكة أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، حكمت اليمن. وقد لقت ببلقيس الصغرى نظراً لرحابة عقلها وذكائها، وقد جعلت من مدينة حيلة عاصمة لها حيث تقع إلى الجنوب من مدينة إب، التي انتقلت إليها من صنعاء في العام ٤٥٨ هـ وبقت فيها حتى وفاتها في العام ٥٣٢ هـ حيث تم دفنها في الجامع الذي قامت هي ببنائه. فيما كانت ولادتها في ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م، انظر: إبراهيم أحمد المتحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للتوزيع والنشر، صنعاء، اليمن ٢٠٠٢م، مادة (حيلة) ص ٢٨٥.

٢ - ملك يحيى حميري عاش في الفترة بين ٥١٦ - ٥٧٤ هـ، اشتهر بطرد الأحباش من اليمن، وتولى الملك فيها.

٣ - هو عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر يمني غلب عليه لقب وضاح اليمن لإشراق وجهه ووضوحه. أحبته أم البنين زوج الخليفة الوليد بن عبد الملك وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبأته في صندوق، وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماده في بر كانت تحت بساطه.

فالأسلوب الاستعاري لصنعاء له دلالة إيحائية واضحة كيف جعل من المدينة فتاة معشوقة حيث أضفى عليها الصفة الإنسانية لكن الأسلوب الساخر لدى الشاعر ظهر في العشاق الذين سمهم بالسُّل والجرب وهي قمة السخرية وهي رمز لدلالة المتنافسين على سلطة الحكم في حين كان الأجدرب بأن يعشق من يسمو الجمال في الخلق والشكل بنفس صورة المعشوقة (صنعاء)

٣ - الرمز الزماني: يُعد الزمن عصا يتكأ عليها الشاعر في استدعاء تلك الشخصيات أو الأماكن عبر قرون مضت لها انعكاس على المستوى النفسي الذاتي وتذكير للأجيال القادمة بتاريخها وتعريفهم بمواقفهم المشرفة في أنحاء المعمورة فيقول البردوني:

ذكرةً بالماضي عسى يبني على ♦ أضوائه مجداً أعزّ جناب

ذكره بالتاريخ واذكر أنه ♦ ♦ شعب الحضارة مشرق الأحساب

صنع الحضارة والعوالم نوم ♦ ♦ والدهر طفلاً في مهود تراب

لعل الزمن يظهر لنا جلياً ذلك الماضي الذي عاش فيه الأجداد الأوائل في قمة المجد والعزة إنه بهذه الإشارة يبعث في النفس الحنين للماضي كيف لهم وصلوا إلى تلك المكانة وليس بغريب أن يكون من هذا الجيل أو الأجيال القادمة من يعيد الأمجاد المندثرة كيف الرعيل الأول صنع الحضارة في وقت كانت الأنام حوله تعيش في سبات عميق وإذا أردنا استقصاء ذلك عبر الجمل والأفعال سيطول بنا المقام ولكن نكتفي بالإشارة إليه.

الحوار الدراماتيكي في تشكيل الرمز: لست هنا في استقصاء لكل ما ورد من ذكر الرموز الحضارة اليمنية في شعر البردوني وإن كانت من صميم بحثنا لكنني هنا أقف عند نص شعري كامل أوضح من خلاله هذه الظاهرة الرمزية التي أبدع فيها الشاعر ووظفها توظيفاً جميلاً يعكس القدرة الإبداعية التي تميز بها البردوني ففي قصيدة "غريبان وكانا هما البلد"<sup>١</sup>

وبالتأمل في قصيدته التي تحمل عنوان "غريبان وكانا هما البلد" إحدى قصائد ديوانه "السفر إلى الأيام الخضر" نحاول أن نعيش مع التشكيل الرمزي في هذا النص وكيف تعامل معه البردوني

ولعل أول ما يلفت نظرنا في هذا النص هو رمزية العنوان "غريبان وكانا هما البلد" إلا أننا نرجئه إلى نهاية التحليل. لنمضي بداية في تلمس الرموز الجزئية في ثنايا النص التي تشكل مرجعاً للوصول إلى الدلالة الرمزية الكلية في العنوان. إن النص أساساً يتكئ على بُعدين رئيسيين، ثانيهما ينبثق من ثنايا الأول.

١ - عبدالله البردوني: الأعمال الشعرية المجلد الأول ص ٧٠٣ - ٧٠٦

أمّا الأول فهو الحوار الدراماتيكي القائم بين ذاتين وسمهما الشاعر بـ " غريبان " وهاتان الذاتان تتحدان في الأفكار والرؤى والانتماء وإن اختلفتا نسبياً في الجسد وأمّا الثاني وهو المتشكل في أعماق الأول المنبثق عنه فهو الرمز والرمز الأسطوري ويظهر جلياً حين يقول :

نعله " دبعي " أصل والداه من " يافع " أمه من " سورة المسد "

ولعل التوظيف الرمزي يظهر لنا بوضوح في قوله " أمه من سورة المسد " إذ يشير الشاعر هنا إلى حمالة الحطب في قوله تعالى " وامرأته حمالة الحطب " ١ وتتجاوز دلالتها في المواضع " كما وردت في النص القرآني " لتصبح دالاً يمنح مدلولاً هو الفقر والكدح والعباد والشقاء الذي تعيشه هذه المرأة لاسيما حين وصفت بأنها حمالة الحطب وهي إشارة خفية من سورة المسد . وهو ذاته ما نجد في قوله:

عرفته يميناً في تلفته ❖ ❖ خوفٌ وعيناه تاريخ من الرميد

لاحظ الكلمات التالية " الخوف ، وتاريخ من الرميد - " كل تلك الكلمات والعبارات تدل على الرميد؛ رمز الكدح والمعاناة والأسى الذي يعيشه هذا المواطن لكن تجلّي الرمز بصورة أقوى وأجمل وظهر في قوله:

عرفت من أنت يا عمي تلال "بناً" ٢ ❖ ❖ (عيبان) أثقله غاب من البرد

شمسان" تنسى الثريا فوق لحيته ❖ ❖ فاها وينسى ضحى رجليه في الزيد

بينون" عريان يمشي ما عليه سوى ❖ ❖ قميصه المرمريّ البارد الأبدي

صخرٌ من السد تجتاز المحيط إلى ❖ ❖ ثانٍ ينادي صداه من رأى عميد

٤ - الطبيعة: تمثل الحقل الدلالي الذي يستلهم منه الشاعر رموزه هنا فيبرز حقل الطبيعة والبيئة التي يعيش فيها الإنسان ، ولكل رمزٍ من هذه الرموز " عيبان " : شمسان " بينون " صخر من السد " دلالتها المستمدة من التاريخ اليمني ، والشاعر في توظيفه لها في السياق النصي يضيف عليها إحياءات جديدة تسهم في إثراء الدلالة وتوسيعها .

فعبان متصل تاريخياً بالثورة ، وشموخه من شموخها ، غير أن الشاعر يتجاوز ذلك يحمله ، من خلال السياق النصي شحنات تعبيرية يضيف عليها اللفظة ورودها في المشهد الدراماتيكي انفتاحاً معنوياً ،

١ سورة المسد: ٤

٢ - يقع في مدينة إب يشتهر بالحضرة وهو كناية عن الإحصاب

فتبدو - لفظة عيبان رمزاً للوطن الذي يتماهى معه المواطن المغترب ويتجسده وتوضحه الاستعارة المكنية التي ورد فيها الرمز .

وهنا تتشعب الدلالات فتصبح لفظة " عيبان" دالاً يستدع أكثر من مدلول إذ يظهر تارة في المواطن المغترب عن بلاده وأهله . وقد أثقلته الهموم وأسقمته المآسي وأضناه الوجد والحزن. ويظهر تارة أخرى في الوطن الذي تكالبت عليه الأوجاع وأثقلته المآسي والصراعات وتصبح غابات البرد رمزاً آخر للجفاف والجذب والجمود معنوياً وحسياً

وتارة ثالثة أخرى يظهر وقد تجاوزت اللفظة تلك المدلولات لترتبط بمدلول ذي علاقة بالمدلول التاريخي للفظة " عيبان" الذي هو الثورة لكنها لا تستقر عند هذا المعنى إذ يسهم السياق النصي في تدميره " المعنى" وخلقِه من جديد بعد تحميله شحنة تعبيرية مغايرة فعيبان مرتبط تاريخياً بقيام الثورة التي تعني التخلص من عهد مثقل بقيود الظلم والفقر والجهل والمرض وبزوغ فجر جديد .

لكن " عيبان" في النص تتساقط عليه غابات البرد ما يمنحه صفة الاستكانة والعجز والجذب والصمت " السكوت". وقد تصبح تلك الصورة" غابات من البرد " - رمزاً للشيخوخة وفيها ما فيها من العجز والضعف وفي هذا ما يتراسل دلاليًا مع الرمز في البيت التالي :

#### شمسان تنسى الثريا فوق لحيته ♦♦♦♦ فاها وينسى ضحى رجله في الزيد

إذ تتجاوز اللفظة " شمسان" المدلول الأصل لتتلبس عدة مدلولات أخرى تظهر حيناً في ذلك المغترب الذي ألبسته الغربية حلة الشيخوخة ، وحيناً في الوطن المتدثر بالأسى والضعف مما أسهم في إضعافه - المدلول - المجاز المكاني " شمسان" إضافة إلى عنوان النص " غريبان وكاناهما البلد " .

والأعمق من هذا وذاك الرمز العكسي المتمثل في شيخوخة شمسان "تنسى الثريا فوق لحيته فاها" وكذلك نسيان رجله في الزيد "الرغوة" في الضحى إذ تشير الأولى " الشيخوخة" إلى الضعف والوهن وتوحي الثانية إلى الاستكانة والاستقرار في ما لا فائدة فيه "الزيد" فنسيانه رجله في الزيد رغم طلوع الضحى "النور" يجعله قابلاً في الظلام لا يفارقه وهو ذاته ما لوحظ في عيبان .

ونلاحظ أيضاً التوظيف الرمزي في سياق التركيب الاستعاري التجسيدي وتكرار الفعل المضارع " تنسى، ينسى" له أثر لا يخفى عن المتدقق لهذه الصورة فقد زاد الفعل المضارع في إثراء النص جمالياً ودلاليًا . وفي نفس الخط التعبيري للرمزين السالفيين يسير الرمز المستوحى من ذات الحقل الدلالي ذلك الرمز هو حصن بينون" في منطقة (الحداء) محافظ ذمار - المرتبط تاريخياً بالملك أسعد الكامل.

ويظهر هنا الرمز في ذلك الحصن الذي يرمز للألم والانكسار المتولدان عن الفقر " عريان ما عليه سوى قميصه المرمي البارد " وتكتسب هذه الصفات الديمومة من قوله الأبدى فتتضافر الرموز المتوالية مع بقية العناصر اللغوية في السياق النصي لإنتاج الدلالة وإثراء النص دلاليًا وجماليًا فاستخدام الرمز في السياق الشعري لا يقتصر على الوظيفة التعبيرية الإيحائية وإن غلبت عليه؛ بل يتجاوزها ليسهم إسهاماً فاعلاً في إنتاج الوظيفة الشعرية متأزماً مع بقية عناصر النص وهو ما يشف عنه استخدام الرموز السابقة وفق السياق الإستعاري بعد تحمليها وشحنها شحنات تعبيرية دلالية عكسية، ما يكسبها صفة " المفاجأة " وهي ما وصفها الدارسون المحدثون على أنها أحد عناصر إنتاج الشعرية في النص. إذ أن الملتقي الذي في مخليته للفظلة دلالة واحدة هي الأصل فيها تداهمه الدلالة الجديدة النصية فيحدث له ما يسميه أصحاب نظرية التلقي بخيبة التوقع " ١

إن عبقرية الشاعر لا تقف به عند هذا الحد في التعامل مع الرمز الأسطوري بل يتعداه إلى أنماط أخرى من التوظيفات الرمزية في نطاق التجربة الشعرية والسياقية النصية معاً، وإن ظهر الرمز الشعري منفرداً في السياقات السابقة إلا أنها في السياق التالي تتداخل وتتشابك وتنصهر معاً بما يخدم النص ففي قوله :

" صخر من السد ٢ يجتاز المحيط إلى ♦ ♦ ♦ ثانٍ ينادي صداه من رأى عمدي "

هو الإشارة إلى سد مأرب المتمزقة أشلاؤه المتهدمة أركانه غير أنه يتعدى ذلك لصبح رمزاً للتمزق والشات اللذان يعاني منهما المواطن اليمني المغترب ما يفصح عنه تجسيد الذات المخاطبة به، لكن المتأمل في البيت الشعري المتمعن في أعماقه يتبين رمزاً آخر ذابت فيه الذات المخاطبة المتجسدة في " الصخر من السد " فتلاشى وأوغل في الغياب مع حضوره في الذهن، فتجلى في السياق ومضات أشارية توحى إليه لتتدخل المرجعية الثقافية لدى المتلقي أو الدارس في استرجاعه واستبانه .

الحقل الأسطوري (التراث الشعبي): يغدو الرمز أو الأسطورة " بمثابة خلفية للموقف الشعوري الذي يعبر عن الشاعر "٣ ذلك الرمز الأسطوري هو " السندباد " المستمدة من الحكايات الشعبية، رمز السندباد، والسندباد كما تقدمه حكايات ألف ليلة، رحالة بغدادي يركب البحار ويخوض عبابها مدفوعاً بحب المغامرة وحب ارتياد المجهول، وقد حيد الشعراء هذا الرمز بوصفه رمز الكشف والمغامرة الخلاقة نحو اكتشاف المجهول (٤). غير أن المفارقة تتدخل لتغير مسار الأسطورة الشعبية وتخصصها لتصبح أسطورة نصية

١- عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ٢٥٧ .

٢- إشارة إلى سد مأرب الذي تهدم وأصبحت أحجاره شريدة يسأل بعضها عن بعض

٣- د. عزالدين، إسماعيل، الشعر العربي المعاصر ص ٢١٤

٤- محمد عبد الرحمن يونس، مقاربات نظرية في أهمية الأسطورة.....، ص ٤٣، ٣٩.

بردونية- إن صح لنا التعبير - إذ أن السندباد في الأسطورة الشعبية هو رجل كان يستمتع باستكشاف المجهول بينما السندباد في النص يشتم المجهول لأنه يريد ذلك ، لكن لأن الأصل في تكوينه غاص في لجج المجهول وأوغل في الغياب المطلق ، فرحلة البحث الطويلة للبحث عن معلوم غائب ، وثمة بُعد آخر ذو ارتباط عميق للأول هو "صداه" فالرموز الشعرية هنا تتركب على نحو من التداخل والتوالد والتناسل ما يمنح النص صفة الكثافة والعمق مع نسبة الشفافية تسهم في إثراء التجربة دلاليًا وجماليًا .

وتلتقي هذه الرموز المتداخلة المتأزرة في نقطة واحدة يبرز من خلالها المدلول المتمثل بالانكسار والأسى والحزن الناتج عن هذا التشتت والتمزق والتشردم الذي سيطر على الذات مخاطبة ومتكلمة . فترحل باحثة عن شيء معلوم لديها لم يظهره النص وهنا يبرز السؤال عن هذا الشيء المهم الذي تبحث عنه الذات ؟ أهو الراحة والاستقرار والهدوء ؟ أهو الأحبة والأهل ؟ أم أنه الثورة الحقيقية التي تكمل وتصلح وتنمي وتجمع كل سندباد وكل جزء في وطن واحد يسوده الحب والسلام ١٩ . وهنا يظهر لنا أن الشاعر يحاول جاهداً في تكثيف بعدين هما : (١) البعد النفسي (٢) البعد الانفعالي. إذ يثري التجربة النفسية التي عايشتها الذات وكابدها جراء ذلك التشظي والانحسار إلى جانب إشعال فتيل الانفعال لدى المتلقي لتجره وتسحبه فيكون طرفاً آخر في المعادلة الرمزية والتجربة الشعرية .

من كل ذلك يتراءى لنا نوعاً من التماثل الأيقوني في أطراف الإشارة الشعرية في المقطوعة الدراماتيكية ، ما يحقق للرمز انتقالات حركية متوازنة مع الدلالات التي يحملها ويوحى بها . وتتحول الذات المخاطبة في سياق آخر إلى ذات متكلمة ليتحلى بصورة عفوية حشد من الرموز المستمدة من حقل التاريخ الشعبي . وقد تتجلى هذه الرموز عند النظرة السطحية لها عادية لكنها تتجاوز ذلك إلى الإيحاء الدلالي الذي يستشف من خلال المرجعية الرمزية الأسطورية

**رحلت في ذلك التاريخ أذكره ♦♦ كأنها ساعة يا " سعد " لم تزد**

**صباح قالوا: "سعود" قبل خطبتها ♦♦ حبلى و"حيكان" لم يحبل ولم يلد**

فسعود و إن كانت علماً إلا أنها تجاوزت دلالاتها التعريفية لتصبح (س) من النساء كور الليل بطنها فسء صباحها غير أن ثمة جانباً حتمياً يفصح عنه الرمز الآخر المجاور له " حيكان " وحيكان اسمٌ لأكثر من وادٍ في أكثر من منطقة حتى أصبح رمز الخصب ..... وهذا غاية الخصب "١

١ - عبدالله البردوني، الأعمال الشعرية المجلد الأول، ص ٦٦٧

ذلك حيكان " اللسان " أمّا " حيكان " النص فهو رمزٌ للجذب والجفاف وهنا يظهر لنا الدور الاستعاري وأسلوبه في التشخيص وفي تكثيف رمزيته العكسية ويقوم التقابل الضدي على المستوى السطحي بين سعود و " حيكان " بشحن الصورتين بطاقات رمزية تفصح عن بعد عميق ومكونون غائر.

فهو يشير إلى الحالة المتردية التي وصلها إليها المجتمع ، جذبٌ وجفافٌ حسيّ يمثله جفاف الأخصب " حيكان" ومعنوي تمثله المرأة الحبلى خطبتها " سعود" ولربما كانت العلاقة سببية بين الرمزين " الجديين" أو الجذب الحسي " جذب الأرض" الفقر المدقع أدى - وكان سبباً - للجذب المعنوي الأخلاقي فتبيع الفتاة شرفها " المرأة" أصبحت رمزاً للتفسخ والانحلال المجتمعي الناتج عن الفقر وتردي الحالة الاقتصادية والاجتماعية . ولأن كليهما يؤدي إلى الآخر فالتقابل الضديّ بينهما يظل على السطح دون العمق ، إذ ينزاح كلاهما عن الأصل وتنعكس الموازين في كليهما .

فالملاحظ أنّ الشاعر يستمد مادته الرمزية من التراث الشعبي ليصبغها بالواقعية فتعبر عن واقع معيش وتجربة حياة فيلتقي الخاص والعام والضدي والجمعي وتجاوز بذلك الرؤية الرومانسية التي تتخذ من الرمز ملجأ تهرب إليه من واقعها ومعاناتها ومن هنا تظهر سمة التجديد الشعري عند البردوني إذ يستمد الشاعر من حكايا الشعب وأساطيرهم قصة تلوكها أفواه الناس منذ فترة بعيدة بل أصبحت مادة الأغاني الشعبية مدة عشرين عاماً وقد تضمن الشعب في هذه الأغاني فعبرت عن الشوق للمليحة وعن الحسد لمن نالها .

فالشاعر هنا يقوم باختراق قوانين اللغة وتدمير عناصرها لكي يقوم بخلقها من جديد ويعيد تشكيلها بعد أن ينفث فيها من روح أحاسيسه وعواطفه ورؤاه وأفكاره ونظراته للكون والعالم من حوله . إن الشاعر عندما يزرع ذوات النص ورموزه إنما يزرع أفكاراً ومواقف ورؤى يراها ، ويعبر عنها حسب رؤيته وإيديولوجيته .

وإذا كنّا قد أخذنا من النص الظواهر الجزئية للرمز الشعري وهي جملة ما يمكن الإشارة إليه من تشكيلات جزئية كونت لبنات أساسية في القصيدة وبنائها العام فليس معنى ذلك أنّ التوظيف الرمزي يقف عند هذا الحد ، فالمتأمل في النص الكوني يجد أن تلك الظواهر الجزئية لا تعدو أن تكون عناصر ديناميكية جزئية في جسد كلي - هذه العناصر تشكل مجموعها رمزاً كلياً يمكن أن نستشفه من العنوان بداية " غريبان وكانا هما البلد " فمن خلال التماهي أو التداخل بين الذاتين " غريبان " اللتين شكلتا النص عبر تحركهما الفاعل في الفضاء النصي ثم ذوبانها معاً في ذاتية أخرى هي " البلد " فكان جواز إطلاق نسبة

إحدهما إلى أي مكان فيه يبدو جندي /يريمي /مكرد القاضي /مثنى الرداعي /مرشد الصيدي / دبعي أصل والده من يافع /أمه من سورة المسد / رأيت نخل المكلا من ملامحه / عرفته يميناً / أنه وطني .

إذن تتلبس الذات بالوطن " تلال بنا " " عيبان " / بينون / صخر من السد / بل لتتسل من الذات ذاتاً أخرى " سعيد في تبوك/ في سيلان يحيى / في غانا أبو سند / في نيجيريا حسن / في الملاوي ناصر العندي

كذلك تتحد الرؤية وتتماهي النظرة للعالم وتنصهر المواقف لتجمع في مدلول الرفض للواقع المعاش الذي اختلت فيه المعايير وتردت فيه القيم وانصهرت فيه الفواصل بين الأزمنة ليصبح الظلام هو المسيطر.

وفي الختام نخلص: إلى الآتي:

أولاً: إن البردوني استطاع بموهبته الفذة وعبقرية الإبداعية أن يوظف ظاهرة الرموز الحضارية اليمنية التي أشرنا إليها سابقاً فنجد أنها قد سجلت حضوراً بارزاً في شعره فتجلت لنا الرموز، وهي تشارك الشاعر عمق ما يحمله من مأساة أو تفائل.

ثانياً: يعتقد الباحث أن الإبداع الذي تميز به النص الأدبي في قصائد البردوني يكمن في الحوار الدراماتيكي القائم بين ذاتين وسمهما الشاعر في قصيدته بـ " غريبان وكانا هما البلد " وهاتان الذاتان تتحدان في الأفكار والرؤى وإن اختلفتا نسبياً في الجسد وفي التشكل في الأعماق وهو الرمز الذي نلمسه في ثنايا النص الذي يشكل مرجعاً للوصول إلى الدلالة الرمزية الكلية في العنوان.

ثالثاً: استفاد الشاعر من ثقافته التاريخية في توظيف الرموز الحضارية من خلال الموازنة بين الماضي والحاضر فهو يضع إحدى رجليه في الماضي والأخرى في الحاضر ليرضي نفسه بالماضي ويجلدها بالواقع المؤلم الذي عانى منه في عهد الإمامة وما بعدها.

رابعاً: إن الرموز الخاصة التي كررها البردوني هي مفاتيح لفهم تجربته التي تتمحور حول قضايا رئيسة أبرزها قضايا الثورة، الوطن، الإنسان، الحرية والسعادة. وتضح تجربته بالرفض للثورة المزيفة، ولذلك تميز شعره بروح السخرية.

## قائمة المصادر والمراجع للبحث :

## • القرآن الكريم.

١. ابراهيم احمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للتوزيع والنشر، صنعاء، اليمن ٢٠٠٢م.
٢. ابن منظور، لسان العرب مج ٣ باب الرء مادة (رمز) دار المعارف مصر د.ت.
٣. جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت. لبنان، ١٩٧٩م.
٤. حوار اجري معه في قناة اليمن (فيديو)
٥. د.عبد العزيز المقالح، شعراء من اليمن، دار العودة، بيروت، بدون تحديد رقم الطبعة ١٩٨٣م.
٦. د.عبد الله البار مقال بعنوان بناء القصيدة في شعر عبد الله البردوني - عبر الانترنت
٧. د.عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر في اليمن "الرؤية والفن"، دار العودة بيروت ١٩٨٦م.
٨. درويش الجندي، الرمزية والأدب العربي الحديث، دار نهضة مصر، د.ت.
٩. سعد أحمد الحاوي، دور الكلمة في العمل الأدبي، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٠. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.
١١. صلاح فضل، شفرات النص، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م
١٢. عبد الله البردوني، رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، دار الفكر بدمشق، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م.
١٣. عبدالله البردوني، الأعمال الشعرية، المجلد الأول إصدار الهيئة العامة للكتاب اليمن صنعاء الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
١٤. مجموعة من المؤلفين :د.أحمد نعيم الكراعين وآخرون نصوص و دراسات أدبية
١٥. محمد رضا مبارك، اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣م.
١٦. محمد عبد الرحمن يونس، مقاربات نظرية في أهمية الأسطورة، مجلة المعرفة، العدد ٤٢ - ٤٣، يونيو - يوليو ٢٠٠٦م
١٧. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، الطبعة الثالثة، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢م.
١٨. هدى فاطمة الزهراء، جماليات الرمز في الشعر الصوفي، رسالة ماجستير جامعة أبي بكر بلقايد -الجزائر ٢٠٠٦م.
١٩. -يمنى العيد، شعر المقالح، مرجعيته وشعريته، ضمن كتاب النص المفتوح، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١م.

## Co-friendly Method of Synthesis of Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> Nanoparticles from Hematite stone from Republic of Yemen

Dr. Nabil Abdullah N. Alkadasi <sup>1,2</sup> Dr. Abdul Jabar Mohmmmed Saleh Al-Eyani <sup>3</sup> and Prof. Mohamed Abdulbari Alkadasi <sup>4</sup>.

<sup>1</sup>Hubei key lab of Materials Chemistry, School of Chemistry & Chemical Engineering, Huazhong University of Science and Technology, Wuhan, Hubei, 430074 China.

<sup>2</sup>Department of Chemistry, Faculty of Education and Science, Al-Baida'a University, P.O.Box:39189, Yemen.

<sup>3</sup>Mechanical Engineering, Faculty of Engineering, Thamar University, Yemen

<sup>4</sup> Department of Geology, Faculty of Science, Sana'a University, Yemen

### Abstract :-

Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle has been successfully synthesized and here we report the modification of the preparation method of Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nano-particles, which consist of two stages, beginning with the crushing and separation of iron ore from Hematite stone. Then, the Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nano-particles were synthesized using the co-precipitation method. The result hematite oxide powder rock is shown random size and shape, will Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles are shown more clear shape and uniform Structure and distribution. The characterization of Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle was done by SEM, TEM, XRD and Spectrophotometer.

**Keywords:** Hematite, Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles, properties and characterization.

### Abstract

# 1

طريقة تحضير صديقة للبيئة لجزيئات النانوية لأكسيد الحديد من صخر الهيماتيت من الجمهورية اليمنية.

### ملخص البحث :

حضرت بنجاح جزيئات النانوية لأكسيد الحديد وسجلت التقرير المعدل من طريقة التحضير لجزيئات النانوية لأكسيد الحديد والتي تحتوي على مرحلتين تبدأ بطحن وفصل خام الحديد من الحديد الصخري والتي جعلت الجزيئات النانوية لأكسيد الحديد تستخدم طريقة ثنائية الترسيب . وهذه الطريقة تعد صديقة للبيئة . والنتائج أكسيد الهيماتيت الصخري يكون الشكل والحجم عشوائي ، بينما أكسيد الحديد النانوية يكون زيادة الواضح في الشكل مع التوزيع .

التحليل وصفات الجزيئات النانوية لأكسيد الحديد درست بواسطة المسح الالكتروني (SEM) ، جهاز الطيف ، جهاز الانبعاث الالكتروني (TEM) ، أشعة أكس آردي (XRD) .

كلمات رئيسية:

صخر الهيماتيت وجزيئات النانوية لأكسيد الحديد ، الخواص والتحليل.

### Introduction:

In the previous work, Synthesis of Fe<sub>3</sub>O<sub>4</sub> nanoparticles from Ferric Nitrate by Sol-Gel Method were synthesized [1].

Hematite is the mineral form of iron(III) oxide (Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub>), one of the several iron oxides. Hematite crystallizes in the rhombohedral lattice

system, and it has the same crystal structure as limonite and corundum. Hematite and limonite form a complete solution at temperatures above 950 °C . Hematite is a mineral, colored black or silver-gray, brown to reddish brown, or red. It is mined as the main ore of iron. Varieties include kidney ore, martite , ironrose and specularite, while other the forms of hematite vary, they all have a rust-red streak. Hematite is harder than pure iron, but much more brittle. Magnetite is a hematite- and magnetite-related oxide mineral [2-5].

Huge deposits of hematite which are found in banded iron formations. Gray hematite is typically found in places where there has been standing water or mineral hot springs, such as those in Yellowstone.

The mineral can precipitate out of water and collect in layers at the bottom of a lake, spring, or other standing water. Hematite can also occur without water, however, usually as the result of volcanic activity. Clay-sized hematite crystals can also occur as a secondary mineral formed by weathering processes in soil, and along with other iron oxides or oxyhydroxides such as goethite which is responsible for the red color of many tropical, ancient, or otherwise highly weathered soils [6].

Ferric oxide is the inorganic compound with the formula Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub>. It is one of the three main oxides of iron. Hematite ( Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> ) is the main source of the iron for the steel industry. Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> is ferromagnetic, dark red, and readily attacked by acids. Ferric oxide is often called rust, and to some extent this is useful, because rust shares several properties and has a

similar composition. Rust is considered an ill-defined material, described as hydrated ferric oxide. Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> can be obtained in various polymorphs. In the main ones,  $\alpha$  and  $\gamma$ , iron adopts octahedral coordination geometry. That is, each Fe center is bound to six oxygen atoms. Application of iron ( III ) oxide is as the feedstock of the steel and iron industries, e.g. the production of iron, steel, and many alloys [7-10].

A very fine powder of ferric oxide is known as jeweler's rouge, red rouge, or simply rouge. It is used to put the final polish on metallic jewelry and lenses, and historically as a cosmetic. Iron oxides are used as pigments in dental composites alongside titanium oxides. Hematite is the characteristic component of the Swedish paint color Falu red. Iron ( III ) oxide was the most common magnetic particle used in all types of magnetic storage and recording media, including magnetic disks for data storage and magnetic tape used in audio and video recording as well as data storage . However, modern magnetic storage media - in particular, the hard disk drives - use more advanced thin film technology.  $\alpha$ -Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> has been studied as a photo-anode for the water-splitting reaction [11-18].

**Experiment:**

**Materials:**

Hydrochloric Acid ( HCl ) and Ammonia Solution ( NH<sub>4</sub>OH ) were from Sinopharm chemical reagent Co ,Ltd ,China, Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> powder from a rocky mountain in Al Maidan ,saada and Al Habag, Al-Baida'a,

Republic of Yemen.

Characteristics of  $\text{Fe}_2\text{O}_3$  powder is reported in table 1 .

Molecular formula	hematite oxide powder ( $\text{Fe}_2\text{O}_3$ )
Appearance	red powder
Contain $\text{Fe}_2\text{O}_3$	78.40 %
Contain $\text{CaCO}_3$	21.60 %
Country	Al Maidan ,saada and Al Habag, Al-Baida'a ,Yemen <sup>(22)</sup>

**Table 1. Characteristics of Hematite oxide powder From XRD**



**Photo. 1. Hematite Rock**

**Hematite in powder form**

## Experiment

In this experiment , The first step is the physical preparation method ,in which hematite stone was pulverized to obtain a powder . Second step the hematite iron ore powders were prepared by the chemical coprecipitation method to synthesis of  $\text{Fe}_2\text{O}_3$  nanoparticles .In typical

coprecipitation synthesis procedure , 5 g Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> powder and 10 ml HCl were mixed at 90 °C for one hour . The solutions were filtered and then 12.5 mL NH<sub>4</sub>OH (90%) was added to the filtrate .The red precipitate was collected and washed with de-ionized water and pure ethanol three times [19-22].

#### Scanning Electron Microscopy :

The resulting particles morphologies were observed by SEM which was carried out on a Sirion 200 SEM at an accelerating voltage of 10 kV. To prepare samples for SEM, a drop of the dialyzed particles dispersion was dropped on a clean silicon wafer, and water was allowed to evaporate. Then, the samples were coated with a thin layer of gold.

#### Transmission Electron Microscope ( TEM ) Test

For TEM Test , a small amount of sample was dissolved in 3mL of deionized water in test tube and the solution was stirred by ultrasonication . Then 10 μ L sample was transferred to clean Copper Grid and kept for drying for TEM test. The TEM micrographs of samples were observed by CM 12 Philips Transmission Electron Microscope .

#### Spectrophotometer Results

For Spectrophotometer results, a small amount of sample was put in a test tube and then dissolved in 3mL chloroform and it was stirred by ultra-sonication to make sure the sample was uniform . Then solution was transferred to cavity of spectrophotometer and Spectra

were recorded at 400 to 750 nm.

### XRD Results

For XRD results, a small amount of powder sample was put in the XRD machine connected with computer. The result was recorded between intensity (KCPS) and Degree ( $2\theta$ ) shown in the figures (1 & 2).

### Results and Discussion:

The Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle was synthesized by heating at 90 °C, Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> solution. Plates 1, 2, 3, and 4 (SEM) and plates 5, 6 and 7 (TEM) shows the top-view TEM images of the Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> powder. The size of the Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle is obtained from TEM and SEM photos. The surface of Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle shows several large meandering wrinkles. The thickness of Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle is clear in high-magnification TEM images. Plate (SEM) 1. Hematite oxide rock powder shown random size and shape, will plate (SEM 2, 3 and 4) shown more clear shape and composite and uniform Structure and distribution for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles.

And Plate (TEM 5, 6 and 7) for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles shown uniform Structure, clear size and shape and distribution.

Fig (1) X-ray diffraction and table (1) for hematite iron oxide shows the graph the contain ratio Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> and CaCO<sub>3</sub> in hematite powder rock. will Fig (2) shows the graph for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle after experiment done.

Fig ( 3and 4) Spectrophotometer shown the graph all of Hematite rock powder and Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticle respectively dispersed in chloroform . The big Absorption in Fig ( 3) shows is 2800 appear in 520 to 540 nm for Hematite. Will Fig ( 4) shows big absorption is 2600 appear in 440-500 nm for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles .

### Conclusions

In conclusion, we have modified the synthesis method for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles through using the coprecipitation method with iron oxide (Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub>). Application of iron ( III ) oxide is as the feedstock of the steel and iron industries will Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles are use in magnetite storage media and other important application. The surface and thickness of can be seen from the TEM image

### Acknowledgements

This work was supported by UNESCO/People's Republic of China ( Great wall ) and Al-baida'a University , Republic of Yemen .

### References:-

1. Nabil Abdullah Noman Alkadasi, Alandalus University for Science& technology , 2015, 3 (9) Jun , 21-32.
2. Maiti.R , Chakraborty .M , J. Alloy and Compod., 2008 , 458 , 450–456.
3. Riyanto .A, Listiawati .D, Suharyadi .E, Abraha .d. K. ProsidingPertemuanIlmiah XXVI HFI Jateng & DIY, Purworejo , 2012, 14 April, 203-207.
4. Asuhan. S, Wan .H.L, Zhao. S, Deligeer .W, Wu. H.Y, Song.L, Tegus .O. Ceramics Int. .2012 , 38 , 6579 – 6584.

5. Zhoua .X , Shi.Y,Rena .L, Bao .S , Han.Y, Wu.S, Zhang.H,Zhong.L , Zhang. Q,J. Solid State Chem. , 2012 , 196 , 138–144.
6. Nabil .A.N. Alkadasi, S.Mishra , D.G. Hundiwale, U.R. Kapadi, Journal of Polymer Plastic Technology and Engineering , ( 2005) , 44 ,1159-1171.
7. Wang.B ,Wei .Q, Qu. S,Int. J. Electrochem. Sci., 2013 , 8 , 3786 – 3793.
8. Sun.J, Zhou.S, Hou.P, Yang.Y, Weng.J,Li.X,Li.M,J. Biomed Mater Res 80A : 2007, 333 –341.
9. Jiang.W, Yang.H.C, Yang. S.Y, Horng.H.E ,Hung.J.C,Chene.Y.C , Hong.C.-Y.,J.Mag. Mag. Mater. 2004 , 283 , 210 – 214.
10. Hu.P, Zhang .S, Wang.H, Pan.D, Tiana.J, Tang.Z, Volinsky.A.A ,J.Alloy. Compd., 2011 , 509 , 2316 – 2319 .
11. J.O. Park, K.Y. Rhee, S.J. Park ,Appl. Surf. Sci., 2010 , 256 , 6945 – 6950.
12. Ur Rahman.O, Mohapatra.S. C, Ahmad. S,Mater. Chem. Phys, 2012,132 , 196 – 202 .
13. Mukherjee.J, Ramkumar.J ,Chandramouleeswaran. S. ,Shukla.R , Tyagi. A. K.J. Radioanal.Nucl.Chem., 2013 , 22 January .
14. Miyauchi.M,Simmons.T.J, JianjunMiao,Gagner.J.E., Shriver.Z. H.,Aich.U, Dordick .J. S. and Linhardt.R. J, ACS Appl. Mater. Int. 2011, 3, 1958 – 1964.
15. Wang .L.-L. , Jiang. J.-S.Nanoscale Res Lett , 2009, 4 :1439 – 1446 .
16. Nowosielski.R, Babilas.R ,J.Achievements in Mater. Manuf. Eng., 2011 , 48 / 2 , 153 -160.

17. Etier. M ,Shvartsman .V. V. , Gao .Y , Landers.J , Wende.H&Lupascu. D.C ,Ferroelectrics, Taylor & Francis ., 2013, [ 347] 177- [ 355] 185 .
18. Astuti, Claudia.G., Noraida, and Ramadhani .M.,Makara J. Sci, August . 2013, Vol. 17 ,No. 2 ,58- 62 .
19. Kim .D, Lee .N, park .M, Kim.B.H, An.K, and Hyeon .T.J. Am .Chem .Soc. 2009 , 131, 454- 455.
20. Nabil Abdullah Noman Alkadasi, Oriental Journal of Chemistry, 2014, 30 (3),1173-1178.  
Nabil Abdullah Noman Alkadasi, Oriental Journal of Chemistry, 2014, 30 (3), 1179-1182.
1. كتاب تكنولوجيا صناعة الحديد والصلب ٢٠١٦

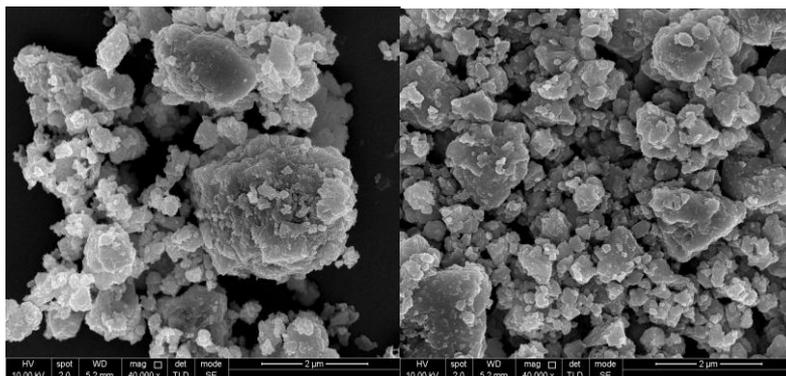


Plate (SEM ) 1 .Hematite Oxide Rock in Powder Form

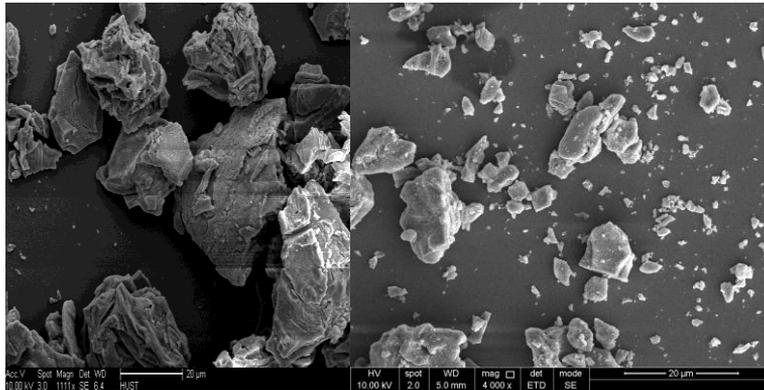
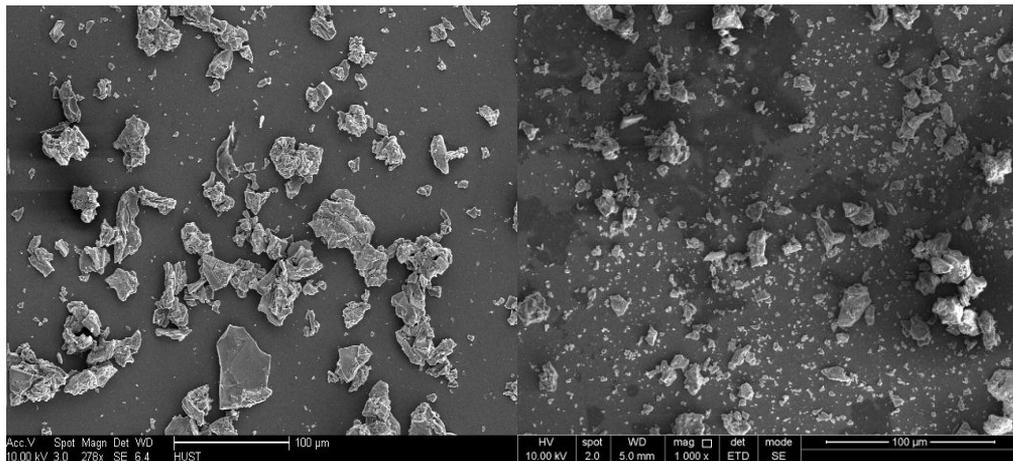


Plate (SEM ) 2. Hematite oxide nanoparticles (dry 60 °C Temp. )



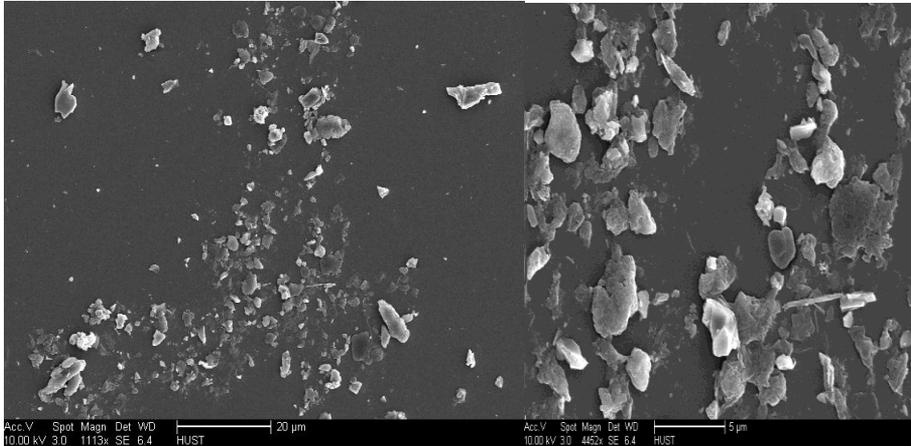
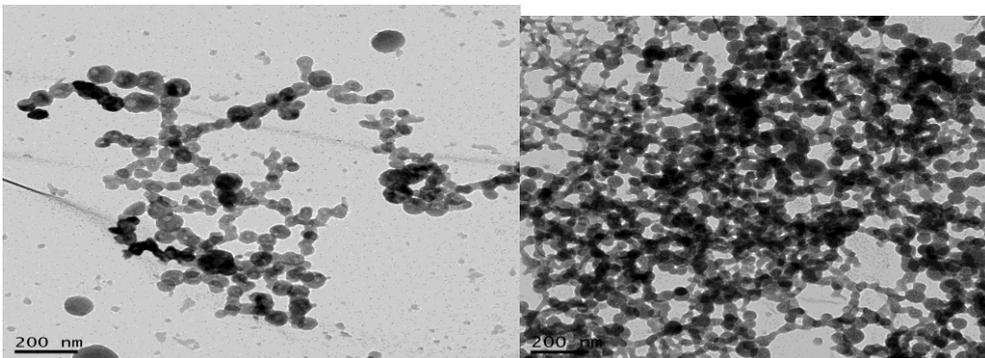
**Plate (SEM ) 3. Hematite oxide nanoparticles (dry 60  $^{\circ}\text{C}$  Temp. )*****Plate (SEM ) 4. Hematite oxide nanoparticles (dry 60  $^{\circ}\text{C}$  +200  $^{\circ}\text{C}$  Temp. )***

Plate (TEM ) 5. Hematite oxide nanoparticles

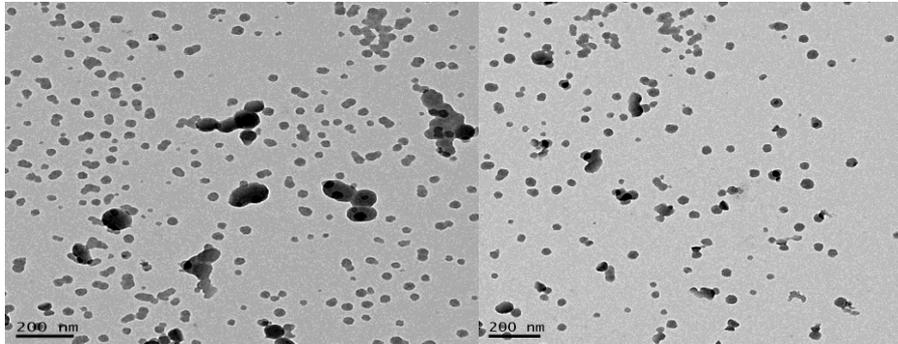


Plate ( TEM ) 6 . Hematite oxide nanoparticles

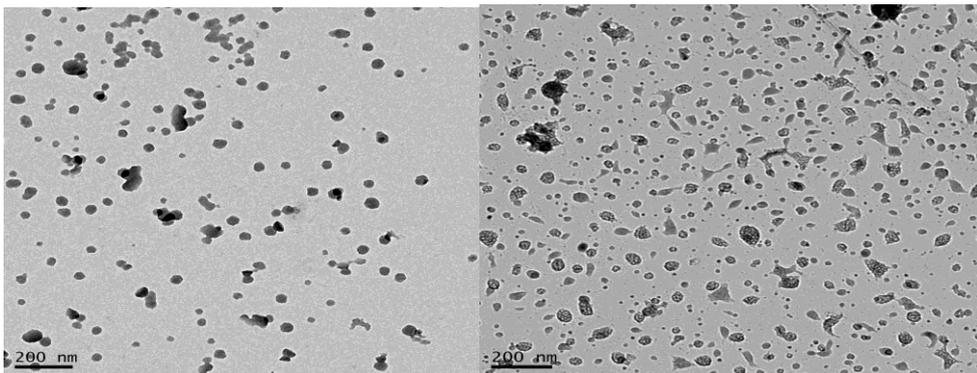


Plate ( TEM ) 7. Hematite oxide nanoparticles

3

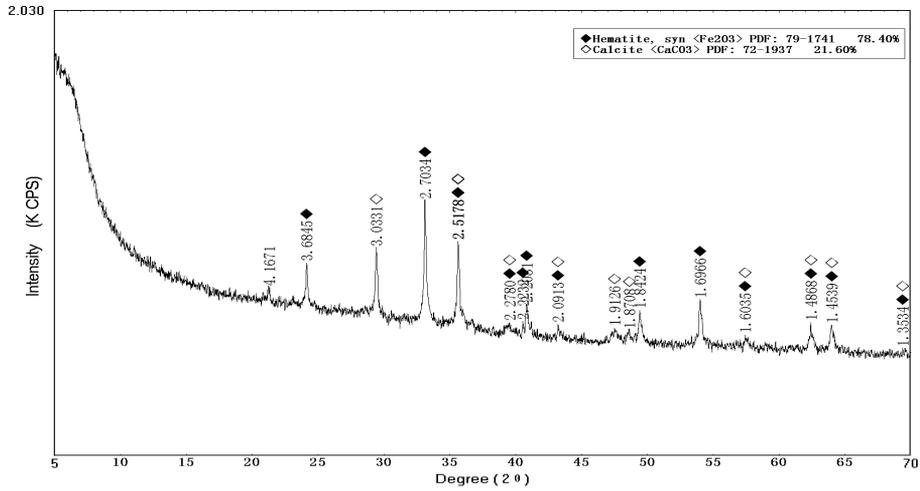
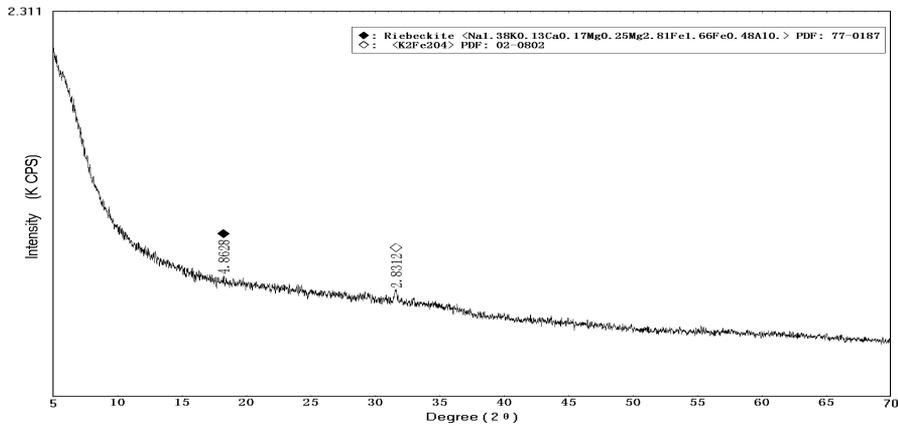
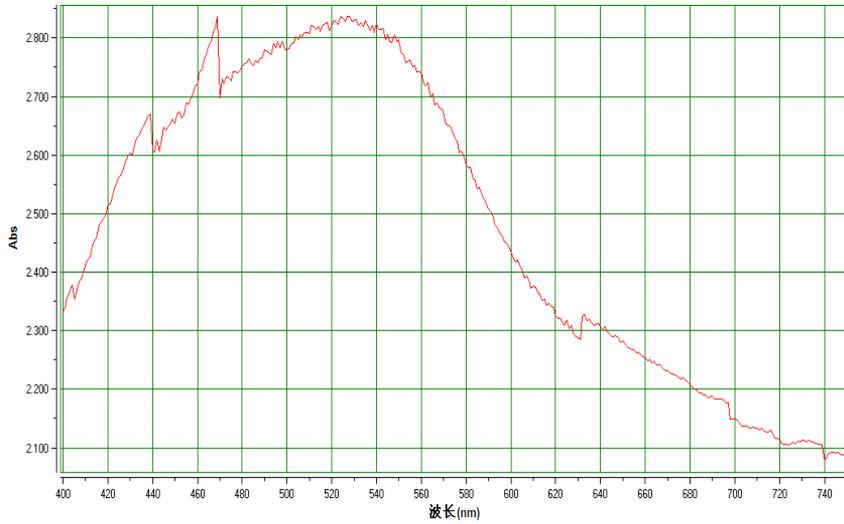


Fig. 1 : XRD for Hematite Iron Powder

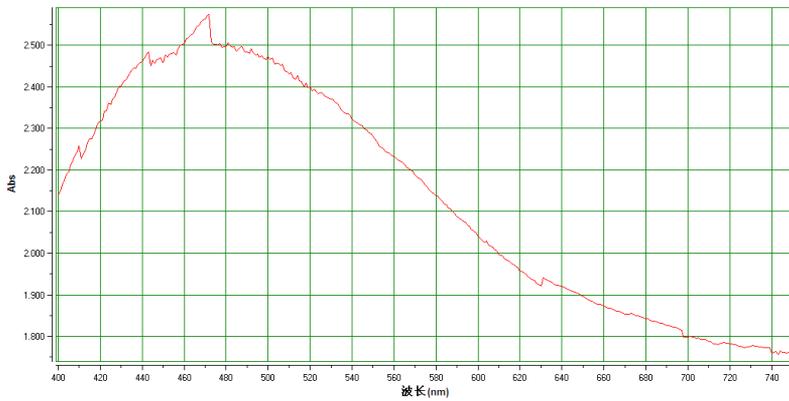
4



**Fig. 2 : XRD for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles**



**Fig. 2:  
Spectrophotometer for Hematite Iron Powder**



**Fig .3: Spectrophotometer for Fe<sub>2</sub>O<sub>3</sub> nanoparticles**